الإمَام أَحمَد

وكِتابه المُسند

تأليف

أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد

- غفر الله له ولوالديه وللمسلمين -



الإمام أحمد
وكتابه المسند

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

تنسيق مكتبة طيبة







المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُ بهِ ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنَّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمّد ﷺ، وشر الأمورِ محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

فهذا كتابٌ مختصر جعلتُه لي مرجعاً وتذكرة، ولإخواني معيناً ومرشداً، فيما يَهُمُّ طالبَ الحديث خاصَّة، وطالبَ العلم عامةً، حول شخصية الإمام الرباني أبي عبد الله أحمد بن حنبلِ الشيباني رحمه الله ورضي عنه، وأقوالِه المباركة في مختلف العلومِ والفنون، ومسندهِ المسدد، ومحنتهِ، قصدتُ فيه الاختصار، وتركت فيه التوسع والإكثار، خشية النفور والإملال.

إلهي لَك الحمدُ الْذي أنْتَ أهلُهُ.... على نعمٍ ما كنتُ قطُّ لها أهلا

إنْ زدتُ تقْصيرًا تزدْني تفضلًا.....كأنِّي بالتَّقصيرِ أسْتُوجِبُ الفضْلا[١].

ولسان حال كاتبهِ قولُ الإمام ابن قيم الجوزيَّة رحمه الله في مقدمة كتابه «روضة المحبين»: «والمرغوبُ إلى من يقفُ على هذا الكتابِ أن يعذرَ صاحبه، فإنَّه علَّقهُ في حالِ بعدهِ عن وطنهِ[٢]، وغيبته عن كتبه، وما عسى أنْ يبلغ خاطره المكدود، وسعيه المجهود مع بضاعته المزجاة التي حقيقٌ بحاملها أنْ يُقالَ فيه: «تسمع بالمعيدي خير من أنْ تراه»[٣] وها هو قد نصب نفسه هدفاً لسهام الراشقين، وغرضاً لأسنَّة الطاعنين، فلقاريه غنمُه، وعلى مؤلفه غرمُه، وهذه بضاعته تعرض عليه، ومموليته[٤] تهدى إليك، فإن صادفت كفؤاً كريماً لها لن تعدم منه إمساكاً بمعروفٍ، أو تسريحاً بإحسان، وإن صادفت غيره، فالله تعالى المستعان، وعليه التكلان.

وقد رضي من مهرها بدعوةٍ خالصة إن وافقت قبولاً واستحساناً، وبردٍّ جميل إن كان حظها احتقاراً واستهجاناً[٥]، والمنصف يهب خطأ المخطئ لإصابته، وسيئاته لحسناته.

فهذه سنَّة الله في عبادِهِ جزاءً وثوابًا، ومن ذا الذي يكون قولُه كلُّه سديداً وعمله كله صواباً، وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ونطقه وحيٌ يوحى، فما صحَّ عنه فهو نقل مصدق عن قائل معصوم، وما جاء عن

١- قاله محمود الوراق كما ذكره صاحب «المستطرف في كلِّ فنٍ مستظرف» (ص٢٤٦).

٢- كغربتنا وهجرتنا، والحمد لله.

٣- ذكره الميداني في «الأمثال» رقم (٦٥٥)، وقال يضرب: «لمن خبره خيرٌ من مرآه».

٤- قوله: (موليته) أي فضله ونعمه.

٥- قوله: (استهجاناً) استهجنه: استقبحه.

غيره؛ فثبوت الأمرين فيه معدوم، فإن صح النقل لم يكن القائل معصوماً، وإن لم يصحَّ؛ لم يكن وصوله إليه معلوماً»[١].

وأسأل الله العظيم أن يلحقنا بزمرة أهل الحديث العاملين به[٢]، العارفين له، المتبعين لسنن أهله، وألا يجعل عملي من باب التكاثر والتباهي، والأشر والبطر، وأن ينفع كلَّ من طالع فيه، أو دلَّ عليه، أو ساهم بنشره.

لي هِمَّةٌ فوقَ أعلى النَّجمِ منْزِلُها ... وفِكْرَةٌ حَارَ فيهَا مَنْ يُدَانِيها

١- مقدمة «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٤٥- ٤٦) ط: دار ابن كثير.

٢- قال بعضُ الحفَّاظ مِنْ أهل المائة الخامسة:

يا نَاظِرًا في الخُطُوطِ بعْدِي مُجتَنِيًا مِنْ ثِمارِ جُهْدِي
ومَا لي فيهِ سِوَى أنَّني أراهُ هوىً وافقَ المقصِدَا
وأرجوَ الثوابَ بكتبِ الصلا ةِ على السَّيِّد المصطفى أحمدَا

وقال السخاوي في «الجواهرِ والدرر» (٢/٦٥٩- ٦٦٠): «وهذا الحافظُ المبهم هو أبو بكر البرقاني، وأولهما:

أعلِّلُ نفسيَ بكتبِ الحديثِ وأجملُ فيه لها الموعِدَا
وأشغلُ نفسي بتصنيفِهِ وتخريجهُ دَائِمًا سرمدًا

وأنشد أبو عمر الحسن بن علي بن محمد بن غسان لنفسه كما في «المنتخب من معجم شيوخ السمعاني» (٢/٦٩٤):

طَلَبُ الحَديثِ طريقَةَ الـ ـماضينَ مِنْ أهلِ الرَّشَادِ
فَاسْلُك سَبِيلَهُمُ تنَلْ دَرَجاتِهِمْ يَوْمَ المعَادِ.

ولله درُّ الحافظ السلفي إذ يقول فيما ذكره الذهبي عنه في «السير» (١٩/٢٣٠- ٢٣١):

للهِ دَرُّ عِصَابَةٍ يَسْعَوْنَ فِي طَلَبِ الفَوَائِدْ
يُدْعَوْنَ أَصْحَابَ الحَدِيـ ـثِ بِهِمْ تَجَمَّلَتِ المشَاهِدْ
طَوْرًا تَرَاهُمْ بِالصَّعِيـ ـدِ وَتَارَةً فِي ثَغْرِ آمِدْ
يَتَتَبَّعُوْنَ مِنَ العُلُو مِ بِكُلِّ أَرْضٍ كُلَّ شَارِدْ
وَهُمُ النُّجُوْمُ المقْتَدَى بِهِم إِلَى سُبُلِ المقَاصِدْ.

وقال كما في «طبقات الشافعية» للسبكي (٦/٤٠):

أَنا مِنْ أهَلِ الحَدِيثِ وهُمْ خَيْرُ فِئَةْ
جزتُ تسعين وَأَرْجُو أن أجوزنَّ الْمِائَة.

إنْ كَانَ يُسْعِدُنِي دهرِيَ بخدْمَتِهَا   فَسوفَ أُوضِحُ شيئًا مِنْ معَانِيهَا[١].

فاللهم «لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به، ولا تجعلنا في رزقك خولًا لغيرك، ولا تمنعنا خيرَ ما عندك بشرِ ما عندنا، ولا ترانا حيث نهيتَنا، ولا تفقدنا من حيث أمرتنا، أعزنا ولا تذلنا؛ أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعاصي»[٢].

اللهم «لك الحمد على حلمك بعد علمك، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك»[٣].

يا نَاظِرًا فِي الخُطُوطِ بعْدِي   مُجتَنيًا مِنْ ثِمارِ جُهْدِي
بِيَ افْتِقارٌ إلى دُعاءٍ   تُهْديهِ لِيَ في ظَلامِ لحَدِي[٤]

وكتب: الفقير إلى عفو مولاه العلي القدير

محمود بن أحمد الزويد الجزري.

حرر بتاريخ:

٢ من شهر ذي الحجة ١٤٤١هجري

٢٣ من شهر تموز – يوليو ٢٠٢٠ إفرنج

وتمه وزاد عليه في ١٤٤٤هـ/ ٢٨ ربيع الآخر.

١- مجمع الآداب في معجم الألقاب (١/٣٦٤).
٢- من دعاء الإمام أحمد رحمه الله كما في «طبقات الحنابلة» (١/٢٠٤)، و«تهذيب الكمال» (١/٤٦٤).
٣- زوائد زهد أحمد (١٤٩٠) من دعاء الإمام الحسن البصري رحمه الله.
٤- المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (٢/١٠٨٨).

منهج البحث

تضمن الكتاب الحديث عن شخصية الإمام أحمد رحمه الله، ومحنته، وعن كتابه المسند، ونويت أن أدرك صنوف الخير فيما كتب في سيرة الإمام، وهذه الموضوعات كما عُلِم قد وقع التصنيفُ حول كل واحد منها مفردة، ثمَّ زدت الكتاب -فازدان جمالًا كما يراه المنصف المستفيد بإذن الله تعالى- من فتاويه وأقواله في الحديث، والجرح والتعديل، والمصطلح، والقواعد الحديثية، والعقيدة، والفقه، وطلب العلم، وغير ذلك واجتهدت بجمع الفوائد وتقريبها بطريقة علمية وسهلة.

وحديثي عن الإمام أحمد هو أوسع من حديثي عن المسند، وقد نقلت ترجمته من مصادر مختلفة سواء الكتب التي ترجمت للإمام وأعيان المذهب والمصنفين فيه، أو الكتب التاريخية في العموم، أو كتب الطبقات ولو كانت لطبقات المذاهب الآخرى، وقد جعلت ما تضمنه القسم الأول، وهو الحديث عن الإمام أحمد رحمه الله على النحو التالي:



القسم الأول

الحديث عن الإمام أحمد رحمه الله

[١] التعريف بنسب الإمام وما يلحقه.

[٢] أسرته.

[٣] علو رتبته.

[٤] سعة حفظه.

[٥] طلبه للعلم وأقواله وأحواله فيه.

[٦] الإمام أحمد والفتوى.

[٧] مصنفاته.

[٨] إمام أهل السنة والجماعة.

[٩] أقواله في علم القرآن والتفسير.

[١٠] أقواله في العقيدة.

[١١] تواضعه وميله للخمول وكراهيته للشهرة والظهور.

[١٢] محنته، وفيها:

١-الحديث عنها ومجرياته.

٢-ذكر عاقبة بعض الظلمة الذين أذوا الإمام رحمه الله.

٣- جماعة لم يجيبوا.

٤- نبذة في ذكر المتوكل ونصرته للسنَّة.

[١٣] مناقب الإمام.

[١٤] زهده وورعه وخوفه.

[١٥] جهاده في سبيل الله.

[١٦] من أحواله.

[١٧] في بيته.

[١٨] دعائه وتضرعه.

[١٩] رحلاته.

[٢٠] من أقواله وفتاويه.

[٢١] أصول مذهب الحنابلة، ويليه: (تتمة بذكر أهم كتب المذهبِ).

[٢٢] علو رتبته وجمعه للعلوم.

[٢٣] كلامه في الرجالِ والجرح والتعديل.

[٢٤] ما روي عنه في علوم المصطلح.

[٢٥] قواعد حديثية قررها الإمام رحمه الله.

[٢٦] ما روي عنه في الحث على التمسك بالسنة وترك التقليد.

[٢٧] علم العلل ومسائل الإمام أحمد.

[٢٨] أدبه مع شيوخه.

[٢٩] وفاته.

[٣٠] ما أظهره الله من الكرامات بموته رحمه الله.

[٣١] ما ذكر في رؤيته في المنام.

[٣٢] قصص لا تصح نسبتها للإمام أحمد

ثم يليه القسم الثاني والثالث يجده القارئ الكريم بإذن الله في مطالعته للكتاب.

فأقول مستعينًا بالله:



اسم الإمام ونسبه

هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً[١]، ناصر السنَّةِ، وشيخ العصابةِ ومقتدى الطائفة، أحمد بن محمد بن حنبل، بن هلال، بن أسد، بن إدريس، بن عبد الله، بن حيان، بن عبد الله، بن أنس، بن عوف، بن قاسط، بن مازن، بن شيبان، بن ذهل، بن ثعلبة، بن عكابة، بن صعب، بن علي، بن بكر وائل الذهلي، الشيباني، المروزي، ثمَّ البغدادي، أحد الأئمة الأعلام[٢].

هكذا نسَبَهُ ولده عبد الله، واعتمده الحافظ أبو بكر الخطيب وغيره, وأمَّا قولُ عباس الدوري وأبي بكر بن أبي داود أنَّ الإمام أحمد كان من بني ذهل بن شيبان فغلطهما الخطيب، وقال: «إنَّما كان من بني شيبان بن ذهل بن ثعلبة». قال: «وذهل بن ثعلبة هو عم ذهل بن شيبان بن ثعلبة»[٣].

قال الحسين بن أحمد الأسدي الطبري: «أحمد بن محمد بن حنبل نسبه من بني

١- نعته الأصفهاني في «حلية الأولياء» (٣٠١/٧) بـ «الإمام المبجل، والهمام المفضل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل. لزم الاقتداء، وظفر بالاهتداء، علم الزهاد، وقلم النقاد، امتحن فكان في المحنة صبورًا، واجتبي فكان للنَّعمة شكورًا، كان للعلم والحلم واعيًا، وللهم والفكر راعيًا».

ونعته الأزدي في «منازل الأئمة الأربعة» (ص٢٣٢) بـ «شيخ الأئمة، ومزكي الأمة، وأوحد الملة، رفيع القدر والهمة، صيرفي الأخبار، وقدوة العلماء في معرفة الآثار، إليه في فنونها الرَّد والقبول، وله في عيونها الغُرر والحجُول، إمام الأنام، مفتي الأمة في الحلال والحرام، وفي علم الحديث بحر زخار، وفي علم الفقه سماء مدرار، وفي الزهد والتقوى الحسن البصري، وفي الرقائق والدقائق ذو النون المصري، وفي الورع سفيان الثوري....» رحمه الله.

٢- سير أعلام النبلاء (١٧٨/١١)، و«تاريخ بغداد» (٩٠/٦).

٣- طبقات الشافعية للسبكي (٢٧/٢).

شيبان، أصله بصري[١]، خطته بمرو[٢]، ويُعَد في البغداديين»[٣].

وحنبل: بالفتح، ثمَّ السكون وباءٌ موحدة مفتوحة ولام، وهو في اللغة: «الرجل القصير الضخم البطن»[٤].

قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله يقول: «ولدت في سنة أربع وستين ومائة في أولها في ربيع»[٥].

وقال صالح: «جيءَ بأبي حَمَلٌ من مرو، فمات أبوه شابًا، فَوَلِيَتْهُ أُمُّهُ»[٦].

وقال: رأى أبي هذا النَّسب في كتاب لي، فقال لي: «وما تصنع بهذا؟» ولم ينكر

١- البصرة بيت الرواية، وقد خرج منها كبار الحفاظ والأئمة، ويلاحظ أنَّ كثيرًا من شيوخ أصحاب الكتب الستة وشيوخ شيوخهم؛ هم من البصرة، فتجد كثيرًا من الأسانيدِ نصفها الأول: مدني، ونصفها الآخر: بصري. وستة من التسعة الذين اتفق أصحاب الكتب الستة بالتتلمذ والرواية عنهم كانوا بصريين، وهم: (محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى العنزي، وعمرو بن علي أبو حفص الفلاس، ونصر بن علي الجهضمي، وزياد بن يحيى الحساني، ومحمد بن معمر القيسي، كل هؤلاء بصريون، وأمَّا الثلاثة الباقون فهم: يعقوب الدورقي (بغدادي)، وعبد الله بن سعيد الكندي (كوفي)، ومحمد بن كريب الهمْداني (كوفي) نقلًا من «مقدمة الأربعين الثلاثية» (ص٦٤و٦٦) ط: دار المحدث.

٢- (الخطة): بالكسرِ الأرض والدار يختطها الرجل في أرض غير مملوكة ليتحجرها ويبني فيها، وذلك إذا أذن السلطان لجماعة من المسلمين أن يختطوا الدور في موضع بعينه ويتخذوا فيه مساكن لهم كما فعلوا بالكوفة والبصرة وبغداد، وجمع الخطة خطط، كما في «لسان العرب» (٢٨٨/٧- ٢٨٩).

٣- منازل الأئمة (ص٢٣٥)، و«تاريخ بغداد» (٩٠/٦).

٤- معجم البلدان (٣١٠/٢)، وعنه في «المقصد الأرشد» (٣٦٨/١)، يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في «المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب» (٣٢٩/١): «انفرد الإمام مالك- رحمه الله تعالى- بنسبة مذهبه إلى اسمه فيُقال: «المذهب المالكي».

أَمَّا أَبو حنيفة النعمان بن ثابت، فنسبة مذهبه إلى كنيته، فيُقال: «المذهب الحنفي».

وأَمَّا محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، فينسب مذهبه إلى جده: «شافع» الذي اشتهر بالنسبة إليه هو، فيُقال له: «الإمام الشافعي»، ويُقال لمذهبه: «المذهب الشافعي».

وأَمَّا أَحمد بن محمد بن حنبل، فاشتهر عند الناس بالنسبة إلى جده، فيُقال: «الإمام أَحمد بن حنبل» و «ابن حنبل» ويقال في النسب إلى مذهبه: «المذهب الحنبلي».

ويظهر أَن لجَدِّهِ «حنبل» من الشهرة، والمكانة، ما جعل الحفيد «أَحمد» لا يُعرف إلَّا به، فيُقال: (أَحمد بن حنبل). والله أعلم.

٥- تاريخ دمشق (٢٥٨/٥).

٦- السير (١٧٩/١١).

النسب[١].

قال الهيثم بن جميل الأنطاكي (ت ٢١٣هـ): «إنْ عاشَ هذا الفتى يعني -أحمد بن حنبل- سيكون حجة على أهل زمانه»[٢].

وحصل الذي قاله، فهذا إبراهيم الحربي (ت ٢٨٥هـ)، يقول: «أنا أقول: سعيد بن المسيب في زمانه، وسفيان الثوري في زمانه، وأحمد بن حنبل في زمانه»[٣].

وكان يقول: «أنا أحب بني شيبان من أجل الإمام أحمد»[٤]. رحمه الله ورضي عنه.

١- المجموع من مرويات أبي الفضل صالح (ص٢٣٨)، وانظر: «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/٢١٢).
٢- الجرح والتعديل (١/٢٩٥)، و«المقدمة» (ص٦٠٥- ٦٠٦).
٣- تاريخ بغداد (٦/٩٠)، «السير» (١١/٢٠٣).
٤- المحنة لعبد الغني المقدسي (ص٢٩).







أسرته

فأمَّا جده: حنبل -الذي اشتهر بالنسب إليه- كان واليًا على منطقة سرخس في خراسان.

وأبوه: محمد كان قائدًا صغيرًا في الجيش العباسي المرابط في خراسان، وكان يسكن في مرو، ثمَّ رحل منها إلى بغداد، فاشترى دارين، سكن واحدة، وأكرى الأخرى.

وأمه: صفيَّة بنت ميمون بن عبد الملك، من بني شيبان المقيمين في البصرة، نزل أبوه عندهم، فخطبها من جدها الذي كان أحد وجوه البصرة، وعاد بصحبتها إلى مرو.

زوجاته: تزوَّج زوجته الأولى عائشة بنت الفضل، من العرب من الربض، وهو في الأربعين من عمره، وأنجب منها صالح أكبر أولاده، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، فلمَّا ماتت تزوج ابنة عمه ريحانة بنت عمر، وأنجب منها ابنه عبد الله، فلمَّا ماتت اشترى جارية اسمها حُسن، وتسرى بها، ومات وهي عنده.

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: « تزوجت وأنا ابن أربعين سنة، فَرَزَقَ اللهُ خيرًا كثيرًا»[١].

وأولاده: صالح أبو الفضل، وعبد الله أبو عبد الرحمن، وله ستة أولاد آخرين من جاريته حُسن: الحسن والحسين، توأمان، وماتا بالقرب من ولادتهما، ثمَّ ولدت الحسن ومحمدًا، فعاشا حتى صارا من السن إلى نحو الأربعين سنة، ثمَّ ولدت بعدهما سعيدًا وزينب، وتكنى أمَّ علي[٢].

١- السير (١١/١٨٥).
٢- الجامع لعلوم الإمام أحمد (٢/١٢)، وينظر: «تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين»

كنيته: (أبو عبد الله) وعبد الله، هو الابن الثاني له، والأول هو ابنه: صالح، فلماذا تكنى بعبد الله دون صالح، والعادة جارية بتكني الأَب بأَكبر أَبنائه؟ فلعله تكنَّى بأبي عبد الله قبل أَن يتزوج، ويولد له، فغلبت عليه.

وهذا جَارٍ في الناس، كما قيل:

لَهَا كُنْيَة عمرو ... وَلَيْسَ لها عمرو

أَو أَنَّه ولد له ابن أَول ما ولد وسمَّاه عبد الله، ومات في صغره، ويمنى به، فغلبت عليه[1].

للعلامة مرعي الكرمي الحنبلي المطبوع ضمن رسائله (٩/٣٠٤- ٣٠٧) ط: دار اللباب.

١- المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد (١/٣٢٩-٣٣٠).



علو رتبته

كان الإمام أحمد صاحب مرتبة عالية، ومكانة سامية بين العلماء، وبشهادة الشيوخ والأقران زمانًا بعد زمان، ومن ذلك قول عبد الله بن أحمد بن شبويه: سمعت قتيبة يقول: «لولا الثوري لمات الورع، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين».

قلت لقتيبة (ت ٢٤٠هـ): تضم أحمد بن حنبل إلى أحد التابعين؟ فقال: «إلى كبارِ التَّابعين»[١].

وقال: «لو أدرك أحمد بن حنبل عصر الثوري، ومالك، والأوزاعي، والليث بن سعد؛ لكان هو المقدم»[٢].

وقال عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ): «ما قدِم عليَّ أحدٌ كان يشبه أحمد بن حنبل رحمه الله»[٣].

وقال يحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨هـ): «ما قدم عليَّ مثل هذين الرجلين: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين»[٤].

وقال علي ابن المديني (ت ٢٣٤هـ): «أحمد بن حنبل سيدنا»[٥].

وقال وكيع بن الجراح (ت ١٩٦ أو ١٩٧هـ) وحفص بن غياث (ت ١٩٤هـ): «ما قدم الكوفة مثل ذاك الفتى، يعنيان أحمد بن حنبل»[٦].

١- الأمالي لابن بشران (١٥٢٣)، و«تاريخ بغداد» (٩٠/٦).
٢- حلية الأولياء (٣٠٧/٧).
٣- المجروحين (٥٤/١).
٤- حلية الأولياء (٣٠٥/٧).
٥- تاريخ بغداد (٩٠/٦)، و«تاريخ دمشق» (٢٧٨/٥).
٦- تهذيب الكمال (٤٤٩/١).

وعن أبي محمد بن أبي حاتم، قال: سمعتُ محمّد بن مُسلم (ت ٢٧٠هـ)، يقول: «كنّا نهابُ أن نرد أحمد بن حنبل في الشيءِ أو نُحاجَه في شيءٍ من الأشياءِ -يعني لجلالتِه ولهيبةِ الإسلامِ الذي رُزقَه-»[١].

وقال أحمد بن سنان الواسطي (ت ٢٥٦هـ): «ما رأيتُ يزيد بن هارون لأحدٍ أشدُّ تعظيمًا منه لأحمد بن حنبل، وكان يقعدُه إلى جنبهِ إذا حدثنا، ومرض أحمد بن حنبل فركبَ إليه يزيدُ بن هارون وعاده»[٢].

وقال يعقوب المطوعي (ت ٢٨٧هـ): «جلستُ إلى أبي عبد الله أحمدَ بن حنبل عشرةَ سنة[٣] وهو يقرأ (المسند) على أولادهِ ما كتبت منه حرفاً واحدًا، وإنّما كنت أكتب آدابه وأخلاقه، وأتحفظها»[٤].

وكان الحسن بن الصباح البزار[٥] (ت ٢٤٩هـ) يقول: «نا أحمد بن حنبل،

١- مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٢٩١)، وفي «صفة الصفوة» (٢/٣٣٩)، وعن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: «جالست أبا يوسف، ومحمد بن الحسن، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي؛ فما هبت أحدًا منهم ما هبت أحمد بن حنبل، ولقد دخلت عليه في السجن لأسلم عليه، فسألني رجل عن مسألة، فلم أجبه هيبةً له».

٢- الجرح والتعديل (١/٢٩٧)، و«المقدمة» (ص٦٠٨) ط: الناشر المتميز.

٣- في السير: (ثنتي عشرة سنة).

٤- المصعد الأحمد (ص٢٥)، وقارنه «بالسير» للذهبي (١١/٣١٦)، و(المطوعي): بضم الميم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو وفي آخرها عين مهملة، هذه النسبة إلى المطوعة، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور، وقصدوا جهاد العدو في بلادهم، لا إذا قصد العدو بلاد الإسلام.

٥- روى عنه: البخاري، وأبو داود، والترمذي، وكان الإمام أحمد بن حنبل يرفع من قدره ويجله.
قال السراج: سمعته يقول: أدخلت على المأمون ثلاث مرات، رفع إليه أنِّي آمر بالمعروف، وكان قد نهى عن ذلك، فأدخلت فقال: أنت تأمر بالمعروف؟ قلت: لا، ولكن أنهى عن المنكر.
قال: فرفعني على ظهر رجل، وضربني خمس درر، وخلاني.
ورفع إليه أنِّي أشتم عليًا، فأدخلت عليه، فقال: تشتم عليًا؟ فقلت: صلى الله على مولاي وسيدي علي يا أمير المؤمنين! إنِّي لا أشتم يزيد، لأنَّه ابن عمك، أفأشتم مولاي علي؟ قال: خلوا سبيله. وذهب بي إلى أرض الروم في المحنة، فلمَّا مات أطلقت. كما في «السير» (١/٥٠٠).



شيخنا وسيدنا»[١].

وقال الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث: سمعت عباس العنبري يقول: «ثلاثة جعلتهم حجة بيني وبين الله ﷻ: أحمد بن حنبل، وزيد بن المبارك الصنعاني، وصدقة المروزي»[٢].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلَّام (ت ٢٢٤هـ): «جالستُ أبا يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن وأكثرهم عليًا، وقال: ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، فما هبتُ أحدًا في مسألةٍ ما هبتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل»[٣].

وقال قتيبة بن سعيد: «أحمدُ بن حنبلٍ إمامُ الدنيا»[٤].

وقال عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ): كنت عند إسماعيل بن علية (ت ١٩٣هـ) فتكلم إنسان بشيءٍ، فضحك بعضنا، وثمَّ أحمد بن حنبل، قال: فأتينا إسماعيل بن علية فوجدناه غضبان، فقال: «تضحكون! وعندي أحمد بن حنبل!»[٥].

وقال إدريس بن عبد الكريم المقري (ت ٢٩٢هـ): «رأيت علماءنا مثل الهيثم بن خارجة، ومصعب الزبيري، ويحيى بن معين، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعثمان بن أبي شيبة، وعبد الأعلى بن حماد النرسي، ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وعلي بن المديني، وعبد الله بن عمر القواريري، وأبي خيثمة زهير بن حرب، وأبي معمر القطيعي، ومحمد بن جعفر الوركاني، وأحمد بن محمد بن

١- الجامع لأخلاق الراوي (٨٦/٢)، وقال عنه -الحسن الصباح- الإمام أحمد كما في «بحر الدم» (١٣٣/١) «ما يأتي عليه يوم إلا وهو يعمل فيه خيرًا»،وكان الإمام أحمد يرفع من قدره ويجله.

٢- سؤالات السلمي للدارقطني (ص ١٧٤-١٧٥).

٣- حلية الأولياء (٣٠٥/٧) ط: دار الحديث.

٤- الجرح والتعديل (٢٩٥/١).

٥- تهذيب الكمال (٤٤٨/١).

أيوب صاحب المغازي، ومحمد بن بكار بن الريان، وعمرو بن محمد الناقد، ويحيى بن أيوب المقابري العابد، وسريج بن يونس، وخلف بن هشام البزار، وأبي الربيع الزهراني، فيمن لا أحصيهم من أهل العلم والفقه يعظمون أحمد بن حنبل، ويجلونه، ويوقرونه، ويبجلونه، ويقصدونه بالسلام عليه!»[1].

١- كتاب الأربعون المرتب على الطبقات (ص٢٥٤- ٢٥٥)، وهو في «حلية الأولياء» (٧/ ٣١٠).



سعة حفظه

بلغ الإمام أحمد أعلى مراتب الحفظِ، وأسمى مراتب المعرفة والدراية بالحديث وعلومه، ولو كان هنالك لقب أرفع من أمير المؤمنين لقيل في حقه رحمة الله عليه ومغفرته، ومعناه: كما قال ابن أبي حاتم: «يعني فوق العلماء في زمانه»(١).

وأمير المؤمنين(٢) لقبٌ لُقِّبَ بهِ جماعة من أهل الحديث: سفيان، وأحمد، وابن راهويه، والبخاري وغيرهم، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]. ليس لأهل الحديث منقبةٌ أشرف من ذلك؛ لأنَّه لا إمام لهم غيره ﷺ(٣).

وهذا اللقب عند الإطلاق (يقصد به الإمام البخاري وحده)(٤).

قال يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ): كان في أحمد بن حنبل خصال ما رأيتها في عالمٍ قط: «كان محدثاً، وكان حافظاً، وكان عالماً، وكان ورعاً، وكان زاهداً، وكان عاقلاً»(٥).

وقال علي ابن المديني (ت ٢٣٤هـ): «ليس في أصحابنا أحفظُ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل»(٦).

وقال أبو ثور (ت ٢٤٠هـ): «أجمع المسلمون على أحمد بن حنبل، وكنت إذ

١- الجرح والتعديل (١/١٢٦)، «المقدمة» (ص٢٨٠).
٢- انظر: إبهاج الطالبين بقطوف من ألقاب المحدثين (ص٢٧- ٢٨) ط: دار اللؤلؤة.
٣- قواعد التحديث (ص٤٨) بتصرف يسير.
٤- العبارة الأخيرة من «معجم مصطلحات المحدثين» (ص٥٩).
٥- طبقات الحنابلة (١/٤٠٥)، و«البداية والنهاية» (١٤/٤٠٨).
٦- حلية الأولياء (٧/٣٠٤)، و«تهذيب الكمال» (١/٤٥١- ٤٥٢).

رأيته خيل إليك أنَّ الشريعة لوحٌ بين عينيه»[١].

وقال إبراهيم الحربي (ت ٢٨٥هـ): «ورأيت أَحمد بن حنبل، فرأَيت كأنَّ اللَّه جمع له علم الأَولين والآخرين من كل صنْفٍ يقول ما شاءَ، ويمسك ما شاءَ»[٢].

وقال أحمد بن العباس النسائي (ت ٣٠١هـ): «سألت أحمد بن حنبل عن الرجل يكون معه مائة ألف حديث، يقال: إنَّه صاحب حديث؟ قال: لا، قلت له: عنده مائتا ألف حديث، يقال: إنَّه صاحب حديث؟ قال: لا، قلت: له: ثلاثمائة ألف حديث؟ فقال بيده: كذا، يروح يمنة ويسرة، وأومأ غسان بيده كذا وكذا، يقلبها»[٣].

وقال أحمد بن سعيد الرازي: «ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله، ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أحمد بن حنبل»[٤].

وقال عمرو بن محمد النَّاقد (ت ٢٣٢هـ): «إذا وافقني أحمدُ بن حنبل على حديثٍ فلا أبالي من خالفني»[٥].

وقال أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤هـ): «كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث. فقيل ما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب»[٦].

قال الذهبي معقبًا: «هذه حكاية صحيحة في سعةِ علم أبي عبد الله، وكانوا

١- الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص٢٥٧)، و«الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة» (المطبوع ضمن رسائله) (٤٧٥/١)، و«السير» (٥٣٥/٨- ٥٣٧).

٢- طبقات الحنابلة (١/ ١٤)، و«المناقب» (ص٨٩- ١٨٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١١٠/١).

٣- الجامع لأخلاق الراوي (٣/١).

٤- تاريخ بغداد (٩٠/٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٠١٣/٥).

٥- الجرح والتعديل (٢٩٥/١)، و«المقدمة» (ص٦٠٦- ٦٠٧)، و«تهذيب الأسماء» (١١١/١).

٦- الجرح والتعديل (٢٩٦/١)، و«طبقات علماء الحديث» (٨٢/٢).

يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسر، ونحوِ ذلك؛ وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك»[١].

وصدق الذهبي فقد قال الإمام: «انتقيتُ المسندَ من سبعمائةِ ألف حديثٍ وخمسين ألف حديث»[٢].

وعن صالح، عن أبيه الإمام، قال: «مات هشيم وأنا ابن عشرين سنة، وأنا أحفظ ما سمعت منه!»[٣].

وقيل لأبي زرعة: من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟ فقال: «أحمد بن حنبل، حزر كتبه اليوم الذي مات فيه فبلغ اثني عشر حملًا ما على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه نا فلان، وكل ذلك كان يحفظه من ظهرِ قلبه»[٤].

وقال عبد الله: قال لي أبي: «خذ أي كتابٍ شئت من كتب وكيع، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتَّى أخبرك عن الكلام»[٥].

وقال إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ): «كنت ألتقي بالعراق مع يحيى بن معين وخلف بن سالم وأصحابنا، وكنَّا نتذاكرُ الحديث من طريقين وثلاثة، ثمَّ يقول ابن معين: وطريق كذا وطريق كذا، فأقول: أليس قد صح؟ فيقولون: نعم، فأقول: ما تفسيره؟ ما فقهه؟ فيقفون كلهم إلا أحمد بن حنبل؛ فإنَّه يتكلم

١- سير أعلام النبلاء (١١/١٨٧).
٢- تدريب الراوي (١/٥٤).
٣- السير (١١/١٨٤).
٤- الجامع لأخلاق الراوي (٤/٢٦٦).
٥- طبقات الشافعية (٢/٢٨).

بكلام له قوي»[١].

قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): «وقد كان أحمد يذكر الجرح والتعديل والعلل من حفظه إذا سئل كما يقرأ الفاتحة.

ومن نظرَ في كتاب (العلل) لأبي بكر الخلال عرف ذلك، ولم يكن هذا لأحد منهم.

كذلك انفراده في علم النقل بفتاوى الصحابة، وفضائلهم، وإجماعهم، واختلافهم لا ينازع في ذلك.

وأمَّا علم العربية، فقد قال أحمد: «كتبت من العربية أكثر مِّما كتب أبو عمرو الشيباني»[٢].

وقال أبو بكر بن زنجويه (ت ٢٥٨هـ): «قدمت مصر فأتيت أحمد بن صالح (ت ٢٤٨هـ)، فسألني: من أين أنت؟

قلت: منْ بغداد.

قال: أين منزلك مِن منزلِ أحمد بن حنبل؟

قلت: أنا منْ أصحابه.

قال: تكتب لي موضع منزلك؟ فإنِّي أريد أن أوافي العراق، حتى تجمع بيني وبين أحمد بن حنبل، فكتب له.

فوافى أحمدُ بن صالح سنة اثنتي عشرة إلى عفان، فسأل عنِّي، فلقيني؛ فقال: الموعد الذي بيني وبينك، فذهبت به إلى أحمد بن حنبل واستأذنت له فقلت:

١- تذهيب التهذيب (١/١٩١).

٢- المناقب (ص٦٦١- ٦٦٢)، وعنه في «المدخل» لابن بدران (ص١٠٥)، وهو في «المقصد الأرشد» (٢/٣٩٩)، وانظر: «الطبقات» لأبي يعلى (١/٧).

أحمد بن صالح بالباب.

فقال: ابن الطبري؟

قلت: نعم، فأذن له، فقام إليه ورحب به وقربه، وقال له: بلغني عنك أنَّك جمعت حديث الزهري، فتعال حتى نذكر ما روى الزهريُّ عن أصحاب رسول الله ﷺ؛ فجعلا يتذاكران، ولا يغرب أحدهما على الآخر حتى فرغا، قال: وما رأيت أحسنَ من مذاكرتهما، ثمَّ قال أحمد بن حنبل لأحمد بن صالح: تعال حتى نذكر ما روى الزهري عن أولاد أصحاب رسول الله ﷺ، فجعلا يتذكران، ولا يغرب أحدهما على الآخر إلى أنْ قال أحمد بن حنبل لأحمد بن صالح: عندك عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف، قال النبي ﷺ: «ما يسرني أن لي حمر النعم، وأن لي حلف المطيبين؟».

فقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل: أنت الأستاذ، وتذكر مثل هذا؟! فجعل أحمد بن حنبل يبتسم، ويقول: رواه عن الزهري رجل مقبول أو صالح: عبد الرحمن بن إسحاق؛ قال: من رواه عن عبد الرحمن بن إسحاق؟

فقال: حدثناه رجلان ثقتان[1]: إسماعيل بن علية وبشر بن المفضل.

فقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل: سألتك بالله إلا أمليته عليَّ، فقال أحمد: من الكتاب، فقام فدخل وأخرج الكتاب وأملاه عليه، فقال أحمد بن صالح: لو لم أستفد بالعراق إلا هذا الحديث كان كثيرًا، ثمَّ ودعه وخرج[2]. رحمهما الله.

١- في بعض النسخ (تقيان).

٢- القصة أوردها ابن عدي في «الكامل» (١/١٨١)، ومن طريقه: الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/١٩٧-١٩٨)، وفي «ميزان الاعتدال» (١/١٠٣) قال أبو زرعة الدمشقي: سألني أحمد بن حنبل من خلفت بمصر؟ قلت: أحمد ابن صالح.

فسُر بذكره، ودعا له.

وقال عبد الله: سمعت أبي يقول: كنت أنا وعلي بن المديني، فذاكرنا أثبتَ من روى عن الزهري، فقال علي: سفيان بن عيينة.

فقلت له أنا: «مالكُ بن أنس. وابن عيينة يخطئ في نحو عشرين حديثًا عن الزهرين في حديثِ كذا، وحديثِ كذا، فذكرتُ منها ثمانية عشر حديثًا، وقلتُ: هاتِ ما أخطأ فيه مالك، فجاء بحديثين أو ثلاثة[١].

قال: فنظرتُ فيما أخطأ فيه سفيان بن عيينة، فإذا هو أكثرُ من عشرين حديثًا»[٢].

عَلَيْكُمْ بِالْحَدِيثِ فَلَيْسَ شَيْءٌ ... يُعَادِلُهُ عَلَى كُلِّ الْجِهَاتِ
نَصَحْتُ لَكُمْ فَإِنَّ الدِّينَ نُصْحٌ ... وَلَا أُخْفِي نَصَائِحَ وَاجِبَاتِ
وَجَدْنَا فِي الرِّوَايَةِ كُلَّ فِقْهٍ ... وَأَحْكَامًا وَمِنْ كُلِّ اللُّغَاتِ
بِذِكْرِ الْمُسْنَدَاتِ أَنِسْتُ لَيْلِي ... وَحِفْظُ الْعِلْمِ خَيْرُ الْفَائِدَاتِ
وَمَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ أَفَادَ ذُخْرًا ... وَفَضْلًا ثُمَّ دِينًا ذَا ثَبَاتِ
عَلَيْكُمْ بِالرِّوَايَاتِ اللَّوَاتِي ... رَوَاهَا مَالِكٌ أَزْكَى الرُّوَاةِ
وَشُعْبَةُ وَابْنُ عَمْرٍو وَابْنُ زَيْدٍ ... وَسُفْيَانُ الثِّقَاتُ عَنِ الثِّقَاتِ
وَيَحْيَى وَابْنُ حَنْبَلٍ الْمُزَكِّي ... وَإِسْحَاقُ الرِّضَا وَابْنُ الْفُرَاتِ[٣]

فائدة: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «ما رأيتُ أبي -على حفظه- حدَّث من غيرِ كتابٍ إلا أقلَّ من مائةِ حديثٍ»[٤].

١- فيظهر أنَّ المصنف لم يطَّلع على الجزء الذي ألفه الدارقطني فيما خولف فيه مالك من الأحاديث في "الموطأ" وفيه أكثر من عشرين حديثًا. قاله المحقق.

٢- شروط الأئمة الستة (ص١٢٧- ١٢٨) ط: دار السلام.

٣- شرف أصحاب الحديث (ص٦٢).

٤- الإلماع للقاضي عياض (ص٢٩٩).



طلبه للعلم وأقواله وأحواله فيه

أول طلب الإمام للعلم في سنة تسع وسبعين، فاتفق له من نمط ما اتفق للإمام الشافعي، فإنَّه ولد في السنة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة، والإمام أحمد ابتدأ في طلب في السنة التي مات فيها الإمام مالك[١].

قال المرُّوذي (ت ٢٧٥هـ): قال لي أبو سِراج بن خُزيمة: «كنَّا مع أبي عبد الله في الكتّاب، فكان النِّساء يبعثن إلى المعلم: ابعث إلينا بابن حنبل ليكتب جوابَ كتبهم، فكان إذا دخل إليهنَّ لا يرفع رأسه ينظر إليهنَّ.

قال أبو سراج: فقال أبي – وذكره – فجعل يعجب من أدبه، وحسن طريقته.

فقال لنا ذات يوم: أنا أُنفق على ولدي وأجيئُهم بالمؤدبين على أن يتأَدبوا فما أراهم يُفلِحون، وهذا أَحمد بن حنبل غلام يتيم، انظر كيف يخرج!! وجعل يعجب»[٢].

وقال الإمام رحمه الله: «سمعت من علي بن هاشم بن البريد سنة تسع وسبعين ومئة في أول سنة طلبت الحديث، ثمَّ عدت إليه المجلس الآخر وقد مات، وهي السنة التي مات فيها مالك بن أنس».

وقال: «طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة، ومات هشيم وأنا ابن عشرين سنة، وأنا أحفظ ما سمعت منه، ولقد جاء إنسان إلى باب ابن علية ومعه كتب هشيم فجعل يلقيها علي، وأنا أقول: هذا إسناده كذا، وهذا إسناده كذا، فجاء

١- توالي التأنيس (ص٧٦- ٧٧) بتصرف يسير.
٢- المناقب (ص٢٣).

المعيطي[١] وكان يحفظ، فقلت له: أجبه فيها فبقي وأغرب من حديثه ما لم أسمع»[٢].

وقال: «وأوَّل خرجةٍ خرجتُها لي البصرة سنة ستٍّ وثمانين». قلت له: أيَّ سنةٍ خرجت إلى سفيان بن عيينة؟

قال: في سنة سبعٍ وثمانين، قدمناها وقد مات فضيل بن عياض، وهي أوَّلُ سنةٍ حججتُ، وسنة إحدى وتسعين سنة حجَّ الوليدُ بنُ مسلمٍ، وفي سنة ستٍّ وتسعين، وأقمت سنة سبعٍ وتسعين، وخرجتُ سنة ثمان وتسعين، وأقمتُ سنة تسع وتسعين عند عبد الرزاق، وجاءنا موتُ سفيان ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي سنة ثمانٍ وتسعين[٣].

ولما ذُكِر معروف -الكرخي (ت ٢٠٠هـ)- عنده، وقيل: قصير العلم، فقال (للقائلِ): «أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف»[٤].

وللإمام رحمه الله عبارات تكتب بماء الذهب في بيان فضل العلم وما يتعلق به.

قال له مهنا: حدثنا ما أفضل الأعمال؟ قال: طلب العلم. قلت: لمنْ، قال: لمن صحت نيته. قلتُ: وأي شيءٍ يصحح النِّية؟ قال: «ينوي يتواضع فيه، وينفي عنه الجهل»[٥].

وروي عنه: «أنَّ العلم وتعلُّمه وتعليمَهُ أفضلُ من الجهاد وغيره» كما حكاه

١- في حاشية الأصل تعليق للمؤلف: اسم المعيطي محمد بن عمر أبو عبد الله بن أبي حفص أحد الحفاظ الثقات، مات ببغداد في شعبان سنة اثنتين وعشرين ومئتين، كما (ذكره المحقق).

٢- تهذيب الكمال (١/٤٤٦)، وهو في «المحنة» لصالح (ص١١٩).

٣- كتاب المحنة لصالح (ص١٢٠).

٤- سير أعلام النبلاء (ترجمة: معروف الكرخي) (٩/٣٤٠)، و«المقصد الأرشد» (٣/٣٦).

٥- الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/٣٧)، و«المقصد الأرشد» (٣/٤٤).

السفاريني[١].

وقال: «مكثتُ في كتابِ الحيض تسعَ سنين حتى فهمتُه»[٢].

وقال: «رُبما مكثتُ في المسألةِ ثلاثَ سنين قبل أن أعتقد منها شَيئاً»[٣].

وقال: «ولولا العلم كان النَّاسُ كالبهائم»[٤].

وقال: « العلمُ لا يعدلُهُ شيء»[٥].

وقال: «أخذنا هذا العلمَ بالذُلِّ، فلا ندفعه إلا بالذل»[٦].

وقال: «كتبتُ بخطي ألف ألف حديثٍ، سوى ما كُتِب لي»[٧].

وقال: «العلمُ سماع»[٨].

وقال الميموني: قال لي أَحمد: «يا أَبا الحسن، إيَّاك أَن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام»[٩].

وقال عبد الله: «ما زالَ القلمُ في يدِ أبي حتى ماتَ»[١٠].

وقال: « أَنا أَطلب العلمَ إلى أَن أَدخل القبر»[١١].

١- غذاء الألباب (٥١٧/٢).
٢- ذيل طبقات الحنابلة (١٣٥/١)، و«المقصد الأرشد» (٣٣٢/٢).
٣- المناقب (ص٣٥٩).
٤- إعلام الموقعين (٥٧٠/٣)، و«متخير المقولات» (ص٦٦)، قلت: وينسب هذا للحسن البصري من قوله: «لولا العلماءُ لصارَ النَّاسُ مثل البهائمِ» كما في «مختصر منهاج القاصدين» (ص١٥).
٥- شرح حديث ورثة الأنبياء (٣١٣/٢)، وفي «الطبقات» (٣٨٠/١)، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل أنَّه: قلت: لأبي هل كان مع معروف شيء من العلم؟ فقال لي: «يا بنيَّ كان معه رأس العلم: خشية الله تعالى».
٦- سير أعلام النبلاء (٢٣١/١١)، و«الآداب الشرعيَّة» (٢٣/٢) يعني بالتواضع.
٧- المجموع من مرويات أبي الفضل صالح في المحنةِ وغيرها (ص٢٤٠).
٨- جزء من كلام له ذكر أبو يعلى في «العدة» (٨٦/١)، وراجع كلام المحقق فإنَّه مهم.
٩- المدخل المفصل (٣٥٠/١).
١٠- الكفاية في علم الرواية (٥٧٤) (٤١٩/١) ط: ابن الجوزي.
١١- المناقب (ص٣٧)، وبنحوه في «شرف أصحاب الحديث» (ص٩٣).

وقال: «إنَّما العلم مواهبٌ يؤتيه الله من أحب من خلقه»[١].

وقال رجاء بن أبي رجاء: قلت لأحمد بن حنبل: أريد أعرف الحديث؟ فقال: «أكثر من الكتاب»[٢].

وقال: «لا ينبغي للفقيهِ أنْ يحملَ النَّاس على مذهبهِ، ولا يشدِّد عليهم»[٣].

وقال: «لا أعنف منْ قال شيئًا له وجهٌ وإن خالفناهُ»[٤].

وقال: «لا يُثبِّطُ عن طلب العلم إلا جاهل»[٥].

وقال: «الذي يجب على الإنسان من تعليم القرآن والعلم مالا بدَّ منه في صلاته وإقامة دينه، وأقلُّ ما يجب على الرجل من تعليم القرآن فاتحة الكتاب وسورتان»[٦].

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل قوله: «تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها» أي علم أراد؟

قال: هو العلم الذي ينتفع به النَّاس في أمر دينهم.

قلت: في الوضوء، والصلاة، والصوم، والحج، والطلاقِ، ونحوِ هذا.

قال: نعم.

قال إسحاق: وقال لي إسحاق بن راهويه: «هو كما قال أحمد»[٧].

وعن حبان بن موسى، قال: سئل عبد الله بن المبارك: هل للعلماء علامة

١- طبقات الحنابلة (١/٧٥).
٢- المقصد الأرشد (١/٣٩١).
٣- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام (٢٨/٨)، و«الآداب الشرعيَّة» (١/١٦٦).
٤- الفروع (١/٢٣٣).
٥- غذاء الألباب للسفاريني (٢/٥١٧).
٦- طبقات الحنابلة (١/١٠٢).
٧- مفتاح دار السعادة (١/٥١٠)، وهو في «جامع بيان العلم» (١/١١٨).



يعرفون بها؟ قال: «علامة العالم من عمل بعلمه، واستقل كثير العلم والعمل من نفسه، ورغب في علم غيره، وقبل الحق من كل من أتاه به، وأخذ العلم حيث وجده، فهذه علامة العالم وصفته».

قال المروذي: فذكرت ذلك لأبي عبد الله، قال: هكذا هو(١).

وقال: قال سفيان بن عيينة: «تنزل الرحمة عند ذكر الصالحين، قيل لسفيان: عمّن هذا؟ قال: عن العلماء»(٢).

وقال حدثنا سفيان، عن فضيل قال: «يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرة»(٣).

وقال: قال ابن السماك: «العلمُ إذا لم ينفع ضر»(٤).

وقال الحسن بن منصور الجصاص: قلت لأحمد بن حنبل: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: «حتى يموت».

وقال: «يجب عليه أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه، ولا يفرط في ذلك».

قلت: فكل العلم يقوم به دينه.

قال: «الفرض الذي يجب عليه في نفسه لا بدَّ له من طلبه»(٥).

وقال: «النَّاسُ يحتاجون إلى العلمِ مثلَ الخبز والماءِ؛ لأنَّ العلم يُحتاج إليهِ في كلِّ

١- إبطال الحيل (ص٣٤). وفي شرح «حديث ورثة الأنبياء» لابن رجب من مجموع رسائله (٢/٣٣٣) قيل للإمام أحمد: إنَّ ابن المبارك قيل له: كيف يعرف العالم الصادق؟ فقال: «الذي يزهد في الدنيا، ويقبل على أمر الآخرة».
فقال أحمد: «نعم، هكذا ينبغي أن يكون». وكان أحمد ينكر على أهل العلم حب الدنيا والحرص على طلبها. أهـ.

٢- ذم الكلام (٥/١٧٤).

٣- الورع (ص٢٣)، و«صيد الخاطر» (ص٥٧).

٤- روضة العقلاء لابن حبان (ص١٤٤) ط: أروقة.

٥- الآداب الشرعية (٢/٣٤).

ساعةٍ، والخبزُ والماء في كلِّ يومٍ مرةً أو مرتين»[١].

وقال أبو بكر الأثرم (ت ٢٧٣هـ): سمعت أحمد بن حنبل، يقول: «لو كنت صانعًا صناعة، كنت أحب أن أكون وراقًا»[٢].

وقال إبراهيم الحربي: «لقد صحبته عشرين سنة، صيفًا وشتاءً، وحرًا وبردًا، وليلًا ونهارًا، فما لقيته في يوم إلا وهو زائد عليه بالأمس»[٣].

وقال: «العلم خزائن يقسم الله لمن أحب، لو كان يخص بالعلم أحد لكان بيت النبي ﷺ أولى؛ كان عطاء بن أبي رباح حبشيًا، وكان يزيد بن أبي حبيب نوبيًا أسود، وكان الحسن مولى للأنصار، وكان ابن سيرين مولى للأنصار»[٤].

وقال أحمد الدورقي (ت ٢٤٦هـ): لما قدم أحمد بن حنبل من عند عبد الرزاق، رأيتُ به شحوبًا بمكة، وقد تبين عليه النَّصبَ والتعب، فكلمتُه، فقال: «هينٌ فيما استفدنا مِن عبد الرزاق»[٥].

وقال: «العالم يقتدى به، ليس العالمُ مثلَ الجاهل».

وقيل له: لمن نسأل بعدك؟ فقال: عبد الوهاب -يعني الوراق- فقيل: إنَّه ضيق العلم! فقال: رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق»[٦]..

وقال يحيى بن معين: «ما رأيتُ مثلَ أحمد بن حنبل؛ صحبناه خمسينَ سنة ما افتخر علينا بشيءٍ ممَّا كان فيه من الصلاحِ والخير»[٧].

١- طبقات الحنابلة (١/١٤٦).
٢- الجامع لأخلاق الراوي (١/١٠٤).
٣- غذاء الألباب للسفاريني (١/٣٠٠).
٤- صفة الصفوة (٢/٢١١).
٥- السير (١١/٢١٥).
٦- الآداب الشرعية (٢/٤٣).
٧- حلية الأولياء (٩/١٨١).



وقال إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد (ت ٢٥٧هـ): «كنت أرى يحيى بن سعيد القطان يصلي العصر، ثمَّ يستند فيقف بين يديه علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والشاذكوني، وعمرو بن علي يسألونه عن الحديث وهم قيام هيبة له»[١].

وعن الحسن بن الهيثم البزاز، قال: قلت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله إنِّي أطلب الحديث وإن أمي تمنعني من ذلك تريد مني أن أشتغل في التجارة فقال لي: «دارِها وأرضها، ولا تدع الطلبَ»[٢].

وعن أبي زرعة قال: سمعت أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، يقولان: «كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط»[٣].

وسئل: أيضع الرجل الكتب تحت رأسه؟

قال: أي كتب؟

قال: كتب الحديث.

١- تهذيب التهذيب (٤/٣٥٩)، وهذا الفعل من هؤلاء الطلاب قمَّة الأدب والتواضع للمعلم والأستاذ.

٢- الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٢٨)، قلت: وهذا من فقه الإمام ﷀ، ذكر ابن عبد الهادي في «طبقات علماء الحديث» (٣/٤٩)، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٣/٨٥٧) عن أبي الحسن بن القطان، قال: «أصبت ببصري، وأظنُّ أنِّي عوقِبتُ بكثرةِ بكاءِ أمي أيام فراقي لها في طلب الحديث والعلم»، وهنالك سبب آخر ذكرته في كتاب «احترام العلماء» (ص٦٤).

وفي «ميزان الاعتدال» في ترجمة (جرير بن عبد الحميد الضبي) (١/٣٩٤- ٣٩٥) قال يعقوب السدوسي: سمعت إبراهيم بن هاشم يقول: ما قال لنا جرير قط ببغداد: حدثنا ولا في كلمة. ونزل على بني المسيب الضبي، فلمَّا جاء المدكان بالجانب الشرقي، فقلت لأحمد بن حنبل: تعبر؟ فقال: أمي لا تدعني.

فعبرت أنا فلزمته، ولم يكن السندي الأمير يدع أحدًا يعبر، أي لكثرة المد، فكنت عنده عشرين يومًا، فكتبت عنه ألفًا وخمسمائة حديث.

٣- جامع بيان العلم (١/٣٣٠).

قال: «إذا خاف أن يسرق فلا بأس، وأمَّا أن يتخذها وسادة فلا»[١].

وقال إبراهيم الحربي: «لم يزل أحمد بن حنبل يوجه في كل جمعةٍ لحنبل بن إسحاق إلى محمد بن سعد كاتب الواقدي، فيأخذ له جزئين جزئين من حديث الواقدي، فينظر فيها ثمَّ يردها ويأخذ غيرها»[٢].

وقال المروذي قلت لأبي عبد الله: رجل سقطت منه ورقة فيها أحاديث فوائد فأخذتها، ترى أن أنسخها وأسمعها؟ قال: «لا إلا بإذن صاحبها»[٣].

قال بعض أهل العلم فرج الله عنه معلقًا عليه: (وفي هذا فائدة مشهورة عند أهل الاختصاص، وهي: أنَّ الأئمة مع حكمهم بالترك للواقدي في باب الأحكام؛ إلا أنَّهم احتجوا به في باب السيَر، ما لم يخالف، وهكذا صنعوا مع ابن إسحاق -وهو أحسن حالاً بكثير من الواقدي- وهو ممَّن يحسن حديثه في الأحكام من حيث الجملة، ما لم يتفرد أو يخالف من هو أوثق منه) أهـ.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: لما قدم أبو زرعة نزلَ عند أبي، وكان كثير المذاكرة له فسمعت أبي يقول يومًا: «ما صليتُ غير الفرض، استأثرتُ بمذاكرةِ أبي زرعة على النوافل!»[٤].

وقال: نزلنا بمكة دارًا، وكانَ فيها شيخ يكنَّى بأبي بكر بن سماعة، وكان من أهلِ

١- طبقات الحنابلة (٣٩١/١)، و«المقصد الأرشد» (٦٩/٣).

٢- تاريخ بغداد (٢٠/٤) ط: الغرب.

٣- الآداب الشرعية (١٦٨/٢).

٤- تهذيب الكمال (٩٢/١٩) و«المقصد الأرشد» (٧٠/٢). وقال عبد الله بن أحمد في موضع آخر: قلت لأبي: يا أبتِ من الحفاظ؟ قال يا بني: شباب كانوا عندنا من أهل خراسان، وقد تفرقوا! قلت: من هم؟

قال: «محمد بن إسماعيل ذاك البخاري، وعبيد الله بن عبد الكريم ذاك الرازي، وعبد الله بن عبد الرحمن ذاك السمرقندي».



مكةَ، قال: نزل علينا أبو عبد اللهِ في هذه الدارِ، وأنا غلامٌ، فقالت لي أمي: الزمْ هذا الرجلَ فاخدمه، فإنَّه رجل صالح، فكنت أخدمه، وكان يخرج يطلب الحديث، فسرق متاعه وقماشه، فجاء يومًا، فقالت له أمي: دخل عليك السراق، فسرقوا قماشك، فقال: ما فعلت الألواح؟ فقالت له أمي: «في الطاقِ، وما سألَ عن شيءٍ غيره»[١].

وعن أبي بكر عبد الله بن جعفر أنَّه قال: سمعت أحمد بن حنبل وسُئل: عن الرجل يكتب الحديث فيكثر؟

قال: ينبغي أنْ يكثرَ العمل به على قدر زيادته في الطلب. ثمَّ قال: «سبيل العلم مثل سبيل المال، إنَّ المال إذا زاد زادت زكاته»[٢].

وقال: «ما كتبتُ حديثًا؛ إلا وقد عملت به ولو مرة، لأنْ لا يكون عليَّ حجة، حتى الركعتان بين الأذان والإقامة في المغرب»[٣].

وقيل له: أيُّهما أحبُّ إليك: الرجل يكتب الحديث أو يصوم ويصلي؟

قال: يكتب الحديث.

قلت: فمن أين فضلت كتاب الحديث على الصوم والصلاة؟

قال: لئلا يقول قائل: «إنِّي رأيت قومًا على شيء فاتبعتهم».

قال الخطيب معلقًا: (طلب الحديث في هذا الزمان أفضلُ من سائر أنواع

١- المصدر السابق (٤٥٩/١)، و«تاريخ دمشق» (٣٠٣/٥)، و«المناقب» (ص٣٨). وهذا يدل على حرصه رحمه الله على كتبه، ويعلمنا بأنَّ المال عارية ذاهبة ومستردة، لأنَّ هذه الكتب فيها من العلمِ والسماعات ما جعل أقدام المحدثين تجول الأرض لأجله، وتتعب بالسيرِ بالرحلة كرامًة لكتبه وجمعه!.
٢- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢٣/٢)، وهو في «اقتضاء العلم العمل» (١٤٧)، و«المقصد الأرشد» (٢٨/٢)، وقال ابن القيم في «الفوائد» (ص١٢٤): «وكل علم وعمل لا يزيدُ الإيمانَ واليقين قوة فمدخولٌ، وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول».
٣- أدب الإملاء (ص١٠٩).

التطوع لأجل دُرُوسِ السنن وخمولها، وظهور البدع واستعلاء أهلها)[١].

وألَّف إسحاق بن بهلول (ت ٢٥٢هـ) قد سمَّى كتابه كتاب الاختلاف فقال له: «سمهِ كتاب السعة»[٢].

وينسب إليه من قوله:

مَنْ طَلَبَ العِلْمَ والحدِيْثَ فلا ... يَضْجَرُ مِنْ خَمْسَةٍ يُقَاسِيْهَا:

دَرَاهِمٍ لِلْعُلُومِ يَجْمَعُهَا ... وعِنْدَ نَشْرِ الحدِيْثِ يُفْنِيْهَا

يُضْجِرُهُ الضَّرْبُ في دَفَاتِرِهِ ... وَكَثْرَةُ اللَّحْقِ في حَوَاشِيهَا

يَغْسِلُ أَثْوابَهُ وَبِزَّتَهُ ... مِنْ أَثَرِ الحِبْرِ لَيْسَ يُنقِيْهَا[٣]

وقال صالح: عزم أبي على الخروج إلى مكة، ورافق يحيى بن معين، فقال أبي: نحج، ونمضي إلى صنعاء إلى عبد الرزاق، قال: فمضينا حتى دخلنا مكة، فإذا عبد الرزاق في الطواف، وكان يحيى يعرفه، فطفنا، ثمَّ جئنا إلى عبد الرزاق، فسلم عليه يحيى، وقال: هذا أخوك أحمد بن حنبل.

فقال: حيَّاه الله، إنَّه ليبلغني عنه كل ما أسر به، ثبته الله على ذلك، ثمَّ قام لينصرف، فقال يحيى: ألا نأخذ عليه الموعد؟ فأبى أحمد، وقال: «لِمَ أغير النية في رحلتي إليه؟» أو كما قال، ثمَّ سافر إلى اليمن لأجله، وسمع منه الكتب، وأكثر عنه[٤].

١- شرف أصحاب الحديث (ص١١٠).

٢- الطبقات لأبي يعلى (١١٠/١).

٣- الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض (ص٢٤١). وقال العراقي في «شرح التبصرة والتذكرة» (٤٨١/١- ٤٨٢): «وقع في شعر نسب لأحمد بن حنبل، أنشده الشريف أبو علي محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي، لأحمد بن حنبل، وذكره».

٤- طبقات الحنابلة (٤٦٥/٢)، وبتمامه في «تاريخ الإسلام» (١٠١٠/٥).

وذكر بعض المحدثين، فقال: «كم تمتعوا من الدنيا؟ إنِّي لأعجب من هؤلاء المحدثين وحرصهم على الدنيا!»[١].

١- الورع (٣٩٢) (ص١٢٧).





الإمام أحمد والفتوى

الفتوى إخبار عن الشارع، وهي مهمة شرعية مناطة بأهل العلم، ومقام المفتي مقام عظيم، فهو موقع عن الله، وللإمام أحمد عبارات كالنبراس تفيد المشتغلين بالفتوى والإفتاء، ومن ذلك أنَّه سئل عن مسألةٍ، فقال: «يقال: إنَّ العلمَ خزائنٌ، والمسألة تفتحه دعني حتى أنظر فيها»[١].

وقال: «من عرض نفسه للفتيا فقد عرضها لأمر عظيم، إلا أنَّه قد تلجئ الضرورة»[٢].

وقال أبو بكر الأثرم: سمعت أحمد بن حنبل يكثر أنْ يقول: «لا أدري»، وذلك فيما عرف الأقاويل فيه[٣].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان أبي يستفتى، فيكثر أن يقول: «لا أدري»[٤].

١- طبقات الحنابلة (١/٤١٥)، و«المقصد الأرشد» (٣/١٢٢). قلت الفقير لعفو ربه: وعبارة «العلم خزائن» رويت عن جماعة، منهم: ابن شهاب الزهري: «إنَّما هذا العلم خزائن ومفتاحها المسألة» كما في «الطيوريات» (١١٨٢)، وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/٣٦٣) من طريق أبي همام، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص٢٩١- ٢٩٢) من طريق عبد الله بن عبد الحكم وبحر بن نصر، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/٣٢) من طريق زيد بن بشر.
وكان أبو يزيد النهشلي يقول: «العلم قفلٌ، ومفتاحه المسألة» كما في «الفقيه والمتفقه» (٦٩٤- ٦٩٥) (٢/٦٢).

٢- صفة المفتي (ص١٣٨)، وهو في «ذم المال والجاه» لابن رجب (٥/٦٠) وزاد فيه: قيل له: فأيهما أفضل؟ الكلام أم السكوت؟
قال: الإمساك أحب إلي.
قيل له: فإذا كانت الضرورة؟
فجعل يقول: الضرورة الضرورة! وقال: «الإمساك أسلم له».

٣- الفقيه والمتفقه (٣/٢٤٧)، و«فتاوى ابن الصلاح» (١/١٣)، و«المجموع» للنووي (١/٤٠).

٤- تعظيم الفتيا (ص٨٧).

وإذا سُئِل عن شيء من الطلاق يقول: «من يحسن هذا؟! من يحسن هذا؟!»[١].

وكان إذا سُئِل عن المناسك سهل عليه، وإذا سئل عن الطلاق اشتد عليه[٢].

قال ابن رجب: «وكان الإمام أحمد شديد التورع في إطلاق لفظ الحرام والحلال أو دعوى النسخ، ونحو ذلك ممَّا يجسر عليه غيره كثيرًا، وأكثر أجوبته: أرجو وأخشى، أو أحب إلي، ونحو ذلك.

وكان هو ومالك وغيرهما يقولون كثيرًا: لا ندري.

وكان أحمد يقول ذلك في مسألة يذكر للسلف فيها أقوالاً عديدة، ويريد بقوله لا أدري أي الراجح المفتى به من ذلك»[٣].

وقال لرجل سأله عن مسألة: «سل الفقهاء، سل أبا ثور!!»[٤].

وقال: «ينبغي لمن أفتى أن يكون عالماً بقول من تقدم وإلا فلا يفتي»[٥].

وقال الحسن بن إسماعيل الربعي: قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله وأنا أسمع: يا أبا عبد الله كم يكفي الرجل من الحديث حتى يمكنه أن يفتي؟ يكفيه مئة ألف؟ قال لا. قيل: مئتا ألف؟ قال: لا. قيل: ثلاث مئة ألف؟ قال: لا، قيل: أربع مئة ألف؟ قال: لا. قيل: خمس مئة ألف؟ قال: أرجو[٦].

وقال أبو داود في «مسائله» سمعت أحمد وذكر أصحاب الحيل: «يحتالون

١- مسائل صالح (١٢٩).
٢- جزء حديث سفيان بن عيينة للمروزي (ص٧).
٣- ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء رضي الله عنه لابن رجب (٢/٢٩٧).
٤- توالي التأنيس (ص٧٨)، وقال ابن حجر عن أبي ثور: «هو من أقران أحمد، ومات قبله في السنة التي مات فيها، أو في التي قبلها».
٥- الآداب الشرعية (٢/٦٠)، و«العدة» (٥/١٥٩٥).
٦- تعظيم الفتيا (ص٧١).



لنقض سنن رسول الله ﷺ»[١].

وقال: «مَنْ كان عنده كتاب الحيل في بيته يفتي به، فهو كافر بما أنزل الله على محمد ﷺ»[٢].

وقال حرب بن إسماعيل: «سئل أحمد بن حنبل عن النظر في الرأي فكرهه ونهى عنه»[٣].

وقال له رجل: إنِّي حلفت ولا أدري كيف حلفت؟! قال: «ليتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك»[٤].

وقال: «لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه -يعني للفتوى- حتى يكون فيه خمس خصال:

أمَّا أُولاها: بأن يكون له نية، فإن لم تكن له نية لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور.

وأمَّا الثانية: فيكون له خلق ووقار وسكينة.

وأمَّا الثالثة: فيكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته.

وأمَّا الرابعة: فالكفاية، وإلا مضغه النَّاس.

وأمَّا الخامسة: فمعرفة النَّاس»[٥].

وعن الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله يقول لرجل ألح عليه في تعقيد المسائل: فقال أحمد: تسأل عن عبدين رجلين؟

١- إعلام الموقعين (٥/٩٩)، و«مسائل أبي داود» (ص ٢٧٦)، ونقلها عنه ابن بطة في «إبطال الحيل» (٥٤).
٢- الطبقات (١/٢١٦).
٣- ذم الكلام (٣/٣٥).
٤- تلبيس إبليس (ص١٤٨).
٥- إبطال الحيل (ص٣٤).

سلْ عن الصلاة، والزكاة شيئًا تنتفع به، ونحو هذا.

ما تقول في صائم احتلم؟

فقال الرجل: لا أدري.

فقال أبو عبد الله: «تترك ما تنتفع به، وتسأل عن عبدين رجلين؟»[(١)].

وقال المروزي قال أبو عبد الله: سألني رجل مرة عن يأجوج ومأجوج أمسلمون هم؟

فقلت له: «أحكمت العلم حتى تسأل عن ذا؟!».

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله وسأله ابن الشافعي الذي ولي قضاء حلب، قال له: يا أبا عبد الله ذراري المشركين أو المسلمين لا أدري أيهما سأل عنه؟

فصاح به أبو عبد الله، وقال له: «هذه مسائل أهل الزيغ ما لك ولهذه المسائل؟ فسكت وانصرف، ولم يعد إلى أبي عبد الله بعد ذلك حتى خرج»[(٢)].

١- أخلاق العلماء للآجري (المطبوع ضمن رسائله) (١/٢٨٨- ٢٨٩) ط: دار اللؤلؤة.

٢- الآداب الشرعية (٢/٦٩).



مصنفاته

ترك الإمام أحمد مصنفات كثيرة، في علومٍ مختلفة، وفنونٍ متعددة، بعضها مطبوع وبعضها مخطوط مفقود، ولو لم يكن له من المصنَّفاتِ إلا المسند لكان كافيًا، ولو لم يكن له إلا ما رزق من الطلاب النجباء، والأولاد الأبرار الذين قاموا بنشر علمه، وإحيائه لكان وافيًا، وقد قال الأئمة: (مصنَّفات الإمام أحمد كلُّها في المنقول، ومنها:

(١) -المسند.

(٢) -التفسير: وهو مئة وعشرون ألفًا.

(٣) -والناسخ والمنسوخ.

(٤) -والتَّاريخ.

(٥) -وحديث شعبة.

(٦) -والمقدَّم والمؤخر في القرآن.

(٧) -وجوابات القرآن.

(٨) -والمناسك الكبير.

(٩) -والصغير.

وأشياء أخر، وكان ينهى أن يكتب كلامه، ولولا ذلك لأعجزتْ كثرتُه. قال حنبل بن إسحاق (ت ٢٧٣هـ): «رأيتُ أحمدَ يكره أن يُكتب رأيه». وقدَّر اللهُ أن شاع في العالم لحسنِ مقصده، فلا يكادُ تقعُ مسألةٌ في الأصولِ

والفروعِ إلا وله فيها نصٌّ، وربَّما لم توجدْ لغيرِهِ مِمَّن تكلَّم)[١].

ويقول ابن الجوزي: «كان الإمام أحمد رضي الله عنه لا يرى وضع الكتاب، وينهي أن يُكتب عنه كلامه ومسائله، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة ولنقلت عنه كتب».

وقال: «فنظر الله تعالى إلى حسن قصده فنقلت ألفاظه وحفظت، فقلَّ أن تقع مسألة إلا وله فيها نص من الفروع والأصول، وربمَّا عُدِمت في تلك المسألة نصوص الفقهاء الذين صنَّفوا وجمعوا»[٢].

وقال أحمد بن مرّي الحنبلي في رسالة بعث بها إلى تلاميذ شيخ الإسلام بعد موته، فقال: «وقد عُلم أن الإمام أحمد بن حنبل كان ينهى في حال حياته عن كتابة كلامه ليجمع القلوب على المادة الأصلية العظمى، ولما توفي استدرك أصحابه ذلك الأمر الكبير، فنقلوا علمه، وبيّنوا مقاصده، وشهروا فوائده، فانتصرت طريقته، واقتفيت آثاره، لأجل ذلك»[٣].

(فرع) بذكر مسائل تنسب إلى الإمام أحمد الرسائل التالية[٤].

١ - «رسالة السُّنة» المعروفة برسالة الإصطخري: رواها ابن أبي يعلى في «الطبقات» (١/٢٤-٣٦).

١- تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين (٩/٣١٥- ٣١٦)، و«منازل الأئمة الأربعة» (ص٢٣٩)، و«الفهرست» لابن النديم (ص٣١٤)، وعجبًا فاتهم ذكر كتاب «فضائل الصحابة» أو «الفضائل» وهو مطبوع في مجلدين بتحقيق الأستاذ وصي الله عباس.
وكتاب «الأشربة» طبع في القاهرة بمصر.
«والرد على الجهمية» ذكره ابن نديم في الفهرست، وطبع في أكثر من دار.
٢- المناقب (ص٢٦١).
٣- النبوات لابن تيمية (أوردها المحقق في مقدمة التحقيق) (١/٧٥).
٤- ينظر: كتاب (المذهب الحنبلي) دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته، والمثبت بالاستفادة منه، وكتاب «المدخل المفصل» (١/٣٥٢-٣٥٤).



٢ - «رسالة كتبها إلى المتوكل في مسألة خلق القرآن»: أخرجها أبو نعيم في «الحلية» (٩/٢١٦-٢١٩) ومن طريقه رواها ابن الجوزي والذهبي، وأثنى على إسنادها ثناء حسناً.

٣ - «رسالة الحسن بن إسماعيل الربعي» قصيرة جداً، أوردها ابن أبي يعلى في «الطبقات» (١/١٣٠).

٤ - «رسالة عبدوس بن مالك العطار» مطولة، أوردها ابن أبي يعلى أيضاً (١/٢٤١-٢٤٦).

٥ - «رسالة محمد بن عوف الطائي» مطولة، نقلها ابن أبي يعلى (١/٣١١-٣١٣).

٦ - «رسالة محمد بن يونس السرخسي»: أوردها ابن أبي يعلى (١/٣٢٩-٣٣٠).

٧ - «رسالة إلى مسدد بن مسرهد البصري (ت ٢٢٨ هـ)»: مطولة، نقلها ابن أبي يعلى (١/٣٤١-٣٤٥).

٨ - «رسالة في الصلاة»: كتبها إلى مهنا بن يحيى الشامي، كما في «الطبقات» (١/٣٤٨-٣٨٠) وهي موضوعة على الإمام أحمد، كما قال الذهبي (١١/٢٨٧-٣٣٠)، والذي يقرؤها يجد أنها تتجافى مع أسلوبه وطريقته، مما يؤكد قول الذهبي[1].

١- توجد منها نسخة خطية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم (١٣٨٥٣/٢ مجاميع) مؤلفة من (٩) ورقات، ونسخة أخرى برقم (٦٧٨٦/١ مجاميع) مؤلفة من (١٢) ورقة. وهي مطبوعة بمصر بعنوان: «الرسالة السنية في الصلاة وما يلزم فيها للإمام».

قلت أبو إسحاق: قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (٥٣/٤) وقد صنَّف الإمام أحمد رضي الله عنه كتابًا في طاعة الرسول ﷺ، ردَّ فيه على من احتج بظاهر القرآن في معارضة سنن رسول ﷺ



وترك الاحتجاج بها، فقال في أثناء خطبته: «إنَّ الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، بعث محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنزل عليه كتابه الهدى والنور لمن اتبعه، وجعل رسولَه الدالُ على ما أراد من ظاهره وباطنه وخاصِّه وعامِّه وناسخه ومنسوخه وما قصد له الكتاب؛ فكان رسول الله هو المعبِّر عن كتاب الله الدال على معانيه، شَاهَدَه في ذلك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيه واصطفاهم له، ونقلوا ذلك عنه، فكانوا هم أعلم الناس برسول الله ﷺ، وبما أراد الله من كتابه بمشاهدتهم ما قصد له الكتاب، فكانوا هم المعبِّرين عن ذلك بعد رسول الله ﷺ....» أهـ. وذكره له في «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٥٣٠) أيضًا، وقال: «رواه عنه ابنه صالح»، ونقل خطبته؛ كما فعل هنا، وانظر: «موارد ابن القيم في كتبه» (رقم ٢٨٧). وأكثر أبو يعلى الفراء في «العدة في أصول الفقه» من النقل عنه، انظر: «فهرسته» (٥/ ١٧٩٠)، من حاشية المحقق.



إمام أهل السنة والجماعة

الإمام أحمد رحمه الله هو إمام من أئمة أهل السنة والجماعة، وهذا اللقب إذا أطلق فهو له، وإنما عرف الإمام أحمد به وحصل له لمواقفه المباركة في نصرة السنَّةِ وقمع البدعة، والدعوة إلى الحق والصبر عليه، وقد شهد القاصي والداني بإمامته وأنَّه جبل من جبال الإسلام، وعلام من أعلام التوحيد، وشيخ من شيوخ الحديث؛ وجهبذٌ من جهابذته النُّقادِ، العارفين فيه، العاملين بهِ، فمن طعن به اتهم، ومن مدح عصم، وذلك فضل الله، والله يؤتي فضله من يشاء.

وفي الحديثِ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[1].

قال عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (ت ٣١٧هـ): «وكان أحمد بن حنبل

١-حديث (إسناده ضعيف) رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٤٧ و٤٨و٤٩و٥٠و٥١و٥٢)، وفي «الجامع لأخلاق الراوي» (١/١٢٨).

وانظر: في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢/١٧)، وفي «الضعفاء الكبير» للعقيلي (١٤)، و«مسند الشاميين» للطبراني (٥٩٩)، وفي «الإصابة» لابن حجر (٧٣٢)، وانظر: أسانيده كما في كتاب «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/٤٦٥- ٤٦٧)، و«تدريب الراوي» (١/٥٠٩- ٥١١).

قال العراقي في «شرح التبصرة والتذكرة» (١/٣٣٣): «وقد ورد هذا الحديث مرفوعًا مسندًا من حديث أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وعلي بن أبي طالب، وابن عمر، وأبي أمامة، وجابر بن سمرة رضي الله عنهم وكلها ضعيفة».

وفي أسانيده علل وضعف، ومن ذلك: (مسلمة بن علي بن خلف الخشني). قال البخاري وأبو زرعة وابن حبان (منكر الحديث)

وقال الدارقطني: متروك. انظر: «تهذيب التهذيب» (١٠/١٣٢)، و«الضعفاء والمتروكين» (٣/١٢٠).

وفيه (إبراهيم بن عبد الرحمن العذري) تابعي مقل ما علمته واهيًا، أرسل حديث: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله». كما قاله الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/٣١٢).

وفيه (محمد بن سليمان بن أبي كريمة). انظر: «لسان الميزان» (٥/١٨٦)، و«المغني» للذهبي (٢/٥٨٨).

منهم»[١].

وعن جعفر بن محمد، قال: سمعت قتيبة يقول: «إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل: يحي بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن محمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه–وذكر قوما آخرين– فإنَّه على السنَّة، ومن خالف هؤلاء فاعلم أنَّه مبتدع»[٢].

وقال عبد الرزاق: «وأمَّا أنت فجزاكَ اللهُ عن نبيكَ خيرًا»[٣].

وقال محمد بن هارون المخرمي الفلاس (ت ٢٦٥هـ): «إذا رأيتَ الرجلَ يقعُ في أحمد بن حنبل، فاعلم أنَّه مبتدع»[٤].

وقال الحميدي (ت ٢١٩ أو ٢٢٠هـ): «ما دمتُ بالحجاز، وأحمد بن حنبل بالعراق، وإسحاق بخرسان، لا يغلبُنا أحد»[٥].

وقال ابن أبي أويس (ت ٢٢٦هـ)، وقيل له: ذهب أصحاب الحديث، فقال: «ما أبقى الله أحمد بن حنبل، فلم يذهب أصحاب الحديث»[٦].

وقال ابن المديني (ت ٢٣٤هـ): «أُيِّد هذا الدِّين بأبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم الردَّة، وبأحمد حنبل رحمه الله يوم المحنة»[٧].

وقال: ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ ما قام أحمد بن حنبل،

١– الكامل لابن عدي (١/٢١١).

٢– شرف أصحاب الحديث (ص٩٦)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١/٧٤-٧٥).

٣– طبقات الحنابلة (١/٢٠٩).

٤– تهذيب الكمال (١/٤٥٧).

٥– طبقات الشافعية للسبكي (٢/١٤١)، قلت: نظير هذا قول وهب بن جرير كما ذكره الذهبي في «السير» (١١/٣٦٤): «جزى الله إسحاق بن راهويه، وصدقة بن الفضل، ويعمر عن الإسلام خيرًا، أحيوا السنة بالمشرق».

٦– السير (١١/٢٠٠).

٧– المصعد الأحمد (ص١٨)، و«طبقات علماء الحديث» (٢/٨٣).

قال: قلت له: يا أبا الحسن، ولا أبو بكر الصديق؟

قال: «ولا أبو بكر الصديق! إنَّ أبا بكر الصديق كان له أعوانٌ وأصحاب، وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان ولا أصحاب»[١].

وقال المزني (ت ٢٦٤هـ): «أحمد بن حنبل وأبوبكر يوم الردّة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعليٌّ يوم صفين»[٢].

وقال محمد بن مسلم بن وارة[٣] (ت ٢٧٠هـ): «أحمد بن صالح بمصر، وأحمد بن حنبل ببغداد، وابن نمير بالكوفة، والنفيلي بحران هؤلاء أركان الدين»[٤].

وقال سهل بن عبد الله (ت ٢٨٣هـ): «كان أحمد بن حنبل سهمًا من سهامِ الله، أهلك اللهُ به أهلَ الزيغِ والضلالة»[٥].

وقال إسحاق ابن أبي إسرائيل (ت ٢٤٦هـ): «هؤلاء الصبيان يقولون غير مخلوق، ألا قالوا كلام الله وسكتوا! ويشير إلى دار أحمد بن حنبل رحمه الله»[٦].

وقال محمد بن علي بن شعيب السمسار (ت ٢٩٠هـ): سمعت أبي (ت ٢٥٣هـ) يقول: «لولا أحمد بن حنبل قام بهذا الشأن، لكانَ عارًا علينا إلى يومِ القيامة إنَّ قومًا سُبِكوا، فلم يخرج منهم أحدٌ»[٧].

١- تاريخ بغداد (٦/٩٠).

٢- منازل الأئمة الأربعة (ص٢٤٣).

٣- قال أبو جعفر الطحاوي: «ثلاثة من علماء الزمان بالحديث، اتفقوا بالري، لم يكن في الأرض مثلهم في وقتهم، فذكر ابن وارة، وأبا حاتم، وأبا زرعة».
وقال عبد المؤمن بن أحمد: «كان أبو زرعة لا يقوم لأحد، ولا يجلس أحدًا في مكانه، إلا ابن وارة». كما في «سير أعلام النبلاء» (١٣/٢٩).

٤- تهذيب الكمال (١/٣٤٤)، و«السير» (١١/٢٠١)، و«ميزان الاعتدال» (١/١٠٤).

٥- المحنة لعبد الغني (ص٣٠).

٦- ميزان الاعتدال (١/١٨٢).

٧- تاريخ بغداد (٦/٩٠)، و«طبقات الحنابلة» (١/٣٦)، و«تهذيب الكمال» (١/٤٥٥).

وقال أبو الحسن الطرخاباذي[1] الهمذاني: «أحمد بن حنبل محنة به يعرف المسلم من الزنديق»[2].

وقال سفيان بن وكيع (ت ٢٤٧هـ): «أحمد عندنا محنة، من عابَ أحمد فهو عندنا فاسق»[3].

ولما بلغ يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ) أنَّ الكرابيسي يتكلم في الإمام أحمد لعنه، وقال: «ما أحوجه إلى أن يضرب»[4].

وقال حَوْثَرَةُ بن محمد (ت ٢٥٠هـ): «تتبين السنة في الرجل بشيئين: حبُّ أحمد ابن حنبل، وكَتْبُ كُتبِ الشافعي»[5].

وقال قتيبة: «مات الثوري ومات الورع، ومات الشافعي وماتت السنن، ويموت أحمد ابن حنبل وتظهر البدع»[6].

وقال هلال بن العلاء الرقي (ت ٢٨٠ أو ٢٨١هـ): «منَّ الله على هذه الأمة بأربعة، ولولاهم لهلك النَّاس، منَّ الله عليهم بالشافعي حتى بين المجمل من المفسر، والخاص من العام، والناسخ من المنسوخ، ولولاه لهلك النَّاس، ومنَّ الله عليهم بأحمد بن حنبل حتى صبر في المحنة والضرب فنظر غيره إليه فصبر، ولم يقولوا بخلق القرآن ولولاه لهلك النَّاس، ومنَّ الله عليهم بيحيي بن معين حتى بين الضعفاء من الثقات، ولولاه لهلك النَّاس، ومنَّ الله عليهم بأبي عبيد حتى فسَّر

١- ذكره السهمي في «تاريخ جرجان» (ص٣٠٥)، قائلًا عنه: «روى بجرجان عن أبي يعلي الموصلي، وروى عنه: أبو نصر الإسماعيلي رحمهم الله تعالى».
٢- تهذيب الكمال (١/٤٥٧).
٣- تاريخ بغداد (٦/٩٠).
٤- ميزان الاعتدال (١/٥٤٤).
٥- المناقب للبيهقي (١/٢٧١).
٦- طبقات الشافعية للسبكي (٢/٢٩)، وهو في «الحلية» (٧/٣٠٧).



غريب حديث رسول الله ﷺ ولولاه لهلك النَّاس»[١].

وعن محمد بن يوسف الفربري (ت ٣٢٠ وقيل ٣٢٣ وقيل ٣٣٠هـ)، وزكريا الساجي (ت ٣٠٧هـ) قالا: سمعنا عبد الله بن أحمد بن شبويه (ت ٢٧٥هـ) يقول: سمعت قتيبة يقول: «لولا أحمد بن حنبل لأدخلوا في الدين»[٢].

وقال إسماعيل بن خليل (ت ٢٢٥هـ): «لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان آية»[٣].

وقال أبو الوليد الطيالسي (ت ٢٢٧هـ): «لو كان الذي نزل بأحمد كان في بني إسرائيل لكان أحدوثة»[٤].

وعن موسى بن هارون (ت ٢٩٤هـ)، يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: وسُئل عن معنى هذا الحديث، فقال: «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم».

قال أبو عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ): وفي مثل هذا قيل: «من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة» فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر، أنَّ الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث[٥].

سقى الأوْطَف الساري ضريح ابن حنبل ... ورفَّ به روض من الزهر أَغْيَدُ

ففيه النهى والعلم والحلم والتقى ... وتحت صفيح القبر مجدٌ وسُودد

١- الكامل في ضعفاء الرجال (٢١٢/١) وإسناده صحيح، وذكره القفطي في «إنباه الرواة» (١٨/٣).

٢- الكامل في ضعفاء الرجال (٢١١/١)، ورجح وفاة الفربري الذهبي سنة (٣٢٣هـ).

٣- المحنة (ص٣٢)، و«الحلية» (٣٠٦/٧) وإسماعيل بن الخليل أظنه الخزاز الكوفي.

٤- الكامل لابن عدي (٢١٠/١)، و«المقدمة» (ص٣٦٨).

٥- معرفة علوم الحديث (ص١١٠- ١١١)، وتتمة كلام الحاكم، «ومنْ أحق بهذا التأويل من قوم

أعيد به الإسلام غضاً فلم يزل ... يرفع من بنيانه ويشيد

وما الردة الأولى وقد قل عربها ... عتيق وبيض الهند في الهام تغمد

بأدهى من الأخرى التي شَبَّ نارها ... وقد كاد أنوار الشريعة تخمد

رمى أحمد الغاوي بها فرقة الهدى ... فأطفاها شيخ الأئمة أحمد

ولم يثنه عن نصرة الدين موطن ... به الدم يمريه الحسام المهنَّد

وساوره أعداؤه ثم أحجموا ... فولوا شلالاً والفرائص ترعد

وقوَّم در الملحدين بحجة ... يقوم لها الجهمي طوراً ويقعد

فغضبته لله أودت ببدعة ... لو انتشرت عنهم لما كان يعبد

وكل حديث لم يصححه مظلم ... على ناقليه طرقه حين يُسندُ

هو الربعي المحضُ ليس يعبه ... من المضريين الثناء المخلد

سأهدي إليه كل يوم قصيدة ... تُلَذُّ بأفواه الرواة نشد

محبَّرة سنية أموية ... تغور بها هوج المطايا وتنجد

ومن كان لا يصفيه في الله وُدُّه ... ولا يتقرى هديه فهو ملحد[١]

سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين؛ بسنن رسول الله ﷺ، من قوم آثروا قطع المفاوز والقفار، على التنعم في الدمن والأوطار، وتنعَّموا بالبؤس في الأسفار، مع مساكنة العلم والأخبار، وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار، بوجود الكسر والأطمار، قد رفضوا الإلحاد الذي تتوق إليه النفوس الشهوانية، وتوابع ذلك من البدع والأهواء والمقاييس والآراء والزيغ، جعلوا المساجد بيوتهم، وأساطينها تكاهم، وبواريها فرشهم». وانظر: «الآداب الشرعية» (٢١١/١) (فصل: أهل الحديث هم الطائفة الناجية القائمون على الحق).

١- منازل الأئمة (ص٢٤٨- ٢٤٩).



أقواله في علوم القرآن والتفسير

للإمام أحمد في تفسير القرآن وعلومه أقوالٌ نفيسة، ومقالات بديعة فيها من البلاغة والبيان، والحكمة والإتقان، ومن ذلك: قوله رحمه الله: «لو تدبرَ إنسانٌ القرآنَ كان فيه ما يردُّ على كلِ مبتدعٍ بدعته»[١].

وقال الميموني: سألت أحمد: أيمُّا أحبُّ إليك أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا بالقرآن القرآن. قلت: أعلمه كله؟ قال: إلا أن يعسر عليه فتعلمه منه، ثمَّ قال: «إذا قرأ أو لا تعود القراءة ولزمها»[٢].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن عاصم بن بهدلة (ت ١٢٧هـ)؟ فقال: رجل صالح، خيِّر ثقة.

فسألته أي القراءة أحب إليك؟

قال: «قراءة أهل المدينة، فإن لم تكن فقراءة عاصم»[٣].وقال الذهبي: «وكان أحمد بن حنبل يكره قراءة حمزة»[٤]، وقال: «وأما أحمد بن حنبل فقال: كان يؤخذ عنه القرآن»[٥].

وقال عن عاصم: «كان رجلًا صالحًا، قارئًا للقرآن، وأهل الكوفة يختارون قراءته، وأنا أختارها، وكان خيرًا، ثقة»[٦].

١- السنة للخلال (٣/٥٤٧).
٢- طبقات الحنابلة (١/٢٤١).
٣- طبقات القراء لشمس الدين ابن الجزري (١/٣٤٨).
٤- ميزان الاعتدال (١/٦٠٦)، وممَّن كره قراءته (عبد الرحمن بن مهدي، وأبو بكر بن عياش)، قال الذهبي معقبًا: «يكفي حمزة شهادة مثل الامام سفيان الثوري له، فإنه قال: ما قرأ حمزة حرفًا إلا بأثر، وقال ابن أبي خيثمة، عن سليمان بن أبي شيخ: كان يزيد بن هارون أرسل إلى أبي الشعثاء لا تقرئ في مسجدنا قراءة حمزة».
٥- المصدر نفسه (٤/٢٤٢).
٦- بحر الدم (١/٢٤٧).

وقال: «عَزيزٌ عليَّ أن تُذِيبَ الدنيا أكبادَ رجالٍ وَعت صُدورُهم القُرآن»[١].

وقال: «السنَّة تفسرُ الكتَاب، وتعرِّف الكتاب وتبيّنه»[٢].

وقال عبدالله بن أحمد: سمعت أبي إذا قرأ استعاذ يقول: «أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم إنَّ الله هو السميع العليم»[٣].

وقال: «أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على هذا المصحف»[٤].

وكان يرى تقبيل المصحف تبعًا لعكرمة رضي الله عنه ، قال الحافظ ابن كثير: وكان يقبل المصحف -يعني عكرمة- ويبكي ويقول: «كلام ربي كلام ربي». احتج بهذا الإمام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته[٥].

وقال صالح: وكنتُ أسمعهُ -كثيرًا- يتلو سورة الكهف، وكنتُ رُبَّما اعتللتُ، فيأخذُ قدحًا فيه ماءٌ، فيقرأ فيه، ثمَّ يقول لي: «اشرب منه، واغسِل وجهك ويديك»[٦].

١- المناقب (ص٢٧٤).

٢- انظر: الكفاية (١٠٤/١)، و«جامع بيان العلم» (٢٣٥٤)، و«ذم الكلام» للهروي (٢٢١)، وينظر: «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ» للحازمي (ص٢٤- ٢٥)، و «الطيوريات» (١٣٧٧/٤)، و «البحر المحيط» للزركشي (٢٧٢/٣) وما بعد، و«الموافقات» (٣٤٥/٤).

٣- إغاثة اللهفان (١٦١/١).

٤- المقصد الأرشد (٤٣٣/٢).

٥- البداية والنهاية (٦١١/٩).

٦- المحنة لصالح (ص١٢٣)، قال الإمام ابن القيم في «الفوائد» (ص١١٨): «هجر القرآن أنواعٌ:

أحدها: هجرُ سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجرُ العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجرُ تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدِّين وفروعه، واعتقادُ أنَّه لا يفيدُ اليقينَ، وأن أدلَّتهُ لفظيَّةٌ لا تحصلُ العلمَ.

والرابع: هجرُ تدبُّرِه وتفهُّمِه ومعرفة ما أراد المتكلِّمُ به منه.

والخامس: هجرُ الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها؛ فيطلب شفاء دائِه من غيره، ويهجرُ التداوي به.

وكلُّ هذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ وإنْ كان

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل: يُكتب في الخاتم ذكر الله ﷻ، أو شيء من القرآن؟

قال: لا يكتب فيه ذكر الله ﷻ.

قال إسحاق: كما قال؛ لما يدخل فيه الخلاء»[١].

وقال أبو حاتم: سمعت أحمد بن حنبل ذكر قتادة، فأطنب في ذكره، فجعل ينشر من فضله وعلمه، ومعرفته بالاختلاف، والتفسير وغير ذلك، وجعل يقول: عالم بتفسير القرآن واختلاف العلماء، ووصفه بالعلم والفقه، فقال: «قلَّ ما تجد من يتقدمه، إنَّما المثل فلعل»[٢].

وقال: «بمصرَ صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدًا ما كان كثيرًا» أسنده أبو جعفر النَّحاس في ناسخه[٣].

وذكر أبو القاسم الهذليُّ في «كامله»: أنَّ الإمام أحمد أخذ القراءة عرضًا عن يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عيَّاش راوي عاصم، وعبيد بن عقيل، عن أبي عمرو بن العلاء، وإسماعيل بن جعفر، عن شيبة بن نصاح، ثمَّ عن نافع الكوفي، وعبد الرحمن بن قلوقا أخذ القراءة عرضًا عن حمزة[٤].

وسُئِلَ عن القراءةِ بالألحانِ، فقال: «هذهِ بدعةٌ لا تسمع»[٥]. وقال: «مُحدثٌ»[٦].

وقال له رجل: ما تقول في القراءة بالألحان؟ فقال له أبو عبد الله: ما اسمك؟

بعضُ الهجرِ أهونَ من بعض».

١- مسائل الكوسج (٣٤٨١).

٢- بحر الدم (١/٣٨٥-٣٨٦).

٣- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/٢٣٧).

٤- المصدر السابق (١/١١٢)، و«كتاب الإمام أحمد» للدقر (ص٩٩).

٥- العواصم من القواصم (٤/٣١١)، و «المقصد الأرشد» (٣/٧٤).

٦- الحوادث والبدع (ص٨٩) ط: ابن الجوزي.

قال: محمد، قال: «فيسرك أنْ يُقالَ: يا موحمد»[١].

وعن صالح قال: قلت له: قوله ﷺ: «زيِّنوا القرآن بأصواتكم» ما معناه؟ قال: «التزيين أن يحسنه»[٢].

وقال: «للرجلِ أن يضرب عبْده على المعصية وترك الصَّلاةِ، ولا يضرب فوقَ عشر جلدات»[٣].

وسُئِل: ما ترى في التغبير[٤] إنَّه يرق عليه القلب؟ قال: «بدعة».

وسُئِل عن السماع؟ فكرهه ونهى عن استماعه[٥].

قال ابن هانئ: سمعت أبي يقول: قال أبو عبد الله: «يا أبا إسحاق، ترك الناس فهم القرآن»[٦].

وقال عبد الله بن أحمد: «كان أبي يقرأ كل يوم سبعًا، وكان ينام نومةً خفيفةً بعد العشاء، ثمَّ يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو»[٧].

١- الأمر بالمعروف للخلال (ص٢٦١)، و «المقصد الأرشد» (٦٦/٢).

٢- أخلاق حملة القرآن للآجري (ص٨٨)، وقال أيضًا: «وأكره القراءة بالألحان والأصوات المعمولة المطربة، فإنَّها مكروهة عند كثير من العلماء، مثل: يزيد بن هارون، والأصمعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وسفيان بن عيينة، وغير واحد من العلماء ﷺ، يأمرون القارئ إذا قرأ أن يتحزن، ويتباكى، ويخشع بقلبه».

وفي «طبقات الشافعية الكبرى» في ترجمة (السلفي) (٣٨/٦) «وجاء جماعة من المقرئين بالألحان، فأرادوا أن يقرؤوا، فمنعهم من ذلك، وقال: هذه القراءة بدعة، بل اقرؤوا ترتيلًا» فقرؤوا كما أمرهم. أهـ.

٣- الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين لأبي الفتوح الهمذاني (ص١٨٢).

٤- قال الأزهري: «وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تغبيرًا، كأنَّهم تناشدوه بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا، فسموا مغبرة لهذا المعنى» كما في «لسان العرب» (٥/٥).

٥- اتباع السنن واجتناب البدع للضياء المقدسي (ص٨٩) ط: دار ابن القيم، وهو في «الأمر بالاتباع» للسيوطي (ص١١٠- ١١١)، بلفظ: «التغبير بدعة محدثة».

٦- مسائل ابن هانئ (٥١٣).

٧- السير (٢١٤/١١- ٢١٥)، وفي «السير» (٢٢٨/١١) قال إبراهيم بن شماس: «كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام، وهو يحيي الليل».



وعن زهير بن صالح: حدثنا أبي، قال: سمعت أبي كثيرًا يتلو سورة الكهف، وكثيرًا ما كنتُ أسمعه يقول: «اللهم سلم سلم»(١).

وقال ابن هانئ: لأحمد ما معنى: «لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار» قال: «هذا يرجى لمن القرآن في قلبه أنْ لا تمسه النار» في إهاب: يعني في قلب رجل.

وقال: «وأقلُّ ما يجب على الرجل من تعلم القرآن فاتحة الكتاب وسورتان»(٢).

وسُئِلَ عن تفسير الكلبي، فقال: «من أوله إلى آخره كذب! فقيل له: فيَحِلُّ النظر فيه؟ قال: لا»(٣).

وقال الفضل: سمعت أحمد بن حنبل، وقيل له: أتنسخ السنة شيئًا من القرآن؟ قال: لا ينسخ القرآن إلا القرآن.

قال ابن عبد البر معلقًا: هذا قول الشافعي رحمه الله: إنَّ القرآن لا ينسخه إلا قرآن مثله، لقول الله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ١٠١] وقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] الآية، وعلى هذا جمهور أصحاب مالك إلا أبا الفرج(٤).

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد رضي الله عنه: يقرأ في الطريق؟ قال: لا بأس(٥).

وقال صالح: وسألته عن سورة الأنفال وسورة التوبة: هل يجوز للرجل أن يفصل

١- السير (٢٢/١١) و«محنة صالح» (ص١٣٩)، وينظر: «العلل ومعرفة الرجال» (١٣٣٣)، وممن كان يكثر من هذه العبارة الخليفة عمر بن عبد العزيز، والإمام سعيد بن المسيب رحمهما الله.

٢- الآداب الشرعية (٣٣/٢).

٣- الجامع لأخلاق الراوي (١٦٣/٢)، و«طبقات الحنابلة» (٢١٦/١).

٤- جامع بيان العلم وفضله (٢٣٥٥) (١١٩٤/٢)، وذكر ابن عقيل عن أحمد في ذلك روايتان، كما في «الواضح» (٢٥٨/٤- ٢٥٩).

٥- مسائل الكوسج (٤١١).

بينهما بـ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؟.

قال أبي: يُنتهى في القرآن إلى ما أجمع عليه أصحاب محمد ﷺ لا يزاد فيه ولا ينقص(١).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: رأيت رب العزة ﷻ في النوم فقلت: يا رب ما أفضل ما تقرب المتقربون به إليك؟ فقال: «كلامي يا أحمد» فقلت: يا رب بفهم أو بغير فهم. قال: «بفهمٍ وبغير فهم»(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابن عباس وابن عيينة وأحمد ابن حنبل رضي الله عنه: «على دين عظيم»(٣).

وقال في قول الله: ﴿أَلا لَهُ الْخلق وَالْأَمر﴾ فأخبر بالخلق، ثمَّ قال: ﴿وَالْأَمر﴾ فَأخبر أنَّ الأمر غير الخلق(٤).

قال ابن رجب: وقول يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ قيل: «إنَّه دعا لنفسه بالموت»، وهو قولُ جماعة من السلف، منهم الإمام أحمد(٥).

وسُئِلَ عنْ قولِه تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ، قال: «هو كما أخبر، لا كما يخطر للبشر»(٦).

وقال: «أعلم أنَّ الله يبعث العباد يوم القيامة على ثلاث خصال: محسن ما عليه

١- مسائل صالح (١٦٨)، وعنه في «الجامع لعلوم الإمام أحمد» (٤٢٢/١٣).
٢- المجالس العشرة الأمالي لأبي محمد الحسن الخلال (ص٥٠)، و«نشر القراءات العشر» (١٠٤/١).
٣- أمراض القلوب لابن القيم (ص٢٢).
٤- المقصد الأرشد (١٠٦/٢).
٥- شرح حديث «لبيك اللهم لبيك» لابن رجب (١٠٤/٤).
٦- فتح الرحمن في تفسير القرآن للعليمي (ت ٩٢٧هـ)، (٣٢/١).



من سبيل، لقوله تعالى: ﴿مَا على الْمُحْسِنِينَ من سَبِيل﴾ [التوبة: ٩١].

وَكافر في النَّارِ، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذين كفرُوا لَهُم نَار جَهَنَّم﴾ [فاطر: ٣٩] وأصحاب الذنوب والخطايا: فأمرهم إلى الله، إن شاء عذب، وإن شاء غفر، لقوله تعالى: ﴿إِن الله لَا يغْفر أَن يُشْرك بِهِ وَيغْفر مَا دون ذَلِك لمن يَشَاء﴾»[١].

وقال حنبل: قيل للإمام أحمد: ما معنى قوله: ﴿وهو معكم﴾؟ قال: «علمه علم محيط بالكلِّ، وهو على العرش بلا صفةٍ ولا حد»[٢].

وقال: «نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير، وأنَّ العبد يسأل في قبره ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ في القبر»[٣].

وقال: سمعت ابن عيينة يقول في قوله: ﴿إلا اللَمَمْ﴾: هو ما بين حدود الأخرة والدنيا، يريد أنَّ الله يغفر اللمم.

قال أبو عبد الله: «حدود الدنيا مثل: السرقة، والزنا، وعدَّ أشياء، وحدود الأخرة: ما يجد في الآخرة، فاللمم الذي بينهما»[٤].

وقال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: «نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ثمَّ جعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾. وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾»[٥].

١- المقصد الأرشد (١/١٨٨).
٢- كتاب الأربعين في صفات رب العالمين للذهبي (ص٦٥).
٣- الروح (١/١٦٦).
٤- أحكام النساء (ص٢٩).
٥- الطيوريات للسلفي (٤/١٣٧٧).

وقال في قوله الله: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] ، قال: ﴿السِّرَّ﴾ [طه: ٧] ما أسررته في نفسك، و ﴿وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] ما لم تعلمه أنت، قد علمه الله ﷻ»[١].

وقال في قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾ «هو الرجل يكون في القوم فتمر به المرأة فيلحقها بصره»[٢].

وقال: سمعت عبد الرزاق، يقول في قوله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، قال: «هم أصحاب الحديث»[٣].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي نا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ قال: «يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وتأتيهم الملائكة عند الموت»[٤].

وقال محمد بن داود، أنَّ أبا عبد الله سُئِل عن الرجل ينظر إلى شعر امرأة أبيه، وامرأة ابنه، وأم امرأته؟ فقال: هذا في القرآن ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ إلا لكذا، وكذا.

قلت له: فينظر إلى ساق امرأة أبيه وصدرها؟ قال: لا، ما يعجبني، ثمَّ قال: «أنا أكره أن ينظر من أمه وأخته إلى مثل ذلك، وإلى كل شيء لشهوة»، قال محمد: منها الشهوة[٥].

١- أخبار الشيوخ (٢٩٩).
٢- الورع (ص١١٩).
٣- شرف أصحاب الحديث (فضيلة الرحالين في طلب الحديث) (ص٨٤- ٨٥).
٤- كتاب الأربعين في صفات رب العالمين (ص١٥٦).
٥- أحكام النساء (ص٣٥).



قال ابن عبد البر: السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم، ثمَّ أسند إلى إسحاق بن منصور قلت لأحمد بن حنبل قوله ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» ما وجهه؟ فلم يقل لي فيها على أمر[1].

١- الإتقان للسيوطي (٤/١٤٥-١٤٦)، زاد: وقال لي إسحاق بن راهويه: معناه أنَّ الله لما فضل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضا فضلًا في الثواب لمن قرأه تحريضًا على تعليمه لا أنَّ من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ أحد ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه، هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتي مرة؟ قال ابن عبد البر: «فهذان إمامان بالسنة ما قاما ولا قعدا في هذه المسألة».







أقواله في العقيدة[١]

الإمام أحمد من العلماء العاملين الصابرين، ومن الكرامة الربانيَّة التي رزقها الله لهذا الإمام العظيم بسبب صبره في المحنة المنكرة والبدعة المذممة التي ابتلي بها شيوخ الإسلام، وأعلام الأنام، ولم يصبر لها إلا الشيخ الهمام[٢]، فلمَّا كان الحال كذلك، صار كلامه في مسائل الاعتقادِ، وأصول الدينِ قولًا معتبرًا من جنسِ أقوال الرعيل الأول، وهي بحمدِ الله منقولة ومعلومة في بطون الكتب، وقد تداولها كثيرٌ ممَّن صنَّف وكتب في العقيدة من السابقين واللاحقين.

قال الفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ): «إنَّما الفقيه الذي أنطقته الخشية وأسكتته الخشية، إن قال: قال بالكتاب والسنَّة، وإن سكت سكت بالكتاب والسنَّة، وإن اشتبه عليه شيء وقف عنده ورده إلى عالمه».

قال الشيخ أبو عبد الله ابن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ): «أنا أقول -والله المحمود- هذه صفة أحمد بن حنبل رحمه الله ، فيا ويح من يدعي مذهبه، ويتحلى بالفتوى عنه، وهو سلم لمن حاربه، عون لمن خالفه، الله المستعان على وحشة هذا الزمان»[٣].

١- قال حرب بن إسماعيل الكرماني: «هذا مذهب أئمة العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام غيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق. وهو مذهب أحمد، وإسحاق إبراهيم بن مخلد، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم... ثمَّ ذكر عقيدة أهل السنة في ذلك» انظر: «معتقد أهل السنة والجماعة كما نقله الإمام إسماعيل بن حرب الكرماني» (ص٢٥- ٢٦) ط: مكتبة دار المنهاج.

٢- يقول شيخ الإسلام رحمه الله في رسالته: «الأمر بالمعروف» (ص٤٨) «وإذا عظمت المحنة كان ذلك للمؤمن الصالح سببًا لعلو الدرجة وعظيم الثواب».

٣- إبطال الحيل (ص٢٤).

وقال برهان الدين إبراهيم بن مفلح (ت ٨٨٤هـ): «اعلم أنَّ هذه الطوائف (الرافضة، والناصبة، والمرجئة) كلّها مجمعة على بغض أحمد بن حنبل؛ لأنَّ ما منهم أحد إلا وفي قلبهِ منه شيء لا برْء له»[١].

وقد قيل للشيخ عبد القادر الجيلي -قدس الله روحه- هل كان لله ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل؟ فقال: «لا كان، ولا يكون».

قال شيخ الإسلام معلقًا: «الاعتقاد إنَّما أضيف إلى أحمد؛ لأنَّه أظهره، وبيَّنه عند ظهور البدع، وإلا فهو كتاب الله وسنة رسوله، وحظ أحمد منه كحظ غيره من السلف»[٢].

وقال ابن عقيل عن الحنابلة: «والله يعلم أنَّني لا أعتقد في الإسلام طائفة محقة، خالية من البدع، سوى من سلك هذا الطريق»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل البدع في غير الحنبلية أكثر منهم في الحنبلية بوجوه كثيرة؛ لأنَّ نصوص أحمد في تفاصيل السنة ونفي البدع أكثر من غيره بكثير»[٤].

وقال ابن بطة: اجتاز بعض المحبين للبربهاري ممن يحضر مجلسه من العوام وهو سكران على بدعي فقال البدعي: هؤلاء الحنبلية قال: فرجع إليه وقال: الحنبلية على ثلاثة أصناف: «صنف زهاد يصومون ويصلون، وصنف يكتبون ويتفقهون، وصنف يصفعون لكلِّ مخالف مثلك وصفعه وأوجعه!!»[٥].

١- المقصد الأرشد (٢/٧٠).
٢- درء تعارض العقل والنقل (٥/٤-٥).
٣- ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٣٩).
٤- مجموع الفتاوى (٢٠/١٨٦).
٥- طبقات الحنابلة (٢/٤١).



وكان الهروي رَحِمَهُ اللهُ يقول:

أَنَا حَنْبَلِي مَا حَيِيْتُ وَإِنْ أَمُتْ ... فَوَصِيَّتِي لِلنَّاسِ أَنْ يَتَحَنْبَلُوا[١].

وكان العلامة اللغوي أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) ، وهو أستاذ أبي علي الفارسي، سُمِع منه آخر ما قاله: «اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل»[٢].

وهذا الحافظ ابن كثير الدمشقي يذكر أحداث سنة (٧٠٧هـ): عن (أهل كيلان) فقال: «وبلادهم من أحصن البلاد وأطيبها، لا تستطاع، وهم أهل سنة، وأكثرهم حنابلة، لا يستطيع مبتدع أن يسكن بين أظهرهم»[٣].

وذكر المقريزي انتشار عقيدة الأشاعرة في بلاد المغرب، وثبات عقيدة الحنابلة، فقال: «فلمَّا عاد إلى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامّتهم، ثمَّ مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن عليّ القيسيّ، وتلقب بأمير المؤمنين، وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعد مدّة سنين، وتسموا بالموحدين، فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، إذ هو عندهم الإمام المعلوم، المهديّ المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها إلّا الله خالقها سبحانه وتعالى، كما هو معروف في كتب التاريخ، فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعريّ وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نسي

١- سير أعلام النبلاء (٥٠٦/١٨).
٢- معجم الأدباء (إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي) (٥٢/١) قال الخطيب: «كان من أهل الدين والفضل حسن الاعتقاد جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب».
٣- البداية والنهاية (٧٣/١٨).

غيره من المذاهب، وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلّا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ﵁، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف»(١).

ونبدأ بتقرير عجيب للإمام أحمد في الدليل على الوحدانية، وهو أنَّه لما سُئِل الدليل على وجود الرَّبِّ؟ فقال: «هاهنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة»(٢).

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كنت أنا وأبي عابرين في المسجد، فسمع قاصاً يقصُّ بحديث النزول فقال: إذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل الله ﷿ إلى سماء الدنيا بلا زوال، ولا انتقال، ولا تغير حال، فارتعد أبي ﵀ واصفر لونه، ولزم يدي، وأمسكته حتى سكن ثمَّ قال: قفْ بنا على هذا المتخوض، فلمَّا حاذاه قال: «يا هذا، رسول الله أغير على ربه ﷿ منك، قل كما قال رسول الله ﷺ». وانصرف(٣).

وقال الحسن بن أيوب البغدادي: قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أحياك الله يا أبا عبد الله على الإسلام.

قال: «والسنَّة»(٤).

١- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١٩٢/٤).
٢- تفسير ابن كثير (١٩٧/١- ١٩٨) ت: السلامة.
٣- الاقتصاد في الاعتقاد لعبد الغني المقدسي (ص١١٠).
٤- تاريخ بغداد (٢٣٥/٨).

وقد روي عن الإمام أحمد أنه قِيلَ لَهُ: إنَّ عبد الوهاب الوراق ينكر كذا وكذا، فَقَالَ: «ما نزالُ بخيرٍ ما دام فينا مَنْ ينكر هذا»(١).

وقال حنبل بن إسحاق: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ: «إنَّ الله ينزلُ إلى السماءِ الدُّنيا».

فقال أبو عبد الله: نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد شيئًا منها إذا كانت أسانيد صحاح، ولا نرد على رسول الله ﷺ قوله ونعلم أنَّ ما جاء به الرسول ﷺ حق، حتى قلت لأبي عبد الله: ينزل الله إلى سماء الدنيا. قال: قلت: نزوله بعلمه بماذا؟ فقال لي: «اسكت عن هذا، مالك ولهذ؟ امضِ الحديث على ما روي بلا كيف ولا حد، إنَّما جاءت به الأثار وبما جاء به الكتاب قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] ينزل كيف يشاء بعلمه وقدرته وعظمته، أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، لا يبلغ قدره واصف، ولا ينأى عنه هرب هارب»(٢).

وقال: «لا نزيلُ عن الله صفةً من صفاتهِ لأجلِ شناعةِ المشنعين»(٣).

وقال: «لا تشبهوا الله بخلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾».

وقال: «يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديقِ الرسول ﷺ»(٤).

وقال محمد بن إبراهيم القيسي: قلت لأحمد بن حنبل: يحكى عن ابن المبارك، قيل له: كيف نعرفُ ربنا؟

فقال: في السماءِ السَّابعة على عرشه بحدٍّ.

١- الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب (٤/٢٣٢).
٢- شرح اعتقاد أصول أهل السنة (٧٧٧).
٣- الروح (١/٣٤٣).
٤- الحجة في بيان المحجة (١/٤٧٢- ٤٧٣)، و«إبطال التأويلات» (ص٢١٧).

قال أحمدُ: «هكذا هو عندنا»(١).

وقيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة، على عرشه بحدٍ. فقال أحمد: هكذا على العرش استوى بحدٍّ.

فقلنا له: ما معنى قول ابن المبارك بحدٍّ؟

قال: لا أعرفه؛ ولكن لهذا شواهد من القرآن في خمسة مواضع: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء﴾ [الملك: ١٦] ﴿وتَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وهو على العرش وعلمه مع كل شيء(٢).

وقال المشبهة تقول: «بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي»، ومن قال ذلك «فقد شبه الله بخلقه»(٣).

وقال: «الجهميَّة على ثلاثِ ضروب: فرقة قالوا: القرآن مخلوق، وفرقة قالوا: كلام الله، وتقف، وفرقة قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، فهم عندي في المقالة

١- إثبات الحد للدشتي (ص١٦٢) ط: اللؤلؤة.
٢- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٦١٤/٢).
٣- إبطال التأويلات (ص٤٣)، و«الإبانة» لابن بطة (٣٢٧/٣)، وذكر الإمام الترمذي في «سننه» (٦٦٢) عقب حديث: (إنَّ الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه...) قول الإمام إسحاق بن إبراهيم الحنظلي: «إنَّما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع، فهذا التشبيه، وأمَّا إذا قال كما قال الله تعالى: يد، وسمع، وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيها، وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ».
وروي عن أبي يعقوب القارئ أنَّه قال: «قلت لابن المقفع: هل تعلم أن ربك يرضى ويسخط؟ قال: يرضى كرضى المخلوقين، ويسخط كسخط المخلوقين!!، قلت له: إني لم أسألك عن ذا، ولكني أزعم أنه قد رضي عن أقوام وسخط على اخرين، فأما أني أزعم أن رضاه كرضا المخلوقين، وسخطه كسخط المخلوقين، فمعاذ الله، هو أعظم من ذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ » كما في «صفات رب العالمين» لابن المحب الصامت (١٠٠٥/٣)، وانظر: «دفع الشكوك والأوهام» (ص١٠٨- ١٠٩).



واحد»[١].

وقال: «لله ﷻ عرشٌ، وللعرشِ حملةٌ يحملونه، والله ﷻ على عرشه، وله حدٌّ، والله أعلم بحدهِ، يتحرَّك، ويتكلَّمُ، وينظرُ، ويضحكُ، ويفرح»[٢].

وسُئِلَ عمَّن قال: القرآن مخلوق، قال: «كَافِر، وفتح الكاف»[٣].

وقال: «مَن زعم أنَّ أسماءَ اللهِ مخلوقةٌ فقدْ كفرَ»[٤].

وقال له رجل: يا أبا عبد الله أصلي خلف من يشرب المسكر؟ قال: لا. قال: فأصلي خلف منْ يقول القرآن مخلوق؟ فقال: «سبحان الله! أنهاك عن مسلم، وتسألني عن كافر؟!»[٥].

وقال أبو طالب: أخبرت عن الكرابيسي أنَّه ذكر قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فقال: لو كان أكمل لنا ديننا، ما كان هذا الاختلاف.
فقال الإمام أحمد: «هذا الكفر صراحًا»[٦].

وسُئِلَ ما تقول: فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ فقال: «ومن يأمن على نفسه النفاق؟».

ورؤي الإمام بعد موته في المنام فُسئِل عن حالهِ، فقال: «لولا هذا النبيُّ لكنَّا مجوسًا»[٧].

١- السنة للخلال (١٢٥/٥)، وفي «طبعة دار اللؤلؤة» (٤٣/٢).
٢- إثبات الحد لله ﷻ وبأنَّه قاعدٌ على عرشه (ص١٦٦).
٣- المخلصيات (٩٧/٢)، و«الشريعة» (١٨٥/١).
٤- المحنة لصالح (ص١٤٨).
٥- المقصد الأرشد (٥٣٣/٢).
٦- المقصد الأرشد (٩٦/١).
٧- لطائف المعارف لابن رجب (ص١٩٧)، ثمَّ قال ابن رجب: «وهو كما قال، فإن أهل العراق لولا رسالة محمد ﷺ لكانوا مجوسًا، وأهل الشام ومصر والروم لولا رسالة محمد ﷺ لكانوا نصارى، وأهل جزيرة العرب لولا رسالة محمد ﷺ لكانوا مشركين عباد أوثان؛ ولكن رحم الله عباده بإرسال محمد ﷺ

وقال: «أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم، ولزوم السنَّة؛ فقد علمتم ما حلَّ بمن خالفها، وما جاء فيمن اتبعها»[١].

وقال: «قبور أهل السنَّة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدعة من الزهاد حفرة، فساق أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدعة أعداء الله»[٢].

وقال: «إنِّي لأرى الرجل يحيي شيئًا من السنَّة، فأفرح به»[٣].

وقال أبو داود السّجستاني (ت ٢٧٥هـ): قلتُ لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أرى رجلاً من أهل السنَّة مع رجل من أهل البدع، أتركُ كلامه؟

قال: «لا، أو تعْلِمه إن رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه وإلا فألحِقه به»[٤].

قال الحافظ ابن رجب: «التصدّي لرد كلام أهل البدع بجنس كلامهم، من الأقيسة الكلامية وأدلة العقول: يكرهه الإمامُ أحمد، وأئمة أهل الحديث كيحيى القطان، وابن مهدي، وغيرهم. وإنَّما يرون الردَّ عليهم بنصوص الكتاب والسنّة، وكلام سلف الأمة إن كان موجودًا، وإلا رأوا السكوت أسلم»[٥].

وقال: «ولا تشاور أحداً من أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك»[٦].

فأنقذهم من الضلال كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الانبياء:١٠٧] ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة:٤] فمن حصل له نصيب من دين الإسلام فقد حصل له الفضل العظيم، وقد عظمتَ عليه نعمة الله فما أحوجه إلى القيام بشكر هذه النعمة وسؤاله دوامها والثبات عليها إلى الممات، والموت عليها، فبذلك تتم النعمة».

١- طبقات الحنابلة (٣٤٢/١).

٢- طبقات علماء الحديث (٣٧٩/٢).

٣- السير (٣٣٥/١١).

٤- المناقب (ص٢٥٠).

٥- الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة (٤٨٢/١).

٦- الطبقات (٣٤٣/١)، وذكر الزرنوجي في «تعليم المتعلم» (ص٧٤) قال جعفر الصادق لسفيان الثوري: «شاورْ في أمرك الذين يخشون الله تعالى»، قلت: والمبتدع لا يخشى الله فلا يشاور، وانظر:



وقال: «الغوغاء أهل البدع»[١].

وقال: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز»[٢].

وقال: «عذاب القبرِ حقٌ لا ينكرهُ إلا ضالٌّ أو مضلٌّ».

وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر، فقال: «هذه أحاديث صحاح نؤمنُ بها، ونقرُّ بها»[٣].

وقال: «الرجلُ إذا كان يحب بدعةً يظهر ذلك أو معلنًا بفسقه؛ فليست له غيبة»[٤].

وقال أبو طالب المشكاني (ت ٢٤٤هـ): سألت أبا عبد الله عمَّن أمسك، فقال: لا أقول: ليس هو مخلوقًا، إذا لقيني في الطريق وسلم عليَّ، أسلم عليه؟ قال: «لا تسلم عليه؟ ولا تكلمه، كيف يعرفه النَّاس إذا سلمت عليه؟ وكيف يعرف هو أنَّك منكر عليه؟ فإذا لم تسلم عليه عرف الذل، وعرف أنَّك أنكرت عليه، وعرفه الناس»[٥].

وقال علي بن عبد الصمد (ت ٢٥٣هـ): سألت أحمد بن حنبل عن جار لنا جهمي يسلم عليَّ، أرد عليه؟ قال: «لا»[٦].

كتابي (نبذة مختصرة عن الشورى في الإسلام).

١- العزلة للخطابي (ص٢٠٧) ط: ابن كثير.

٢- تهذيب الكمال (١/٤٦٦- ٤٤٧)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤/٤٢٥)، قال الدارقطني: سمعت أبا سهل بن زياد، سمعت عبد الله بن أحمد يقول: سمعت أبي يقول، وذكره.

٣- الروح لابن القيم (١/١٦٥).

٤- مسائل حرب (ص٣١٧- ٣١٩)، و«الجامع لعلوم الإمام أحمد» (٢٠/٢٦)، وهو في «الكفاية» (١/١٦٠). وفي «الصمت» لابن أبي الدنيا (٢٣٢) و(٢٣٨)، والهروي في «ذم الكلام» (٦٩٤) عن الصلت بن طريف، قال: قلت للحسن: الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له؟ قال: «لا، ولا كرامة».

٥- الشريعة (١/٥٣٠).

٦- السنة (٤/٢٨٨).

وقال عبد الله: سألت أبي عن الصلاة خلف أهل البدع؟

فقال: «لا تصلِّ خلفهم مثل الجهميَّة والمعتزلة». وقال: «إذا كان القاضي جهميًا، فلا تشهد عنده»[١].

وقال إسحاق بن إبراهيم: سمعت أبا عبد الله يسأل عن الذي يشتم معاوية ﵁ نصلي خلفه؟ قال: «لا، ولا كرامة»[٢].

وقال: «منْ قدم عليَّاً على أبي بكر فقد طعن على رسول الله ﷺ، ومن قدمه على عمر فقد طعن على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر، ومن قدمه على عثمان، فقد طعن على أبي بكر وعلي وعمر، وعلى أهل الشورى، وعلى المهاجرين والأنصار»[٣].

وقال عبد الله بن الإمام أحمد عن علي بن الجعد بن عبيد: « نهاني أبي أن أكتب عن علي بن الجعد، كان يبلُغه عنه أنُّه يتناول أصحاب رسول الله ﷺ»[٤].

وقال: «من لم يُثبت الإمامة لعلي ﵁ فهو أضلُّ من حمار أهله»[٥].

وقال: « الخلافة لم تزيّن عليًا ﵁ بل عليٌّ ﵁ زينها»[٦].

وقال: «ما لأحدٍ من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعلي ﵁ » .

وقال: «الرافضي الذي يشتم ويسب أبا بكر وعمر»[٧].

١- الإبانة لابن بطة (٦/١٣٨).
٢- طبقات الحنابلة (١/١٠٧).
٣- السنة للخلال (٢/٥١).
٤- بحر الدم (١/٣٣٤)، وانظر: «تاريخ بغداد» (١١/٣٦٥).
٥- المناقب (ص٢٢٠)، وبنحوِ في «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» (١/٢٧٩).
٦- طبقات الحنابلة (١/١٨٥).
٧- المناقب (ص٢٢٠-٢٢١).



وسأله رجل عمَّا جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم. فأقبل عليه، وقال: «اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ »[١].

وقال: «لا تغلو في كلِّ شيء، حتى الحبُّ والبغض»[٢].

وقال: «والنَّاسُ يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة، إلا رجلًا مباينًا معلنًا بالفسق والردى، فيجب عليك نهيه وإعلامه؛ لأنَّه يُقال: «ليس لفاسق حرمة، فهذا لا حرمة له»[٣].

وقال أحمد بن القاسم الطوسي: كان أحمد بن حنبل إذا نظر إلى نصراني غمض عينيه! فقيل له في ذلك؟

فقال: «لا أقدر أنظر إلى من افترى على الله وكذب عليه»[٤].

١- الطبقات (١/٩٤).

٢- متخير المقولات للفوزان (ص٤٠)، وعزاه «لمسائل صالح» (٢٥٢)، و«بدائع الفوائد» (٤/١٤١٢)، قلت: ومنه قول ما رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣٢٢) عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لا يكن حبك كلفًا ولا بغضك تلفًا». فقلت: -زيد بن أسلم- كيف ذاك؟ قال: «إذا أحببت كلفت كلف الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف».

٣- الأمر بالمعروف للخلال (ص٣٨).

٤- الآداب الشرعية (١/٣٦٩)، وفيه: قال إبراهيم الحربي: سُئِل أحمد بن حنبل عن الرجل المسلم يقول للرجل النصراني: أكرمكَ الله. قال: نعم.

يقول: «أكرمك الله يعني بالإسلام ويتوجه فيه ما سبق من الدعاء بالبقاء، وإنَّه كالدعاءِ بالهداية، ويشبه هذا أعزك الله».

ومن اللطائفِ ما ذكره الذهبي في «السير» (١١/٢١١): قال المروذي: رأيت طبيبًا نصرانيًا خرج من عِند أحمد ومعه راهب، فقال: إنَّه سألني أن يجيءَ معي ليرى أبا عبد الله.

وأدخلتُ نصرانيًا على أبي عبد الله، فقال له: إنِّي لأشتهي أن أراك منذ سنين، ما بقاؤك صلاحٌ للإسلام وحدهم، بل للخلقِ جميعًا، وليس من أصحابِنا أحدٌ إلا وقد رضي بك.

فقلت لأبي عبد الله: إنِّي لأرجو أن يكونَ يُدعَى لك في جميع الأمصار.

فقال: «يا أبا بكر، إذا عرفَ الرجلُ نفسه، فما ينفعه كلام النَّاس» أهـ.

وقال صالح: أردت أن أشتري جاريةً نصرانيَّةً، فقال: «لا تشترِ نصرانية»[١].

وقال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق (ت ٢٥١هـ): سألت أحمد بن حنبل عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان فقال: حدثنا الحسن بن موسى، نا حماد بن سلمة، عن أبي جعفر الخطمي، عن أبيه، عن جده عن عمير بن حبيب قال: «الإيمان يزيد وينقص» فقيل له: «وما زيادته وما نقصانه؟».

فقال: «إذا ذكرنا بالله فحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا، فذاك نقصانه»[٢].

وسأله رجل عن زيادته ونقصانه -يعني الإيمان-؟ فقال: «يزيد حتى يبلغ أعلى السموات السبع، وينقص حتى يصير إلى أسفل السافلين السبع»[٣].

وقال: الاستثناء في الإيمان سنة ماضية عند العلماء، وليس بشك. قال: وإذا سُئِل الرجل: أمؤمنٌ أنت؟ فليقل: «أنا مؤمن إنْ شاء الله»، أو: «مؤمن أرجو». أو يقول: «آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله».

وقال: «من لم يرَ الاستثناء في الإيمان فهو مرجئ»[٤].

١- المحنة لصالح (ص١٣٣).

٢- صريح السنة للطبري (ص٢٥)، و«شعار أصحاب الحديث» للحاكم (ص٢٧) ط: دار البشائر.
قال ابن رجب في «فتح الباري» (١/١٤): فزيادة الإيمان بالذكر من وجهين: «
أحدهما: أنَّه يجدد من الإيمان والتصديق في القلب ما درس منه بالغفلة كما قال بن مسعود ﷺ: «الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء الزرع».
وفي «المسند» عن أبي هريرة ﷺ، أنَّ النبي ﷺ قال: «جددوا إيمانكم» قالوا: كيف نجدد إيماننا؟ قال: «قولوا: لا إله إلا الله».
والثاني: أنَّ الذكر نفسه من خصال الإيمان، فيزداد الإيمان بكثرة الذكر، فإنَّ جمهور أهل السنَّة على أنَّ الطَّاعات كلها من الإيمان فرضها ونفلها، وإنَّما أخرج النوافل من الإيمان قليل منهم».

٣- المقصد الأرشد (٢/٣٢٥).

٤- الرسالة الوافية للداني (ص١٧٥) و(ص١٧٧).



وقال: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[١].

وقال: «الجهادُ مع كلِ إمامٍ إلى يوم القيامة»[٢].

وقال: «وقد رأيت لأهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السنَّة يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم، والوقيعة فيهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال، أمَّا الجهمية فإنَّهم يسمون أهل السنة المشبهة، وكذب الجهمية أعداء الله بل هم أولى بالتشبيه، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق»[٣].

وقال المروذي: قلت لأبي عبد الله يعني إمامنا أحمد رضي الله عنه ترى للرجل أن يشتغل بالصوم والصلاة ويسكت عن الكلام في أهل البدع؟ فكلح في وجهه، وقال: إذا هو صام وصلى واعتزل النَّاس أليس إنَّما هو لنفسه؟ قلت: بلى.

قال: «فإذا تكلم كان له ولغيره، يتكلم أفضل»[٤].

وقال: «منْ دلَّ على صاحب رأيٍ أو فتنةٍ فقد أعانَ على هدمِ الإسلام»[٥].

وقال ابن الجوزي: أشكل عليهم-النَّاس- مصيرها -الرُّوح- بعد الموت، ومذهب أهل الحق أنَّ لها وجودًا بعد موتها، وأنَّها تنعم وتعذب، قال أحمد بن حنبل: «أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النَّارِ»[٦].

قال حنبل: قلت لأبي عبد الله يعني أحمد: من زعم أنَّ النبي ﷺ كان على دين

١- الشريعة للآجري (١/٢٧٢)، و(١/٢٨٩)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (١/١٦٥).
٢- سنن الترمذي عقب حديث (١٦٩٤) (٤/٢٠٢) ت: شاكر.
٣- إبطال التأويلات لأبي يعلى (ص٤٦).
٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/٢١٠).
٥- الطبقات (١/٥٣).
٦- صيد الخاطر (ص٤٩).

قومه قبل أن يبعث؟

قال: هذا قول سوءٍ، ينبغي لصاحب هذه المقالة أن يحذر كلامه، ولا يجالس.

قلت له: إنَّ جارنا الناقد أبا العبَّاس يقول هذه المقالة؟

قال: قاتله الله! وأي شيءٍ أبقى إذا زعم أنَّ النبي ﷺ كان على دين قومه وهم يعبدون الأصنام؟!

قال الله تعالى مخبرًا عن عيسى عليه السلام: ﴿**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [الصف: ٦] قلت له: وزعم أنَّ خديجة كانت على ذلك حين تزوجها النبي ﷺ في الجاهلية.

قال: أمَّا خديجة فلا أقول شيئًا، قد كانت أول من آمن به من النِّساء، ثمَّ قال: ماذا يحدث النَّاس من الكلام؟! هؤلاءِ أصحابُ الكلام لم يفلحوا، سبحان الله لهذا القول!! واحتجَّ في ذلك بكلام لم أحفظه. وذكر أنَّ أمه حين ولدت رأت نورًا أضاء له قصور الشام، أو ليس هذا عندما ولدت رأت هذا، وقبل أن يبعث كان طاهرًا مطهرًا من الأوثان، أوليس كان لا يأكل لما ذبحَ على النُّصُب، ثمَّ قال: «احذروا الكلام فإنَّ أصحاب الكلام أمرهم لا يؤول إلى خير»[1].

وعن عبد الملك بن عبدالحميد بن ميمون بن مهران (ت ٢٧٤هـ) يقول: قال لي أحمد بن حنبل: «يا أبا الحسن، إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام»[2].

وقال: «ومن تنقص أحدًا من أصحاب رسول ﷺ أو أبغضه لحدثٍ كان منه، أو

١- ذكره ابن رجب في «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (ص١٩٠- ١٩١) ط: دار ابن كثير (ط: ١٤٤٠هـ).

٢- المخلصيات (٣١٧/٣)، و«الحجة في بيان المحجة» (٣٩٧/٢).

ذَكَرَ مساوءه، كان مبتدعًا خارجًا من الجماعة حتى يترحم عليهم جميعًا، ويكون قلبه لهم بأجمعهم سليمًا»(١).

وقال: «الخوارج قوم سوءٍ لا أعلم في الأرض قومًا شرًا منهم». وقال: «صحَّ الحديث فيهم عن النبي ﷺ من عشرةِ وجوه»(٢).

وقال: «تقربوا إلى الله تعالى ببغض أهل الإرجاء فإنَّه من أوثق الأعمال إلينا»(٣).

وقيل له: الرجل يفرح بما ينزل بأصحاب ابن أبي دؤاد(٤)، عليه في ذلك إثم؟ قال: «ومن لا يفرح بهذا؟»(٥).

وقال: «اللفظيَّة جهميَّة»(٦).

وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله: رجل زوج ابنته رجلًا وهو لا يعلم، فإذا هو يقول بمقالة رديئة من الإرجاء.

فقال: «إذا كان يغلي في ذلك، ويدعو إليه، رأيت أن يخلع ابنته ولا يقيم عنده».

قلت: فيحرج الأب إذا فعل ذلك؟

قال: «أرجو أن لا يحرج إذا علم ذلك منه وتبين له»(٧).

وقال أبو طالب: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عمَّن قال: إنَّ الله ﷻ لم

١- المنهج الأحمد (٦/٢).
٢- السنة للخلال (١٤٥/١).
٣- الطبقات لأبي يعلى (٢٦٤/١).
٤- قلت: ابن أبي دؤاد اسمه أحمد، يقول الإمام الذهبي في «السير» (٢٠٢/١٠) (عن بشر المريسي) «فهو بشر الشر، وبشر الحافي بشر الخير، كما أنَّ أحمد بن حنبل هو أحمد السنة، وأحمد بن أبي دؤاد أحمد البدعة».
٥- السنة للخلال (١٢١/٥).
٦- صريح السنة (ص٢٦)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٣٢٥/١).
٧- السنة للخلال (٥٥/٤) ط: دار الراية.

يكلم موسى؟ فقال: «يستتاب، فإنْ تابَ وإلا ضربتُ عنقه».

وقال أبو عبد الله: سمعت عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ) في هذه المسألة بعينها يقول: من قال: «إنَّ الله ﷻ لم يكلم موسى، فهو كافر يُستتاب، فإنْ تاب وإلا ضربت عنقه»[١].

قال أبو بكر المروزي: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله عن الأحاديث التي يردها الجهمية في الصفات، والإسراء، والرؤية، وقصة العرش؟ فصححها، وقال: «قد تلقتها العلماء بالقبول، تسلَّم الأخبار كما جاءت»[٢].

وقال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل عن الكرابيسي[٣]، وما أظهر، فكلح وجهه، ثمَّ قال: «إنَّما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها، تركوا آثار رسول الله ﷺ وأصحابه، وأقبلوا على هذه الكتب»[٤].

وقال: «لا يفلحُ صاحب الكلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظرَ في الكلامِ إلا وفي قلبه دغل»[٥].

وقال: «لا يفلحُ صاحبُ كلام أبدًا، علماء الكلام زنادقة»[٦].

وقال: «لستُ بصاحبِ كلامٍ، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في

١- الشريعة (٢/٢٥٣).
٢- الشريعة (٢/٢٩٨)، و«الغنية» للشيخ عبد القادر الجيلاني (١/٥٦).
٣- وترجمته كما في «تاريخ بغداد» (٨/٦١١)، هو الحسين بن علي بن يزيد أبو علي الكرابيسي، كان فهِمًا عالمِا فقيهًا، وله تصانيف كثيرة في الفقه وفي الأصول تدل على حسن فهمه، وغزارة علمه، وكان يُتكلمُ فيه بسبب مسألةِ اللفظ، وكان هو أيضًا يتكلم في أحمد، فتجنب الناس الأخذ عنه لهذا السبب. قال جعفر الطيالسي: قال يحي بن معين، وقيل له: إنَّ حسينًا الكرابيسي يتكلم في أحمد بن حنبل، قال: «ما أحوجه أن يضرب» أهـ.
٤- شرف أصحاب الحديث (ص٢٩).
٥- جامع بيان العلم (٢/١٠٥٤)، و «إعلام الموقعين» (٢/٢٠٠) والمثبت منه، وفي «فتح المغيث» (١/١٤٧): «لا تكاد ترى أحدًا ينظرُ في الرأي إلا وفي قلبه دغل».
٦- تلبيس إبليس (ص٧٥)، و «الانتصار لأصحاب الحديث» للسمعاني (ص٩).



كتاب الله أو حديث عن رسول الله ﷺ، أو عن أصحابه، أو عن التابعين، فأمَّا غيرُ ذلك فالكلام فيه غير محمود»(١).

وقال: «لا تجالس أصحاب الكلام، وإنْ ذبوا عن السنَّة».

قال الحافظ الذهبي عقب الأثرِ: «ذم الكلام وتعلمه قد جاء من طرقٍ كثيرة عن الإمام أحمد، وغيره»(٢).

وقال الحسن بن ثواب المخرمي (ت ٢٦٨هـ): قلت لأحمد بن حنبل: ابن أبي داؤد، قال: «كافر بالله العظيم»(٣).

وقال: «كان المريسي صاحب خطب، وليس صاحب حجج»(٤).

١- الحجة في بيان المحجة (١/٢٢٤- ٢٢٥).
٢- تاريخ الإسلام (٥/١٠٢٤)، و«المقصد الأرشد» (٣/١١).
٣- الحجة في بيان المحجة (٤/٣٤٦).
٤- السنة (٤/٣١٤)، قلت: وهذه هي الصفة الغالبة على أهل البدع خلوهم من العلم وحرمانهم من الفهم، وتركهم للعمل، **ومن تأمل في نصوص السلف في التحذير من كلام أهل البدع، وبيان أحوالهم؛ علم يقينًا وتبين له الأمر جليًا، أنَّهم أصغار جهال، ومن ذلك:**
[١] ما أخرجه البخاري في «خلق الأفعال» (ص٦٧٧)، وذكره الشاطبي في «الاعتصام» (٢/٥٢) أنَّ المعتزلة ادعوا أن فعل الله مخلوق، وأنَّ أفعال العباد غير مخلوقة وهذا خلاف علم المسلمين إلا من تعلق من البصريين بكلام سنسويه، كان مجوسيًا فادعى الإسلام، فقال الحسن: «أهلكتهم العجمة».
[٢] ومثله ابن أبي دؤاد كما ستجده في الكتاب، ومن ذلك: قول الإمام له: هل معك في هذا كتاب أو سنَّة؟ فقال: وأنت لا تقول إلا بما في الكتاب والسنة!!؟.
فقلت له: «وهل يقوم الإسلام إلا بالكتابِ السنة؟ اخترعت رأيًا، وتأوَّلته تأويلًا تدعو إليه الناس». كما في «المحنة» لحنبل (ص١٠٥)، و«المحنة» لصالح (ص١٥١)، و«الفتاوى الكبرى» (٨/٢٩).
[٣] وقال عبد العزيز بن أبي سلمة: «إنَّ كلام جهم صفةٌ بلا معنى، وبناءٌ بلا أساس، ولم يعد قط من أهل العلم». ولقد سئل جهم عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها فقال: عليها العدة. فخالف كتاب الله بجهله، وقال الله سبحانه: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩]. كما في «خلق أفعال العباد» (ص٥٢٠)، وعزاه المحقق «للتسعينية» لابن تيمية (١/٢٤٤)، و «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٤/١٣٩٩).
[٤] وقال حرملة سمعت الشافعي يقول: «ما جهل النَّاس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطاطيس» كما في «صون المنطق» (ص٤٨) ط: مجمع البحوث الإسلامي.
[٥] وقال أيوب السختياني رحمه الله: «عامة من تزندق بالعراق لقلة علمهم بالعربية» كتاب «الزينة» لأبي

حاتم (٨٦)، و«خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول» لأبي شامة (ص٦٣).

[٦] وقال ابن خزيمة في معرض الكلام على رؤية الله تعالى: «فاسمعوا الآن خبرًا ثابتًا صحيحًا من جهة النقل يدل على أنَّ المؤمنين يرون خالقهم- جل ثناؤه- بعد الموت، وأنهَّم لا يرونه قبل الممات، ولو كان معنى قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣] على ما تتوهمه الجهمية المعطلة الذين يجهلون لغة العرب، فلا يفرقون بيَن النظر وبين الإدراك، لكان معنى قوله، ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ أي: أبصار أهل الدنيا قبل الممات» «كتاب التوحيد» (ص١٩٢) ط: دار الحديث.

[٧] ولما قال المبتدعةُ للمعتصم: يا أمير المؤمنين، سلهُ عن القرآن: أشيءً هو أو غير شيء؟

قال: فقال لي المعتصم: يا أحمد، أجبهم.

قال: فقلت: «يا أمير المؤمنين، إنَّ هؤلاء لا علم لهم بالقرآن، ولا بالنَّاسخِ والمنسوخِ، ولا بالعام والخاصِ....» كما في «السنَّة» للخلال (٢٤٦/٢) ط: دار اللؤلؤة وبنحوه في «المحنة» لصالح (ص ١٤٢).

[٨] وقال الأصمعي: «جلست إلى أبي عمرو عشر حجج، ما سمعته يحتج ببيت إسلامي» كما في «البيان والتبيين» (٢٦١/١).

[٩] ومنهم المعصتم الذي كان يمتحن الإمام أحمد ﵀ فهو كما ذكر ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٩٤/٥): وكان في أول أمره من جملة الكتاب، وكان أحمد بن عمار بن شاذي البصري وزير المعتصم، فورد على المعتصم كتاب من بعض العمال فقرأه الوزير عليه، وكان في الكتاب ذكر الكلأ، فقال له المعتصم: ما الكلأ؟ فقال: لا أعلم، وكان قليل المعرفة بالأدب، فقال المعتصم: «خليفة أمي ووزير عامي!» وكان المعتصم ضعيف الكتابة. وبهذا غنية وكفاية لمن أراد العلم وطلب الهداية، والله الموفق للصواب، والمعين على الرشادِ.

فإن قيل: أن بعضًا من أهل البدع كانوا من أهل العلم.

فالجواب: إنَّ العلم الشرعي الذي يقصد ويراد به في الحقيقةِ هو العلم النافع، وقد كتب غير واحد في ذلك كالحافظ ابن رجب في «فضل علم السلف على الخلف»، ومن هذا القبيل قول الذهبي عن النَّظام المعتزلي: «ولم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم، وقد كفره جماعة» كما في «السير» (٥٤٢/١٠)، وانظر غير مأمورٍ: كتابي (احترام العلماء وتوقيرهم) فقد ذكرت فيه ذلك، ونقلت فوائد في كتاب (أسماء أهل التعالم وألقابهم).

وأختم الحديث: بما ذكره الشيخ محمد مطر الزهراني ﵀ في كتابه «موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديمًا وحديثًا» (ص١٣- ١٤)، و«تدوين السنة نشأته وتطوره» (ص٤٣-٤٤)، وحررته في كتابي (قواعد وعلامات في معرفة أهل البدع والتعامل معهم) يسر الله تمامه وطبعه، والمتأمل لتاريخ تلك الطوائف والفرق الضالة التي نشأت بين المسلمين يجد أن طائفة من رؤسائها ينتمون إلى تلك الطوائف والأديان التي كانت قبل الإسلام مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية، والصابئة وغيرها من الأديان والفلسفات التي سحقها الإسلام وحرر منها العباد، **وهذه أمثلة على ذلك**:

١- عبد الله بن سبأ اليهودي الصنعاني، وأمره متواتر ومشهور في التاريخ، وهو أس ورأس الفتن التي حدثت في صدر الإسلام وما بعد ذلك.

٢- بشر بن غيَّاث المريسي، كان يهودياً ثم صار بعد إظهاره الإسلام رأساً في الزندقة.



وقال في خطبة كتابه «الرد على الجهمية»[1]: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه؟ وكم من ضال تائه قد هدوه؟ فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم يختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين»[2].

٣- عبد الله بن المقفَّع، كان مجوسياً وكتبه شاهدة على مجوسيته، اتهم بالزندقة فقتله والي البصرة سفيان بن معاوية المهلبي.

٤- إبراهيم بن سيار النَّظَّام، كان برهمياً، ذكر الذهبي عن بعض السلف أنه قال: كان النظام يخفي برهميته بالاعتزال ليفسد دين الإسلام.

٥- سوسن النصراني، الذي أخذ عنه معبد الجهني القدري مقالته- في القدر، وقد تظاهر سوسن بالإسلام ثم عاد إلى نصرانيته.

٦- الجهم بن صفوان، رأس كل الضلالات وأُسُّ كل البليات، وحسبنا أن نعلم أن هذا الرجل الذي كان من شواذ المبتدعة في مطلع القرن الثاني الهجري قد ترك من الأثر في الفرق الإسلامية الثنتين وسبعين مالا يعادله أثر أحد غيره، حتى أن الشيعة والخوارج والقدرية كلها قد تأثرت به في قليل أو كثير ولاسيما في صفات الله تعالى».

١- شكك بعضهم في نسبة الكتاب للإمام أحمد فانبرى له الأخ الشيخ ناصر بن عبد الله آل المتعب وفقه الله في كتاب له متعقبًا فيه الشكوك وسمَّاه «دفع الشكوك والأوهام عن نسبة كتاب الرد على الزنادقة والجهميَّة» وهو مطبوع بحمد اللهِ.

٢- انظر: كتاب الإمام أحمد «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٦)، وقد ذكر هذه الخطبة ابن قيم الجوزية في «رسالته إلى إخوانه» (ص٢٥)، وهو في «طبقات الحنابلة» في رسالة الإمام أحمد لمسدد بن مسرهد رحمه الله في وصية الإمام له رحمهما الله (٣٤٢/١) وذكره شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» في ذكر (تقسيم البدعة إلى حسنة ومذمومة)، وذكره الذهبي في «العرش» (١٢/١)، وابن مفلح بنحوه في «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (٢٠٩/١)، وقد شرحت هذا المقدمة بحمد الله في كتاب لطيف

وقال في قول النبي ﷺ: «إنَّ الله ينزل إلى السماءِ الدنيا»، أو «إنَّ الله يُرى في القيامة»، وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها، ونصدق بها بلا كيف، ولا معنى، ولا نرد شيئًا منها، ونعلم أنَّ ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله ﷺ، ولا نصف الله بأكثر ممَّا وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كُنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ، وتثبيت القرآن[١].

المروذي: قلت لأبي عبد الله: من مات على الإسلام والسنة، مات على خير؟ فقال: «اسكت، بل مات على الخير كله»[٢].

وقال: «صحَّ من أصحاب النبي ﷺ أذنوا في قتل الساحر»[٣].

وقال: «منْ ضيق علم الرجل أن يقلِّد في اعتقاده رجلًا»[٤].

وله رسالة كتبها في العقيدة يبين فيها لمسدد بن مسرهد أصول الدين، واعتقاد أهل السنة والجماعة، وقد تركت ذكرها خشية الإطالة، والله الموفق المعين[٥].

ولنختم بوصيته المشهورة الطويلة، ونذكر منها، قال الإمام: «أصولُ السنَّة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك

وسميته: «الكلم المسدد في شرح أثر الإمام أحمد وبيان أصول أهل البدع» وهو جاهز للنشر أعان الله على ذلك.

١- لمعة الاعتقاد (ص٦- ٧) ط: وزارة الشؤون الإسلامية.

٢- السير (١١/٢٩٦)، وبنحوه في «المناقب» (ص٢٤٨).

٣- تفسير ابن كثير (١١/٢٩٦).

٤- تلبيس إبليس (ص١٠١).

٥- انظر المناقب (ص٢٢٥- ٢٤٢)، و«المقصد الأرشد» (١/٣٦٥).



البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنَّما هي الاتباع وترك الهوى»[١].

١- شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٣١١/١)، و«مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة» (ص٦٥- ٦٦).







تواضعه وميله للخمول وكراهيته للشهرة والظهور

وكان الإمام قدوةً يحتذى به في التواضع والخمول، وفي كراهيته للشهرة وحب الظهور، لقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ أعجوبة في هذا الشأن! وقد رزقه الله من المقام العالي والصيت الذائع ما لم يصله سلطان قوي أو رجل ثري، ومع ذلك فإنَّه زهد في الشهرة في حين نجد غيره يسعى لطلبها ونيلها؛ وذلك إمَّا بالوسائل المشروعة أو الممنوعة[1]. كان رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه «يجتهد على أنْ لا يذكر، وأبى الله إلا أن يشهره ويقرن الإمامة باسمه على ألسنة الخلق شاؤوا أو أبَوْا، وكان في زمانه من يعطي الأموال لمن ينادي باسمه في الأسواق ليشتهر، فما ذكر بعد ذلك ولا عرف»[2].

وقال أبو داود: «كانت مجالسُ أحمد مجالس الآخرة، لا يذكر فيها شيءٌ من أمر الدنيا، وما رأيتُ أحمد بن حنبل ذكَرَ الدُّنيا قط»[3].

وكان يلتقط السنبل مع المساكين[4]. ولما اشتهر ذكره، اشتد غمَّه وحزنه، وكثر لزومه لمنزله، وقلَّ خروجُه في الجنائز وغيرها، خشية اجتماع النَّاس عليه!

وكان إذا مشي معه أحد من أقاربه يعرفه النَّاس، أبعده عنه لئلا يعرف به، وكان لا يدع أحدًا يمشي معه في الطريق ولا يتبعه، فإنْ تبعه أحد وقف حتى ينصرف الَّذِي معه.

١- ذكر القفطي عن ابن البناء أنَّه قال: هل ذكرني الخطيب في (تاريخ بغداد) في الثقات أو مع الكذابين؟

قيل: ما ذكرك أصلًا.

فقال: «ليته ذكرني ولو مع الكذابين» كما في «السير» (٣٨١/١٨).

٢- انظر: إنَّ أغبط أوليائي من مجموع رسائل ابن رجب (٤٣٣/٤) بتصرف.

٣- البداية والنهاية (٣٨٩/١٤).

٤- نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس (٨٥/٢).

وقال بعضهم: «فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر، ولا يصبر عَلَى فتنة السراء إلا صديق».

ولما ابتلي الإمام رحمه الله بفتنة الضراء صبر ولم يجزع، وقال: «كانت زيادة في إيماني» فلمَّا ابتلي بفتنة السراء جزع، وتمنّى الموت صباحًا ومساءً، وخَشي أن يكون نقصًا في دينه[١].

وكان رضي الله عنه ورحمه الله شيخًا وقورًا كثير التواضع يحب الفقراء، لم ير الفقير نفسه أعز منه في مجلس الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه. وكان حسن الخلق، دائم البشر، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، يحب في الله ويبغض في الله، وإذا أحب رجلًا أحب له ما يحب لنفسه، ويكره ما يكره لنفسه.

وقال يزيد المنادي: كان الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل من أحيا الناس وأكرمهم نفسا، وأحسنهم عشرةً وأدبًا، كثير الإطراق والغض، معرضًا عن القبيح واللغو، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث والرِّجال والطرق وذكر الصالحين والزهاد، في وقارٍ وسكون ولفظ حسن. وإذا لقيه إنسان سُرَّ به وأقبل عليه، وكان يتواضع تواضعًا شديدًا، وكانوا يكرمونه ويعظمونه ويحبونه[٢].

وقال صالح: وكان رسول المتوكل يأتي أبي يبلغه السلَام، ويسأله عن حاله، فنُسَرُّ نحن بذلك، فتأخذه نفضة حتى ندثره، ويقول: «واللهِ لو أنَّ نفسي في يدي لأرسلتها» ويضم أصابعه ثمَّ يفتحها.

وقال صالح: «ووجَّه رجل من الصِّين بكاغد صينيٍّ إلى جماعة من المحدثين، منهم

١- اختيار الأولى في شرح اختصام الملا الأعلى (١/١٤٤).
٢- غذاء الألباب (١/٣٠٣).



يحيى وغيره، ووجَّه بقمطرٍ[١] إلى أبي فردَّها»[٢].

وكان رحمه الله، يسأل عن أخلاق الورعين، فيقول: «أسأل الله ألا يمقتنا»[٣].

وقال له رجل: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، وقال له: «بل جزى الله الإسلام عني خيراً»[٤].

وكان يقول: «من أنا حتى تجيئون إليَّ؟ اذهبوا اكتبوا الحديث، وكان إذا سُئِل عن شيءٍ، يقول: سلوا العلماء».

وإذا سُئِل عن شيءٍ من الورعِ يقول: «أنا لا يحلُّ لي أن أتكلم في الورع، لو كان بشرٌ حياً تكلم في هذا»[٥].

وقال الحسن بن الليث: قيل لأحمد يجيئك بشر -يعنون ابن الحارث-، فقال: لا تُعنُّون الشيخ نحن أحق أن نذهب إليه.

قيل له: نَجيء به؟ قال: «لا! أكره أن يجيءَ إليَّ أو أذهب إليه، فيتصنع لي أو يتصنع له، فنهلك»[٦].

وقال لعبد الوهاب: «أخمل ذكرك، فإنِّي أنا قد بليتُ بالشهرة»[٧].

وقال محمد بن الفضل: وضع أحمد بن حنبل عندي نفقته، فكان يجيء في كل يوم فيأخذ منه حاجته، فقلت له يومًا: يا أبا عبد الله بلغني أنَّك من العرب،

١- القمطر: ما يصان به الكتب «تاج العروس».
٢- المحنة لصالح (ص١٣٦).
٣- المستدرك من كتاب المحنة لصالح (ص٢٢٤).
٤- الطبقات (١/ ٢٩٨)، و«المناقب» (ص٣٦٨).
٥- الحكم الجديرة بالإذاعة (١/٢٣٢)، وهو بشر الحافي.
٦- بحر الدم (١/٩٩).
٧- الآداب الشرعية (٢/٢٧) بلي بها وأعين عليها، وغيره بلي بها ووكل إليها نسأل الله السلامة والعافية.

فقال: «يا أبا النعمان نحن قوم مساكين»[١]، فلم يزل يدافعني حتى خرج ولم يقل لي شيئًا![٢].

وقال صالح: رأى أبي هذا النَّسب في كتاب لي، فقال لي: «وما تصنع بهذا» ولم ينكر النسب[٣].

وقال: «أريدُ أن أكونَ في شعبٍ بمكة حتى لا أعرف، قد بليت بالشهرة، إنِّي أتمنى الموت صباحًا ومساءً»[٤].

قال الحافظ الذهبي (ت ٧٨٤هـ): «ترك الإمام أحمد التحديث لله؛ لما للنفس فيه من الحظ، فملأ الله البلاد بحديثه، وعاش ولده، وروى عنه شيئًا كثيرًا إلى الغاية، ونفع الله به العلماء والفقهاء والمحدثين فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع»[٥].

وقال ابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١هـ): «وكان بها إمام أهل السُنَّة على الإطلاق: أحمد بن حنبل، الذي ملأ الأرض علمًا وحديثًا وسُنة، حتى إنَّ أئمة الحديث والسنة بعده هم أتباعُه إلى يوم القيامة، وكان رضي الله عنه شديدَ الكراهةِ لتصنيف الكتُب، وكان يحب تجريد الحديث، ويكره أن يُكتب كلامُه، ويشتد عليه جدًّا،

١- قلت: وهذا قريب مما جاء في «ترتيب المدارك» (٤/٤٥). في ذكر الإمام سحنون، وفيه: قال محمد ابنه: قلت: يا أبت أنحن صليبة من تنوخ؟ فقال لي: وما تحتاج إلى ذلك. فلم أزل به، حتى قال لي: «نعم. وما يغني عنك ذلك من الله شيئاً، إنْ لم تتقهِ»، وانظر: سير السلف الصالحين (ص٩٧٦).

٢- تاريخ دمشق (٥/٢٥٨).

٣- المجموع من مرويات أبي الفضل صالح (ص٢٣٨)، وعزاه في الحواشي لـ «كامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي (١/٢١٢).

٤- المصدر السابق، فقد روى الامام أحمد (٢/ ٤٣) وابن ماجه في «سننه» (٤٠٣٢)، والترمذي في «سننه» (٢٥٠٧) بسندٍ قوي من حديث ابن عمر مرفوعًا «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم».

٥- تاريخ الإسلام (٦/٩٠٩) ط: دار الغرب.



فعلم الله حُسْنَ نيته وقَصْده، فكتب من كلامه وفتْواه أكثر من ثلاثين سفرًا، ومَنَّ الله سبحانه علينا بأكثرها؛ فلم يَفُتْنَا منها إلا القليل»[١].

لقد كان الإمام أحمد زاهدًا فيما يصعب على غيره أن يزهد فيه، إنَّه الزهد في الرئاسة، تلك التي يمتحن بها البعض فيسقط في مستنقعها ويصبح من دعاتها والمنادين لها، ولهذا جاء عن السلف الحديث عن الزهد بالرئاسة، والتأكيد عليه، وأنَّ ذلك صعب وعسر إلا على من يسره الله عليها، كما قال أبو عبد الله الجشمي: قال سفيان الثوري رحمه الله: «ما رأيتُ الزهد في شيءٍ أقل منه في الرياسة»[٢].

وبنحوهِ، عن يوسف بن أسباط، قال: سمعت سفيان الثوري، يقول: «ما رأيت الزاهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإذا نوزع في الرياسة حامى عليها وعادى»[٣].

وأتاه أبو إبراهيم الزهري يسلم عليه، فلمَّا رآه الإمام أحمد وثب إليه، فقام إليه قائمًا وأكرمه.

فلمَّا مضى قال له ابنه عبد الله: يا أبتِ، أبو إبراهيم شاب تعمل به هذا العمل، وتقوم إليه!

فقال: يا بني لا تعارضني في مثل هذا، ألا أقوم إلى ابن عبد الرحمن بن عوف؟[٤].

١- إعلام الموقعين (٤٩/٢).

٢- العزلة والانفراد (١٧٠).

٣- حلية الأولياء (٣٩/٧).

٤- انظر: الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزيَّة من أهل الإسلام للنووي (ص٤٨-٤٩). وأبو إبراهيم هذا اسمه: أحمد بن سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.
وقال الذهبي في «السير» (١١٨/١٣): «وإنَّما احترمه الإمام أحمد لشرفه ونسبه، ولتقواه وفضله، فمن جمع العمل والعلم، فناهيك به!».

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: دخلت على أحمد بن حنبل أسلم عليه، فمددت يدي إليه فصافحني. فلمَّا خرجت قال: «ما أحسن أدب هذا الفتى! لو انكب علينا كنَّا نحتاج أن نقوم»[١].

وقال أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، أن أحمد بن حنبل قال لولديه: اكتبا مَنْ سَلّم علينا ممَّن حَج، فإذا قدم سَلمنا عليه.

قال ابن عقيل (ت ٥١٣هـ): «هذا محمول منه على صيانةِ العلم لا على الكِبر»[٢].

وروى البيهقي أنَّ رجلاً جاء إلى الإمام أحمد فقال: إنَّ أمي زَمِنَةٌ مقعدة منذ عشرين سنة، وقد بعثتني إليك لتدعو الله لها، فكأنَّه غضب من ذلك، وقال: نحن أحوج أن تدعو هي لنا. ثمَّ دعا الله ﷻ لها. فرجع الرجل إلى أمه فدق الباب فخرجت إليه على رجليها، وقالت: «قد وهبني الله العافية»[٣].

وقال الميموني: كثيرًا ما كنت أسأل أبا عبد الله عن الشيء، فيقول: «لبيك لبيك»[٤].

١- الآداب لابن مفلح (٢/٢٥٧)، وهو في «الطبقات» (١/٩٢).

٢- المناقب (ص٢٧٩)، قلت: شبيه هذا قول يحيى بن معين: «من أراد الخروج إلى مكان فجاءنا فسلم علينا فإذا قدم وجب علينا أن نذهب فنسلم عليه وإلا فالطرقات بيننا وبينه» كما في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/٢٣٩). والشاهد تواضعهم وهم منْ في العلم والفضل؟ وما أعلى رتبتهم، وأجلَّ مكانتهم، ومع ذلك يقومون برد المعروف لأهله، واليوم دخل على البعض العجب والكبر، والله المستعان!

٣- انظر: البداية والنهاية (١٤/٣٩٣) وذكر القصة ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٩٨) في باب: «ذكر كراماته وإجابة سُؤاله».

٤- السير (١١/٢١٨)، قلت: وفي سيرة الأوزاعي رحمه الله شيءٌ شبيهٌ بهذا، كما قال أبو إسحاق الفزاري: ما رأيت أحدًا أشد تواضعًا من الأوزاعي، ولا أرحم بالناس منه، وإن كان الرجل ليناديه فيقول: «لبّيك» ملخص مسند يعقوب بن شيبة (ص٧٣).



وما ذكرناه في تواضعه وما كان عليه، فحق أنْ يقال فيه، إنَّما هو: «علالة من بلالة، وسلالة من زلالة، ونغبة من دأماء، وتربة من يهماء»[1].

١- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (١/٩). و(علالة): البقية من الشيء. و(السلالة): الخلاصة.
و(الزلال): الصافي من الشيء. (النغبة): الجرعة. (الدأماء): البحر. (اليهماء): الفلاة. قال في «تاج العروس» (١٢٢/٢٨) «بلالة ولا علالة: أي ما فيه بقية».





محنته

محنة الإمام أحمد محنةٌ تتصدع لها القلوب، وتنهمر لها العيون، ويضيق لها الصدر؛ بسبب غربة الدين[١]، وقلة النَّاصر والمعين إلا رحمة رب العالمين.

ولأهمية المحنة في تاريخ الأمة، وفي تاريخ الإمام أحمد إذ كان هو المتصدر للمشهد والصابر على البلاء، ألَّف فيها أهل العلم استقلالاً وتبعًا، فممَّن ألف فيها: حنبل بن إسحاق في كتاب (ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل)[٢]، وكذلك ابنه صالح (ت ٢٦٥هـ)[٣].

والحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله كذلك (ت ٦٠٠هـ)[٤].

وهي موجودةٌ في مناقب الإمام أحمد لأبي الفرج بن الجوزي البغدادي[٥]، وكذلك ذكرها الحافظ الذهبي في كتابه السير، وقد ترجم له ترجمة طويلة[٦]، وقد أفردتها والحمد لله، وهي من أوسع تراجم الكتاب.

وكذلك ترجم له الحافظ ابن كثير الدمشقي رحمه الله (ت ٧٧٤هـ) في «تاريخه»،

١- قال الإمام ابن المبارك: عن أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري: «استوصوا بأهل السنة خيرًا، فإنَّهم غرباء». كما في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧٠/١)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٧٣/٧).

٢- بتحقيق الدكتور محمد نغش أثابه الله.

٣- بتحقيق أبي جنة الحنبلي وفقه الله.

٤- بتحقيق الشيخ عبد الله التركي حفظه الله.

٥- المناقب (ص٤١٦- ٤٨٢)، قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في «المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل» (٣٢٣/١): «إنَّ أوفى الكتب المطبوعة منها على الإطلاق، كتاب ابن الجوزي (ت ٥٩٨ هـ) (مناقب الإمام أحمد بن حنبل)، فإنَّه رحمه الله استفرغ جُلَّ ما في الكتب المسندة في ترجمة أحمد، في نحو ستمائة (٦٠٠ صفحة)، فالمترجمون للإمام بعد ابن الجوزي عيال عليه».

وقال (٤٠٣/١): «وقد قام العالم الفاضل الشيخ: أحمد بن عبد الجواد الدومي بجهد متميز في كتابه: (أحمد بن حنبل بين محنة الدين، ومحنة الدنيا) فمن أراد أن يزداد يقينه، ويقوى إيمانه فليقرأ هذا الكتاب. غفر الله لمؤلفه ورحمه، آمين».

٦- السير للذهبي (٢٣٢/١١) وما بعد.

وقال: «باب ذكر ما جاء في محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل في أيام المأمون، ثمَّ المعتصم، ثمَّ الواثق بسبب القرآن العظيم»[١].

واعلم بأنَّ الامتحان بالبلاء وصنوفهِ من حكم الله في عبادهِ، وأشدُّ النَّاسِ فيه الأنبياء ثمَّ ورثتهم من العلماء. ومن تتبع سيرهم وطالع تراجمهم، وجد الكثير من هذا القبيل[٢]، وقد مرَّ بي نقولٌ للعلامة الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) في الحديثِ عن محن العلماء وأنَّها منح ربانية، وجوائز إلهية، فقال في كتابه: «أدب الطلب» ما نصُّه: «لقد تتبعت أحوال كثير من القائمين بالحق، المبلغين به كما أمر الله، المرشدين إلى الحق؛ فوجدتهم يُنالون من حسن الأحدوثة، وبعد الصيت، وقوة الشهرة، وانتشار العلم، ونفاق المؤلفات وطيرانها، وقبولها في النَّاسِ ما لا يبلغه غيرهم، ولا يناله من سواهم، وسأذكر لك هنا جماعة ممَّن اشتهرت مذاهبهم، وانتشرت أقوالهم، وطارت مصنفاتهم بعدهم، وما أصابهم من المحنة ما نالهم.

كإمام دار الهجرة مالك بن أنس فإنَّه بلي بخصومٍ، وعاداه ملوكٌ، فنشر الله مذهبه في الأقطار، واشتهر من أقواله ما ملأ الأنجاد والأغوار.

وكذلك الإمام أحمد بن حنبل فإنَّه وقع له من المحن التي هي منح ممَّا لا يخفى على من له اطلاع، فهي فِتْنَةٌ، ثمَّ مِحْنةٌ، ثم نصْرةٌ، وضرب الإمام بين يدي المعتصم العباسي ضربًا مبرحًا، وهموا بقتله مرةً بعد مرةً، وسجنوه في الأمكنة المظلمة، وكبَّلوه بالحديد، ونوعوا له أنواع العذابِ؛ فنشرَ الله من علومِهِ ما لا يحتاجُ إلى بيان، ولا يفتقر إلى إيضاحٍ، وكانت العاقبةُ له؛ فصارَ بعد ذلك إمام

١- البداية والنهاية (٣٩٣/١٤)، وهؤلاء الخلفاء الثلاثة، ثلاثتهم أمهاتهم: أم ولد.

٢- وقد شرعت في إفراد جزء بتراجمِ من امتحن من أهل الحديث خاصَّة (محن أصحاب الحديث وأهله)، والله المعين لتمامه ونشره.

الدنيا غير مدافع، ومرجعَ أهل العلم غير منازعٍ، ودوَّن النَّاسُ كلماته، وانتفعوا بها، وكان يتكلم بالكلمة فتطيرُ في الآفاق؛ فإذا تكلم بالكلمةِ في رجلٍ بجرحٍ تبعه النَّاسُ، وبطل علمُ المجروح، وإن تكلم في رجلٍ بتعديلٍ كان هو العدل الذي لا يحتاج بعد تعديله إلى غيره.... »[١].

قال الإمام الذهبي: «كان الناس أمة واحدة، ودينُهم قائمًا في خلافة أَبي بكر وعمر، فلما استُشهد قفَلَ بابَ الفتنة عمرُ رضي الله عنه، وانكسر الباب، قام رؤوس الشر على الشهيد عثمان حتى ذُبحَ صبرا، وتفرقت الكلمةُ وتمت وقعةُ الجمل، ثم وقعةُ صِفّين، فظهرت الخوارجُ، وكفَّرت سادةَ الصحابة، ثم ظهرت الروافض والنواصب.

وفي آخر زمن الصحابة ظهرت القَدَريَّةُ، ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة، والجهمية والمجسمة بخُراسان في أَثناء عصر التابعين مع ظهور السُنَّة وأَهلها، إلى بعد المئتين، فظهر المأمون الخليفة- وكان ذكيا متكلمًا، له نَظَر في المعقول- فاستجلب كتبَ الأَوائل، وعرَّب حِكمة اليونان، وقام في ذلك وقعد، وخب ووضع، ورفعت الجَهميةُ والمعتزلةُ رؤوسها، بل والشيعة، فإِنه كان كذلك، وآل به الحال إلى أن حمل الأمة على القول بخلق القرآن، وامتَحنَ العُلماءَ، فلم يُمْهَلْ، وهَلَكَ لِعامه، وخلَّى بعده شرًا وبلاءً في الدِّين، فإِن الأمة ما زالت على أَن القرآن العظيم كلام الله تعالى وحيُه تنزيلُه، لا يعرفون غيرَ ذلك، حتى نبغ لهم القولُ بأنَّ كلام الله مخلوق مجعول، وأَنه إِنما يضاف إلى الله تعالى إِضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، فأنكر ذلك العلماء ولم تكن الجهمية يظهرون في دولة المهدي والرشيد

١- (ص٩٤) وما بعد، ط: دار ابن حزم (ط: الثانية).

والأَمين، فلما وَلي المأمون، كان منهم، وأَظهر المقالة»[١].

ولا بدَّ أن نعلم بأنَّ الجدل حول هذا المواضيع بقي قرنًا كاملًا أو أكثر لم يتعدَّ أحدٌ فيه البحث والمناظرة والردَّ، ولم يتدخل أحد في هذه الشؤون؛ إلا من جاهر بالزندقة فكان الخليفةُ يأتي به ويعرض عليه التَّوبة، فإن تاب سلم، وإلَّا قتل. ولم يكن في الخلفاء من بني أمية وبني العباس خليفةٌ إلا على مذهب السلف ومنهاجهم، حتى إنَّ هارون الرشيد كان يقول: «بلغني أنَّ بشرًا المريسي زعم أن القرآن مخلوق، ولله عليّ إن أظفرني به لأقتلنّه قِتلةً ما قتلتُها أحدًا قطّ»[٢].

حتى جاء الخليفة المأمون الذي استحوذ عليه جماعةٌ من المعتزلة[٣]، فأزاغوه عن

١- سير أعلام النبلاء (١١/٢٣٦)، وانظر: المدخل المفصل (١/٣٧٤-٤٠٤).

٢- المناقب (ص٤١٦).

٣- وكان متولي كبرها ثلاثة نفر:

١- **أَحمد البدعة**، النافخ في كير هذه الفتنة، المشؤوم على هذه الأمة رئيس قضاة المأمون: أحمد بن أَبي دؤاد (ت٢٤٠ هـ).

٢- **خادمه في بغداد**: المصعبي: إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب الخزاعي (ت ٢٣٥ هـ)، صاحب الشرطة في بغداد، أيام المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل.

وكان المأمون يبعث له وهو في طرسوس سنة (٢١٨ هـ)، الكتاب يتلوه الكتاب حتى بلغت في هذا العام خمسة كتب.

٣- **صحفي الفتنة**: فرخ الاعتزال، تلميذ ثمامة بن الأشرس، والنظام: الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب البصري الكناني، مولاهم المعتزلي (ت ٢٥٥ هـ) وهو أوَّل من لقب بالجاحظ، ويلقب أيضًا بالحدقي.

كان ينشر المناظرة، ويروجها، ويلبس على أنظار الخاصة، والدهماء، وقد أهدى كتابه: «البيان والتبَّين» لابن ابي دؤاد، فأجازه عليه خمسة آلاف درهم، وأَخذ ينشر في الناس، مديحه لأَحمد البدعة، ومقادحه في أَحمد السنة. كما في «المدخل المفصل» (١/ ٣٧٩-٣٨٢).

والجاحظ كتب كتبًا لنصرة القول بخلق القرآن، وتعطيل الصفات؛ ككتاب «خلق القرآن»، و«الرد على المشبهة»؛ كتبها لابن أبي دؤاد، ولم يبقَ لهذه الكتب ذكر، وهُجرَت حتى فُقدَت كما في «المغربية شرح العقيدة القيروانية» (ص٦٧).

والجاحظ —مع أدبه وبلاغته- متَّهمًا بالزندقةِ، وقد ذمَّه تلميذُهُ ابن قتيبة ووصفه بأنَّه من أكذب الأمَّة، وأوضعهم لحديث، وأنصرهم لباطل كما في «تأويل مختلف الحديث» (ص ٥٩-٦٠)، وأنَّه لا يصلي ولا يصوم، وقال بعذر عوامِّ اليهود والنصارى والمجوس، وكفر بعض أقواله جماعة كالبلاقِلاني،

طريق الحق، ثمَّ جعلهم خاصته، وأخذ منهم علمهم وفلسفتهم، وعقائدهم، وكان منها فكرة خلق القرآن، وما زالوا به يزينون له إعلان ذلك على الملأ، حتَّى أعلن سنة اثنتي عشرة القول بخلق القرآن؛ مضافًا إلى تفضيل عليٍّ على أبي بكر وعمر، فأشمأزت النفوس منه، وكاد البلد يفتتن ولكنَّه بإعلانه هذا لم يلزم أحدًا فيما أعلنه، وترك الناس أحرارًا فيما يعتقدون إلى أن كانت سنة ثماني عشرة ومئتين، ثم من بعدها بدأت المحنة، وحمل علماء الأمة عليها، ولم يكن في الأمة من يقول بها[1]. ولكون الحديث فيها طويل وصنفت فيه التصانيف أترك التوسع فيه، **وأذكر نبذة مختارة مما حصل مع إمام أهل السنة رحمه الله وغفر له.**

(١) ـ وفي هذا يقول أبو جعفر الأنباري: لما حُمِلَ الإمام أحمد إلى المأمون، أخبرت، فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان، فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر، تعنيت.

فقلت: يا هذا، أنت اليوم رأس، والنَّاسُ يقتدون بك، فو الله لئن أجبت إلى خلق القرآن، ليجيبنَّ خلْقٌ، وإن أنت لم تجب، ليمتنعنَّ خلق من النَّاسِ كثير،

وابن قدامة كما في «الفصل» (١٤٨/٤)، و«روضة الناظر» (٣٥٠/١-٣٥١)، وانظر: «المغربية شرح العقيدة القيروانية» (ص٢٦٥)، ولزامًا انظر: «روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام» (٦٤٢/٢-٦٤٣).

١- انظر: أحمد بن حنبل (ص١٥٣- ١٥٤) ط: دار القلم بتصرف. وممَّا يؤكد على عدم القول بهذا البدعة المنكرة من قبل علماء أهل السنة والجماعة، ما رواه أبو الفرج في «المناقب» (ص٥٣٢- ٥٣٣) محمد بن أحمد بن عمر بن عيسى، قال: سمعتُ أبي يقول: ما رأيتُ مَجلساً يجتمع فيه المشايخ أنبل من مشايخ اجتمعوا في مَسجد جامع الكوفة في وقت الامتحان، فقُرِئَ عليهم الكِتاب الذي فيه المحنة، فقال أبو نُعيم: أدركتُ ثمان مئة شَيخ ونيفاً وسبعين شيخاً، منهم الأعمش فمَن دونه، فما رأيتُ خَلقاً يقول بهذه المقالة- يعني بخلق القرآن- ولا تكلم أحد بهذه المقالة إلا رُمي بالزَّندقة، فقام أحمد بن يونس فقبل رأسَ أبي نُعيم وقال: «جزاكَ الله عن الإسلام خَيراً».

ومع هذا فإنَّ الرجل إن لم يقتلك فإنَّك تموت، لابدَّ من الموت، فاتقِ الله ولا تجب.

فجعل أحمد يبكي، ويقول: «ما شاء الله»[١].

وقال: ما سمعت كلمة كانت أقوى لقلبي وَأَقَرَّ لعيني في المحنةِ من كلمةٍ سمعتها من فقيرٍ أعمى في رحبةِ طُرُقٍ، قال لي: «يا أحمد إن تهلك في الحق مِتَ شهيدًا، وإنْ عِشْت عِشْت حميدًا»[٢].

(٢) ـ وعن عبد الرحمن ابن محمد الحنفي قال: سمعت أبي يقول: كنت في الدار وقت أدخل أحمد بن حنبل وغيره من العلماء، فلما أن مد أحمد ليضرب بالسوط، دنا منه رجل وقال له: يا أبا عبد الله، أنا رسول خالد الحداد من الحبس يقول لك: «أثبت على ما أنت عليه، وإيَّاك أن تجزع من الضرب، واصبر فإنِّي ضربتُ ألفَ حدٍ في الشيطان، وأنت تضرب في الله»[٣].

(٣) ـ قال أبو بكر المروذي: لما حبسوا أحمد بن حنبل في السجن جاءه السجان، فقال: يا أبا عبد الله الحديث الذي روي في الظلمة وأعوانهم صحيح؟

قال: نعم.

قال السجان: فأنا من أعوان الظلمة؟

قال له: «أعوان الظلمة من يأخذ شعرك، ويغسل ثوبك، ويصلح طعامك، ويبيع ويشتري منك، فأمَّا أنت فمن أنفسهم»[٤].

١- السير (١١/٢٣٩)، وهو في «محنة الإمام أحمد» لعبد الغني المقدسي (ص٤٦- ٤٧).
٢- الآداب الشرعية (٢/٢٢).
٣- تهذيب الكمال (١/٤٦١)، و«تاريخ دمشق» (٥/٣١٣).
٤- سير السلف الصالحين (ص١٠٥٩)، و«المناقب» (ص٤٣١).

ضَرَبُوا ابْنَ حَنْبَلَ بِالسِّيَاطِ بِظُلْمِهِمْ ... لَعْنًا، فَثَبِّتَ بِالْبَيَانِ الْأَنْوَرِ

قَالَ الْمُوَفَّقُ حِينَ مَدَّدَ بَيْنَهُمْ ... مَدَّ الْأَدِيمِ عَلَى الصَّعِيدِ الْقَرْقَرِ

إِنِّي أَمُوتُ، وَلَا أَبُوءُ بِفَخْرِهِ ... بِصَلَا بَوَائِقِهَا مَحَلَّ الْمُفْتَرِي(١).

قال ميمون بن الأصبغ قال: كنت ببغداد، فسمعت ضجة، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أحمد بن حنبل يمتحن. فأتيت منزلي فأخذت مالا له خطر، فذهبت به إلى من يدخلني إلى المجلس، فأدخلوني، فإذا بالسيوف قد جردت، وبالرماح قد ركزت، وبالتراس قد نصبت، وبالسياط قد طرحت، فألبسوني قباء أسود ومنطقة وسيفًا، ووقفوني حيث أسمع الكلام، فأتى أمير المؤمنين فجلس على كرسي، وأتي بأحمد بن حنبل، فقال له: وقرابتي من رسول الله ﷺ لأضربنَّك بالسياط، أو تقول كما أقول، ثمَّ التفت إلى جلاد فقال: خذه إليك، فأخذه.

فلمَّا ضرب سوطًا، قال: بسم الله.

فلمَّا ضرب الثاني، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فلمَّا ضرب الثالث، قال: الكلام كلام الله غير مخلوق.

فلمَّا ضرب الرابع، قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] فضربه تسعة وعشرين سوطًا، وكانت تكةُ أحمد حاشية ثوب، فانقطعت، فنزل السراويل إلى عانته، فقلت: الساعة ينهتك، فرمى أحمد طرفه نحو السماء وحرك شفتيه، فما كان بأسرع من أن ارتقى السراويل ولم ينزل، قال ميمون: فدخلت إليه بعد سبعة أيام فقلت: يا أبا عبد الله رأيتك يوم ضربوك قد انحل سراويلك فرفعت طرفك نحو السماء، ورأيتك تحرك شفتيك فأي شيء

١- نسخة وكيع عن الأعمش (ص١٠١).

قلت؟ قال: قلت: «اللهم إنِّي أسألك باسمك الذي ملأت به العرش، إن كنت تعلم أنِّي على الصواب فلا تهتك لي سترًا»[١].

ضرب الإمام رحمه الله وجلد حتى غاب عقله وتقطع جلده وقيده وحبسه[٢].

قال صالح: قال أبي: «كان عقلي معي إلى ثمانيةٍ وثلاثين سوطًا، ثمَّ لم أدرِ أين كنت، ذهب عقلي»[٣].

أَقولُ لَها وَقَد طارَت شَعاعًا ... مِنَ الأَبطالِ وَيحَكِ لَن تُراعي

فَإِنَّكِ لَو سَأَلتِ بَقاءَ يَومٍ ... عَلى الأَجَلِ الَّذي لَكِ لَم تُطاعي

فَصَبرًا في مَجالِ المَوتِ صَبرًا ... فَما نَيلُ الخُلودِ بِمُستَطاعِ

وَلا ثَوبُ البَقاءِ بِثَوبِ عِزٍّ ... فَيُطوى عَن أَخي الخَنعِ اليُراعُ

سَبيلُ المَوتِ غايَةُ كُلِّ حَيٍّ ... فَداعِيَهُ لِأَهلِ الأَرضِ داعي

وَمَن لا يُعتَبَط يَسأَم وَيَهرَم ... وَتُسلِمهُ المَنونُ إِلى اِنقِطاعِ

وَما لِلمَرءِ خَيرٌ في حَياةٍ ... إِذا ما عُدَّ مِن سَقَطِ المَتاعِ

وقال أبو عمر بن حيويه، حدثنا عبد الله بن سليمان إملاء، حدثني أبي قال: «رأيت في المنام أيام المحنة كأنَّ رجلاً خرج من المقصورة من المسجد الجامع وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -قال أبو بكر: وعقد أبي ثلاثين-: «اقتدوا باللذين من بعدي؛ أحمد بن حنبل وفلان»، ونسيت اسم الثاني إلا أنَّه كان أيام قتل أحمد بن نصر»[٤].

١- المناقب (ص٤٤٧- ٤٤٨)، و«المحنة» (ص٧٣- ٧٦)، و«السير» (٢٥٤/١١- ٢٥٥)، وأعلَّها الذهبي بالنكارة.

٢- تاريخ ابن الوردي (٢١٢/١).

٣- المجموع من مرويات أبي الفضل (ص٢٤٥).

٤- الطيوريات (٧٥٣/٢- ٧٥٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٣٤٦/١١).

ولما أخذت أبا عبد الله السياط، قال: «بكَ أستغيثُ يا جبارَ السماءِ ويا جبارَ الأرض»[١].

قال صالح: فلمَّا ضجر -يعني المعتصم-، وطال المجلس، قال لي: عليك لعنةُ الله، لقد كنتُ طمِعتُ فيك، خذوه واسحبوه.

قال: فأخذت وسحبتُ ثمَّ خلعتُ.

ثمَّ قال: العقابين[٢] والسياط. فجيءَ بعاقبين والسياط.

قال أبي: وقد كان صار إليَّ شعرةٌ أو شعرتانِ من شعر النبي ﷺ، فصيرتهما في كُمِّ قميصي، فنظر إسحاق بن إبراهيم إلى الصرَّة في كمِّ قميصي، فوجَّه إليَّ: ما هذا مصرورٌ في كُمِّك؟

فقلت: شعر من شعر النَّبي ﷺ.

وسعى بعض القومِ إلى القميصِ ليخرقهُ في وقتِ ما أقمتُ بين العاقبين.

فقال لهم -يعني المعتصم-: لا تخرقوهُ انزِعوهُ عنه.

قال أبي: فظننتُ أنَّه درئَ عن القميصِ الخرقُ بسببِ الشَّعرِ الذي كان فيه.

ثمَّ صيرتُ بين العُقابين، وَشدَدْتُ يديَّ، وجيء بكرسيٍّ، فجلسَ عليهِ، وابن أبي دُوَاد قائمٌ على رأسه، والنَّاسُ أجمعون قيام، قال لي: إنسانٌ ممَّن شدني: خذ بأيِّ الخشبتين بيدكَ، وشُدَّ عليهما. فلم أفهم ما قال، فتخالعت يدي لما شُدَّتْ ولمْ أمسك بالخشبتين.

قال أبو الفضل: ولم يزل أبي -رحمه الله عليه- يتوجَّعُ منهما إلى أنْ توفي.

ثمَّ قال للجلادين: تقدموا. فنظر إلى السياطِ، فقال: ائتوا بغيرها.

١- المناقب (ص٤٥٠).

٢- العُقابَان: خشبتان يشبح الرجل بينهما للجلد «تاج العروس».

ثمَّ قال لهم: تقدَّموا.

فقال لأحدهم: ادنهُ، أوجعْ، قطع اللهُ يدك. فتقدم فضربني سوطين ثمَّ تنحى، ثمَّ قال للآخر: ادنه، أوجع، شُدَّ، قطع اللهُ يدك. ثمَّ تقدم فضربني سوطين، ثمَّ تنحى.

فلم يزل يدعو واحدًا بعد واحدٍ، يضربني سوطين ويتنحى، ثمَّ قام حتى جاءني -وهم محدقون به- فقال لي: ويحك يا أحمدُ، تقتل نفسك! ويحك، أجبني حتى أطلق عنك بيدي.

فجعل بعضُهم يقول لي: ويلك! إمامك على رأسك قائمٌ.

قال لي عُجيفٌ -فنخسني بقائمِ سيفهِ ويقول-: تريدُ أن تغلب هؤلاء كلَّهم!!

وجعل إسحاق بن إبراهيم يقول: ويحك! الخليفة على رأسك قائمٌ.

قال: ثمَّ يقولُ بعضهم: يا أميرَ المؤمنين، دمُهُ في عُنقي.

قال: ثمَّ رجع، فجلس على الكرسيِّ، ثمَّ قال للجلاد: ادنُهْ، شُدَّ، قطع الله يدك.

ثمَّ قام إليَّ الثانية، فجعل يقول: يا أحمدُ: أجبني.

فجعل عبد الرحمن بن إسحاق يقول: من صنع بنفسهِ من أصحابك في هذا الأمر ما صنعتَ؟! هذا يحيى بنُ معين، وهذا أبو خيثمة، وابن أبي إسرائيل.

وجعل يعدُّ عليَّ منْ أجابَ.

قال: وجعل هو يقولُ: ويحكَ، أجِبني.

قال: فجعلت أقولُ نحوَ ما كنتُ أقولُ لهم.

قال: فرجع، فجلسَ، ثمَّ جعل يقول للجلَّادِ: شُدَّ، قطع اللهُ يدكَ.

قال أبي: فذهب عقلي، فما عقلتُ إلَّا وأنا في حجرةٍ، مطلقٌ عنِّي الأقيادُ، فقال

لي إنسانٌ ممَّنْ حضرَ: إنَّا أكببناك على وجهك، وطرحنا على ظهرك باريةً[١] ودسناك.

قال أبي: فقلتُ: ما شعرتُ ذاك.

قال: فجاؤوني بسويقٍ، فقالوا: اشربْ. فقلت: لا أفطرُ!.

فجيء به إلى دارِ إسحاق بن إبراهيمَ.

قال أبي: فنودي بصلاة الظهرِ، فصلينا الظهر.

وقال ابن سماعة: صليتَ، والدَّمُ يسيل من ضربك؟!.

فقلت: به صلى عمر، وجرحُهُ يَثْعَبُ دمًا، فسكتَ.

ثمَّ خلي عنهُ. فصارَ إلى المنزل، ووجِّهَ الرَّجُلُ من السَّجنِ ممَّن يبصرُ الضربُ والجراحات يعالجُ منه، فنظر إليهِ، فقال: قال لنا: واللهِ، لقد رأيتُ منه ضرب السُيوط، ما رأيتُ ضربًا أشدَّ من هذا، لقدْ جُرَّ عليهِ من خلفِهِ ومن قدَّامهِ، ثم أدخل ميلًا[٢] في بعض تلك الجراحاتِ، فقال: لم ينفذُ. فجعل يأتيه فيعالجهُ. وقد كان أصابَ وجهَهُ غيرُ ضربةٍ، ثمَّ مكث يعالجهُ ما شاء اللهُ.

ثم قال له: إنَّ هذا شيءٌ أريد أن أقطعهُ. فجاء بحديدةْ، فجعل يعلق اللحم بها، ويقطعه بسكين معهُ، وهو صابرٌ بحمد الله لذلك، فبرأ منه

ولم يزل يتوجعُ من مواضع منه، وكان أثرُ الضربِ بيِّنًا في ظهرِهِ إلى أن توفي -رحمةُ الله عليه-[٣].

وقال أبو بكر محمد بن يوسف ابن الطباع: سمعت أبا عبد الله البينوني وكان

١- الباريَّة: الحصير الخشِن «المصباح المنير».
٢- الميل: (أداة يقاس بها قدر الجراحة وعمقه وغوره) «لسان العرب».
٣- المحنة لصالح (ص١٥٨-١٦٢).

يتعبد، يقول: قلت لبشر بن الحارث (ت ٢٢٧هـ): ألا صنعت كما صنع أحمد بن حنبل! فقال: «تريد مني مرتبة النبيين؟ لا يقوى بدني على هذا، حفظ الله أحمد من بين يديه ومن خلفه، ومن فوقه ومن أسفل منه، وعن يمينه وعن شماله»[١].

وقال بشر بن الحارث: «قام أحمد مقام الأنبياء، وأحمد عندنا امتحن بالسراء والضراء، فكان فيهما معتصما بالله»[٢].

وقال أبو عبد الله البوشنجي: «أحمد عندي أفضلُ من سفيان الثوري؛ لأنَّ سفيانَ لم يمتحن من الشدة والبلوى بمثل ما أمتحن به أحمد؛ ولا علم سفيان ومن تقدم من فقهاء الأمصار كعلم أحمد، لأنَّه كان أجمع لها، وأبصر بمتقنِيهم، وغالطِيهم، وصدوقِهِم، وكذوبهِم منه»[٣].

قال أبو بكر أحمد بن كامل في «تاريخه»: «ضرب المعتصم أحمد بن حنبل في المحنة في القرآن سنة سبع وعشرين ومائتين.

أدرك أحمد سبعة من الخلفاء، وطلبه المأمون فمات قبل أن يصل إليه، وضربه المعتصم، ومنعه الواثق من الخروج وجعل داره عليه حبساً، وأخرجه المتوكل رحمه الله، وخلع عليه وأكرمه، ورفع المحنة في القرآن»[٤].

وقيل له: يا أبا عبد الله، أولا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟

قال: «كلا، إنَّ ظهور الباطل على الحق أنْ تُنتقل القلوب من الهدى إلى

١- تهذيب الكمال (١/٤٥٥).
٢- السير (١١/٢٠٢).
٣- شرح علل الترمذي (١/٢١٣).
٤- منازل الأئمة الأربعة (ص٢٥٥).

الضلالة، وقلوبنا بعد لازمة للحق»[١].

ودخل أحمد بن داود الحداد على أبي عبد الله الحبس قبل الضرب، فقال له في بعض كلامه: يا أبا عبد الله عليك رجال، ولك صبيان، وأنت معذور؛ كأنَّه يسهل عليه الإجابة.

فقال له الإمام أحمد: «إنَّ كان هذا عقلك فقد استرحت»[٢].

وقال الحافظ تقي الدين بن الأخضر فيمن روى عن أحمد بن مروان قاضي تكريت قال: كتب رجل من إخوان أبي عبد الله أحمد بن حنبل إليه أيام المحنة:

هَذِي الْخُطُوبُ سَتَنْتَهِي يَا أَحْمَدُ ... فَإِذَا جَزِعْتَ مِنْ الْخُطُوبِ فَمَنْ لَهَا

الصَّبْرُ يَقْطَعُ مَا تَرَى فَاصْبِرْ لَهَا ... فَعَسَى بِهَا أَنْ تَنْجَلِي وَلَعَلَّهَا

فأجابه أحمد:

صَبَّرْتَنِي وَوَعَظْتَنِي فَأَنَا لَهَا ... فَسَتَنْجَلِي بَلْ لَا أَقُولُ لَعَلَّهَا

وَيَحُلُّهَا مَنْ كَانَ يَمْلِكُ عَقْدَهَا ... ثِقَةً بِهِ إِذْ كَانَ يَمْلِكُ حَلَّهَا[٣]

ورحم الله أبا الفرج إذ قال: «هذا رجلٌ هانَت عليه نفسه في الله تعالى فَبذلها، كما هانت على بلال نفسه. وقد رَوينا عن سعيد بن المسَيّب: أنه كانت نفسه عليه في الله تعالى، أهون من نَفس ذُباب. وإنَّما تهون أنفسهم عليهم لتلمّحهم العَواقب، فعيون البَصائر ناظرة إلى المآل لا إلى الحال، وشدة ابتِلاء أحمد دليلٌ على قُوة دينه؛ لأنه صَحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «يُبْتَلَى الرّجلُ على حَسَبِ

١- السير (١١/٢٣٨).
٢- الآداب لابن مفلح (٢/٢٢).
٣- المصدر نفسه (٢/٥٥).



دِينه» فَسبحان من أيّده وبَصَّره، وقوّاه ونَصَره[1].

ذَهَبَتْ دَوْلَةُ أَصْحَابِ الْبِدَعْ وَوَهَى حَبْلُهُمْ ثُمَّ انْقَطَعْ

وَتَدَاعَى بِانْصِرَافِ جَمْعِهِمْ حِزْبُ إِبْلِيسَ الَّذِي كَانَ جَمَعْ

هَلْ لَهُمْ يَا قَوْمِ فِي بِدْعَتِهِمْ مِنْ فَقِيهٍ أَوْ إِمَامٍ يُتَّبَعْ

مِثْلِ سُفْيَانَ أَخِي ثَوْرٍ الَّذِي عَلَّمَ النَّاسَ دُقَيْقَاتِ الْوَرَعْ

أَوْ سُلَيْمَانَ أَخِي التَّيْمِ الَّذِي تَرَكَ النَّوْمَ لِهَوْلِ الْمُطَّلَعْ

أَوْ فَتَى الْإِسْلَامِ أَعْنِي أَحْمَدَا ذَاكَ لَوْ قَارَعَهُ الْقُرَّاءُ قَرَعْ[2]

وفي قصيدةِ إسماعيل بن فلان الترمذي الذي أنشدها الإمام أحمد بن حنبل وهو في السجن في المحنة، يقول فيها:

إذَا مُيِّزَ الْأَشْيَاخُ يَوْمًا وَحَصَّلُوا فَأَحْمَدُ مِنْ بَيْنِ الْمَشَايِخِ جَوْهَرُ

فَيَا أَيُّهَا السَّاعِي لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ رُوَيْدَك عَنْ إدْرَاكِهِ سَتُقَصِّرُ

حَمَى نَفْسَهُ الدُّنْيَا وَقَدْ سَنَحَتْ لَهُ فَمَنْزِلُهُ إلَّا مِنْ الْقُوتِ مُقْفِرُ

فَإِنْ يَكُ فِي الدُّنْيَا مُقِلًّا فَإِنَّهُ مِنْ الْأَدَبِ الْمَحْمُودِ وَالْعِلْمِ مُكْثِرُ[3]

١- المناقب (ص٤٤٦).

٢- شرف أصحاب الحديث «الاستدلال على أهل السنة بحبهم أصحاب الحديث» (ص٩٦)، و«تنوير بصائر المقلدين» (٩/٣٥٨- ٣٥٩).

٣- الآداب الشرعية (٢/١٣).

تابع للمحنة بمنع الإمام من التحديث واعتزاله الناس

قال صالح: وقد كان إسحاق بن إبراهيم وجَّه إلى أبي: «الزم بيتك، ولا تخرج إلى جمعة ولا جماعةٍ، وإلا نزل بك ما نزل بك في أيامِ أبي إسحاق»[١].

مات المعتصم سنة (٢٢٧هـ)، ثمَّ تولى ابنه الواثق، وهو من أم وَلَدٍ كذلك، وكانت وفاته سنة (٢٣٢هـ)، ولم يُؤثر عنه أَنه أَلحق بالإمام أَحمد أذى، أو محنة في الفتنة؛ لأَنَّه علم مقام الإمام أَحمد من العامة والخاصة، فخشي ثورتهم عليه، ولأَنَّ ذلك يزيد أَحمد منزلة عند النَّاس ويزيد فكره ذيوعًا وانتشارًا، لكن لقاء تحريك ابن أَبي دؤاد لها، وتأليفه للخليفة ضد الإمام أَحمد، وتعاون قضاة السوء معه، وتخوفهم من الإمام أَحمد لما انبسط في التحديث، كتب الواثق كتابه إلى عاملهِ إِسحاق بن إِبراهيم، ينهى فيه الإمام أَحمد عن مساكنته وليذهب حيث شاء ... عندئِذٍ قطع أَحمد التحديث في آخر سنة (٢٢٧هـ) واختبأ بين داره، ودُور أَصدقائه، وما زال كذلك حتى هلك الواثق سنة (٢٣٢هـ) . وفي موت المعتصم، تم تَوَلِّي الواثق، قال دِعْبِل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦هـ):

خليفة مات لم يحزن له أَحد ... وآخر قام لم يفرح به أَحد

ثم أَجج هؤلاء المبتدعة الفتنة مُتَسَتِّرِيْنَ بالواثق، فاشتد على أَحمد البدعة، وأَذناب الفتنة، يتابعون علماء أهل السنة، ويمتحنونهم، فاشتد أمر المحنة على علماء أهل السنة، وألحقهم صُنُوْفَ الأذى[٢].

وهذا حفيد بقي عبد الرحمن بن أحمد: سمعت أبي يقول: «رحل أبي من مكة

١- المحنة (ص١٩٢).
٢- المدخل المفصل (٣٨٧/١).



إلى بغداد، وكان رجلًا بغيته ملاقاة أحمد بن حنبل.

قال: فلمَّا قربت بلغتني المحنة، وأنَّه ممنوع، فاغتممت غمًا شديدًا، فاحتللت بغداد، واكتريت بيتًا في فندق، ثمَّ أتيت الجامع وأنا أريدُ أن أجلس إلى النَّاسِ، فدفعت إلى حلقةٍ نبيلةٍ، فإذا برجل يتكلم في الرجال، فقيل لي: هذا يحيى بن معين.

ففرجت لي فرجة، فقمت إليه، فقلت: يا أبا زكريا: -رحمك الله - رجل غريب ناءٍ عن وطنهِ، يحب السؤال، فلا تستجفني.

فقال: قلْ.

فسألت عن بعض من لقيته، فبعضًا زكى، وبعضًا جرح، فسألته عن هشام بن عمار.

فقال لي: أبو الوليد، صاحب صلاة دمشق، ثقة، وفوق الثقة، لو كان تحت ردائه كبر، أو متقلدًا كبرًا، ما ضرَّه شيئًا لخيره وفضله، فصاح أصحاب الحلقة: يكفيك -رحمك الله- غيرك له سؤال.

فقلت: وأنا واقف على قدم: اكشف عن رجل واحد: أحمد بن حنبل، فنظر إليَّ كالمتعجب، فقال لي: ومثلنا، نحن نكشف عن أحمد؟! ذاك إمام المسلمين، وخيرهم وفاضلهم.

فخرجت أستدل على منزل أحمد بن حنبل، فدللت عليه، فقرعت بابه، فخرج إلي، فقلت: يا أبا عبد الله رجل غريب، نائي الدار، هذا أول دخولي هذا البلد، وأنا طالب حديث، ومقيد سنة، ولم تكن رحلتي إلا إليك.

فقال: ادخل الأصطوان ولا يقع عليك عين.

فدخلت، فقال لي: وأين موضعك؟

قلت: المغرب الأقصى.

فقال: إفريقية؟

قلت: أبعد من إفريقية، أجوز من بلدي البحر إلى إفريقية، بلدي الأندلس.

قال: إنَّ موضعك لبعيدٍ، وما كان شيء أحب إلي من أن أحسن عون مثلك، غير أنِّي ممتحن بما لعله قد بلغك.

فقلت: بلى، قد بلغني، وهذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم، فإنْ أذنت لي أن آتي كل يوم في زي السؤال، فأقولُ عند الباب ما يقوله السؤال، فتخرج إلى هذا الموضع، فلو لم تحدثني كل يوم إلا بحديث واحد، لكان لي فيه كفاية.

فقال لي: نعم، على شرط ألا تظهر في الخلق، ولا عند المحدثين.

فقلت: لك شرطك، فكنت آخذ عصًا بيدي، وألفُّ رأسي بخرقة مدنَّسة، وآتي بابه فأصيح: الأجر -رحمك الله- والسؤال هناك كذلك، فيخرج إلي، ويغلق، ويحدثني بالحديثين والثلاثة والأكثر، فالتزمت ذلك حتى مات الممتحن له، وولي بعده من كان على مذهب السنة، فظهر أحمد، وعلت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الإبل، فكان يعرف لي حق صبري، فكنت إذا أتيت حلقته فسح لي، ويقص على أصحاب الحديث قصتي معه، فكان يناولني الحديث مناولة[١]، ويقرؤه علي، وأقرؤه عليه، واعتللت في خلق معه»[٢].

١- والمناولة: أن يعطي الشيخ الطالب أصل سماعه، أو فرعًا مقابلًا به، ويقول له: (هذا سماعي عن فلان فاروه عني)، أو: (أجزت لك روايته عني)، ثم يبقيه معه ملكا له، أو يعيره إيَّاه لينسخه ويقابل به. أو يأتيه الطالب بكتاب من سماعه، فيتأمله، ثمَّ يقول: «ارو عني هذا». «الباعث الحثيث» (١٢٣- ١٢٤).

٢- السير (١٣/٢٩٣- ٢٩٤)، واستنكرها الذهبي.



تابع آخر للمحنة

وهذه مكيدة يديرها الحاقدون: بعد ثلاث سنين من إِخمادِ محنة القول بخلق القرآن، أشعل المفتونون، محنة ثانية للإمام أَحمد، من باب الكيد له، خلاصتها: أَنَّ المتوكل كان يكره العلويين، ومن يؤويهم، فأَعلن أخلاف السوء أنَّ الإمام أحمد: كان يؤوي علويًا من خراسان في داره، واستطاعوا بهذا تحريك المتوكل ضده سنة (٢٣٧ هـ) فبعث له المتوكل بواسطة واليه على بغداد، فريقًا من الرجال والنساء، فكبسوا عليه في داره ليلًا، يُفَتشُون عن وجود ذاك العلوي في داره، فخاب الفاتنون، وظهرت براءة أَحمد، فَفَرحَ المتوكل[١].

١- المدخل المفصل (١١/٤٠٠-٤٠١).



ملخص مفيد

بدأت الفتنة بعهد المأمون، وانتهت بموت الواثق، وكان ذروة المحنة في عهد المعتصم الذي أشرف على الاستجواب، وأمر بجلد الإمام أحمد بمشهد منه وقسوة وغير رأفة ولا إجلال للإمام رحمه الله.

ثمَّ تعرض الإمام لفتنة ثانية وأود الله شرها، وخيب الله أملَ فاعليها، وهي في زمن المتوكل، والتي سبق الحديث عنها.

ثمَّ تعرض الإمام أحمد بعد هذه المحنة لمنحة عظيمة، فقرنت الإمامة باسمه، وذاع صيته، وانتشر خبره في أرجاء البلاد، وكانت هذه محنة السراء التي كان الإمام يخاف فيها على نفسه، وسأل الله أن يتوفاه خشية أن يفتن بها، وكان الحال كذلك، فمات رحمه الله ولم يغير ولم يبدل، فكان إلى وقت وفاته الإمام الزاهد الورع، المتواضع اللطيف مع إخوانه والمسلمين، وصاحب الحجة على خصومه وأعدائه المخالفين، فلله دره وعلى الله أجره، وألحقنا الله بركبه ثابتين غير مبدلين، وأعاذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.



ذكر عاقبة بعض الظلمة الذين أذو الإمام رحمه الله

إنَّ العلماء هم أولياء الله، ومن تعرض لهم فقد آذنه الله بالمحاربة، ومن يتأمل في سيرة الإمام يجد بأنَّ كلَّ من ساهم في أذيتهِ، والوقيعة به، ابتلاه الله تعالى، ومن هؤلاء على سبيل الذكر. **ابن أبي داؤد**، فإنَّ المتوكّلَ رحمه الله حبسه فأصابه في حبسه الفالج، فبقي في جلده محبوسًا بالفالج إلى أنْ ماتَ[١].

وعن حنبل بن إسحاق، قال: حدَّثني عمران بن موسى، قال: «دخلتُ على **أبي العروقِ الجلَّاد** الذي ضرب أحمد لأنظر إليه، فمكثَ خمسةً وأربعين يومًا يَنبحُ كما يَنبحُ الكلبُ»[٢].

وقال أبو بكر الشهرزوري: «رأيت **أبا ذر بسهرورد**، وقد قدم مع واليها وكان مقطعاً بالبرص[٣]. وكان ممَّن ضرب أحمد بن حنبل بين يدي المعتصم. قال: «دعينا في تلك الليلة ونحن خمسون ومئة جلاد فلمَّا أمرنا بضربه كنا نغدو حتى نضربه، ثمَّ نمر، ثمَّ يجيء الآخر على أثره، ثمَّ يضرب»[٤].

أضحى ابْن حَنْبَل محنة مَأْمُونَة   وبحبِ أَحْمَد يعرفُ المتنسكُ

وَإِذا رَأَيْتَ لأَحْمَد متنقصًا   فَاعْلَم بِأَنَّ سُتورهُ سَتُهتكُ[٥]

١- الفرق بين الفِرق (ص١٥٩). وانظر: «المقفى الكبير» للمقريزي (١/٥٠٣- ٥٠٥)، وقيل: كان يقول: «أصابتني دعوة ابن حنبل».

٢- مناقب الإمام أحمد (ص٦٤٥- ٦٥٥).

٣- لعلَّ الله أبتلاه بسبب ظلمه للإمام أحمد رحمه الله، والله أعلم.

٤- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣/٢٥١).

٥- طبقات الشافعية (٢/٣٣)، وهو في «تاريخ بغداد» (٦/٩٠).





جماعة لم يجيبوا في المحنة[1].

ثبت جماعة من العلماء في المحنةِ وصبَّرهم الله، فمنهم من سجن، ومنهم من عذب، ومنهم من هرب واعتزل، ومنهم من قُطِع عنه المال الذي كان يحصل به قوته وقوتَ عيالهِ، وغير ذلك من أنواع المحن التي سار المبتدعة يحرضون أصحاب السلطان في رد علماء أهل السنة عن الحق والصواب، والله حسيبهم، ويوم القيامة الموعد.

قال أبو الحُسين بن المنادي: «وممن لم يُجب: أبو نُعيم الفَضل بن دُكَيْن، وعَفّان، والبُوَيْطي، وإسماعيل بن أبي أويس، وأبو مُصعب المدنيان، ويَحيى الحِمّاني».

وقال أبو العباس بن سعيد المَرْوَزي: «لم يَصبر في المِحنة إلا أربعة: أحمد بن حنبل، وأحمد ابن نَصر، ومُحمد بن نوح، ونُعَيم بن حَمّاد»[2].

قال صالح: «ثمَّ امتحن القوم، فوجّه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القومُ جميعًا غير أربعةٍ: أبي رحمه الله، ومحمد نوح، وعبيد الله بن عمر القواريري، والحسن بن حمادة السَّجَّادةِ»[3].

قال السخاوي: **عفان-بن مسلم الصفار-** أحد الحفاظ الأثبات من شيوخ البخاري أيضًا، فقد قال حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبد الله، يعني الإمام أحمد، يقول: شيخان كان النَّاسُ يتكلمون فيهما ويذكرونهما، وكنَّا نلقى من الناس في أمرهما ما الله به عليم، قاما لله بأمر لم يقم به أحد أو كبير أحد مثل

١- انظر: كتاب «المحنة وأثرها في منهج الإمام أحمد النقدي» وقد استفدت منه جزى الله مؤلفه خيرًا.
٢- المناقب (ص٥٣١).
٣- المحنة (ص١٤٣).

ما قاما به: عفان (ت ٢٢٠هـ) **وأبو نعيم (ت ٢١٨ أو ٢١٩هـ)**[١]، يعني قيامهما بعدم الإجابة في المحنة، وبكلام النَّاس من أجل أنَّهما كانا يأخذان على التحديث[٢].

ووصف أحمد مع هذا عفان بالتثبت[٣]، وقيل له: مَنْ تابع عفان على كذا؟ فقال: وعفان يحتاج إلى أن يتابعه أحد؟! وأبا نعيم بالحجة الثبت[٤]. وقال عن أبي نعيم: «يزاحم به ابن عيينة»[٥].

وقال: «إنَّما رفع الله عفان، وأبا نعيم بالصدق»[٦].

وقال: «إذا مات أبو نعيم، صار كتابهُ إمامًا إذا اختلف الناس في شيءٍ فزعوا إليه»[٧].

محمد بن نوح العجلي (ت ٢١٨هـ). قال الخطيب: كان المأمون كتب وهو بالرقة إلى إسحاق بن إبراهيم صاحب الشرطة ببغداد بحمل أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح إليه، بسبب المحنة، فاخرجا من بغداد على بعير متزاملين، ثمَّ أنَّ

١- الفضل بن دكين .
٢- تاريخ بغداد (١٤٩/١٠)، و«تهذيب التهذيب» (٢٧٤/٨- ٢٧٥).
٣- حيث قال: «عفان وحبان وبهز هؤلاء المتثبتون».
٤- فتح المغيث (٢٥٦/٢- ٢٥٧)، و«الميزان» للذهبي (٨٢/٣).
٥- تاريخ بغداد (٣٠٧/١٤).
٦- تهذيب الكمال (٢٠٧/٢٣)، وفي «تهذيب الكمال» أيضًا (٢١٤/٢٣- ٢١٥)، قال أحمد بن سلمان النجاد، عن محمد بن يونس الكديمي: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة يقول: لما جاءت المحنة إلى الكوفة، قال لي أحمد بن يونس: إلق أبا نعيم، فقل له...فلقيت أبا نعيم، فقلت له، فقال: إنَّما هو ضرب الأسياط، قال ابن أبي شيبة: فقلت ذهب حديثنا عن هذا الشيخ. فقيل لأبي نعيم، فقال: أدركت ثلاثة مئة شيخ كلهم يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وإنما قال هذا قوم من أهل البدع كما يقولون: لا بأس أن ترمى الجمار بالزجاج ثم أخذ زره فقطعه، ثمَّ قال: «رأسي أهون علي من زري».
٧- بحر الدم (٣٧٦/١).



محمد بن نوح أدركه المرض في طريقة، فأخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: حدثنا حنبل بن إسحاق بن حنبل، قال: سمعت أبا عبد الله، يقول: ما رأيت أحدًا على حداثة سنة وقلة علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح وأني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير؛ قال لي ذات يوم وأنا معه خلوين: «يا أبا عبد الله، الله الله إنَّك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك، وقد مد هذا الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله».

أو نحوِ هذا من الكلام قال أبو عبد الله: فعجبت من تقويته لي وموعظته إيَّاي. ثمَّ قال أبو عبد الله: «انظر بما ختم له، فلم يزل بن نوح كذلك ومرض حتى صار إلى بعض الطريق، فمات».

قال أبو عبد الله: فصليت عليه ودفنته. -أظنه قال بعانة-[1].

عبد الأعلى بن مُسْهر الدمشقي (ت ٢١٨هـ). روى له: الجماعة. قال أبو داود: سمعت أحمد يقول: «رحم الله أبا مسهر ما كان أثبته وجعل يطريه».

وعاصم بن علي بن عاصم الواسطي (ت ٢٢١هـ). روى له: البخاري، والترمذي، وابن ماجه. قال عنه الإمام «قام من الإسلام بموضع أرجو أن يثيبه الله به الجنة»[2].

١- تاريخ بغداد (٥١٧/٤).

٢- سؤالات أبي داود للإمام أحمد بن حنبل في جرح الرواة وتعديلهم (٤٤١) (ص٣٢٣)، قال الذهبي في «السير» (٢٦٣/٩- ٢٦٤)، والخبر بطوله في «تاريخ بغداد» (١٧٠/١٤): «كان عاصم رحمه الله ممن ذبّ عن الدين في المحنة، فروى الهيثم بن خلف الدوري: أنَّ محمد بن سويد الطحان حدثه قال: كنا عند عاصم بن علي ومعنا أبو عبيد وإبراهيم بن أبي الليث وجماعة، وأحمد بن حنبل يضرب، فجعل عاصم يقول: ألا رجلٌ يقوم معي، فنأتي هذا الرجل فنكلمه، قال: فما يجيبه أحدٌ، ثمَّ قال ابن أبي الليث: أنا أقوم معك يا أبا الحسين، فقال: يا غلام؛ خُفي، فقال ابن أبي الليث: يا أبا الحسين أبلغ إلى

أصبغ بن الفرج المالكي (ت ٢٢٥هـ). روى له البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

قال أبو العرب: قال يحيى بن عمر: «اختفى أصبغ بن الفرج أيام الأصم، وأخذه الناس بالمحنة في القرآن، فطلبه الأصمُّ فاختفى في داره، وكان إخوانه يأتونه فيها الواحد بعد الواحد، حتى مات».

وقال أبو عمر الكندي: «إنَّ المعتصم كتب في أصبغ ليحمل في المحنة، فهرب إلى حلوان، فاستتر بها»[1].

إسماعيل بن أبي أويس (ت ٢٢٦ أو ٢٢٧هـ). قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل، وقيل له: من بالمدينة اليوم؟

فقال: «إسماعيل بن أبي أويس هو عالم كثير العلم، أو نحو هذا»[2].

وقال: «هو ثقة، قام في أمر المحنة، مقامًا محمودًا»[3].

نعيم بن حماد الخزاعي (ت ٢٢٨هـ). روى له: البخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

قال محمد بن سعد: «طلب الحديث طلبًا كثيرًا بالعراق والحجاز، ثمَّ نزل مصر فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة أبي إسحاق بن هارون، فسئل عن القرآن، فأبى أن يجيب فيه بشيءٍ ممَّا أرادوه عليه، فحبس بسامراء، فلم يزل

بناتي فأوصيهم، فظننا أنَّه ذهب يتكفن ويتحنط، ثمَّ جاء، فقال: إنِّي ذهبت إليهنَّ فبكين، قال: وجاء كتاب ابنتي عاصم من واسط: يا أبانا إنَّه بلغنا أنَّ هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل، فضربه على أن يقول: القرآن مخلوق، فاتقِ الله ولا تجبه، فوالله لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنَّك أجبت».

١- ترتيب المدارك (٤/٢١- ٢٢).

٢- السير (١٠/٣٩٤).

٣- المعرفة والتاريخ (٢/٨٦)، و«تاريخ الإسلام» (٥/٥٣٤).



محبوسًا بها حتى مات في السجن في سنة ثمان وعشرين»[١].

محمود بن غيلان العدوي، مولاهم المروذي (ت ٢٤٩هـ). قال الإمام أحمد: «ثقة، أعرفه بالحديث، صاحب سنة، قد حبس بسبب القرآن»، وقال: «هو أعجب إلي من أبي بكر المستملي»[٢].

يوسف بن يحيى القرشي مولاهم البويطي (ت ٢٣١-٢٣٢هـ). قال الربيع بن سليمان: «كان البويطي أبدًا يحرك شفتيه بذكر الله، وما أبصرت أحدًا أنزع بحجة من كتاب الله من البويطي، ولقد رأيته على بغل في عنقه غل، وفي رجليه قيد، وبينه وبين الغل سلسلة فيها لبنة وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنَّما خلق الله الخلق بـ: «كن»، فإذا كانت مخلوقة، فكأن مخلوقًا خلق بمخلوق، ولئن أدخلت عليه لأصدقنه - يعني: الواثق - ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم»[٣].

الحارث بن مسكين (ت ٢٥٠هـ). روى له: أبو داود، والنسائي. قال الخطيب: «كان فقيهًا على مذهب مالك بن أنس، وكان ثقة في الحديث.

حمله المأمون إلى بغداد في أيام المحنة، وسجنه لأنَّه لم يجب إلى القول بخلق القرآن، فلم يزل ببغداد محبوسًا إلى أنْ ولي جعفر المتوكل فأطلقه، وأطلق جميع من كان في السجن.

ورجع إلى مصر وكتب إليه المتوكل بعهده على قضاء مصر، فلم يزل يتولاه من سنة سبع وثلاثين ومائتين إلى أن صرف عنه في سنة خمس وأربعين ومائتين»[٤].

١- الطبقات (٥١٩/٧).
٢- بحر الدم (٤٩/٢).
٣- طبقات الشافعية للسبكي (١٦٤/٢).
٤- تاريخ بغداد (١١١/٩).

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٦٨هـ) روى له: النسائي.

وممَّن أجاب جماعة، كما قال الذهبي: «وكتب المأمون إليه -نائبه إسحاق بن إبراهيم الخزاعي- أيضًا في إشخاص سبعة أنفس وهم: محمد بن سعد كاتب الواقدي، ويحيى بن معين، وأبو خثيمة، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، فأُشخصوا إليه، فامتحنهم بخلق القرآن فأجابوه، فردهم من الرقة إلى بغداد»[1].

١- تاريخ الإسلام (٥/٢٤٧)، وكان نتيجة ذلك ما قاله صالح في «سيرة أبيه» (ص٧٤): «ضرب أبي على حديث كل مَنْ أجاب»، وفي «ميزان الاعتدال» (٤/٤١٠) قال الإمام أحمد: «أكره الكتابة عمَّن أجاب في المحنة، كيحيى، وأبي نصر التمار...».

وقال عبد الله: «ولم يحدث أبي بعد المحنة بشيء».

قال الذهبي معلقًا في «السير» (١١/١٧٩): يريد عبد الله بهذا القول أنَّ أباه لم يحمل عنه بعد المحنة شيئًا، وإلا فسماع عبد الله بن أحمد لسائر كتاب (المسند) من أبيه كان بعد المحنة بسنوات، في حدود سنة سبع وثمان وعشرين ومائتين، وما سمع عبد الله شيئًا من أبيه ولا من غيره إلا بعد المحنة، فإنَّه كان أيام المحنة صبيًا مميزًا، ما كان حله يسمع بعد -والله أعلم-».

قلت أبو إسحاق في «مسند الإمام أحمد (٨٧٦٨) حدثنا علي بن عبد الله ابن المديني -وذلك قبل المحنة - قال عبد الله : «ولم يحدث أبي عنه بعد المحنة بشيءٍ»، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد يعني الثقفي، حدثنا يونس، عن الحسن، عن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ، قال: «أفطر الحاجم والمحجوم».



نبذة في ذكر المتوكل ونصرته للسنَّة

هو جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد، بويع له في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتي بعد الواثق، فأظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها، ورفع المحنة، وكتب بذلك إلى الآفاق.

استقدم المحدثين إلى سامرا، وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية -وأَظهر الله به السنَّة، وأَفل به نجم التجهم والاعتزال-، وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في جامع الرصافة، فاجتمع إليه أيضًا نحو من ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور، فاجتمع إليه أيضًا نحو من ثلاثين ألف نفس، وتوفّر دعاء الخلق للمتوكل، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له، حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة: «أبو بكر الصديق ﵁ في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنَّة وإماتة التجهم»[1]. وقال أبو بكر ابن الخبازة في ذلك:

وبعْدُ، فَإنَّ السُّنَّة اليَومَ أَصْبحتْ ... معزَّزةً حَتَّى كَأنَّ لَمْ تُذلَّلِ
تَصُولُ وتَسْطُو إذْ أُقِيمَ مَنارُها ... وَحُطَّ مَنَارُ الإفْكِ والزُّورِ مِن علِ
وولَّى أَخُو الإبداعِ في الدِّينِ هَارِبًا ... إلى النَّارِ يَهْوي مُدْبِرًا غَيْر مُقْبلِ
شفَى اللهُ مِنْهُم بالخليفةِ جعفرٍ ... خليفتهِ ذي السُّنَّة المتَوكِّلِ
خليفةِ ربِّي وابنِ عمِّ نبيِّه ... وخير بَني العبَّاسِ مَنْ مِنْهُم وَلي[2]

١- وفي «الوافيات بالوفيات» للصفدي (١٠١/١١) قال إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة: «الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا، وعمر بن عبد العزيز رد مظالم بني أمية، والمتوكل محا البدع وأظهر السنة».

٢- تاريخ الخلفاء (ص٣٤٧) ط: ابن حزم. و«تاريخ الإسلام» (١٠٩٧/٥).

وكان جوادًا ممدحًا، يقال: ما أعطى خليفة ما أعطى المتوكل.

قال الحسين بن إسحاق: سمعت صالح بن أحمد بن حنبل، يقول: سهرت ليلة، ثمَّ غفوتُ، فرأيتُ في نومي كأنَّ رجلًا يعرج به إلى السماء وقائلًا، يقول:

مَلِكٌ يُقَادُ إلى مَلِيكٍ قادِرٍ   مُتَفضِلٍ في العَفو لَيسَ بجَائِرِ

ثمَّ أصبحنا فما أمسينَا حتى جاء نعيُ المتوكل من «سر من رأى» إلى بغداد[١].

وعن عبد الله بن عبد الرحمن، قال: رأيت المتوكل فيما يرى النَّائم، فقلت: يا متوكل، ما فعل بك ربك؟

قال: غفر لي ربي، قلت: غفر لك ربك! وقد عملت ما عملت، قال: «نعم، بالقليل من السنَّةِ التي أظهرتها»[٢].

وقال أبو الفضل: بلغني أنَّه ذُكِرَ عند المتوكل بعد موت أحمد أنَّ أصحاب أحمد يكون بينهم وبين أهل البدع الشر، فقال المتوكل لصاحب الخبر: «لا ترفع إليَّ من أخبارهم شيئاً، وشدَّ على أيديهم، فإنَّهم وصاحبهم من سادَة أُمة محمد، وقد عرف الله لأحمد صبره وبلاءه، ورفع علمَه أيامَ حياته وبعد موته، أصحابه أجلُّ الأصحاب، وأنا أظن أنَّ الله تعالى يُعطى أحمد ثواب الصدّيقين»[٣].

١- المحنة لعبد الغني (ص١٩٨).

٢- تاريخ بغداد (٨/٤٥)، وبنحوهِ في «المحنة» (ص١٩٨)، قال: «غفَر لي بثلاثٍ: بإظهار السنَّة، وبنياني المسجد الجامع، وقتلت مظلومًا».

٣- المناقب (ص٦٧٠- ٦٧١).



مناقب الإمام أحمد رحمه الله

وفضائل الإمام أحمد رضوان الله عليه مشهورة، ومناقبه مأثورة، سارت بذكره الركبان، وبلغ صيته كل قاص ودان، وملأ ذكره الأمصار والبلدان. وكل إمام في علم رسول الله ﷺ خضع له ودان.

قال محمد بن الحسين الأنماطي (ت ٢٩٣هـ)، قال: كنَّا في مجلس فيه يحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب وجماعة من كبار العلماء فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل ويذكرون من فضائله. فقال رجل: لا تكثروا، بعض هذا القول. فقال يحيى بن معين: «وكثرة الثناء على أحمد بن حنبل يستكثر؟ لو جالسنا مجالسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكمالها»(١).

وقال الحافظ أبو الحجاج المزي (ت ٧٤٢هـ): «مناقبُ هذا الإمام وفضائله كثيرة جدًا، لو ذهبنا نستقصيها، لطالَ الكتاب، وفيما ذكرنا كفاية، وبالله التوفيق»(٢).

وقال ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ): «ولقد سبرت السلف كلهم، فأردت أن أستخرج منهم من جمع بين العلم حتى صار من المجتهدين، وبين العمل حتى صار قدوة للعابدين، فلم أرَ أكثر من ثلاثةٍ: أولهم: الحسن البصري، وثانيهم: سفيان الثوري، وثالثهم: أحمد بن حنبل، وقد أفردت لأخبار كل واحد منهم كتابًا، وما أنكر على من ربَّعهم بسعيدِ بْنِ المسَيَّبِ»(٣).

وقال الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): «وذكر مناقبه رحمه الله ورضي عنه يطول

١- حلية الأولياء (٣٠٩/٧).
٢- تهذيب الكمال (٤٧٠/١).
٣- صيد الخاطر (ص٧١)، وبنحو أيضًا (ص٥١١) رحمهم الله جميعًا.

شرحه، وقد جمع الناس ذلك في مصنفات مفردة، ومن أحسنها وأبسطها ما ألفه الشيخ الإمام أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله»[١].

وقال أمير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) عن الإمام أحمد: «شهرته تغني عن إيراد شيءٍ من خبره، وقد أفرد الأئمة مناقبه في عدَّةِ تصانيف»[٢].

وقال الشيخ محمد كمال الدين بن محمد الغزي (ت ١٢١٤هـ): «وأمَّا زهد الإمام أحمد وورعه وتقلله من الدنيا فقد سارت بأخباره الركبان، وقد أفرد جماعة من الأئمة التصنيف في مناقبه منهم: البيهقي، وأبو اسماعيل الأنصاري، وأبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، وغيرهم»[٣].

وقال الحسين الكرابيسي (ت ٢٤٥هـ): «مثل الذين يذكرون أحمد بن حنبل

١- طبقات الشافعيين (ص١٠٨).

٢- توالي التأنيس (ص٧٦).

٣- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل (ص٣٧)، وانظر: «منازل الأئمة الأربعة» (ص٢٤٠/ مع الحاشية)، ومن العلماء الذين ألفوا في ترجمة الإمام أحمد ومناقبه وفضائله:

[١] أبو الحسن أحمد بن جعفر بن المنادى (ت ٣٣٦هـ).

[٢] أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ).

[٣] أبو علي الحسين بن أحمد البناء (ت ٤٧١هـ).

[٤] شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ).

[٥] القاضي أبو الحسن بن أبي يعلى (ت ٥٢٦هـ).

[٦] أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

[٧] زين الدين ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، كما ذكر ذلك في «شرح علل الترمذي» (٢٠٩/١)، وقد تكلم عن شيءٍ من مناقبه بنفس الكتاب المذكور.

[٨] شمس الدين السفاريني (ت ١١٨٨هـ) في كتابه «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (٢٩٨/١) (في ذكر طرف من مناقب سيدنا الإمام أحمد).

قلت: أمَّا الكتب في العموم التي تتحدث عن التراجم فلا يخلو منها كتاب، فضلا عن كتب المترجمة لأعيان المذهب.



مثل قوم يجيئون إلى أبي قبيس يريدون أن يهدموه بنعالهم»[١].

وقال الشيخ أبو نعيم رحمه الله تعالى عليه (ت ٤٣٠هـ): «وكان الإمام أحمد بن حنبل موضعه من الإمامة موضع الدعامة لقدوته بالآثار، وملازمته للأخيار، لا يرى له عن الآثار معدلًا، ولا يرى للرأي معقلًا، كان في حفظ الآثار الجبل العظيم، وفي العلل والتعليل البحر العميم، ذكرنا له من رواياته اليسير وإن كان هو البحر الغزير، أدرك من أتباع التابعين ما لا يحصون كثرة»[٢].

١- حلية الأولياء (٣١١/٧)، وأبو قبيس كما في «معجم البلدان» (٨٠/١) «اسم الجبل المشرف على مكة، وقيل: سمّي باسم رجل من مذحج كان يكنّى أبا قبيس؛ لأنَّه أول من بنى فيه قبّة. قال أبو المنذر هشام: أبو قبيس، الجبل الذي بمكة، كناه آدم، عليه السلام».

وها هنا (طرفة) أذكرها، قال الخلال: «بلينا بقوم جهال، يظنون أنهَّم علماء، فإذا ذكرنا فضائل أبي عبد الله، يخرجهم الحسد إلى أن قال بعضهم فيما أخبرني ثقة عنه: أحمد بن حنبل نبيهم!!» كما في «السير» (٣٠٥/١١).

وفي «تهذيب التهذيب» (٢٥٠/١١) قال أبو حاتم: «إذا رأيت البغدادي يحب أحمد فاعلم أنَّه صاحب سنة، وإذا رأيته يبغض بن معين فاعلم أنَّه كذاب».

٢- حلية الأولياء (٣٥٧/٧).







زهده وورعه وخوفه وما يتعلق به

الإمام أحمد أحد الأعلام المصنفين في الزهد، وهو زاهد قولًا وفعلًا، أتته الدنيا فأباها، والرياسة فنفاها، وعرضت عليه الأموال، وهو يرد ذلك بتعفف وتعلل وتقلل، رحمه الله وغفر لنا وله.

وكتابه المصنف في الزهدِ من الكتب المتقدمة في هذا الشأن، كما قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية الحراني: «والذين جمعوا الأحاديث في «الزهد والرقائق» يذكرون ما روي في هذا الباب، ومن أجلِّ ما صنَّف في ذلك وأندرهُ «كتاب الزهد» لعبد الله بن المبارك، وفيه أحاديث واهية، كذلك «كتاب الزهد» لهناد بن السري ولأسد بن موسى، وغيرهما.

وأجود ما صُنِّف في ذلك: «الزهد» للإمام أحمد؛ لكنَّه مكتوب على الأسماء، وزهد ابن المبارك على الأبواب، وهذه الكتب يذكر فيها زهد الأنبياء والصحابة والتابعين»[١].

ومن تأمل شهادات العلماء الكبار، علم بالإضافة لما سوف نذكر أنه كان رأسًا في الزهد، وعلمًا في الورع والعبادة رحمه الله، ومن ذلك ما قاله ابن ماكولا عنه رحمه الله، بأنَّه: «إمام في النَّقلِ، وعَلَمٌ في الزهدِ والورعِ»[٢].

وقال عبد الرزاق بن همام الصنعاني: «كتب عنِّي ثلاثة، لا أبالي ألا يكتبَ عنِّي

١- مجموع الفتاوى (٥٨٠/١١)، ثمَّ قال بعد ذلك وأنقله تتمة للفائدة: «إن المتأخرين على صنفين: منهم من ذكر زهد المتقدمين والمتأخرين. كأبي نعيم في الحلية وأبي الفرج بن الجوزي في (صفة الصفوة). ومنهم من اقتصر على ذكر المتأخرين من حين حدث اسم الصوفية كما فعل أبو عبد الرحمن السلمي في (طبقات الصوفية)، وصاحبه أبو القاسم القشيري في (الرسالة)، ثمَّ الحكايات التي يذكرها هؤلاء بمجردها مثل ابن خميس وأمثاله فيذكرون حكايات مرسلة بعضها صحيح وبعضها باطل».

٢- تاريخ دمشق (٢٥٧/٥).

غيرهم! كتب عني ابن الشَّاذَكوني وهو من أحفظ النَّاس، وكتب عنِّي يحيى بن معين وهو من أعرفِ النَّاس بالرِّجال، وكتب عني أحمد بن حنبل وهو من أزهدِ النَّاس»[١].

وسُئِلَ أبو قدامة عن الشافعي؛ وأحمد بن حنبل وإسحاق وأبي عبيد، فقال: «أمَّا أفهمهم فالشافعي؛ إلا أنَّه قليل الحديث، وأمَّا أورعهم فأحمد بن حنبل، وأمَّا أحفظهم فإسحاق، وأمَّا أعلمهم بلغات العرب فأبو عبيد»[٢].

وقال أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس (ت ٢٧٧هـ): «أورع من رأيت أربعة: آدم -بن أبي إياس-، وأحمد بن حنبل، وثابت بن محمد الزاهد، وأبو زرعة الرازي»[٣].

وقال سليمان الشاذكوني: يُشَبَّهُ علي بن المديني بأحمد بن حنبل؟ أيهاتَ!! ما أشبه السك باللك[٤]، لقد حضرت من ورعِه شيئًا بمكة: أنَّه أرهنَ سطلاً عند فامي[٥]، فأخذ منه شيئًا ليقوته، فجاء، فأعطاه فكاكه، فأخرج إليه سطلين، فقال: انظر أيُّهما سطلك؟

فقال: لا أدري أنت في حلٍّ منه، وما أعطيتك، ولم يأخذه!

قال الفامي: «والله إنَّه لسطله، وإنَّما أردتُ أن أمتحنه فيه»[٦].

وممَّا جاء عن الإمام فيما يتعلق بالباب من الاثار المروية عنه، أذكر بعون الله

١- تاريخ دمشق (١٧٧/٣٦).
٢- إنباه الرواة (١٨/٣).
٣- السير (٢٥١/١٣).
٤- (السك): ضرب من الطيب، و(اللك): بالفتح صبغ أحمر يصبغ به، وبالضم: ثفله أو عصارته.
٥- (الفامي): أي بائع الفوم، أي الحمص.
٦- السير (٢٠٣/١١) وكلا الإمامين من أئمة أهل السنة والجماعة رحم الله الجميع.



منها:

قوله رحمه الله في تعريفه للزهد، بأنَّه: «قصر الأمل، والإياسُ ممَّا في أيدي النَّاس»[١].

وقال له رجل ما الزهد في الدنيا؟

فقال له أحمد: حدثنا سفيان، عن الزهري قال: «الزهد في الدنيا قصر الأمل».

فقال: له يا أبا عبد الله صفه لي؟

قال: وكان الفتى قائمًا في الشمس والفيء بين يديه، فقال: «هو ألا تبلغ من الشمس إلى الفيء».

قال: ثمَّ ذهب ليولي.

قال: فقال له أحمد: قف.

قال: فدخل فأخرج له صرة فدفعها إليه فقال: يا أبا عبد الله من لا يبلغ من الشمس إلى الفيء أيش يعمل بهذه، ثمَّ تركه وولى»[٢].

وقال رحمه الله في بيان أقسامه: «الزهد على ثلاثة أوجه:

الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.

والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين»[٣].

١- المحنة لصالح (ص١٣٩)، و«طبقات الحنابلة» (١/٣٩)، وبنحوه في «الجرح والتعديل» (١/٣٠٥). قال البيهقي في «الزهد الكبير» (ص٧٨): «وهو قول الثوري، وأحمد بن حنبل، وعيسى بن يونس وغيرهم».

٢- طبقات الحنابلة (١/١٠٧).

٣- مدارج السالكين (٢/١٢) قلت: هو بنحوهِ في «تهذيب الكمال» (٢/٣٣) عن إبراهيم بن أدهم قال: «الزهد ثلاثة أصناف: فزهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة، فالزهد الفرض: الزهد في الحرام، والزهد الفضل: الزهد في الحلال، والزهد السلامة: الزهد في الشبهات».

وسُئِلَ عمَّن معه ألف دينار ألا يكون زاهدًا؟ قال: «نعم! بشرط أنْ لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت»[١].

وقيل له: هل للورع حد يعرف؟ فتبسم، وقال: «ما أعرفه»[٢]. قلت: سبحان الله! قال هذه الكلمة تورعًا، وهو علمٌ في هذا الباب، وحسبك بهاتين الصورتين دليل على ورعه، وقد ذكرت غيرهما في الكتاب، وهما:

بعث الخليفة المأمون مرة ذهبًا ليقسم على أصحاب الحديث، فما بقي منهم أحد إلا أخذ، إلا أحمد بن حنبل فإنَّه أبى[٣].

ولما ضُرب ومرض أمره الطبيب بأن تشوى له دجاجة، فشويت في دار ابنه صالح فلم يأكلها، وقال: «إنَّ ابني يأخذ عطاء الخليفة»[٤].

وقال الشبهة: «الشيء بين الحلال والحرام»[٥].

وقال الفتوة: «ترك ما تهوى لما تخشى»[٦].

وسُئِلَ مرة عن الإخلاص، فَقَالَ: «اذهبوا إِلَى الزهاد، وأي شيءٍ نحن حتى تجيء

وقال: «الحزن حزنان: حزن لك، وحزن عليك، فالحزن الذي هو لك: حزنك على الآخرة وخيرها، والحزن الذي هو عليك: حزنك على الدنيا وزينتها».

قال ابن القيم في «الفوائد» (ص١٧١) «وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ، والفرق بينه وبين الورع: أن الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة».

١- فيض القدير (٤/٧٢)، بالاستفادة من «مواعظ الإمام أحمد» (ص٤٣)، قلت: قال أبو عبد الله القرطبي المفسر (ت ٦٧١هـ) في كتاب الزهد المطبوع ضمن «قمع الحرص بالزهد والقناعة» (ص١٦٠) «وقال قوم: الزهد أن يزهد في الدنيا بقلبه، قاله ابن المبارك. قلت: وهذا قول حسن جدًا، وحصولها في اليد، أو عدم حصولها سواء، فإنَّ الزهد من أعمال القلوب، وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم كانت الدنيا في أيديهم، وهم معرضون عنها بقلوبهم، على ما يأتي بيانه...».

٢- الورع لأحمد رواية المروزي (ص٦).

٣- البداية والنهاية (١٤/٣٨٧-٣٨٨).

٤- منازل الأئمة الأربعة (ص٢٤٢).

٥- الورع (ص٥٥).

٦- الآداب الشرعية (٢/٢٤٢).



إلينا؟»

وجاء إِلَيْهِ رجل فمسح يده عَلَى ثيابه ومسح بهما وجهه!، فغضب الإمام أحمد، وأنكر ذلك أشدَّ الإنكار، وقال: عمَّن أخذتم هذا الأمر؟![1].

وقال صالح: اعتللتُ من عيني ليلةً، فلم يزلْ عندي، فقلتُ: اللهمَّ إنِّي أسألك الصبر، فقال: «سلِ العافية، فإنَّ الصبرَ إنَّما يكونُ مع البلاء»[2].

قال ابن القيم: والظلم ثلاثة أنواع، والظلمُ كله من أمراض القلوب، والعدل صحتها وصلاحها، قال أحمد بن حنبل: «لبعض النَّاس لو صححت لم تخف أحدًا» أي: خوفك من المخلوق هو من مرض فيك[3].

وقال عن الحبِ في الله: «هو أنْ لا تُحبَه لطمعِ دنيا»[4].

قال ابن رجب: قال الإمام أحمد وابن عيينة وابن وهب وجماعة من الأئمة: «إِنَّ الفقر الَّذِي استعاذ منه النبي ﷺ هو فقر النفس»[5].

وقال عن التوكلِ: «هو قطعُ الاستشرافِ بالإياسِ من الخلق!» فقيل له: ما الحجة؟

فقال: إبراهيم لما وضع في المنجنيق ثمَّ طرح إلى النَّارِ فاعترضه جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجةٌ؟ فقال: أمَّا إليك فلا، قال: فقال: له سَلْ من لك إليه حاجة. فقال: «أحب الأمرين إليه أحبهما إليَّ»[6].

١- الحكم الجديرة (٤/٢٣٢).
٢- المحنة لصالح (ص١٣٢).
٣- أمراض القلوب (ص٧- ٨).
٤- أخبار الشيوخ (٣٧٣).
٥- الخشوع في الصلاة من مجموع رسائل ابن رجب (١/٣٠٦).
٦- الطبقات (١/٤١٥)، و«نور الاقتباس» (٢/١٠٨)، وروي قوله: «أمَّا إليك فلا...» مرفوعًا ولا أصل له، ينظر: «الضعيفة» (٢١).

وقيل له: ما النعيم؟ قال: «طيب النفس»، وقيل له: فما الغنى؟ قال: «صحة الجسد»[١].

وقال: «ينبغي للمؤمن أن يكون رجاؤه وخوفه واحدًا» وقال غيره عنه: «فأيهما رجح صاحبه هلك»[٢].

وقال عن العزلة: «إذا كانت الفتنة فلا بأسَ أن يعتزل الرجل حيث شاء، وأمَّا إذا لم تكن فتنة فالأمصارُ خير»[٣].

وقال: «إذا نزع الحياء من الإنسان نزع منه الخير»[٤].

وقال عن الصبر: «ذكرَ الله سبحانه الصبرَ في القرآنِ في تسعين موضعًا»[٥].

وقال: « ليس بصابرٍ من دعا عَلَى من ظلمه»[٦].

وقال حبيش بن مبشر: «قعدت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، والنَّاسُ متوافرون فأجمعوا أنَّهم لا يعرفون رجلًا صالحًا بخيلًا»[٧].

وقال: «علامة المريد: قطيعة كل خليط لا يُريد ما تُريد»[٨].

١- الورع (ص١٩٨).
٢- الآداب الشرعية (٢/ ٣٠).
٣- الطبقات (١/ ٤٠٧)، وانظر في «فتح الباري» لابن رجب شرح حديث (من الدين الفرار من الفتن)، (١/ ١٠٥ وما بعد) ففيه خير وتفصيل، وقد أفردت شرحه بمؤلف وأضفت عليه.
٤- مسائل أبي داود (١٨٣٣)، و«متخير المقولات» (ص١٠٢).
٥- عدة الصابرين (ص١١٥) ط: ابن الجوزي، وبنحوه في «مدارج السالكين» (٢/ ١٥١).
٦- مختصر في معاملة الظالم السارق ضمن مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٤٠٨).
٧- الطبقات (١/ ١٤٧)، قلت: وفي «سنن الترمذي» (٤/ ٣٤٣)، و«معجم ابن الأعرابي» (١١٢٤)، وهو في «الأدب المفرد» للبخاري (٢٨٢)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خلقان لا يجتمعان في مؤمن سوء خلق، والبخل» وقال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صدقة بن موسى»، ولفظ البخاري: (خصلتان).
٨- الطبقات (١/ ١٧٧)، و«المقصد الأرشد» (١/ ٤٥٩). والمريد مصطلح يكثر في كتب الزهد والتصوف، وهو على الحقيقة من يريد وجه الله، وعند الصوفية هو من يتولى الأعمال والخدمة للشيخ، فهو دونه بالرتبة والعمل.



وقيل له: يجد الرجلُ من قَلبه رقَّةً وهو شَبعٌ؟ قال: «ما أرى»[١].

وقيل له: التخلي أعجب إليك؟ فقال: التخلي على علمٍ، وقال: يروى عن النبي ﷺ أنَّه قال: «الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم»، ثمَّ قال: من يصبر على أذاهم؟[٢].

ورُوي عن أبي حامد الخلقاني: أنَّه أنشدَ الإمامَ أحمد هذين البيتين:

إذا ما قال لي ربي ... أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب من خلقي ... وبالعصيان تأتيني

فأمره أحمد بإعادتهما عليه، فأعادهما عليه فدخل أحمد داره وجعل يرددهما ويبكي[٣].

وقال:

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا ... مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ

تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا ... لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ[٤]

وذكر ابن مفلح رحمه الله (ت ٧٦٣هـ) مسألة «الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر أم العكس؟ فيه قولان للعلماء هما روايتان عن الإمام أحمد، وذكر القاضي أبو الحسين أنَّ أصحهما أنَّ الفقير الصابر أفضل......»[٥].

١- ذم قسوة القلب من مجموع رسائل ابن رجب (٤٠٦/٢).

٢- الطبقات (١٣٨/١).

٣- استنشاق نسيم الأنس (٢٤٩/١).

٤- الآداب الشرعية (٢٣٨/٢)، وقال: «وقد رأيت هذين البيتين لمسعر بن كدام الإمام المشهور».

٥- الآداب الشرعية والمنح المرعية (٤٨٧/٣)، و«عدة الصابرين» (الباب الثاني والعشرون) (ص٢٨٥)، وذكر ذلك في كتاب (لذة العلم والسماع) (ص٢٨٣-٢٨٤).

وقال: «الدَّيْنُ أوله همٌّ، وآخرهُ حرب»[١].

وقال سعيد بن يعقوب (ت ٢٤٤هـ): كتب إليَّ أحمد بن حنبل: بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن محمد إلى سعيد بن يعقوب، أمَّا بعد: «فإنَّ الدنيا داء، والسلطان دواء، والعالم طبيب، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره، والسلام عليك»[٢].

وقال في عدم دخوله على السلطان: «ما له في رُؤيتي خير، ولا لي في رُؤيته خير؛ يجب عليّ إذا رايتُه أن آمره وأنهاه، الدُنُو منهم فِتنة، والجُلوس معهم فتنة، ونَحن متباعدون منهم ما أرانا نَسْلَم، فكيف لو قربنا منهم»[٣].

وقال: «والله لوددت أنِّ أنجو من هذا الأمر كفافًا لا عليَّ ولا لي، والله لقد أعطيت المجهود من نفسي»[٤].

وقال: «التِّجارةُ أحبُ إليَّ من غلةِ بغداد»[٥].

وقال أبو جعفر أحمد بن محمد التستري (ت ٣١٠هـ): كان غلام من الصيارفة يختلف إلى أحمد بن حنبل فناوله يوما درهمين، فقال: اشتر بهما كاغدا، فخرج الغلام واشترى له، وجعل في جوف الكاغد خمس مائة دينار وشده وأوصله إلى بيت أحمد بن حنبل فسأل، وقال أحمد: شيء من البياض، فقالوا: بلى، فوضع يده فلمَّا أنْ فتحَه تناثر الدنانير فردَّها في مكانها، وسأل عن الغلام حتى دُلَّ عليه فوضعه بين يديه فتبعه وهو يقول: «الكاغد اشتريته بدراهمك خذه فإنِّي

١- الورع (ص٤٩).

٢- الآداب الشرعية (١/٣٤٤).

٣- أخبار الشيوخ للمروذي (ص٤٢)، و«مناقب الإمام أحمد» (ص٥٠٥).

٤- الكامل في ضعفاء الرجال (١/٢١٢).

٥- الورع (ص٢٤).



لن آخذ الكاغد أيضًا»[١].

وقال عبيد القاري: دخل عم أحمد بن حنبل على أحمد بن حنبل ويدُه تحت خده، فقال: ابن أخي أي شيء هذا الغم؟ أي شيء هذا الحزن؟ فرفع أحمد رأسه إليه، فقال: «يا عم، طوبى لمن أخمل الله ذكره»[٢].

وقال إبراهيم الحربي: «لزمت أحمد بن حنبل سنين فكان إذا خرج ليحدثنا يخرج معه محبرة مجلدة بجلد أحمر وقلمًا. فإذا مر به سقط أو خطأ في كتابه أسقطه بقلمه من محبرته يتورع أن يأخذ من محبرة أحدنا شيئًا!!»[٣].

وقال الإمام إسحاق بن راهَوَيْه: كنت أنا وأحمد باليمن عند عبد الرّزّاق، وكنتُ أنا فوق الغرفة وهو أسفل. وكنتُ إذا جئت إلى موضع اشتريت جاريةً، قال: فاطَلعتُ على أن نفقته فنَيت، فعرضت عليه، فامتنع فقلت: «إن شئت قَرْضًا، وإن شئت صِلَة. فأبى، فنظرت فإذا هو ينسج التكك ويبيع ويُنْفِق».

وعن أبي إسماعيل قال: أتى رجل بعشرة آلاف دِرهم من ربْح تجارته إلى أحمد، فأبى أن يقبلها، وقال: «نحن في سَعة وغنى».

وقال غيره: «حمل رجل إلى أحمد ثلاثة آلاف دينار فأبى أن يقبلها».

وقال عبد الله، عن أبيه قال: «عرض عليَّ يزيد بن هارون (ت ٢٠٦هـ) نحو خمسمائة درهم، فلم أقبلْها».

وقيل: «إنَّ صَيْرفيًا وصل أحمد بخمسمائةِ دينارٍ، فردَّها».

وقال صالح: دخلت على أبي أيّام الواثق، والله يعلم كيف حالُنا، فإذا تحت لَبِده

١- تاريخ دمشق (٥/٣٠٥- ٣٠٦).
٢- مقدمة الجرح والتعديل (ص٦٢٠)، و«تاريخ دمشق» (٥/٣٠٨- ٣٠٩).
٣- الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/١٥٧).

ورقة فيها: يا أبا عبد الله بَلَغَني ما أنتَ فيه من الضِّيق، وقد وَجَّهْتُ إليك بأربعة آلاف دِرهم. فلمّا ردّ أبي من صلاته قلت: ما هذا؟ فاحمر وجهه وقال: رفعتها منك. ثم قال: تذهب بجوابه، فكتب إلى الرجل: وَصَل كتابك، ونحن في عافية. فأمّا الدَّيْن، فلرجلٍ لا يُرْهِقُنا، وأمّا العيال، فهم في نعمة الله. فذهبت بالكتاب، فلمّا كان بعد حين، ورد كتاب الرجل بمثل ذلك، فامتنع. فلمّا مضى نحو سنة ذكرناها فقال: «لو إنّا قبّلناها كانت قد ذهبت»[١].

ويحكى عن أنَّ امرأة سألته عن الغزل بضوء مشاعل السلطان؛ فسألها: «من أنت؟ فقالت: أخت بشر الحافي، فأجابها بترك الغزل بضوئها»[٢].

وقال عبد بن حميد (ت ٢٤٩): سمعت عبد الرزاق يقول: قدم علينا أحمد بن حنبل ها هنا، فأقام سنتين إلا شيئًا، فقلت له: يا أبا عبد الله، خذ هذا الشيء دفعته إليه، فانتفع به، فإنَّ أرضنا ليست بأرضِ متجرٍ، ولا مكتسبٍ، وأرانا عبد الرزاق كفه ومدها فيها دنانير، فقال أحمد: «أنا بخيرٍ، ولم يقبل منّي[٣].

وقال إسحاق بن منصور (ت ٢٥١هـ): قلت: إذا علم من الرجل الفجور أيخبر به الناس؟ قال: «لا، بل يستر عليه إلا أن يكون داعية».

قال إسحاق: لا، بل عند الحاجة في تعديلٍ أو تزويجٍ أو ما أشبهه فليخبر به؛ لأنَّه ليس بغيبة حينئذٍ[٤].

وقال رجل من أهل حمص لأبي عبد الله: إنِّي قد غبت عن أبي، وله كروم

١- تاريخ الإسلام (١٠١٣/٥)، وانظر: «السير» (١٩٣/١١)، وهو في «المحنة» لصالح (ص١٣٥).
٢- حكاها الشاطبي في «الموافقات» (٢٤٩/٥)، وانظر: «الرسالة القشيرية» (ص٥٤).
٣- تهذيب الكمال (٤٥٩/١).
٤- مسائل الكوسج (٣٥٢٣).



ويسألني أن أعينه على بيع العصير.

فقال: «إن علمت أنَّه يعمله خمرًا فلا تعينه»[١].

وقال موصيًا ابن المديني: «ألزِمْ التقوى قلبك، وانصبْ الآخرة أمامك»[٢].

وكان رحمه الله يقول: «وجدت الخلوةَ أصلح لقلبي»[٣].

وقال: «اجعل التقوى زادك، وانصبْ الآخرةَ أمامك»[٤].

وقال: «أسرُّ أيامي إليَّ يوم أصبح وليس عندي شيء»[٥].

وقال: «أعزّ الله حيثما كُنْت يعزّك الله»[٦].

وقال عن الدنيا: «قليلها يجزى وكثيرها لا يجزي»، وقال: «الفائزُ منْ فازَ غدًا»[٧].

وقال صالح: قلت لأبي: بلغني أنَّ أحمد بن الدَّورقيِّ أعطي ألف دينار. فقال: «أي بنيَّ، ورزقُ ربِّك خير وأبقى»[٨].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني علي بن الجهم بن بدر، قال: «كان لنا جار فأخرج إلينا كتابًا» فقال: أتعرفون هذا الخط قلنا: «نعم هذا خط أحمد بن حنبل». فقلنا له: «كيف كتب ذلك» قال: كنَّا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة فقصدنا أحمد بن حنبل أيامًا، فلم نره، ثمَّ جئنا إليه لنسأل عنه، فقال

١- الورع (ص١٧٤- ١٧٥).
٢- المصدر السابق (٨٩٧).
٣- سير السلف الصالحين (ص١٠٥٧).
٤- سير أعلام النبلاء (١١/٣٠١).
٥- صفة الصفوة (١/٤٨٢).
٦- مسائل ابن هانئ النيسابوري (٢/١٨٠)، و«بدائع الفوائد» (٤/١٤٣٢).
٧- كلاهما في الجرح والتعديل (١/٣٠٥).
٨- كتاب المحنة (ص١٣٧).

لنا أهل الدار التي هو فيها: هو في ذلك البيت، فجئنا إليه، والباب مردودٌ عليه، وإذا عليه خلقان. فقلنا له: يا أبا عبد الله ما خبرك؟ لم نرك منذ أيام؟ فقال: سرقت ثيابي فقلت: له معي دنانير فإن شئت خذ قرضًا وإن شئت صلة. فأبى أن يفعل فقلت: تكتب لي بأخذه؟ قال: نعم، فأخرجت دينارًا، فأبى أن يأخذه، وقال: اشتر لي ثوبًا، واقطعه بنصفين فأومى أنَّه يأتزر بنصف ويرتدي بالنصف الآخر. وقال: جئني ببقيته، ففعلت وجئت بورق وكاغد، فكتب لي، فهذا خطه[١].

قال الحافظ ابن رجب: «كان الإمام أحمد له عيال، وكان يومًا لا يكون عنده شيء يفرح.

وقال: أسرُّ أيامي يوم أصبح وليس عندي شيء، وأرسل يومًا إِلَيْهِ عياله يَقُولُونَ له: ليس عندنا اليوم دقيق، أو قالوا: خبز -فَقَالَ لهم: الساعة، ثمَّ أبطأ عليهم، فعاودوه فَقَالَ: الساعة. فدق عليه رجل الباب، فإذا هو رجل من خراسان قد أرسل معه إِلَيْهِ بخمسة آلاف درهم، فأبى أن يأخذها رردها»[٢].

قال الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي: سألت الإمام أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني عن الفتوة[٣]؛ فقال: «الفتوة: العقل والحياء،

١- حلية الأولياء (٩/١٧٧).

٢- رسالة شرح حديث (إن أغبط أوليائي) (٤/٤٢٠).

٣- منزلة تذكرها كتب التصوف: انظر: مقدمة التصوف للسلمي (ص٤٥)، و«الرسالة القشيرية» (٢/٣٨٠)، و«مدارج السالكين» (٢/٣٤٠)، والعبارات حول تعريفها مختلفة ذكر القشيري عن الجنيد قوله: «الفتوة بالشأم، واللسان بالعراق، والصدق بخراسان».

وفي «المدارج» «حقيقتها: هي منزلة الإحسان إلى النَّاس، وكفَّ الأذى عنهم، واحتمال أذاهم؛ فهي: استعمال حسن الخلق معهم، فهي في الحقيقة نتيجة حسن الخلق واستعماله».



ورأسها الحفاظ، وزينتها الحلم والأدب، وشرفها العلم والورع، وحليتها المحافظة على الصلوات، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وبذل المعروف، وحفظ الجار، وترك التكبر، ولزوم الجماعة، والوقار، وغض الطرف عن المحارم، وحسن الكلام، وبذل السلام، وبر الفتيان العقلاء الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه، وصدق الحديث، واجتناب الحلف بالأيمان، وإظهار المروءة، وطلاقة الوجه، وإكرام الجليس، وإنصاف الحديث، وكتمان السر، وستر العيوب، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، والوفاء بالعهد، والصمت في المجالس من غير عي، والتواضع من غير حاجة، وإجلال الكبير، والرفق بالصغير، والرأفة والرحمة بالمسلمين، والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، وكمال الفتوة خشية الله ﷻ. فينبغي للفتى أن تكون فيه هذه الخصال، فإذا كان كذلك كان فتى بحقه»[١].

قال أبو بكر المرُّوذي: دخلتُ على أحمد يومًا، فقلتُ: كيف أصبحت؟ فقال: «كيف أصبح من رَبه يُطالبه بأداء الفرض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يُطالبانه بتصحيح العمل؛ ونفسه تُطالبه بهواها، وإبليس يُطالبه بالفحشاء، وملك الموتِ يُطالبه بقبض روحه، وعياله يطالبونه بالنَّفقة؟»[٢].

وقال الإمام أبو محمد بن إبراهيم البوشيخي: «ما رأيت أحداً في عصر أحمد، أكثر منه ديانة وصيانة، وأبعدُ من التماوت»[٣].

١- تاريخ دنيسر (ص١١٣).
٢- المناقب (ص٣٨٠).
٣- الأمر بالاتباع للسيوطي (ص١٩٧) ط: دار ابن القيم.



جهاده في سبيل الله

لقد جاهد الإمام رَحِمَهُ اللهُ في سبيل الله بكل أنواع الجهاد المشروع بقلبه وقالبه، وقلمه ولسانه، وبسيفه وسنانه.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «لا أعلم شيئًا من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد»[١].

وقال منها: سألت أحمد بن حنبل عن النفير يجيء؛ أيخرج الرجل من غير أن يأذن له أبواه؟ قال: «إذا صحَّ عنده أنَّهم قد جاؤوا، يخرج فيغيث المسلمين»[٢].

وقال محمد بن نصر العابد: «وشاورته في الخروج إلى الثغر، فقال لي: بادر بادر»[٣].

وقال أحمد بن أبي عوف: حضرت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وسأله رجل خراساني إنَّ أمي أذنت لي في الغزو، وإنِّي أريد الخروج إلى طرسوس، فما ترى؟ فقال له: «اغزُ الترك». وأحسب أبا عبد الله ذهب إلى قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣][٤].

وقال لابنهِ صالح حين قدم من البصرة: لِمَ لم تكتب عنْ عمرو ابن مرزوق؟ فقال: نهيت.

فقال: «إنَّ عفان كان يرضاه، وكان عمرو صاحب غزو وخير»[٥].

ولما سأل عن مبشر بن إسماعيل الحلبي، قال: «قد رأيته لم يكن به بأس، كتبت

١- المعين على تفهم الأربعين لابن الملقن (ص٣٥٣)، وعنه في «متخير المقولات» (ص٩٥) بالاستفادة.
٢- المقصد الأرشد (٣/٦٩).
٣- الآداب الشرعية (٢/٢٣٩).
٤- الطبقات (١/٥٠).
٥- ميزان الاعتدال (٣/٢٨٨).

عنه خمسة أحاديث أو ستة؛ كنَّا جئنا من الثغر»[١].

وقال المروذي: قلت لأبي عبد الله: إنَّ رجلًا قدم من طرسوس وقال لي: إنا كنَّا في بلاد الروم في الغزو، وإذا هدأ الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء: ادعوا لأبي عبد الله، وكنَّا نمدُ المنجنيق ونرمي عنه، ولقد رمي عنه بحجرٍ والعلج على الحصن متترس بدرقة، فذهب برأسه وبالدرقة، فتغير وجهه، وقال: «ليته لا يكون استدراجًا». فقلت: كلا[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ): قال الإمامان عبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل وغيرهما: «إذا اختلف النَّاسُ في شيءٍ فانظروا ماذا عليه أهل الثغر، فإنَّ الحق معهم؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾»[٣].

وحكى ابن المنذر (ت ٣١٨هـ) في «الأوسط» عن الإمام أحمد بن حنبل، أنَّه سُئِل: المقام بمكة أحب إليك أم الرباط؟ قال: «الرباط أحب إليَّ».

وقيل: هل المقام بالثغر أفضل من المقام بمكة؟ فقال: «إي واللَّه»[٤].

ونقل حنبل عن الإمام أحمد قوله: «إذا لم يكن للرجل حرمة فالساحل والرباط أعظم للأجر، يَردُّ عن المسلمين، والشام بلد مبارك»[٥].

١- سؤالات أبي داود (ص٢٧١- ٢٧٢)، والثغر: «بالفتحِ ثمَّ السكون وراء، كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً كأنَّه مأخوذ من الثغرة، وهي الفرجة في الحائط وهو في مواضع كثيرة منها: ثغر الشام، وجمعه ثغور» انظر: (معجم البلدان) (٧٩/٢).

٢- تاريخ الإسلام (١٠١٣/٥).

٣- مجموع الفتاوى (٤٤٢/٢٨).

٤- المسائل التي حلف عليها الإمام أحمد رقم (٢٦)، و«إعلام الموقعين» (١٢١/٢).

٥- فضائل الشام لابن رجب من مجموع رسائله (١٢١/٢).

وعن أبي بكر المروذي قال: سئل أبو عبد الله -يعني: أحمد بن حنبل-: أين ترى إذا كره المكان الَّذِي هو فيه أن ينتقل؟ قال: إِلَى المدينة، قيل: فغير المدينة؟ قال: مكة. قيل: فغير هذا؟ قال: «الشام، والشام أرض المحشر، ثمَّ قال: دمشق، لأنَّها يجتمع إليها الناس إذا غلبت عليهم الروم»(١).

وقال ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ): حدثني أحمد بن سنان، قال: بلغني أنَّ أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل يوم فتح عاصمة بابك، وظفر به، أو في فتح عمورية، فقال: «هو في حلٍّ من ضربي»(٢). رحمه الله وغفر له.

قال صالح: «وقد كنتُ ألتمس وأحتالُ أن أوصل إليه طعامًا أو رغيفًا أو رغيفين في هذه الأيام؛ فلم أقدر على ذلك.

وأخبرني رجل حضرهُ، قال: تفقَّدتهُ في هذه الأيام -وهم يناظرونه ويكلمونه- فما لحنَ، ولا ظننتُ أنَّ أحدًا يكونُ في مثل شجاعتهِ، وشدَّةِ قلبه»(٣).

١- المصدر نفسه (٢/١٢٠).

٢- السير (١١/٢٥٧- ٢٥٨)، قلت: صدق الإمام عندما ذكر الشام، فإنَّ الشام أرض مباركة، وهي معقل الجهاد ضد الصليبين واليهود، وقد وقع ذلك على لسان أهل العلم، فقال الإمام الشافعي: «من أراد علم الملاحم فعليه بأهل الشام» كما في مجموع رسائل ابن رجب «رسالة فضائل الشام» (٣/٢٢٧).

وقال الإمام مالك بن أنس: قال لي أبو جعفر- المنصور- يومًا على ظهرها أحد أعلم منك؟

قلت: بلى.

قال فسمهم لي.

قلت: لا أحفظ أسماءهم، قال: قد طلبت هذا الشأن في زمن بني أمية فقد عرفته، أمَّا أهل العراق فأهل كذب وباطل وزور، وأمَّا أهل الشام فأهل جهاد ليس عندهم كبير علم، وأمَّا أهل الحجاز ففيهم بقية علمٍ وأنت عالم الحجاز. كما في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/٢٩) و(ص١١٠/ المقدمة).

٣- المحنة لصالح (ص١٦٣).



قطوف من حياته

كانت أحوال الإمام رحمه الله وحياتُه، حياة العلماء العاملين، ونموذجًا من نماذج الصالحين المتقين لرب العالمين، فأوقاته بذكر الله عامرة، وبفعل الخير وتعليمه والحث عليه شاغلة.

كان خاملًا لا يحب شهرة، متواضعًا مؤثرًا الآخرةَ على الدنيا، برًا تقيًا، مقبلًا على أمره، تاركًا لمجالس اللاهين، وكلام الفارغين، يذكر الموت، ويحب العزلة، صوامًا قوامًا، يعمل بكسب يده، ويتورع عمًّا فيه أدنى شبهة، حليمًا متواضعًا، دائمَ البشر، قليلَ الكلام، إلى غير ذلك من الأحوال والصفات التي يجيءُ ذكرها.

عن أبي عصمة عاصم بن عصام البيهقي (ت ٢٦١هـ)، قال: بتُّ ليلَة عند أحمد بن حنبل فجاء بالماء فوضعه، فلمَّا أصبح نظر في الماء فإذا هو كما كان، فقال: «سبحان الله! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل»[١].

قال المروذي: «رأيت أبا عبد الله إذا كان في البيت عامة جلوسه متربعًا خاشعًا، فإذا كان برًا، لم يتبين منه شدة خشوع، وكنت أدخل والجزء في يده يقرأ»[٢].

وقال صالح: «كان أبي ربمَّا خرج إلى البقال فيشتري جرزة حطب فيحملها»[٣].

وكان إذا ذكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: «الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب»[٤].

١- طبقات الحنابلة (٣/١٠٣)، و«الجامع» للخطيب (١/٢٠١)، وعاصم هذا ذكره الإمام الذهبي في «تاريخه» (٦/٣٤٧) قيل: «كان مجاب الدعوة».

٢- السير (١١/١٨٥).

٣- الآداب الشرعية (٢/٢٨).

٤- تاريخ الإسلام (٥/١٠٢٣).

وقال إسماعيل بن العلاء: حدثني أبي قال: دعاني الكلوذاني رزق الله بن موسى، فقدم إلينا طعامًا كثيراً، وكان في القوم: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة، وجماعة فقدم لوزينج أنفق عليها ثمانين درهمًا، فقال: أبو خيثمة هذا إسراف!

قال: فقال: أحمد لا لو أنَّ الدنيا جمعت حتى تكون في مقدار لقمة، ثمَّ أخذها امرؤ مسلم، فوضعها في فمِ أخيه المسلم لما كان مسرفًا.

فقال: «يحيى صدقت يا أبا عبد الله»[١].

وقال: «ما أعدِل بالفَقر شيئاً، ما أعدلُ بالفَقر شيئاً، أنا أفرح إذا لم يكن عندي شَيء»[٢].

وقال: «يعجبني أنْ يكون للرجلِ ركعاتٌ من الليل والنَّهارِ معلومة؛ فإذا نشط طوَّلها، وإذا لم ينشط خفَّفها»[٣].

وقال صالح بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي قال: «كان ربَّما أخذ القدوم وخرج إلى دار السكان يعمل الشيء بيده»[٤].

وقال: «سمعته يجهر بآمين في الصلاة يمد بها صوته خلف الإمام»[٥].

قال عبد الملك بن عبد الحميد الميموني (ت ٢٧٤هـ): «ما أعلم أنِّي رأيت أحدًا أنظف بدنًا، ولا أشد تعاهدًا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنهِ، ولا أنقى

١- الطبقات (١/١٠٥).
٢- المناقب (ص٣٦٤).
٣- غذاء الألباب (٢/٥٠٧)
٤- الحث على التجارة (ص٣٩).
٥- المقصد الأرشد (١/٤٤٥).

ثوبًا بشدةِ بياض من أحمد بن حنبل رضي الله عنه»[١].

وقال عبد الله (ت ٢٩٠هـ): «كان أبي أصبر النَّاسِ على الوحدة، لم يرهُ أحدٌ إلا في مسجدٍ أو حضور جنازةٍ أو عيادة مريضٍ، وكان يكره المشي في الأسواق»[٢].

وعنه قال: «كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاث مائة ركعة؛ فلمَّا مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة وقد كان قرب من الثمانين»[٣].

وعنه، قال: سئل أبي: لم لا تصحب النَّاس؟ قال: «لوحشة الفراق»[٤].

وقال صالح (ت ٢٦٥هـ): «ما رأيت أبي قطُّ اشترى رمَّانًا ولا سفرْجَلًا ولا شيئًا

١- السير (٢٠٨/١١).

٢- قلت: هذه هي العزلة الشرعية التي يعتزل فيه الإنسان الناس إلا في الطاعات والقربات، ولهذا ورد أنَّ الإمام أنكر السياحة في الأرض كما سنذكره في الكتاب، ومع ذلك فالسلف على مذهبين في شأن العزلة، كما قال النجم ابن قدامة في «مختصر منهاج القاصدين» (ص١٠٩- ١١٠): «اختلف الناس في العزلة والمخالطة، أيتهما أفضل؟ مع أنَّ كل واحدة منهما لا تنفك عن فوائد وغوائل، وأكثر الزهاد اختاروا العزلة.

وممَّن ذهب إلي اختيار العزلة: سفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، وداود الطائي، والفضيل، وبشر الحافي، في آخرين.

وممَّن ذهب إلى استحباب المخالطة سعيد بن المسيب، وشريح، والشعبي، وابن المبارك في آخرين.

ولكل طائفة فيما ذهبت إليه حجج».

وقال ابن الجوزي البغدادي في «تلبيس إبليس» (ص٣٥٢) «كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالًا بالعلم والتعبد إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق؛ وإنَّما هي عزلة عن الشر وأهله، ومخالطة البطالين، وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة، فمنهم: من اعتزل في جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاتته الجمعة، وصلاة الجماعة، ومخالطة أهل العلم.

وعمومهم اعتزل في الأربطة؛ ففاتهم السعي إلى المساجد، وتوطنوا على فراش الراحة، وتركوا الكسب....».

٣- صفة الصفوة (٣٤٨/٢)، و«تهذيب الكمال» (٤٥٨/١- ٤٥٩).

٤- الطبقات (١٨٦/١)، و«السير» (٣١٨/١١)، قلت: ونحو هذا ما ذكره ابن علان في «دليل الفالحين» (٤٧٢/٦) قائلًا: ومن لطيف ما يحكى أنَّ إمام الحرمين سُئِلَ أول جلوسه بعد موت أبيه لم كان السفر قطعة من العذاب؟ فقال: «لما فيه من فراق الأحباب».

من الفاكهة إلا أن يكون يشتري بطِّيخةً، فيأكلها بخبزٍ، أو عنبًا، أو تمرًا، فأمَّا غير ذلك فما رأيتُه قطُّ اشتراه»[١].

وقال الفضل بن زياد: «رأيت على أبي عبد الله في الشتاء قميصين وجبة ملونة بينهما، وربما قميصًا وفروًا ثقيلًا، ورأيته عليه عمامة فوق القلنسوة، وكساءً ثقيلًا»[٢].

وقال المروذي: «كان لا يجهل، وإن جهل عليه حلم واحتمل. ويقول: «يكفي الله»، ولم يكن بالحقود ولا العجول، كثير التواضع، حسن الخلق، دائم البشر، لين الجانب، ليس بفظ، وكان يحب في الله، ويبغض في الله، وإذا كان في أمر من الدين اشتد له غضبه، وكان يحتمل الأذى من الجيران»[٣]. رحمه الله ورضي عنه. وذكر أبو بكر المروذي أنَّه: «كان إذا بلغه عن رجل صلاحٌ، أو زهد، أو قيامٌ بحق، أو اتباع للأمر؛ سأل عنه، وأحبَّ أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله»[٤].

وقال يعقوب بن بختان[٥]: ولد لي سبع بنات، فكنت كلما ولد لي ابنة دخلت

١- الجرح والتعديل (٣٠٤/١)، و«المقدمة» (ص٦١٨) و«تهذيب الأسماء واللغات» (١١١/١)، والنووي عندما نقل الترجمة في كتابه المذكور، صرح بنقلها من كتاب الجرح والتعديل.

٢- الجرح والتعديل (٢٢٠/١١).

٣- العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم للوزير اليماني، وقد ذكر فصلًا طويلًا في مناقب الإمام وسيرته، واستله من كتاب «السير» للذهبي كما صرح بذلك فاعلم ذلك، وانظر: (٣١٣/٤) وما بعد.

٤- المناقب لابن الجوزي (ص٢٩٨- ٢٩٩)، فأين هذا الخلق اليوم من أهل العلم؟!.

٥- روى عنه: أبو بكر بن أبي الدنيا، وجعفر بن محمد الصندلي، وأحمد بن محمد بن أبي شيبة، وكان أحد الصالحين الثقات، ومن نفائس ما روى؛ هذا الأثر بسندهِ قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، قال: سمعت الشافعي، قال: سمعت مالكًا، قال: سمعت ابن عجلان، قال: «إذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله». كما في «تاريخ بغداد» (٤٠٨/١٦)، و«المقاصد الحسنة» (١٢٨٢)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٤٥١/٦) وفاته بين (٢٦١- ٢٧٠هـ).

على أحمد بن حنبل، فيقول: «لي يا أبا يوسف الأنبياء آباء بنات فكان يذهب قوله همي»[١].

وقال إدريس الحداد (ت ٢٩٢هـ): «ما رأيت أحمد قط إلا مصليًا أو يقرأ في المصحف أو يقرأ في كتاب، ما رأيته في شيء من أمر الدنيا، وقيل: ربمَّا اشتد به فبقي اليوم واليومين والثلاثة لا يأكل فإذا رأى أهله شرب الماء يوهمهم أنَّه شبعان»[٢].

وقال معروف وذكر عنده أحمد بن حنبل: رأيتُ فتىً عليه آثار النُّسك، سمعته يقول كلامًا جمع فيه الخير، سمعته يقول: «من علم أنَّه إذا مات نسي أحسن ولم يسيء»[٣].

قال إسحاق بن إبراهيم: «خرجت مع أبي عبد الله إلى الجامع فسمعته يقرأ سورة الكهف»[٤].

وقال المروذي: «رأيت أبا عبد الله إذا أراد القيام، قال لجلسائه: إذا شئتم»[٥].

وقال المروزي: إنَّ بعض المحدثين قال لي: «أبو عبد الله لم يزهد في الدراهم وحدها، قد زهد في الناس»[٦].

قال الحافظ ابن الصلاح في «فتاويه» (١/١٠- ١١): «هذا إسناد جليل، عزيز جدًّا لاجتماع أئمة المذاهب الثلاثة فيه، بعضهم عن بعض، وروى مالك مثل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما»، قلت: وما روي عن ابن عباس ذكره الاجري في «أخلاق العلماء» (ص١٣١)، و«الفقيه والمتفقه» (٢/٣٦٦).

١- تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم (ص٢٦)، وهو كتاب «المحنة» لصالح (ص١٣٠)، ذكرها صالح عن نفسه بأنَّ والده كان يقول له ذلك.

٢- السير للأصفهاني (ص١٠٥٨).

٣- طبقات الحنابلة (١/٣٨١).

٤- المغني (٢/١٢٧).

٥- السير (١١/٢١١).

٦- الورع لأحمد (٤٩٤).

وقال ابن هانئ (ت ٢٦٥هـ): كنت عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل: يا أبا عبد الله قد اغتبتك فاجعلني في حلٍّ!

قال: أنت في حل إن لم تعد، فقلت له: تجعله في حلٍّ يا أبا عبد الله وقد اغتابك، قال: «ألم تر اشترطت عليه؟»[١].

وقال المروذي: «رأيت أبا عبد اللَّه يغسل يديه قبل الأكل وبعده؛ وإن كان على وضوء»[٢].

وكان يقول عند كل لقمة: الحمد للَّه، وبسم اللَّه. ثمَّ قال: «أكل وحمد، خير من أكل وصمت»[٣].

وقال: «السنَّة أن يأكل بيده، وألا يأكل بملعقة ولا غيرها، ومن أكل بملعقة أو غيرها أخل بالمستحب وجاز»[٤].

قال أبو داود: قلت لأحمد: الشرب قائمًا؟ قال: «قد روي ذا وذا -يعني: النهي والرخصة-». وقد روي أنَّ أصحاب النَّبي ﷺ شربوا -يعني: قيامًا- فأرجو ألا يكون به بأس.

قال أحمد بن يحيى ثعلب: دخلت على أبي عبد الله أحمد بن حنبل يومًا فسمعته، يقول: كنت بالبصرةِ في مجالس الفقهاء فرأيت شيخًا، فسألت عنه، فقيل: أبو نواس، فقلت: له: أنشدني شيئًا من شعرك، فأنشأ يقول: «

١- سير السلف الصالحين للأصبهاني (ص١٠٦٢)، و«تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة» (١/ ٦٠)، وابن هانئ هذا هو إبراهيم بن هانئ أبو إسحاق النيسابوري ثقة نزل بغداد، قال الإمام أحمد بن حنبل: «إن كان ببغداد أحد من الأبدال، فأبو إسحاق النيسابوري». كما في «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٧- ١٨).

٢- المغني (١٠/ ٢١١).

٣- مسائل ابن هانئ (١٧٥١).

٤- الآداب الشرعية (٣/ ٢٠٥).

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُلْ خَلَوْتُ، وَلَكِنْ قُلْ: عَلِيَّ رقيبٌ

وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُغْفِلُ مَا مَضَى وَلا أَنَّ مَا نُخْفِي عَلِيهِ يَغِيبُ

لَهَوْنَا عَنِ الأَيَّامِ حَتَّى تَتَابَعَتْ ذنوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبُ

فَيَا لِيتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى وَيَأْذَنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَنَتُوبُ»[١]

وقال صالح: كان أبي إذا دعا له رجل، قال: «ليس يحرز الرجل المؤمن إلا حفرته، الأعمال بخواتيمها»[٢].

وقال أبي في مرضه: أخرج كتاب عبد الله بن إدريس، فقال: «اقرأ علي حديث ليث: أنَّ طاووسًا كان يكره الأنين في المرض.

فما سمعت لأبي أنينا حتى مات»[٣].

قال الأثرم: سمعت أبا عبد الله مرارًا يقول إذا قام من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، حتى أرى شفتيه تتحركان، فلا أفهم بقية كلامه، كأنَّه يذهب إلى ما روي عن النبي ﷺ في كفارة المجلس»[٤].

وقال عيسى بن جعفر: ودعت أحمد بن حنبل حين أردت الخروج إلى بابل فقال: «لا جعله الله آخر العهد منَّا ومنك»[٥].

١- تاريخ دنيسر (ص٥٢)، و«إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة» للحافظ العلائي (٦٨٤/٢).
٢- المحنة لصالح (ص١٤٠) ، و«السير» (٢١٥/١١).
٣- السير (٢١٥/١١).
٤- الجامع لعلوم الإمام أحمد (٧١/٢٠).
٥- الآداب الشرعية (٤٢٠/١).

[لطيفة]

(١)–عن الحسن بن الحسين الرازي، قال: حضرت بمصر عند بقال، فسألني عن أحمد بن حنبل، فقلت: كتبت عنه، فلم يأخذ ثمن المتاع مني، وقال: «لا آخذ ثمنًا ممَّن يعرف أحمد بن حنبل»[١].

(٢) –وقال إسحاق بن راهويه: رأيت أحمد بن حنبل رضي الله عنه يصلي، فقال: بيده هكذا يشير بإصبعيه فلمَّا سلم، قلت: يا أبا عبد الله ما قلت: في صلاتك؟ قال: كنت على طهارة فجاء إبليس، فقال: إنَّك على غير طهارة.

فقلت: «شاهدين عدلين»[٢].

١– تهذيب الأسماء واللغات (١/١١٢).

٢– طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/١٠٧).

في بيته

بيت الإنسان مكمن سره، ومكان ستره، يفعل فيه من المباحات ما لا يفعله بحضرة غيره، من أكل وشرب، وجلوس وقيام، وغير ذلك، وقد نقل عن الإمام من تفاصيل حياته في بيته ما يستفيد منها طلاب العلم والدعاة إلى الله، ومن ذلك ما قاله المروزي: «رأيت أبا عبد الله إذا كان في البيت كان عامة جلوسه متربعاً خاشعاً، وإذا كان خارج بيته لم يبن منه شدة خشوع، كما كان في بيته»(١).

وقال الميموني: «إنَّ أبا عبد الله دقت عليه امرأة دقًا فيه بعض العنف، فخرج وهو يقول: ذا دق الشرط»(٢).

وقال صالح: «إنَّ أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو متقشف؛ لأنظر إليه، يحب أن أكون مثله»(٣).

قال محمد بن سهل بن عسكر: كنَّا عند أحمد بن حنبل فدخل محمد بن يحيى -يعني الذهلي-، فقام إليه أحمد، وتعجَّب منه النَّاس، ثمَّ قال لبنيه وأصحابه: «اذهبوا إلى أبي عبد الله واكتبوا عنه»(٤). قلت: شاهد ذكري حرصه رحمه الله على تعليم أولاده، وهذا شيء ينبغي على الدعاة وأهل العلم أن يمعنوا النظر فيه، لا سيَّما في زحمة الإنشغال وكثرة الأعمال.

وقال صالح: «كان أبي يختم من جمعة إلى جمعة، فإذا ختم دعا فيدعو ونؤمن

١- الأمر بالاتباع للسيوطي (ص١٩٧) ط: دار ابن القيم.
٢- الآداب الشرعية (١/٤٤).
٣- السير للذهبي (ترجمة: صالح) (١٢/٥٣٠)، و«المقصد الأرشد» (١/٤٤٥).
٤- تاريخ بغداد (ترجمة: الذهلي) (٤/٦٥٦)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/٥٣١).

على دعائه»[1].

وكان كثير من السَّلف يؤثر بفطوره غيره وهو صائم ويصبح صائمًا، منهم: الإمام أحمد بن حنبل[2].

وقال عبد الله: كنت جالسًا عند أبي رحمه الله يومًا فنظر إلى رجلي وهما لينتان ليس فيهما شقاق! فقال لي: «ما هذه الرجلانِ لم لا تمشي حافيًا؛ حتى تصير رجلاك خشنتين؟»[3].

وعن أبي زرعة قال: قال لي أحمد بن حنبل: «ابني عبد الله محظوظ من علم الحديث أو من حفظه، لا يكاد يذاكرني إلا بما لا أحفظ»[4].

وقال صالح: كان إذا خرج الدَّلو ملأى، قال: الحمد لله.

قلتُ: يا أبةِ، أيُّ شيءٍ الفائدةُ في هذا؟

فقال يا بنيَّ: «أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾»[5].

وكانت أم ولده تعاتبه وتقول له: أنا معك في ضيقٍ وأولادك يأكلون ويفعلون ويفعلون. فيقول لها: قولي خيرًا. فخرج إِلَيْهِ صبي له صغير يبكي فَقَالَ: أي شيء تريد؟

١- سيرة الإمام أحمد لابنه (ص١١٩)، وينظر في الباب كتاب: (مرويات دعاء ختم القرآن، وحكمه داخل الصلاة وخارجها) للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله، و(جزء في دعاء ختم القرآن الكريم) للشيخ عبد الله السعدحفظه الله وبارك بعلمه.

٢- استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس (١/٩٥)، ومن هؤلاء: (عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وداود الطائي، وعبد العزيز بن سليمان، ومالك بن دينار، وغيرهم).

٣- تاريخ دمشق (٥/٢٩٨).

٤- طبقات علماء الحديث (٢/٣٧٨).

٥- المجموع من مرويات أبي الفضل صالح (ص٢٤٤).

قال: زيت.

قال: «اذهب فخذ من البقال بحبة»[١].

وذكروا أنَّ الإمام أحمد سمع في منزل ابنه صالح -من وراء الباب- منشدًا ينشد أبياتًا من هذه الزهديات، ولم ينكر ذلك، لكن لم يكن مع إنشادها تغبير، ولا ضرب بقضيب ولا غيره[٢].

وقال الإمام أحمد: «أقامت أم صالح معي عشرين سنة فما اختلفت أنا وهي في كلمة»[٣].

واشترى الإمام أحمد بن حنبل دقيقًا، فوافى أيوب الحمال، فحمله معه إلى بيته، فوجد فيه خبزًا، فرآه أيوب، فقال أحمد لابنه صالح: أعطهِ رغيفين فردهما وذهب.

فقال أحمد لابنه: الحقه بهما، ففعل، فأخذهما.

فعجب صالح! فقال أحمد: «لا عجب استشرفت نفسه للخبز حين رآه، فرده، فلمَّا ذهب أيس، فأعطيه فقبله»[٤].

قال صالح: «وأكلَ يومًا في منزلي؛ فأخذ لُقمةً فناولها الخادم، وكان ربَّما خُبز لهُ، فيُصيَّر لهُ في فخارةٍ عدسٌ وشحمٌ، وربما قال: صيروا فيه تمراتٍ شهريز، فكان إذا أراد أن يأكل يجيءُ إلى الصبيان بقصعةٍ من ذاك العديسِ، فيصوِّتُ ببعضهم،

١- شرح حديث (إن أغبط أوليائي) (٤/٤٢١).
٢- نزهة الأسماع في مسألة السماع (٢/٢٦٣)، وسبق ابن رجب هذا بقوله: «ومن أصحابنا من حكي عنه رواية أخرى في الرخصة في سماع القصائد المجردة، وهي اختيار أبي بكر الخلال وصاحبه أبي بكر عبد العزيز وجماعة من التميميين، وهؤلاء يحكى أيضاً عنهم الرخصة في الغناء، وإنَّما أرادوا سماع هذه القصائد الزهدية المرققة، لم يرخصوا في أكثر من ذلك»، ثمَّ ذكره.
٣- الآداب الشرعية (٢/٢٣٨).
٤- التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٣٥٣) ط: مكتبة الإمام الشافعي.

فيدفعُهُ إليهِ، فيضحكون ولا يأكلون.

وكان كثيرًا ما يأتدمُ بالخلِّ»[١].

ولما دخل صالح ابن الإمام أحمد إلى أصبهان قاضيًا بدأ بالمسجد الجامع فصلى فيه ركعتين، واجتمع الناس والشيوخ، وقرئ عهده بالقضاء الذي كتب له الخليفة، وجعل يبكي حتى بكى الشيوخ الذين قربوا منه، فلمَّا فرغ من قراءة العهد، جعل المشايخ يدعون له، ويقولون: ما في بلدنا أحد إلا وهو يحب أبا عبد الله ويميل إليه.

فقال لهم: أتدرون ما أبكاني؟ ذكرت أبي أن يراني في مثل هذا الحال[٢].

١- التيسير بشرح الجامع الصغير (٣٥٣/١).
٢- المقصد الأرشد (٤٤٤/١).

دعاؤه وتضرعه

قال صالح بن أحمد بن حنبل: كان أبي إذا دعا له رجل، يقول: الأعمال بخواتيمها. وكنت أسمعه كثيرًا يقول: «اللهم سلِّم سلِّم»[١].

وكان دعاؤه في السجود: «اللهم من كان من هذه الأمَّةِ على غير الحقِ، وهو يظن أنَّه على الحقِ، فرده إلى الحقِ ليكونَ من أهلِ الحق»[٢].

وقال: «اللهم لا ترانا حيث نهيتنا، ولا تفقدنا حيث أمرتنا، أعزنا ولا تذلنا، أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعاصي»[٣].

وكان يقول: «سبحانك ما أغفل هذا الخلق عمَّا أمامهم، الخائف منهم مقصر، والراجي منهم متوان»[٤].

وقال طلحة البغدادي: وافق ركوبي ركوب أحمد بن حنبل رحمه الله فكان يطيل السكوت؛ فإذا تكلم قال: «اللهم أمتنا على الإسلام والسنة..!»[٥].

وكان رحمه الله يقول في دبر صلاته: «اللهمَّ كما صنتَ وجهي عن السجود لغيرك، فصن وَجهي عن المسألة لغيرك».

فقلتُ له -ابنه عبد الله-: أسمعك تُكثر من هذا الدعاء، فعندك فيه أثرٌ؟

قال: فقال لي: «نَعم، كنتُ أسمع وَكيع بن الجراح كثيرًا يقول هذا في سُجوده، فسألته كما سألتني، فقال: كنتُ أسمع سفيان الثوري، يقول هذا كثيرًا في

١- المناقب (ص٣٧٨).
٢- البداية والنهاية (١٤/٣٩٠)، و «الطيوريات» (١/١٨٢).
٣- تاريخ بغداد (١١/٥٨٢).
٤- شعب الإيمان (٣٨٥).
٥- تاريخ دمشق (٥/٣٢٣).

سجوده، فسألته، فقال: كنتُ أسمع منصور بن المعتمِر يقوله»[١].

وعن أَبي بكر بن الخلال، قال: سمعت أَحمد بن حنبل، يقول: كنتُ أحفظ القرآن، فلمَّا طلبت الحديث اشتغلتُ- فقلت: متى- فسأَلت الله ﷻ أَن يمنَّ عليّ بحفظه ولم أقل: في عافية، «فما حفظته إلا في السجن والقيود، فإذا سأَلت الله حاجة فتقول: في عافية»[٢].

١- مناقب الإمام أحمد (ص٣٩٢)، وهذا فيه لطيفة إسنادية، تعرف عند أهل الحديث بالمسلسل ويعرف بـ «تتابع رجال الإسناد وتواردهم فيه، واحدًا بعد واحدٍ، على صفةٍ أو حالةٍ واحدةٍ»، وهو النوع (الثالث والثلاثون) في كتابِ «معرفة أنواع علوم الحديث» (ص٢٧٥)، فانظره.
وفيه فائدة أثرية مباركة وهي قول ابنه «فعندك فيه أثرٌ؟» لتعلم حرص الإمام على اتباع الأثر، وتعليمه ذلك لأهل بيته، ومثل هذا حصل مع الإمام أحمد ففي «الحكم الجديرة» (٢٢٤/٤) كان بشر الحافي يقول لمن سأله عن مرضه: رحمه الله إليكم، بي كذا وكذا. فنقل ذلك للإمام أحمد، وقالوا: هو يبدأ بالحمد قبل أن يصف مرضه، فَقَالَ أحمد: سلوه عمَّن أخذ هذا؟ يعني إن كان هذا لم ينقل عن السلف فلا يقبل منه، فَقَالَ بشر: عندي فيه أثر، ثمَّ روى بإسنادهِ عن بعض السلف قال: «من بدأ بالحمد قبل الشكوى لم تكتب عليه الشكوى» فبلغ ذلك الإمام أحمد فقبل قوله.
٢- مناقب الإمام أحمد (ص٣٩)، وبدون ذكر القصة، فقط قوله: «فإذا سأَلت الله حاجة فتقول: في عافية» ذكره ابن مفلح في «الفروع» (٢/٢٦-٢٧)، وفي «الآداب الشرعية» (١٨٢/٢).
قلت: وذكر أبو بكر البغدادي البزاز في «الغيلانيات» (٣٧٥/١)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١٧١٣)، عن مبارك بن سعيد قال: أردت سفرًا، فقال لي الأعمش: سل ربك أن يرزقك صحابة صالحين؛ فإنَّ مجاهدًا حدثني قال: «خرجت من واسط فسألت ربي أن يرزقني صحابة، ولم أشترط في دعائي فاستويت أنا وهم في السفينة فإذا هم أصحاب طنابير» والطانبير: جمع طنبور، وهي أداة موسيقية.



رحلاته

كان الإمام في حداثته يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف.

ثمَّ ترك ذلك وأقبل على سماع الحديث، فكان أول طلبه للحديث وأول سماعه من مشايخه في سنة تسع وسبعين ومائة، وله من العمر ست عشرة سنة.

وأول حجة حجها في سنة سبع وثمانين ومائة.

ثمَّ في سنة إحدى وتسعين، وفيها حج الوليد بن مسلم.

ثمَّ في سنة ست وتسعين، وجاور إلى سنة سبع وتسعين، ثمَّ حجَّ في سنة ثمان وتسعين، وجاور إلى سنة تسع وتسعين، سافر إلى عند عبد الرزاق باليمن، فكتب عنه هو ويحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه.

قال الإمام أحمد: «حججت خمس حجج؛ منها ثلاث راجلًا، أنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهمًا».

قال: «وقد ضللت في بعض هذه الحجج، عن الطريق وأنا ماش»، فجعلت أقول: «يا عباد الله دلوني على الطريق، فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق».

قال: «وخرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لبنة، ولو كان عندي خمسون درهمًا؛ كنت رحلت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري (ت ١٨٨هـ)، وخرج بعض أصحابنا ولم يمكني الخروج؛ لأنَّه لم يكن عندي شيء»[١].

وقال: «رحلت في طلب العلم والسنَّة إلى الثغور، والشامات، والسواحل، والمغرب، والجزائر، ومكة، والمدينة، والحجاز، واليمن، والعراقين جميعاً، وفارس،

١- البداية والنهاية (٣٨٢/١٤)، وانظر: «المحنة» لصالح (ص١٢١).

وخراسان، والجبال، والأطراف ثمَّ عدت إلى بغداد»[١].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي رحمه الله عمَّن طلب العلم ترى له أن يلزم رجلًا عنده علم فيكتب عنه أو ترى أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟

قال: «يرحل يكتب عن الكوفيِّين، والبصريِّين، وأهل المدينة، ومكة؛ يشامُّ الناس يسمعُ منهم»[٢].

وقال: «كتبتُ عن مبشر بن اسماعيل -الحلبي (ت ٢٠٠)- نحو خمسة أحاديث في مسجد حلب، وكنَّا خرجنا إلى طرطوس على أرجلنا، وكان مبشر شيخًا صالح الحديث ثقة»[٣].

ويذكر صاحب كتاب «حياة الحيوان»[٤] قائلاً: عن سيدنا الإمام أحمد ﵁: أنَّه بلغه أنَّ رجلًا من وراءِ النهر معه أحاديث ثلاثية، فرحل الإمام أحمد ﵁ إليه فوجد شيخًا يطعم كلبًا فسلَّم عليه فرد ﵇، ثمَّ اشتغل الشيخ بإطعام الكلب، فوجد الإمام أحمد في نفسه إذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه، فلمَّا فرغ الشيخ من طعمة الكلب التفت إلى الإمام أحمد، وقال له كأنَّك وجدت

١- انظر: صفة المفتي لابن حمدان (ص٢٩١- ٢٩٢) ط: الصميعي، وذكره ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٠٩) ترجمة: (أحمد بن شاذان العجلي).

٢- الرحلة في طلب الحديث (ص٦٨) ط: دار المنهاج القويم.

قلت: قال الخطيب في «الجامع» (٢/٢٣٢): «المقصود في الرحلة في الحديث أمران:

أحدهما: تحصيل علو الإسناد، وقدم السماع.

والثاني: لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم.

فإذا كان الأمران موجودين في بلد الطالب، ومعدومين في غيره فلا فائدة في الرحلة، والاقتصار على ما في البلد أولى».

٣- بحر الدم (٢/٧٩).

٤- «حياة الحيوان الكبرى» لمحمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (ت ٨٠٨هـ).

في نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك؟ قال: نعم.

قال: حدثني أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ، أنَّ النَّبي ﷺقال: «من قطع رجاء من ارتجاه، قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنَّة».

وأرضنا هذه ليست بأرض كلاب، وقد قصدني هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه، فقال الإمام: «هذا الحديث يكفيني»، ثمَّ رجع[1].

وإلى بيان موجز عن رحلاته[2]:

[١] كانت أولى رحلاته في طلب الحديث إلى: الكوفة سنة وفاة شيخه هشيم سنة (١٨٣هـ).

وكان أَجلَّ شيوخه فيها وكيع، وكانت صلته به على نحو صلة زفر بأَبي حنيفة، لكن هذا في تلقي الرأي، وأَحمد في تلقي السنة.

وكان في رحلته هذه في حال شظف في العيش؛ إذ كان يتوسد اللبن من قلة ذات اليد، وقد حُمَّ فرجع إلى أمِّه في بغداد.

[٢] ثمَّ رحل إلى ما هو أبعد منها عن بغداد: البصرة دار آبائه وأَجداده من بني شيبان، دخلها أَول ما دخلها في أَول شهر رجب سنة (١٨٦هـ)، ثمَّ سنة (١٩٠هـ)، ثمَّ (١٩٤هـ)، ثمَّ سنة (٢٠٠هـ)، ثمَّ رحلة خامسة.

١- حياة الحيوان (٣٨٤/٢)، و«غذاء الألباب» للسفاريني (٧٧/٢)، ونقله الأبشيهي في «المستطرف في كل فن مستطرف» ط: عالم الكتب (ص٣٧٠)، بصيغة التمريض نحوهما.

قلت: هذه القصة عزاها الدميري بقوله: «وفي مناقب الإمام أحمد»، ولم أجدها في «المناقب» وهو في الأصل لم يذكر لها سندًا يسندها إليه، وهذا يعني في عرف أهل الحديث أنَّ هذه القصة لا أصل لها، والله أعلم.

والحديث المذكور أيضًا لا وجود له في كتب الحديث المعروفة المشتهرة، قال العلامة ملا علي القاري في «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» رقم (٥٢٠) عن الحديث المذكور: «ينسب في حياة الحيوان الكبرى معزواً لأحمد عن أبي هريرة به مرفوعًا، وقال السخاوي: وذلك مختلق على أحمد».

٢- انظر: المدخل المفصل (٣٤٥/١-٣٤٨).



والتقى فيها بأَعلامها: ابن علية، وابن مهدي، وابن القطان.

[٣] ورحل إلى: عبادان سنة (١٨٦هـ)

[٤] ورحل إلى: واسط سنة (١٨٧هـ) وهو في طريقه إلى مكة لأَداء فريضة الحج، وأَخذ فيها عن: يزيد بن هارون.

[٥] ورحل إلى: طرسوس ماشيًا على قدميه.

[٦] وبعد أَن أَنهى أَمصار قطره، صَوَّب سفره إلى الحجاز لأَداء فريضة الحج سنة (١٨٧هـ) فأَخذ في مكة عن: ابن عيينة، ثم الشافعي.

ثمَّ حج تطوعًا أَربعًا، منها في: سنة (١٩٧ هـ)، وسنة (١٩٨ هـ).

فهذه خمس حجات كان في ثلاث منها يحج ماشيًا، ومرتين راكبًا وكان في حجته سنة (١٩٨ هـ) يفتي النَّاس في الموسم في مسجد الخيف.

[٧] ورحل ماشيًا إلى صنعاء اليمن سنة (١٩٨ هـ)، وأَقام عند شيخه محدِّث اليمن: عبد الرزاق بن همام، مدة سنتين، وفيها أَخذ عن: إبراهيم بن عقيل، وكان عَسِراً في الرواية.

[٨] ورحل إلى الشام.

وكان أُستاذه وشيخه الذي اختص به لملازمته والتخرج عليه، الحافظ أَبو سهل هشيم بن بشر الواسطي، إِذ لازمه من سنة (١٧٩هـ) إلى سنة (١٨٣هـ).

قال الإِمام أَحمد: «كتبت من هشيم سنة (١٧٩ هـ)، ولزمناه إلى سنة (١٨٣ هـ)، وكتبنا منه كتاب الحج، نحوًا من أَلف حديث، وبعض التفسير وكتاب



القضاء، وكُتبًا صغارًا»[1].

١- تاريخ بغداد (٤١٦/٤) وشأنه في هذا شأن الأَئمة في ملازمة شيخ يتخذ الطلب عليه أَساسًا في حياته العلمية، وتحصيله، مع الاختلاف إلى غيره.
وهذا أَبو حنيفة اختص بأستاذه حماد بن أبي سليمان، وبه تَفَقَّه. ومالك اختص بأستاذه ابن هرمز. والشافعي اختص بأُستاذه مالك، وقد سمَّاهم ابن الجوزي في: «المناقب» وساقهم على حروف المعجم.

(فرع): في ذكر سبب عدم رحلاته لبعض المحدثين

قال عبد الله: قال أبي: ولو كانت عندي خمسون درهمًا كنت خرجت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري، فخرج بعض أصحابنا، لم يمكني الخروج، لأنه لم يكن عندي.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: مالك لم ترحل إلى جرير كما رحل أصحابك، لعلك كرهته؟!

فقال: والله يا بني ما كرهته، وبِودي أنَّي رحلت إليه، إنَّه كان إمامًا في الرواية،

قلت: فما كان السبب؟

فقال: لو كان معي ثلاثون درهمًا، لرحلت.

فقلت: ثلاثون درهمًا؟!

فقال: «لقد حججت في أقلِّ من ثلاثين»[١].

وقيل له: أكان يحيى بن يحيى إمامًا؟ قال: «كان يحيى بن يحيى عندي إمامًا، ولو كانت عندي نفقة لرحلت إلى يحيى بن يحيى»[٢].

وقال: «مات العربي -يعني القاسم بن الحكم (ت ٢٠٨هـ)- ونحن نريد أن نشد إليه الرحال»[٣].

١- تهذيب الكمال (١/٤٤٧- ٤٤٨)، و«البداية والنهاية» (١٤/٣٨٢).
٢- الجامع للخطيب (٢/٢٣٣)، و«السير» (١٠/٥١٤).
٣- بحر الدم (١/٣٨١).



من أقواله وفتاويه

للإمام أقوال نيرّة، وفتاوى مباركة طيبة، فيها من التأصيل ومعرفة الواقع، وبعد النظر، ومراعاة المقاصد، وفهم الأولويات، ومن ذلك: قيل له: كيف تعرف الكذابين؟ قال: «بمواعيدهم»(١).

وقال: «برُّ الوالدينِ كفَّارة الكبائر»(٢).

وقال: «تركتُ رضا النَّاس حتى قدرت أن أتكلم بالحق»(٣).

وقال: «كم من نظرةٍ ألقت في قلبِ صاحبها البلابل»(٤).

وقال: «بأكلِ الحلال تطمئنُ القلوب وتلين»(٥).

وقال: «الدنيا دارُ عملٍ، والآخرة دار جزاءٍ؛ فمن لم يعمل هنا ندم هناك»(٦).

وقال: «النَّاس يحتاجون إِلَى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظةٍ، إلا رجلاً معلنًا بالفسق فإنَّه لا حرمة له»(٧).

وقال: «مِنْ فقهِ الرجلِ قِلَّةَ ولُوعِهِ بالماء»(٨).

١- أدب الإملاء (ص٤٠).
٢- الآداب الشرعية (١/٤٣٦).
٣- سير أعلام النبلاء (١١/٣٤).
٤- المغني (٩/٥٠١).
٥- الفروع لابن مفلح (٤/٣٩٨).
٦- الزهد الكبير للبيهقي (٧٢٥).
٧- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملا الأعلى (١/١٠٣).
٨- إغاثة اللهفان (١/٢٢٢) ط: عطاءات العلم، وفي «طبقات الحنابلة» (١/١١٢)، قال: «يكفي لكل عضو غرفة من ماء لمن يحسن يتوضأ».
وفي «إغاثة اللهفان» أيضًا (١/٢٢٢)، قال المروذي: «وضأتُ أبا عبد الله بالعسكرِ، فسترته من الناسِ، لئلا يقولوا: إنَّه لا يحسن الوضوء؛ لقلة صبِّه الماء».
وقال: «كان أحمد يتوضأ فلا يكاد يبُلّ الثَّرى» أهـ. وفي «الطبقات» (١/١١٣): «يكفي لكل عضو غرفة من ماء لمن يحسن يتوضأ».

وقال حميد بن الصباح مولى المنصور: سألت أحمد بن حنبل كم بيننا وبين عرش ربنا تبارك وتعالى؟ قال: «دعوة مسلم يجيب الله دعوته»(١).

وفي مسائل الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله قيل له: ما تقول في التزويج في هذا الزمان؟

فقال: «مثل هذا الزمان ينبغي للرجل أن يتزوج، ليت أن الرجل إذا تزوج اليوم ثنتين يفلت، ما يأمن أحدكم أن ينظر النظرة فيحبط عمله. قلت له: كيف يصنع؟ من أين يطعمهم؟ فقالت: أرزاقهم عليك؟! أرزاقهم على الله عز وجل»(٢).

وقال: «العافيةُ عشرةُ أجزاءٍ كُلُّهَا في التغافل»(٣).

وقال لابنه عبد الله: «يا بنيَّ انوِ الخيرَ فإنَّك لا تزالُ بخيرٍ ما نويت الخير»(٤).

وسُئِلَ عن معنى وضع اليمين عَلَى الشمال فِي الصلاة، فقال: «ذل بين يدي عزيز»(٥).

وقال: «من ترك الوتر عمدًا فهو رجل سوءٍ، ولا ينبغي أن تقبل له شهادةٌ»(٦).

وقال صالح: «رأيت أبي وقد توفي عمٌّ لهُ يقال له: (عبد الله بن حنبل) فلمَّا حُنِّط وكُفِّن؛ قبَّل جبهتهُ قبل أن يُغطَّى وجهُهُ».

١- المقصد الأرشد (١/٣٦٢).
٢- بدائع الفوائد (٤/١٤٠٦).
٣- تهذيب الكمال (١٩/٣٧٠).
٤- الآداب الشرعية (١/١٠٤)، قال ابن مفلح معلقًا: «هذه وصية عظيمة سهلة على المسؤول سهلة الفهم والامتثال على السائل، وفاعلها ثوابه دائم مستمر لدوامها واستمرارها، وهي صادقة على جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعًا سواءً تعلقت بالخالق أو بالمخلوق، وأنها يثاب عليها ولم أجد في الثواب عليها خلافًا».
٥- طبقات الحنابلة (١/٨٤).
٦- المغني (١/٥٩٤).



وقال: وكان إذا شهِد جنازةً؛ تقدَّم أمامها أو يكونُ قريبًا منها، وقال «يتقدَّمُها أحبُّ إليَّ»[١].

وقال: «وكان أبي إذا صلَّى على جِنازةٍ؛ لم يجلس حتَّى يوضع السرير، وقال لا يجلسُ حتى تُوضعَ من أعناقِ الرِّجالِ». وقال: وكان يكبِّرُ على الجنازة أربعًا، ويرفعُ يديهِ مع كلِّ تكبيرةٍ، ويقرأُ فاتحةَ الكتابِ في أوَّلِ تكبيرةٍ، ثمَّ يُسلِّمُ تسليمةً واحدةً[٢].

وقال: في القرعة خمس سنن: «أقرع بين نسائه»، و«أقرع في ستة مملوكين»، وقال لرجلين: «استهما»، وقال: «مثل القائم على حدود الله والمداهن فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة»، وقال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، لاستهموا عليه»[٣].

وقال له رجل: كيف يرق قلبي؟ قال: «ادخل المقبرة، وامسح رأس اليتيم»[٤].

وقال: «إنَّما هو طعامٌ دون طعام، ولباسٌ دون لباسٍ، وإنَّها أيام قلائل»[٥].

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل: ما تكره من الشعر؟ قال: الهجاء، والشعر الرقيق الَّذِي يشبب بالنساء، وأمَّا الكلام الجاهلي فما أنفعه، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من الشعر لحكمة»[٦].

١- كتاب المحنة (ص١٢٧).
٢- المصدر نفسه (ص١٢٩-١٣٠).
٣- المغني لابن قدامة (١٤/٣٨٢).
٤- طبقات الحنابلة (١/٣٩)، و«ذم قسوة القلب» (٢/٤٠٩).
٥- أخبار الشيوخ (١٧٨).
٦- نزهة الأسماع في مسألة السماع لابن رجب (٢/٢٥٦)، والحديث في «صحيح البخاري».

وقال: «إنَّما التقصير في سفر طاعة»[١].

وقال عن الرجل يسافرُ وحده: «لا يعجبني»[٢].

وقال: «إذا أكل أحدكم طعامًا ولم يأكل على أثره فاكهة، كان فى الجوف خلل لم يسده»[٣].

وقال إسحاق بن منصور الكوسج: قلت لأحمد يعني ابن حنبل: اللوطي أحصن أو لم يحصن؟ قال: «يرجم أحصن أو لم يحصن»[٤].

وقال ابن هانئ: وسُئِلَ عن رجلٍ قد حج حججًا، وله قراباتٌ فقراء ويريد الحج، أترى له أنْ يتصدقَ بما يريد أن يحجَّ به على أقربائهِ وهم محاويج؟ قال: «يضعها في أكبادٍ جائعةٍ أحبُّ إليَّ»[٥].

وقال الجصاصي: سألت أحمد بن حنبل رحمه الله، فقلت: أربعة دراهم: «درهم من تجارة برة، ودرهم من صلة الإخوان، ودرهم من أجر تعليم، ودرهم من غلة بغداد؟».

قال: «أحبها إليَّ من تجارة برة، وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان، وأمَّا أجر التعليمِ فإنَّ احتاج فليأخذه، وأمَّا غِلةُ بغداد فأنت تعرفها، ليش تسألني عنها؟»[٦].

١- المقصد الأرشد (٢/٤٤٠).
٢- الآداب الشرعية (١/٤٢٧).
٣- المقصد الأرشد (٣/١٢٣).
٤- ذم اللواط للآجري (٢/٨٨٢) وهو قول (إسحاق بن راهويه، ومالك، وربيعة بن عبد الرحمن، والزهري، وعطاء، وابن المسيب، وابن عباس وهو المروي عن علي ﷺ) وغيرهم كما أسنده الآجري.
٥- مسائل ابن هانئ (٥٦٢).
٦- الحث على التجارة للخلال (ص٣٥).



وقال شيخ الإسلام: «أن جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة مالا يستحقه سائر أجناس بني آدم، وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم، وفضل قريش على سائر العرب، وفضل بني هاشم على سائر قريش، وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره»(١).

وقال: «ليست السياحةُ من الإسلامِ في شيءٍ، ولا من فعل النبيينَ، ولا الصَّالحين»(٢).

قال إبراهيم الحربي: «التابعون كلهم، وآخرهم أحمد بن حنبل -وهو عندي أجلهم- يقولون: من حلف بالطلاق أنْ لا يفعل شيئًا ثمَّ فعله ناسيًا، كلهم يلزمونه الطلاق»(٣).

وقيل: ما تقول في رجل جلس في بيته أو مسجده، وقال: لا أعملُ شيئًا حتى يأتيني رزقي؟

فقال: هذا رجل جهل العلم، أمَا سمع قول النبي ﷺ: «إنَّ الله جعل رزقي تحت ظل رمحي»، وقال حين ذكر الطير: «تغدو خماصاً وتروح بطاناً»(٤).

وقال: «يؤكل الطعام لثلاثٍ: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة»(٥).

١- منهاج السنة النبوية (٤/٣٠٠).

٢- فتح الباري لابن رجب (١/١١٠) ط: الحرمين، و«مسائل ابن هانئ» (١٩٦٢)، وانظر: (تحرير معنى السياحة) في المصدر نفسه.

٣- السير (١١/٢٠٥).

٤- مختصر منهاج القاصدين (ص٨٣)، و«تلبيس إبليس» (ص ٣٤٧).

٥- طبقات الحنابلة (١/٢٢٩).

وقال:

وَلَيَس خليلي بالملولِ ولَا الَّذي إِذا غبْتُ عَنْهُ باعَني بِخَليلِ

وَلَكِن خَليلِي مَنْ يَدومُ وِصَالُهُ وَيَحفظُ سِرّي عِنْدَ كُلِّ دَخيلِ[١]

وقال عبدالله بن حنبل: حدثني أبي قال: قال عمي: «جزيرة العرب يعني المدينة وما والاها؛ لأنَّ النبي ﷺ أجلى اليهود فليس لهم أن يقيموا بها»[٢].

وقال: «إذا اشترى الرجلُ مِن رجلٍ شيئًا وهو يعلم أنَّه سرقه فقد شاركه!»[٣].

وقال: «إذا جمع الطعام أربعًا فقد كَمل: إذا ذكر الله أوله، وحمد في آخره، وكثرة الأيدي عليه، وكان من حلٍّ»[٤].

وسُئل عن رجلٍ شَقَّ ثيابَه، أيُعزى؟ قال: «لا يُترك حقٌّ لباطل»[٥].

وكان رجلٌ يختلفُ مع خلفٍ المخرميَّ إلى عفَّان -يقال له: أحمد بن الحكم العطَّار- فختن بعض ولدهِ فدعا يحيى، وأبا خيثمة، وجماعة من أصحابِ الحديثِ، وطلب إلى أبي أن يحضر. فمضوا، ومضى أبي بعدهم وأنا معه، فلمَّا دخل أُجلِسَ في بيتٍ، ومعهُ جماعةٌ من أصحاب الحديثِ -ممَّن كان يختلفُ معه إلى عفَّان-.

وكان فيهم رجلٌ يكنَّى بأبي بمر يعرف بـ(الأحوال)، فقال له: يا أبا عبد الله، ها هنا آنية من الفضَّة.

١- المقصد الأرشد (٢/٤٤٠).

٢- أحكام أهل الذمة (حد جزيرة العرب) (١/٣٧٧- ٣٧٨).

٣- مسائل أحمد لأبي القاسم البغوي (ص٧٠).

٤- الشمائل الشريفة للسيوطي (١/٣١٦)، وعنه في «مواعظ الإمام أحمد» (ص٥١).

٥- العلل ومعرفة الرجال (٢/٤٨٦).



فالتفت، فإذا كرسيٌّ، فقام وخرج، وتبعهُ من كان في البيت، وسأل من كان في الدَّارِ عن خروجِهِ فأخبروا، فتبعهُ منهم جماعةٌ.

وأُخبِرَ الرجلُ، فخرج إلى أبي، فحلف أنَّه ما علِمَ بذلكَ، ولا أمرَ به، فجعل يطلبُ إليه، فأبى.

وجاء عفَّان، فقال له الرجل: «يا أبا عثمان، اطلبْ إلى أبي عبد الله أن يرجع. فكلَّمهُ عفَّان، فأبى أن يرجع، فنزل بالرَّجُلِ أمرٌ عظيمٌ»[١].

قلت: هذا من فقه الإمام رحمه الله فلمَّا كان الحق لميتٍ لم يتركه لمنكر وقع من الأحياء، ولما كان الحق لمنكر وقع من الأحياء رفض وأبى أن يجلس.

وقال: « يُكره للرجلِ أنْ ينامَ بعد العصر، يُخاف على عقله»[٢].

وقال عباس الدوري: سألت أحمد بن حنبل قلت تحفظ في القراءة على القبر شيئًا؟ فقال: «لا»[٣].

وقال: «إذا تركَ الصَّلاةَ استتبته ثلاثة أيام، على حديثِ ابن عمر رضي الله عنه»[٤].

وقال: «أكره حلق القفا، هو من فعل المجوس، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[٥].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن الغناء، فقال: «الغناء ينبت

١- المحنة لصالح (ص١٤٠-١٤١).

٢- أخبار الشيوخ (٣٠٧).

٣- الروح (٢٠/١) ط: عالم الفوائد، وانظر: «القراءة عند القبر» للخلال رقم (١).

٤- مسائل الكوسج (٣٣٩٥)، والقول المشهور عن الإمام أحمد -القول بالتكفير- نصَّ عليه جماهير أصحابه، بل عامتهم، حكاه عنه من أصحابه ابن هانئ، والخلال، وحنبل بن إسحاق، وإسماعيل الشالنجي، والحسن بن عبد الله الإسكافي، وأبو بكر المروزي، والميموني، وأبو داود، وأحمد بن الحسين بن حسان، وابنه عبد الله، وأبو طالب، والإصطخري في رسالة الإمام أحمد، كما ذكرها بإسنادها ابن أبي يعلى القاضي في كتابه «طبقات الحنابلة» (٢٧/١)، وانظر: (صفة صلاة النبي ﷺ) وتحرير المقال حوله (ص١٩- ٢٢) ط: مكتبة دار المنهاج.

٥- الحكم الجديرة (٢٢٨/٤).

النِّفاقَ في القلبِ، لا يعجبني»[١].

وقال منها: سألت أحمد بن حنبل ما يقول الرجل بين التكبيرتين من العيد؟

قال: يقول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، اللهم صل على محمد النبي، وعلى آل محمد، واغفر لنا وارحمنا»، وكذلك يروى عن ابن مسعود -رضي الله عنه-[٢].

وذكر إسحاق بن منصور أنَّه قال لأبي عبد الله: نمرُّ على قوم وهم يلعبون بالنَّرْد والشِّطرنج نُسَلِّم عليهم؟ قال: «ما هؤلاء بأهلٍ أن يُسَلَّم عليهم»[٣].

وقال: «الزينة الظاهرة والثياب وكل شيء منها عورة -يعني: المرأة- حتى الظفر»[٤].

وروى الخلال من طريق الحسن بن حسان، قال: قلت لأحمد: فنقرأ في ليلة الجمعة بسورة الجمعة؟ قال: «لا بأس، ما سمعنا بهذا شيئًا أعلمه، ولكن لا يدمن، ولا يجعله حتمًا»[٥].

وقال مهنا (ت ٢٤٨هـ): سألت أحمد عن المرأة تغطي خفها؟ قال: نعم، قلت: لم؟ قال: «لأنَّه يصف قدمها»[٦].

قال أبو الوفاء بن عقيل: وممَّا وجدنا من فقهِ أَحمد ودِقة علمه أَنَّه سُئِلَ عن رجل نذرَ أَن يطوفَ بالبيت على أَربعٍ، فقالَ: «يطوف طوافين، ولا يطوف

١- الأمر بالمعروف (ص٢٠٣).
٢- المقصد الأرشد (٣/٣٨).
٣- جامع المسائل (ص٣٢٥)، و«مسائل أبي داود» (١٨٠١) وهو في «تحريم النرد والشطرنج والملاهي» للآجري (ص٤٩)، وكذا في «الجامع لكتب الإمام الآجري» (١/٨٠٧) ط: اللؤلؤة.
٤- أحكام النساء (١٦) (ص٣١).
٥- فتح الباري لابن رجب (٧/٤٨).
٦- المصدر نفسه (ص٣٢).

على أَربع».

فانظر إلى هذا الفِقه كأنَّه نظر إلى الانكباب، فَرآه مُثْلَة وخروجاً عن صورة الحيوان النَّاطقِ إِلى التشبيه بالبهيم، فصانه وصان البيت والمسجد عن الشهرة، ولم يُبطل حكم لفظه بالمشي على اليدين، فأَبدلها بالرجلين التي هي آلة المشي[1].

وقال الميموني: قرأت على ابن حنبل: أيجزئُ الحائض الغسل بالماءِ؟ فأملى عليَّ: إذا لم تجد إلا وحده اغتسلت به، قال النبي ﷺ: «ماءك وسدرتك»، وهو أكثر من غسل الجنابة.

قلت: فإن كانت قد اغتسلت بالماء، ثمَّ وجدته؟ قال: «أحب إليَّ أن تعود؛ لما قال»[2].

وقال ابن قيِّم الجوزيَّة: «وقد اختلفَت الرِّوايةُ عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى في أولي الأمرِ، وعنه فيهم رحمه الله تعالى روايتان:

إحداهما: أنَّهم العلماءُ.

والثَّانية: أنَّهم الأمراءُ.

والقولان ثابتان عن الصَّحابة»[3].

وقال صالح بن أحمد ابن حنبل: قلت لأبي: يلعن الرجل الحجاج؟ قال: يقول: «ألا لعنةُ اللهِ على الظالمين»[4].

١- المناقب (ص٨٠- ٨١).

٢- فتح الباري لابن رجب (٩٩/٢).

٣- الرسالة التبوكية (ص٤١).

٤- الطيوريات (٢٤٥/١)، قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٢٧٣/١) فقد كره أحمد لعن الحجاج، قال: ويمكن أن يتأول توقف أحمد عن لعنة الحجاج ونظرائه أنَّه كان من الأمراء فامتنع من ذلك من وجهين: «

أحدهما: نهي جاء عن لعنة الولاة خصوصًا.

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: في امرأة نصرانية حملت من مسلم فماتت وفي بطنها حمل من مسلم. فقال: «يروى عن واثلة تدفن بين مقابر المسلمين والنصارى»(١).

وعن عبد الملك الميموني (ت ٢٧٤هـ)، أنَّ أبا عبد الله سئل: عن القابلة من أهل الكتاب؟ فسمعته يقول: عدة كرهوه، مكحول وأهل الشام لم ير أن عليه أن تكون القابلة يهودية أو نصرانية، وعمر كتب إلى أهل الشام: «امنعوا نساءهم أن يدخلوا مع نسائكم الحمامات»، ثمَّ قال: ليس له ذاك الإسناد، ثمَّ قال: أراهم تأولوا هذه الآية: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ قرأ عني ثمَّ قال: وهذا أخبرك فيه أن يكون يلي ذاك منها غير أهل دينها.

قلت: فتكره أنت يا أبا عبد الله أن تكون النصرانية أو اليهودية تقبل المسلمة منَّا؟ قال: «نعم أكرهه»(٢).

قال المروذي: قلت لأبي عبد الله: إنَّ أبا معمر قال: إنَّ أبا أسامة قدم إليهم خبزا فكسره، قال: «هذا لئلا يعرفوا كم يأكلون»(٣).

وقال حنبل: قيل لأبي عبد الله: ترى الرجل إذا رئي الرجل لا يتم ركوعه ولا سجوده، ولا يقيم صلبه، ترى أن يأمره بالإعادة أو يمسك عنه؟

قال: «إنْ كان يظن أنَّه يقبل منه أمره، وقال له ووعظه حتى يحسن صلاته؛ فإنَّ

والثاني: أنَّ لعن الأمراء ربمَّا أفضى إلى الهرج، وسفك الدماء والفتن، وهذا المعنى معدوم في غيرهم».

١- أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/٤٤٣)، وفيه: وقال حنبل في موضع آخر: قلت: فإن ماتت وفي بطنها ولد منه أين ترى أن تدفن؟ قال: «قد قالوا تدفن في حجرة من قبور المسلمين».

٢- أحكام النساء (ص٣٩).

٣- الآداب الشرعية (٣/ ٢٠٥).



الصلاة من تمام الدين»[١].

قال ابن المقرئ: أوصى إليَّ رجل بوصية فيها ثلاث، وكان فيما خلف جارية تقرأ بالألحان، وكانت أكثر تركته أو عامتها، فسألت أبا عبيد، وأحمد بن حنبل، والحارث بن مسكين: كيف أبيعها؟

قالوا: «تبعها ساذجة، فأخبرتهم بما في بيعها من النقصان، فقالوا: بعها ساذجة»[٢].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: ترى إنْ اكتسبَ رجل قوت يوم أفضل؟

قال: «إنَّ اكتسب فضلًا فعاد به على قرابته، أو داره، أو ضيف، فهو أحب إليَّ من أن لا يكتسب، وأحب إليَّ أن يستعف»[٣].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: رأيت أبي إذا دعي له بالبقاء يكرهه، ويقول: «هذا شيء قد فرغ منه»[٤].

وقال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ﵁يقول: «ليس العزوبة من أمرِ الإسلام في شيءٍ، النبي ﷺ تزوج أربع عشرة، ومات عن تسع.

١- فتح الباري (١٤٥/٣)، قال ابن رجب عقبه: وقوله: (إن كان يظن أنه يقبل منه)، يخرج على قوله: «أنَّه لا يجب الأمر بالمعروف إلا لمن ظن أنه يقبل. والمشهور عنه خلافه، وأنَّه يجب مطلقا مع القدرة».

٢- الأمر بالمعروف (ص٢٦٣)، وفي «تلبيس إبليس» (ص٢٨٢)، و «الأمر بالاتباع» (ص١١١).
قال أبو الطيب الطبري: «أمَّا مالك بن أنس فإنَّه نهى عن الغناء وعن استماعه».
وقال: «إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب، وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابراهيم بن سعد وحده فإنَّه قد حكى زكريا الساجي أنَّه كان لا يرى به بأسًا».

٣- الحث على التجارة (ص١٦٠).

٤- الجامع لأخلاق الراوي (٢٤٠/٢).

ثمَّ قال: لو كان بشرُ الحافي[1] تزوَّجَ كان تمَّ أمره كله. ولو ترك النَّاسُ النكاح، لم يغزوا ولم يحجوا، ولم يكن كذا، ولم يكن كذا. وقد كان رسول الله ﷺ يصبح، وما عند أحد من أهله شيء، وقد كان يختار النكاح، ويحث عليه، وينهى عن التبتل، فمن رغب عن فعل النبي ﷺ فهو على غير الحق. ويعقوب عليه السلام في حزنه تزوج ووُلِد له»[2].

قال المروذي: سئل أبو عبد الله هل ولد النبي ﷺ مختونًا؟ قال: «الله أعلم»، ثمَّ قال: «لا أدري».

قال أبو بكر عبد العزيز بن جعفر من أصحابنا: قد روي: «أنَّه ﷺ ولد مختونًا مسرورًا ولم يجترىء أبو عبد الله على تصحيح هذا الحديث»[3].

قال ابن هانئ: سألت أبا عبد الله عن الرجل يأخذ من عارضيه؟ قال: يأخذ من اللحية بما فضل عن القبضة.

قلت له: فحديث النبي ﷺ: «أحفوا الشوارب وأعفوا عن اللحى؟» قال: يأخذ من طولها ومن تحت حلقه، ورأيت أبا عبد الله يأخذ من عارضيه، ومن تحت حلقه.

قال: ورأيت أبا عبد الله يأخذ من حاجبه بالمقراض.

قال: وسألته عن خاتم الحديد؟ فقال: «لا تلبسه».

١- الإمام، العالم، المحدث، الزاهد، الرباني، القدوة، شيخ الإسلام، المروزي، ثمَّ البغدادي، المشهور: بالحافي، ابن عم المحدث علي بن خشرم انظر (السير) (١٠/٤٦٩- ٤٧٩).

٢- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص٢١٠).

٣- ذكره ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص٢١٥)، وقال: «واختلفت الروايات هل ولد مختونا؟! فروي: أنَّه ولد مختونًا مسرورًا يعني مقطوع السرة حتى قال الحاكم: تواترت الروايات بذلك وروي أن جده ختنه».

وسئل عن جلود الثعالب؟ قال: «البسه ولا تصل فيه».

وسئل عن السراويل أحب إليك أم المآزر فقال: «السراويل محدث، ولكنَّه أستر».

قال ابن هانئ: خرج أبو عبد الله على قوم في المسجد، فقاموا له، فقال: «لا تقوموا لأحد، فإنَّه مكروه».

وقيل له: ما معنى الحديث: «لا يقم أحد لأحد»؛ فقال: إذا كان عنى جهة الدنيا مثل ما روى معاوية، فلا يعجبني.

قيل له: يقدم الرجل حاجا فيأتيه الناس وفيهم المشايخ أيقوم لهم؟ قال: قد قام النبي ﷺ لجعفر. وفي المعانقة احتج بحديث أبي ذر: أنَّ النبي ﷺ عانقه[١].

١- بدائع الفوائد (٤/١٤٣٠- ١٤٣٣).

فائدة

قال ابن القيم رحمه الله: «وأمَّا الإمام أحمد رحمه الله عليه ورضوانه، فإنَّه حلف على عدَّةِ مسائلٍ من فتاويه، قيل له: أيزيد الرجل في الوضوء على ثلاث مرات؛ فقال: لا والله إلا رجل مبتلى، يعني بالوسواس.

وسُئِلَ أيخلِّل الرجل لحيته إذا توضأ فقال: «إي والله».

وسُئِلَ يكون الرجل في الجهاد بين الصفين يبارز عِلْجًا بغير إذن الإمام فقال: «لا والله».

وسُئِلَ: أيُؤجَر الرجل على بغض من خالف حديث رسول الله ﷺ فقال: «إي واللَّهِ».

وسُئِلَ: من قال: القرآن مخلوق كافر؟ فقال: «إي واللَّهِ».

وسُئِلَ: أيكره الخضاب بالسواد؟ فقال: «إي واللَّهِ».

وسُئِلَ: عن الرجل يؤم أباه ويصلّي الأب خلفه، فقال: «إي والله».

وسُئِلَ: هل يكره النفخ في الصلاةِ؟ فقال: «إي واللَّهِ».

وسُئِلَ: عن الرجل يرهن جاريته فيطؤها وهي مرهونة فقال: «لا والله؟»

وسُئِلَ: عن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قضى في رجل استسقى قومًا، وهو عطشان فلم يسقوه فمات فأغرمهم عمر الدية، تقول أنت كذا؟ قال: «إي والله».

وقيل: يؤجر الرجل يأتي أهله وليس له شهوة في النِّساء؟ فقال: «إي والله»،



يحتسب الولد، وإن لم يرد الولد»[١].

فرع: بذكر أصول مذهب الحنابلة

وكانت فتاوي الإمام أحمد رحمه الله مبنية على خمسةٍ أصول، وهي: «

أحدها: النصوص، فإذا وُجد النَّص أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا مَنْ خالفه -كائنًا من كان-، ولهذا لم يلتفت إلى خلاف عمر في المبْتُوتة لحديث فاطمة بنت قَيْس.

الأصل الثاني: ما أفتى به الصحابة، فإنَّه إذا وجد لبعضهم فتوى لا يُعْرَف له مخالف منهم فيها لم يَعْدُها إلى غيرها، ولم يَقُل: إنَّ ذلك إجماع، بل من وَرَعه في العبارة يقول: «لا أعلم شيئًا يَدْفَعه»، أو نحوِ هذا، كما قال في رواية أبي طالب: «لا أعلم شيئًا يدفع قول ابن عباس وابن عمر وأحَدَ عشر من التابعين عطاء ومجاهد وأهل المدينة على قبول شهادة العبد».

الأصل الثالث: إذا اختلف الصحابة تخيَّر من أقوالهم ما كان أقربَهَا إلى الكتاب والسنَّة، ولم يخرج عن أقوالهم، فإن لم يتبين له مُوَافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها، ولم يجزم بقول.

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسَل والحديثِ الضَّعيف، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وهو الذي رجَّحَه على القياس، وليس المرادُ بالضعيف عنده الباطلَ، ولا المنكَرَ، ولا ما في رواته مُتَّهم؛ بحيث لا يَسُوغ الذهابُ إليه والعمل به، بل الحديث الضعيف عنده قَسِيم الصحيح.

١- إعلام الموقعين (٦/٥٦- ٥٨). وقال عقبها: «ذكر هذه المسائل القاضي أبو علي الشريف»، وهي تعرف بـ (المسائل التي حلف عليها أحمد بن حنبل) تأليف: أبي الحسين ابن أبي يعلى (ت ٥٣٦هـ)، وطبعت في دار العاصمة.

الأصل الخامس: القياس للضرورة، فإذا لم يكن عند الإمام أحمد في المسألة نصّ، ولا قول الصحابة، أو أحد منهم، ولا أثر مرسل، أو ضعيف: عَدَل إلى الأصل الخامس -وهو القياس- فاستعمله للضرورة، وقد قال في كتاب «الخلَّال»: سألت الشافعي عن القياس، فقال: «إنما يُصَار إليه عند الضرورة، أو ما هذا معناه»[١].

تتمة بذكر أهم كتب المذهبِ

وهي زينة تضاف للكتاب يستفيد منها طالب العلم في العموم، ويُسرُّ به طالب المذهب الحنبلي على الخصوص، وقد طلب مني أحد الإخوة الأفاضل في وضعها وذكرها وإن لم تكن في الأصلِ من موضوع الكتاب؛ ولكن لما كان المقصد هو النفع والفائدة، فقلتُ: لن يعدم فائدة من طالع في المكتوب بخصوص هذه الكتب، ولم أكن لأكتبها إلا لهذين الغرضين والله أعلم.

فأذكر أهمها نقلًا عن كتاب العلامة ابن بدران الدومي الدمشقي رحمه الله (ت ١٣٠٦هـ)[٢].

١- إعلام الموقعين (٢/٥٩)، وينظر: «طبقات الحنابلة» (٢/٢٨٥)، و«تعظيم الفتيا» لابن الجوزي (ص٦٧)، وأثر الشافعي في «ذم الكلام» للهروي (٣/٢٩).

وفي «خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول» (ص١٠٥) قال الإمام أحمد بن حنبل: سألت الشافعي عن القياس؟ فقال: «عند الضرورات».

٢- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، وهي (ص٤٢٣- ٤٤٨/ ط: مؤسسة الرسالة):

[١] (**المغني ومختصر الخرقي**): اشتهر في مذهب الإمام أحمد عند المتقدمين والمتوسطين مختصر الخرقي، ولم يخدم كتاب في المذهب مثل ما خدم هذا المختصر، ولا اعتني بكتاب مثل ما اعتني به، حتى قال العلامة يوسف بن عبد الهادي في كتابه «الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي»: قال شيخنا عزالدين المصري ضبطت للخرقي ثلاثمائة شرح وقد اطلعنا له على ما يقرب من عشرين شرحًا وسمعت من شيوخنا وغيرهم: «أنَّ من قرأه حصل له أحد ثلاث خصال: إمَّا أن يملك مائة دينار، أو يلي القضاء، أو يصير صالحًا» هذا كلامه.

وبالجملة فهو مختصر بديع لم يشتهر متن عند المتقدمين اشتهاره، وأعظم شروحه وأشهرها المغني للإمام



موفق الدين المقدسي، وقد كان في تسع مجلدات ضخام بخطه، وأغلب نسخه الآن في ثلاثة عشر مجلدًا.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: «ما رأيت في كتب الإسلام مثل «المحلى» و«المجلى» لابن حزم وكتاب «المغني» للشيخ موفق الدين في جودتهما وتحقيق ما فيهما، ونُقل عنه أنَّه قال: «لم تطب نفسي بالإفتاء حتى صارت عندي نسخة المغني» نقل ذلك ابن مفلح.

وحكي أيضًا في ترجمة الزيراني صاحب الوجيز أنَّه طالع المغني ثلاثًا وعشرين مرةً وعلَّق عليه حواشي.

[٢] (**المستوعب**): بكسر العين المهملة تأليف العلامة مجتهد المذهب محمد بن عبد الله بن الحسين بن محمد بن قاسم بن إدريس السامري–بضم الميم وكسر الراء مشددة– المتقدم ذكره وهو كتاب مختصر الألفاظ، كثير الفوائد والمعاني، ذكر مؤلفه في خطبته أنَّه جمع فيه «مختصر الخرقي»، و«التنبيه» للخلال، و«الإرشاد» لابن أبي موسى، و«الجامع الصغير» و«الخصال» للقاضي أبي يعلى، وكتاب «الهداية» لأبي الخطاب، و«التذكرة» لابن عقيل، ثمَّ قال: «فمن حصل كتابي هذا، أغناه عن جميع هذه الكتب المذكورة، إذ لم أخل بمسألة منها إلا وقد ضمنته حكمها وما فيها من الروايات وأقاويل أصحابنا التي تضمنتها هذه الكتب، اللهم إلا أن يكون في بعض نسخها نقصان. ولقد تحريت أصح ما قدرت عليه منها، ثمَّ زدتُ على ذلك مسائل وروايات لم تذكر في هذه الكتب، نقلتها من «الشافي» لغلام الخلال، ومن «المجرد» ومن «كفاية المفتي»، ومن غيرهما من كتب أصحابنا».

وبالجملة فهو كتاب أحسن متن صنِّف في مذهب الإمام أحمد وأجمعه، وقال في كتابه: «أنَّه لم يتعرض فيه لشيء من أصول الدين، ولا من أصول الفقه، ويكثر فيه من ذكر الآداب الفقهية».

وهو في مجلدين ضخمين وقد حذا حذوه الشيخ موسى الحجاوي في كتابه «الإقناع لطالب الانتفاع»، وجعله مادة كتابه وإن لم يذكر ذلك في خطبته؛ لكنه عند تأمل الكتابين يتبين ذلك رحمهما الله تعالى.

[٣] (**الكافي**): هو في مجلدين، للشيخ موفق الدين المقدسي: صاحب «المغني» يذكر فيه الفروع الفقهية، ولا يخلو من ذكر الأدلة والروايات. قال مصنفه في خطبته: «توسطت فيه بين الإطالة والاختصار، وأومأت إلى أدلة مسائل مع الاقتصار، وعزوت أحاديثه إلى كتب أئمة الأمصار».

[٤] (**العمدة**): كتاب مختصر في الفقه لصاحب «المغني» جرى فيه على قول واحد ممَّا اختاره، وهو سهل العبارة، يصلح للمبتدئين، وطريقته فيه أنَّه يصدر الباب بحديث من الصحاح، ثمَّ يذكر من الفروع إذا ما دققت النظر، وجدتها مستنبطة من ذلك الحديث، فترتقي همة مطالعه إلى طلب الحديث، ثمَّ يرتقي إلى مرتبة الاستنباط والاجتهاد في الأحكام ولنفاسته ولطف مسلكه شرحه الإمام بحر العلوم النقلية والعقلية أحمد بن تيمية الملقب بشيخ الإسلام.

[٥] (**مختصر ابن تميم**): مؤلفه ابن تميم، يذكر فيه الروايات عن الإمام أحمد وخلاف الأصحاب، ويذهب فيه تارة مذهب التفريع، وآونة إلى الترجيح. وهو كتاب نافع جدًا لمن يريد الاطلاع على اختيارات الأصحاب؛ لكنه لم يكمل، بل وصل فيه مؤلفه إلى كتاب الزكاة.

[٦] (**رؤوس المسائل**): للشريف الإمام الأوحد عبد الخالق بن عيسى بن أحمد ابن أبي موسى الهاشمي، وطريقته فيه أنَّه يذكر المسائل التي خالف فيها الإمام واحدًا من الأئمة أو أكثر، ثمَّ يذكر الأدلة منتصرًا للإمامِ، ويذكر الموافق له في تلك المسألة، بحيث أن من تأمل كتابه وجده مصححًا للمذاهب، وذاهبًا من أقوالها المذهب المختار. فجزاه الله خيرًا.

[٧] (**الهداية**): لأبي الخطاب الكلوذاني مجلدٌ ضخم جليل، يذكر فيه المسائل الفقهية، والروايات عن

الإمام أحمد بها: فتارةً يجعلها مرسلةً، وتارة يبين اختياره، وإذا قال فيه: قال «شيخنا أو عند شيخنا، فمراده به القاضي أبو يعلى ابن الفراء».

[٨] (**التذكرة**): للإمام أبي الوفاء علي بن عقيل البغدادي، جعلها على قول واحد في المذهب، ممَّا صححه واختاره، وهي وإن كانت متنًا متوسطًا لا تخلو من سرد الأدلة في بعض الأحايين، كما هي طريقة المتقدمين من أصحابنا.

[٩] (**المحرر**): كتاب في الفقه، للإمام مجد الدين عبد السلام بن تيمية الحراني، حذا فيه حذو «الهداية» لأبي الخطاب، يذكر الروايات: فتارةً يرسلها، وتارةً يبين اختياره فيها. وقد شرحه الفقيه الفرضي المفنن عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله بن علي بن مسعود القطيعي الأصل البغدادي الملقب بصفي الدين المتوفى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة شرحًا سمَّاه «تحرير المقرر في شرح المحرر».

[١٠] (**المقنع**): هو في مجلدٌ، تأليف الإمام موفق الدين المقدسي. قال في خطبته: «اجتهدت في جمعه وترتيبه، وإيجازه وتقريبه، وسطًا بين القصير والطويل، وجامعًا لأكثر الأحكام عرية عن الدليل والتعليل».

[**فائدة**]: وذلك أنَّ موفق الدين راعى في مؤلفاته أربع طبقات، فصنَّف العمدة للمبتدئين، ثمَّ ألَّف «المقنع» لمن ارتقى عن درجتهم ولم يصل إلى درجة المتوسطين، فلذلك جعله عريًا عن الدليل والتعليل، غير أنَّه يذكر الروايات عن الإمام، ليجعل لقارئه مجالًا إلى كد ذهنه، ليتمرنَّ على التصحيح، ثمَّ صنَّف المتوسطين «الكافي» وذكر فيه كثيرًا من الأدلة لتسمو نفس قارئه إلى درجة الاجتهاد في المذهب حينما يرى الأدلة، وترتفع نفسه إلى مناقشتها، ولم يجعلها قضية مسلمة. ثمَّ ألَّف «المغني» لمن ارتقى درجة عن المتوسطين، وهناك يطلع قارئه على الروايات، وعلى خلاف الأئمة، وعلى كثيرٍ من أدلتهم، وعلى ما لهم وما عليهم من الأخذ والرد.

[**فائدة**]: اعلم أنَّ لأصحابنا ثلاثة متون حازت اشتهارًا أيَّما اشتهار أولها: «مختصر الخرقي» فإنَّ شهرته عند المتقدمين سارت مشرقًا ومغربًا إلى أنْ ألَّف الموفق كتابه «المقنع» فاشتهر عند علماء المذهب قريبًا من اشتهار الخرقي إلى عصر التسعمائة حيث ألَّف القاضي علاء الدين المرداوي (التنقيح المشبع)، ثمَّ جاء بعده تقي الدين أحمد ابن النجار الشهير بالفتوحي فجمع (المقنع مع التنقيح) في كتاب سمَّاه «منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات» فعكف الناس عليه وهجروا ما سواه من كتب المتقدمين كسلًا منهم ونسيانا لمقاصد علماء هذا المذهب التي ذكرناها آنفًا.

[١١] (**الفروع**): وهو في مجلدين للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي المتوفى سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

وطريقته في هذا الكتاب: أنَّه جرده من دليله وتعليله، ويقدم الراجح في المذهب، فإن اختلف الترجيح أطلق الخلاف، وإذا قال: في الأصح فمراده أصح الروايتين. وبالجملة فقد ذكر اصطلاحه في أول كتابه، ولا يقتصر على مذهب أحمد بل يذكر المجمع عليه، والمتفق مع الإمام أحمد في المسألة، والمخالف له فيها من الأئمة الثلاثة وغيرهم. ويشير إلى ذلك بالرمز، ويطيل النفس في بعض المباحث، وأحيانًا يتطرق إلى ذكر الأدلة، ويذكر من النَّفائسِ ما ينبغي للفاضل أن يطلع عليه، بحيث إن كتابه يستفيد منه أتباع كل مذهب.

[١٢] (**مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام**) تأليف العلامة المحدث يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي. الشهير بابن المبرد الصالحي.



وهذا الكتاب في مجلد لطيف، صدره بفن أصول الديانات-يعني التوحيد-، ثمَّ بباب معرفة الأعراب، ثمَّ بأصول الفقه، ثمَّ بما يستعمل من الأدب، ثمَّ أتبعه ببعض اصطلاحاتِ في المذهب، ثمَّ استوصل في الفقه على نمطٍ وجيزٍ ثم خَتَمه بقواعد كلية يترتب عليها. مسائلُ جزئية، لكن ما ذكره من الفنون في صدره لا يفيد إلا فائدةً قليلةً جدًا. ورأيت بخطِ مؤلفهِ هذين البيتين على ظهر الكتاب:

هذا كتابٌ قدْ سَما في حَصْرِهِ ... أوراقُهُ مِنْ لُطْفِهِ متعَدِّدة

جَمَعَ العلومَ بلطفهِ فبِجَمْعِه ... يُغنيكَ عَنْ عِشرِينَ ألفِ مُجلَّدَة

[١٣] **(منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات)** وهو كتاب مشهور، عمدة المتأخرين في المذهب، وعليه الفتوى فيما بينهم، تأليف العلامة تقي الدين محمد بن العلامة أحمد بن عبد العزيز بن علي بن إبراهيم الفتوحي المصري، الشهير بابن النجار. رحل إلى الشام فألف بها كتابه «المنتهى» ثمَّ عاد إلى مصر بعد أنْ حرر مسائله على الراجح من المذهب، واشتغل به عامة الطلبة في عصره، واقتصروا عليه، ثمَّ شرحه شرحًا مفيدًا في ثلاثِ مجلداتٍ ضخامٍ، وغالب استمداده فيه من كتاب «الفروع» لابن مفلح، وبالجملةِ فقد كان منفردًا في علم المذهب.

[١٤] **(شرح منتهى الإرادات)** للعلامة منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن أحمد بن علي بن إدريس البهوتي، شيخ الحنابلة في عصره، المتوفى سنة إحدى وخمسين وألف. شرحه في ثلاثةِ مجلداتٍ جمعه من شرح مؤلف «المنتهى» لكتابه ومن شرحه نفسه على «الإقناع» وهو شرح مشهور مطبوع.

[١٥] **(الإقناع لطالب الانتفاع)** مجلدٌ ضخم، كثير الفوائد، جم المنافع، للعلامة المحقق موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي، بقية المجتهدين، والمعول عليه في مذهب أحمد في الديار الشاميَّة.

[١٦] **(دليل الطالب)**: متن مختصر مشهور، تأليف العلامة بقية المجتهدين، مرعي بن يوسف ابن أبي بكر ابن أحمد ابن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي- نسبة لطولكرم قرية بقرب نابلس- ثمَّ المقدسي، أحد أكابر علماء هذا المذهب بمصر.

[١٧] **(غاية المنتهى)**: كتاب جليل للشيخ مرعي الكرمي جمع فيه بين «الإقناع»، و«المنتهى» وسلك فيه مسالك المجتهدين، فأورد فيه اتجاهات له كثيرة، يعنونها بلفظ: ويتجه، ولكنَّه جاء متأخرً ا على حين فترة من علماء هذا المذهب وتمكن التقليد من أفكارهم فلم ينتشر انتشار غيره وقد تصدى لشرحه العلامة الفقيه الأديب أبو الفلاح عبد الحي بن محمد ابن العماد فشرحه شرحًا لطيفًا دلَّ على فقههِ وجودة قلمه لكنه لم يتمّه.

[١٨] **(عمدة الراغب)**: مختصر لطيف، للشيخ منصور البهوتي وضعه للمبتدئين وشرحه العلامة الشيخ عثمان ابن أحمد النجدي شرحًا لطيفًا مفيدًا مسبوكًا سبكًا حسنًا ونظمها الشيخ صالح بن حسن البهوتي من علماء القرن الحادي عشر بمنظومة أولها:

يقول راجي عفو ربه العلي ... أبو الهدى صالح نجل الحنبلي

وسمي نظمه «وسيلة الراغب لعمدة الراغب».

[١٩] **(كافي المبتدي وأخصر المختصرات ومختصر الإفادات)**: هذه المتون الثلاثة للفقيه المحدث



الصالح محمد بن بدرالدين بن بلبان البلباني البعلي الأصل، ثمَّ الدمشقي الصالحي كان يقرأ الفقه لطلاب المذاهب الأربعة، توفي سنة ثلاث وثمانين وألف، وقد اعتني من بعده بكتبه.

[٢٠] (**مختصر الشرح الكبير والإنصاف**): تأليف العالم الأثري والإمام الكبير محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي يتصل نسبة بعبد مناة بن تميم التميمي، وطريقته في هذا المختصر أنَّه يصدر الباب منه بمسائل الشرح، ثمَّ يزيل ذلك بكلامِ الإنصاف، وهو كتاب في مجلد.



علو رتبته وجمعه للعلوم

وقد عرَف فضل الإمام أحمد شيوخه، وأقرانه، وطلابه، وكل من عرَفه أو سمع به! ولا يعرف الفضل لأصحابه إلا ذوو الفضلِ، فرحمهم الله جميعًا ورضي عنهم.

قال أبو بكر بن حماد: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) يقول: «لا يُقالُ لأحمد بن حنبل: منْ أينَ قلت؟»[١].

وكان إبراهيم الحربي (ت ٢٨٥هـ) يقول: «قد رأيتُ رجالات الدنيا لم أرَ مثل ثلاثة: رأيت أحمد بن حنبل وتعجز النساء أن تلدَ مثله، ورأيت بشر بن الحارث من قرنه إلى قدمه مملوءًا عقلًا، ورأيت أبا عبيد القاسم بن سلام كأنَّه جبل نفخ فيه علم»[٢].

قال ابن المديني: «انتهى العلم بالبصرة إلى: يحيى بن أبي كثير، وقتادة.

وعلم الكوفة إلى: أبي إسحاق، والأعمش.

وعلم الحجاز إلى: ابن شهاب، وعمرو بن دينار، وصار علم هؤلاء الستة إلى اثني عشر رجلًا: ابن أبي عروبة، ومعمر، وشعبة، وحماد بن سلمة، والسفيانين، ومالك، والأوزاعي، وابن إسحاق، وهشيم، وأبي عوانة، ويحيى بن سعيد، ويحيى بن أبي زائدة ....، إلى أن ذكر ابن المبارك، وابن مهدي، ويحيى بن آدم، فصار علم هؤلاء جميعهم إلى يحيى بن معين.

قلت: نعم، وإلى: أحمد بن حنبل، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعلي، وعدة.

ثمَّ من بعد هؤلاء إلى: أبي عبد الله البخاري، وأبي زرعة، وأبي حاتم، وأبي داود، وطائفة.

١- السير (١١/١٨٦).
٢- تاريخ بغداد (٧/٥٤٥).

ثمَّ إلى: أبي عبد الرحمن النسائي، ومحمد بن نصر المروزي، وابن خزيمة، وابن جرير.

ثمَّ شرع العلم ينقص قليلًا قليلًا -فلا قوة إلا بالله»(١).

قال ابن قدامة المقدسي في «مقدمة المغني»: «أمَّا بعد: فإنَّ الله تعالى برحمته وطوله، وقوّته وحولهِ، ضمن بقاء طائفةٍ من هذهِ الأمة على الحق لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمرُ الله وهم على ذلك، وجعل السبب في بقائهم بقاء عُلَمائهِم، واقتداءهم بأئمَّتِهم وفُقَهائِهم، وجعل هذه الأمَّة مع علمائها، كالأممِ الخالية مع أنبيائها، وأظهر في كل طبقةٍ من فقهائِها أئمةٌ يقتدى بها، وينتهى إلى رأيِها، وجعلَ في سلفِ هذه الأمَّة أئمةً من الأعلام، مهد بهم قواعد الإسلام، وأوضح بهم مشكلاتِ الأحكامِ، اتفاقهم حجةٌ قاطعة، واختلافُهم رحمةً واسعة، تحيي القلوبُ بأخبارِهم، وتحصلُ السعادة باقتفاء آثارِهم، ثمَّ اختص منهم نفرًا أعلى أقدارِهم ومناصبهم، وأبقى ذكرهم ومذاهبهم، فعلى أقوالهم مدار الأحكام، وبمذاهبهم يفتي فقهاء الإسلام.

وكان إمامُنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه ، من أوفاهم فضيلة، وأقربهم إلى الله وسيلة، وأتبعهم لرسول الله ﷺ وأعلمهم به، وأزهدهم في الدنيا وأطوعهم لربِّه، فلذلك وقع اختيارنُا على مذهبه....»(٢).

وعن أبي عبيد الْقَاسِم بْن سلام زرت أَحْمَد بن حنبل فلمَّا دخلت عليه بيته قام فاعتنقني وأجلسني فِي صدر مجلسه، فقلت: يا أبا عَبْد اللَّه أليس يقال صاحب البيت أو المجلس أحق بصدر بيته أو مجلسه؟

١- السير (١١/٧٨).
٢- انظر: المغني (١/٤-٥) ط: عالم الكتب.



قَالَ: نعم، يَقعد ويُقعد من يريد.

قال: فقلت: فِي نفسي خذ إليك أبا عبيد فائدة.

ثمَّ قلت: يا أبا عَبْد اللَّه لو كنت آتيك عَلَى حق ما تستحق لأتيتك كل يوم فقال: لا تقل ذاك فإنَّ لي إخوانا ما ألقاهم فِي كل سنة إلا مرة، أنا أوثق فِي مودتهم ممن ألقى كل يوم

قَالَ: قلت: هذه أخرى يا أبا عبيد.

فلمَّا أردت القيام قام معي قلت: لا تفعل يا أبا عَبْد اللَّه قَالَ: فقال: قَالَ: الشعبي من تمام زيارة الزائر أن يمشي معه إلى باب الدار ويؤخذ بركابه قَالَ: قلت: يا أبا عَبْد اللَّه من عَنِ الشعبي قَالَ: ابن أبي زائدة عَنْ مجالد عَنِ الشعبي. قَالَ: قلت: يا أبا عبيد هذه ثالثة[١].

١- طبقات الحنابلة (٢٥٩/١) و«المقصد الأرشد» (٣٢٣/٢).





أدبه مع شيوخه وأقرانِه

الأدبُ عنوانُ طالبِ العلمِ وسمتُه التي يُعرفُ بها، وكان السَّلفُ يرحلون في تعلم الأدبِ كما يرحلون في السَّماعِ وطلب العلمِ، ويحثُّون الطّالبَ على الأدبِ، كما يُرغِّبونه في العلمِ، وكانوا أهلًا لذلك بأقوالهم، وأفعالهم، ومن النَّماذجِ العظيمةِ التي يجدها القارئُ في تراجم العلماءِ، أنموذج الإمام أحمد رحمه الله وأدبه مع شيوخهِ وأساتذته، وأقرانه، ومنْ دونه، ومن ذلك قوله رحمه الله: «إنَّما الناس بشيوخهِم، فإذا ذهب الشيوخ تودَّع من العيش»[١].

وعن إدريس بن عبد الكريم، قال: قال لي سلمة بن عاصم: أريد أن أسمع كتاب العدد من خلف، فقلت لخلف.

قال: فليجئ، فلما دخل رفعه لأن يجلس في الصدر، فأبى، وقال: لا أجلس إلا بين يديك، وقال: هذا حق التعليم، فقال له خلف: جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة، فاجتهدت أن أرفعه، فأبى وقال: «لا أجلس إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه»[٢].

وقال أبو زرعة: كنت عند أحمد بن حنبل، فذكر إبراهيم بن طهمان (ت ١٦٣هـ)، وكان متكئًا من علةٍ، فجلس، وقال: «لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيتكأ»[٣].

وقال قُتيبة بن سعيد: قدمت بغداد وما كانت لي هِمَّة إِلا أَن أَلقى أَحمد بن

١- طبقات الحنابلة (٢٧٤/١)، وانظر: كتابي «احترام العلماء وتوقيرهم أهل الحديث أنموذجًا» تجد فيه ما يسرك بإذن الله.

٢- الجامع لأخلاق الراوي (٣٤٤) (١٩٨/١)، و«تذكرة السامع والمتكلم» (ص٩٨).

٣- طبقات علماء الحديث (٣١٧/١)، و «تاريخ بغداد» (١١٠/٦).

حنبل، فإذا هو قد جاءَني مع يحيى بن معين، فتذاكرنا، فقام أَحمد بن حنبل وجلس بين يديّ، وقال: أَمْلِ عليَّ هذا، ثم تذاكرنا، فقام أَيضاً وجلس بين يدَيْ، فقلت: يا أَبا عبد الله، اجلس مكانك، فقال: «لا تشتغل بي، إنَّما أُريد أَن آخذ العلم على وجهه»[١].

وعن المروذي، قال: «لم أرَ الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أحمد، كان مائلا إليهم، مُقْصرًا عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع، تعلوه السكينة والوقار، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا، لا يتكلم حتى يسأل، وإذا خرج إلى مسجده، لم يتصدر»[٢].

وعن ابن المنادي: عن جده أبي جعفر، قال: «كان أحمد من أحيى الناس وأكرمهم، وأحسنهم عشرَةً وأدبًا، كثير الإطراق، لا يسمع منه إلا المذاكرة للحديث، وذكر الصالحين في وقار وسكون، ولفظ حسن، وإذا لقيه إنسان، بش به، وأقبل عليه، وكان يتواضع للشيوخِ شديدًا، وكانوا يعظمونه، وكان يفعل بيحيى بن معين ما لم أره يعمل بغيره من التواضع والتكريم والتبجيل، كان يحيى أكبر منه بسبع سنين»[٣].

وقال أبو الحسن بن العطار (ت ٢٦٨هـ)[٤]:«رأيت أحمد بن حنبل يأخذ لداود بن عمرو بالركاب»[٥].

١- المناقب (ص٧١).
٢- سير أعلام النبلاء (٢١٨/١١).
٣- المصدر نفسه (٣١٧/١١- ٣١٨).
٤- محمد بن محمد بن عمر بن الحكم أبو الحسن يعرف بابن العطار، سمع مسلم بن إبراهيم، وأبا الوليد الطيالسي، وعبد الله بن مسلمه القعنبي، ومعمر بن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، وسنيد بن داود، وأحمد بن شبويه المروزي، وغيرهم. انظر: «تاريخ بغداد» (٣٣٣/٤).
٥- تاريخ بغداد (٣٦٤/٨)، و«طبقات علماء الحديث» (١١٧/٢)، و«بحر الدم» (١٦٣/١). وله

وقال الخلال: كان أحمد يعظمه -يعني إبراهيم بن الحارث العُبادي- ويرفع قدره، وكان يتوقف أبو عبد الله، فيجيب هو ويحضره أبي عبد الله، فيعجب أبو عبد الله، وقال: «جزاك الله خيرًا يا أبا إسحاق»، حكى ذلك الاثرم[١].

وعن عباس بن عبد العظيم العنبري البصري (ت ٢٤٦هـ) أخبرني، قال: كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي بن المديني راكبا على دابة، قال: فتناظرا في الشهادة وارتفعت أصواتهما حتى خفت أنَّ يقع بينهما جفاء وكان أحمد يرى الشهادة وعلي يأبى ويدفع، فلمَّا أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه، وسمعت أحمد في ذلك المجلس يقول: «لا تنظر بين أصحاب محمد ﷺ فيما شجر بينهم ونكلهم إلى الله عز وجل، والحجة في ذلك حديث حاطب»[٢].

قال ابن إياس: كان محمد بن أحمد بن أبي المثنى يحيي التميمي (ت ٢٧٧هـ) من أهل الفضل والفقه، ومن آدب من رأينا من المحدثين، كان أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين يكرمونه، إلى أن قال: وكانت الرحلة إليه بالموصل بعد علي بن حرب، سمعته يقول: خرج أحمد بن حنبل يومًا، فقمت، فقال: أما علمت أن النبي ﷺ قال: «من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النَّار». فقلت: «إنَّما قمت إليك، ولم أقم لك»، فاستحسن ذلك[٣].

في ذلك سلف ابن عباس- رضي الله عنهما-.

١- بحر الدم (٦٤/١).

٢- جامع بيان العلم (٩٦٨/٢) قال ابن عبد البر معلقًا: «كان أحمد بن حنبل رحمه الله يرى الشهادة بالجنة لمن شهد بدرًا أو الحديبية أو لمن جاء فيه أثر مرفوع على ما كان منهم من سفك دماء بعضهم بعضًا، وكان علي بن المديني يأبى ذلك ولا يصحح في ذلك أثراً».

٣- سير أعلام النبلاء (١٤٠/١٣) ومحمد هذا "نسيب أبي يعلى الموصلي، وخاله" وكان من أهل الأدب فاستحق هذا التكريم، كما قال ابن إياس: كان من أهل الفضل والفقه، ومن آدب من رأينا من المحدثين، وهكذا الجزاء كان من جنس العمل. والحديث صحيح أخرجه أبو داود في «سننه» (٥٢٢٩) والترمذي في «سننه» (٢٧٧٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٩٧).

وقال يحيي بن منصور القاضي: سمعت خالي عبد الله بن علويه، سمعت محمد بن سهل بن عسكر (ت ٢٥١هـ) يقول: «كنَّا عند أحمد بن حنبل، إذ دخل عليه محمد بن يحيى، فقام إليه، وقرب مجلسه، وأمر بنيه وأصحابه أن يكتبوا عنه»[١].

قال أحمد بن حنبل: «لزمت هشيمًا أربع سنين، أو خمسًا، ما سألته عن شيء، إلا مرتين، هيبة له، وكان كثير التسبيح بين الحديث، يقول بين ذلك: لا إله إلا الله، يمد بها صوته»[٢].

وجزي رحمه الله بذلك، كما قال أبو بكر أحمد بن سليمان النجّاد، يقول: سَمعت أبا بكر بن المطَّوعي، يقول: «اختلفتُ إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ثِنتي عَشرة سنة وهو يَقرأ "المسند" على أولاده، ما كتبتُ منه حديثاً واحداً؛ إنما كنتُ أنظر إلى هَديه؛ وأخلاقِه، وآدابه»[٣].

وعن أبي الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم الحنظلي قال سمعت: محمد بن إسماعيل السلمي، يقول: قلت لأحمد بن حنبل: كتبت عن إبراهيم بن موسى الصغير؟

قال: «لا تقل الصغير، هو كبير هو كبير.. »[٤].

وكان رحمه الله يعظم ابن نمير –محمد بن عبد الله بن نمير– تعظيمًا عجبًا، ويقول: «هو درة العراق»[٥].

١- المصدر نفسه (٢٨٠/١٢) محمد بن يحيى هو الذهلي، جمع علم الزهري، وصنفه، وجوده، من أجل ذلك يقال له: الزهري، ويقال له: الذهلي.
٢- سير أعلام النبلاء (٢٩٠/٨).
٣- المناقب (ص٢٨٨).
٤- ألقاب الصحابة والتابعين للجياني (ص٦٧- ٦٨).
٥- طبقات علماء الحديث (٩٤/٢)، و«الجرح والتعديل» (٣٢٠/١) و (٣٠٧/٧).

قال أحمد بن منصور الرمادي: «خرجت مع أحمد ويحيى إلى عبد الرزاق خادمًا لهما.

قال: فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى بن معين: أريد أن أختبر أبا نعيم.

فقال أحمد: لا ترد، فالرجل ثقة.

قال يحيى: لا بدَّ لي، فأخذ ورقة، فكتب فيها ثلاثين حديثًا، وجعل على رأسِ كل عشرة منها حديثًا ليس من حديثه.

ثمَّ إنَّهم جاؤوا إلى أبي نعيم، فخرج وجلس على دكان طين، وأخذ أحمد بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، ويحيى عن يساره، وجلست أسفل الدكان.

ثمَّ أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث، فلمَّا قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي، اضرب عليه.

ثمَّ قرأ العشر الثاني، وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي، فاضرب عليه.

ثمَّ قرأ العشر الثالث، ثمَّ قرأ الحديث الثالث، فتغير أبو نعيم، وانقلبت عيناه، ثمَّ أقبل على يحيى، فقال: أمَّا هذا -وذراع أحمد بيده- فأورع من أن يعمل مثل هذا، وأمَّا هذا -يريدني- فأقل من أن يفعل ذاك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل، وأخرج رجله فرفس يحيى، فرمى به من الدكان، وقام، فدخل داره.

فقال أحمد بن حنبل ليحيى: ألم أمنعك، وأقل لك إنَّه ثبت.

قال: والله لرفسته لي أحب إليَّ من سفرتي!!»[1].

١- انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/١٤٨- ١٤٩)، و«تاريخ بغداد» (١٢/٣٥٤)، قلت: وهذا التشغيب على المحدثين وامتحانهم، الناس فيه على قسمين، وقد ذكرته في كتاب «لذة العلم» (ص١٩٨-١٩٩) ط: دار اللؤلؤة.





كلامه في الرجال والجرح والتعديل وما يتعلق بذلك

الإمام أحمد رحمه الله من العلماء المعتدلين في نقده للرجال، وهو من أوسطهم كلامًا في جرحهم، كما قال الحافظ الذهبي في حديثه عن أهل الجرح والتعديل: «فَمِنهم مَن نَفَسُهُ حادٌّ في الجَرْح، ومِنهم مَن هو معتدل، ومِنهم مَن هو متساهل.

فالحادُّ فيهم: يحيى بن سعيد، وابن معين[1]، وأبو حاتم[2]، وابن خِراش، وغيُرهم.

والمعتدلُ فيهم: أحمد بن حنبل، والبخاريّ، وأبو زُرْعَة.

والمتساهلُ كـ: الترمذيّ، والحاكم، والدارقطنيّ في بعض الأوقات»[3].

وقال عبد المؤمن بن خلف النسفي (ت ٣٤٦هـ): سمعت أبا علي صالح بن محمد يقول: «أوَّل من تكلم في الرجال شعبة بن الحجاج، ثمَّ تبعه يحيى بن سعيد القطان، ثمَّ بعده أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وهؤلاء»[4].

١- ففي بحر الدم (١/٢٤٨)، عاصم بن سليمان الأحول. قال المروذي: سألته عنه فقال: ثقة، قلت: إن يحيى بن معين تكلم فيه، فعجب، وقال: «ثقة».

٢- وقال في «سير أعلام النبلاء» (١٣/٢٦٠) «إذا وثق أبو حاتم رجلًا، فتمسك بقوله، فإنه إلاَّ يوثق إلاَّ رجلًا صحيح الحديث، وإذا ليَّن رجلًا، أو قال فيه: «لا يحتجُّ به»، فتوقف حتَّى ترى ما قال غيرُهُ فيه، فإن وثقه، فلا تَبْنِ على تجريح أبي حاتم، فإنه متعنتٌ في الرجال، قد قال في طائفةٍ من رجال «الصحاح»: «ليس بحُجةٍ» أو «ليس بالقويّ»، أو نحو ذلك» أهـ.

٣- الموقظة في علم مصطلح الحديث (ص٨٣) ط: مكتبة المطبوعات الإسلامية، و«ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» (ص١٧٢) ط: دار السلام، و«دراسات في الجرح والتعديل» للشيخ محمد ضياء الأعظمي (ص٦٥).

قلت: قال السخاوي في «فتح المغيث» (١/١٥١)، نقلًا عن شيخه ابن حجر، قوله: «إنَّ كلَّ طبقة من نقاد الرجال لا تخلو من متشدد ومتوسط:

فمن الأولى: شعبة والثوري، وشعبة أشدهما.

ومن الثانية: يحيى القطان وابن مهدي، ويحيى أشدهما.

ومن الثالثة: ابن معين وأحمد، وابن معين أشدهما.

ومن الرابعة: أبو حاتم والبخاري، وأبو حاتم أشدهما».

٤- الجامع لأخلاق الراوي (٤/٣٥٧).

وقال أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) مبينًا إنصاف الإمام أحمد في حديثه وحكم على الرجال: «وقد كان الإمام أحمد بن حنبل: يمدح الرجل ويبالغ ثمَّ يذكر غلطه في الشيءِ بعد الشيءِ، وقال: نعمَ الرجلُ فلان لولا أنَّ خلةً فيه»[١].

وقال الخليلي (ت ٤٤٦هـ): «كان أفقه أقرانه، وأورعهم، وأكفهم عن الكلام في المحدثين إلا عند الاضطرار»[٢].

وقال رحمه الله : «واعلموا أنَّ الرجلَ من أهل العلم إذا منحه الله شيئًا من العلم، وحُرِمَه قرناؤه وأشكاله، حسدوه فرموه بما ليس فيه، وبئست الخصلة في أهل العلم!»[٣].

وذكر عنده رجل يومًا، فقال يا بنيَّ: «الفائز منْ فازَ غدًا، ولم يكن لأحدٍ عنده تبعة»[٤].

وَمَا عَبرَّ الْإِنْسَانُ عَنْ فَضْلِ نَفْسِهِ ... بِمِثْلِ اعْتِقَادِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ فَاضِلِ

وَإِنَّ أَخَسَّ النَّقْصِ أَنْ يَتَّقِيَ الْفَتَى ... قَذَى النَّقْصِ عَنْهُ بِانْتِقَاصِ الْأَفَاضِلِ

وعن عثمان بن نفيل قال: قلت لأحمد بن حنبل: إنَّ فلانًا يتكلم في وكيع، وعيسى ابن يونس، وابن المبارك، فقال: «من كذَّب أهل الصدق فهو الكذاب»[٥].

وقال الحافظ ابن عدي (ت ٣٦٥هـ): «جميع الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ تدور على هذين الرجلين، يعني أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فما قبلاه

١- تلبيس إبليس (ص٢٠٩).
٢- الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٤٧٨/١).
٣- مناقب الشافعي للبيهقي (٢٥/١- ٢٦).
٤- تاريخ دمشق (٣٠٨/٥) وكلامه لابنه صالح.
٥- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص٤٠) ط: الجامعة الإسلامية.



فهو المقبول، وما ردَّاه فهو المردود»[١].

وقال الإمام يحيى بن معين: «كذابو زماننا أربعة: الحسين بن عبد الأول، وأبو هشام الرفاعي، وحميد بن الربيع، والقاسم ابن أبي شيبة، وأحسن القول فيه أحمد بن حنبل»[٢].

وقال الحافظ ابن رجب (ت ٧٩٥هـ): «ولهذا كان الإمام أحمد يذكر إسحاق بن راهويه ويمدحه ويثني عليه، ويقول: «وإن كان يخالفُ في أشياء، فإنَّ النَّاسَ لم يزل يخالف بعضهم بعضًا»، أو كما قال.

وكان كثيرًا يُعرضُ عليه كلامُ إسحاق وغيره من الأئمة، ومأخذُهم في أقوالهم، فلا يوافقُهم في قولهم، ولا يُنكر عليهم أقوالهم ولا استدلالهم، وإن لم يكن هو موافقًا عَلَى ذلك كله.

وقد استحسن الإمام أحمدُ ما حُكي عن حاتم الأصَم، أنَّه قِيلَ لَهُ: أنت رجلٌ أعجمي لا تفصح، وما ناظرك أحدٌ إلا قطعته، فبأي شيء تغلبُ خصمَك؛ فَقَالَ: «بثلاثٍ: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني عنه أن أقول له ما يسوءه» أو معنى هذا. فَقَالَ أحمد: «ما أعقَلَه من رجل»[٣].

وكان الإمام أحمد يقول: «ما أحسن الإنصاف في كلِّ شيء»[٤].

وقال: «ما تكلم أحد في النَّاس، إلا سقط وذهب حديثه»[٥].

١- منازل الأئمة (ص٢٤٧).

٢- ميزان الاعتدال (٦١٢/١) وانظر: ما قيل عنه في الكتاب نفسه.

٣- الفرق بين النصيحة والتعيير (٤٦٦/٣- ٤٦٧) ط: النجار.

٤- تاريخ بغداد (١٩٦/٧)، و«ميزان الاعتدال» (١٤٧/١)، وكان رحمه الله مدرسة في الإنصاف.

٥- بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم لابن عبد الهادي (المبرد) (٥٢/١-٥٣).

وسُئِل: «بِمَ بلغَ القوم حتى مدِحوا؟» قال: «بالصدقِ»[١].

وفي رواية: لما ذُكِرَ له الصدق والإخلاص، قال: «بهذا ارتفعَ القوم»[٢].

قال أبو الحارث: سمعت أبا عبد الله -الإمام أحمد بن حنبل- غير مرة يقول: ما تكلم أحد في الناس إلا سقط وذهب حديثه، قد كان بالبصرة رجل يقال له: «الأفطس كان يروي عن الأعمش والنَّاس، وكانت له مجالس، وكان صحيح الحديث، إلا أنَّه كان لا يسلم على لسانه أحد فذهب حديثه»، وذكره.

وقال في رواية الأثرم: وذكر الأفطس، واسمه عبد الله بن سلمة قال: «إنَّما سقط بلسانه فليس نسمع أحدًا يذكره»[٣].

قال أحمد بن حنبل: «تركوا حديثه».

قال الذهبي: «كان يستخف بالأئمة، قال: يُكِذب سفيان، وتكلم في غندر».

وقال عن القطان: «ذاك الأحول، وكذا سنة الله في كل من ازدرى بالعلماء بقي حقيرًا»[٤].

وقال ابن عبد الهادي: وتكلم يحيى بن معين في أبي بدر، فدعا عليه، قال أحمد: «فأراه استجيب له»[٥].

١- الجامع لأخلاق الراوي (١٧٣/٣)، وفي «صفوة الصفوة» (١١٥/٤) لما ذكر ابن المبارك، قال: «ما رفعه الله إلا بخبيئة كانت له».
٢- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٦١/١).
٣- الآداب الشرعية (١٤٢/٢- ١٤٣).
٤- تاريخ الإسلام (١١٣٩/٤).
٥- بحر الدم (٥٣/١)، وفي «الكتاب نفسه» (٢٢٥/١-٢٢٦)، قال: شجاع بن الوليد بن قيس، السكوتي، أبو زيد الكوفي: قال أحمد: كان أبو بدر لا يقول: «حدثنا» ولقد أرادوه أن يقول: ثنا خُصيف، فأبى؟ وقال: أليس هوذا أقول: خصيف.
وقال المروذي: قال أبو عبد الله: كنت مع يحيى بن معين فلقي أبا بدر، فقال له: اتقِ الله يا شيخ، وانظر هذه الأحاديث لا يكون ابنك يعطيك.
قال أبو عبد الله، فاستحييت وتنحَّيتُ ناحية، فبلغني أنَّه قال: إن كنت كاذبًا ففعل الله بك وفعل.



وقال أبو تراب النخشبي لأحمد بن حنبل: «لا تغتب العلماء! فقال له أحمد: ويحك! هذا نصيحةٌ ليس هذا غيبة»[١].

وقال أحمد بن عبد الله بن سلمة النيسابوري، قال: سمعت محمد بن بندار السباك الجرجاني، يقول: قلت لأحمد بن حنبل إنَّه ليشتد عليَّ أن أقول: فلان ضعيف، فلان كذاب. فقال أحمد: «إذا سكت أنت وسكت أنا، فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟»[٢].

قال أبو داود: سمعت أحمد، وعثمان بن أبي شيبة، والحسن بن علي، وهذا لفظه، كلهم يذكره عن عفان، عن يحيى بن سعيد قال: سألت سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، ومالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، عن الرجل يغلط في الحديث أو يكذب فيه؟ قالوا: «بيِّن أمره، بيِّن أمره»[٣].

وقال: «ما أخرجت خراسان مثل ابن المبارك، وما رفعه الله إلا بخشية كانت له»[٤].

وقال عن سليمان بن داود الهاشمي (ت ٢١٩هـ): «لو قيل: اختر للأمة من تستخلف عليهم لاخترته»[٥].

وقال عن وهب منبه (ت ١١٤هـ): «كان يغزو، وكان يشتري الكتب لأخيه،

وقال حنبل: قال أبو عبد الله: كان أبو بدر شيخًا صالحًا صدوقًا، لقيه ابن معين يومًا، فقال له: يا كذاب، فقال له الشيخ: إن كنت كذابًا وإلا فهتك الله سترك.

قال أبو عبد الله: فأظن دعوة الشيخ أدركته. أهـ.

١- شرح علل الترمذي (٤٦/١)، و«تدريب الراوي» (٤٩٦/٢).

٢- الكفاية في علم الراوية (١٦٧/١)، و«الجامع» (٣٦٢/٤)، و«المقصد الأرشد» (٣٨٣/٢).

٣- العلل ومعرفة الرجال (١٥٤/٣)، و «سؤالات أبي داود» (١٣٤)، و«شرف أصحاب الحديث» (ص١٤٣).

٤- أخبار الشيوخ (٢٧٤).

٥- معالي التأنيس لابن حجر (ص٧٥).

فجالس أبا هريرة بالمدينة، وعاش حتى أدرك ظهور المسودة[١]، وسقط حاجباه على عينيه من الكبر»[٢].

وقال الفضل بن زياد: قال أحمد بن حنبل رحمه الله «لم يكن في زمان ابن المبارك أطلبُ للعلم منه رحل إلى اليمن، وإلى مصر، وإلى الشام، والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم وأهل ذلك، كتب عن الصغار والكبار، كتب عن عبد الرحمن بن المهدي، وعن الفزاري، وجمع أمرًا عظيمًا»[٣].

وقال أبو داود: «لقيتُ مئتين من مشايخ العلم، فما رأيتُ مثل أحمد بن حنبل! لم يكن يخوض في شيءٍ ممَّا يخوضُ فيه النَّاس، فإنْ ذكر العلم تكلم»[٤].

وقال عباس الدوري: «قلَّ ما سمعتُ أحمد بن حنبل يسمِّي يحيى بن معين باسمه إنَّما كان يقول: قال أبو زكريا قال أبو زكريا»[٥].

وسأله رجل فقال: بالري شابٌ يقال له: أبو زرعة، فغضب أحمد، وقال: تقول شاب؟ كالمنكرِ عليه، ثمَّ رفع يديه وجعل يدعو الله عز وجل لأبي زرعة، ويقول: «اللهم انصره على من بغى عليه، اللهم عافه، اللهم ادفع عنه البلاء، اللهم، اللهم، في دعاءٍ كثير».

قال الحسن: فلمَّا قدمت حكيت ذلك لأبي زرعة وحملت إليه دعاء أحمد بن حنبل له، وكنت كتبته عنه فكتبه أبو زرعة وقال لي أبو زرعة: «ما وقعت في

١- أي: العباسيين، فإنَّ السواد كان شعارهم.
٢- سير أعلام النبلاء (٣١٢/٥).
٣- الرحلة في طلب الحديث (ص٧٠).
٤- حلية الأولياء (٣٠٣/٧)، و«مناقب الإمام أحمد» (١/١٨٤).
٥- الجامع لأخلاق الراوي (٤١٢/٣).



بلية فذكرت دعاء أحمد إلا ظننت أن الله عز وجل يفرج بدعائه عني»[١].

وقال عن إسحاق بن راهويه: «لم يعبر الجسر إلى خرسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإنَّ الناس لم يزل يخالفُ بعضهم بعضاً»[٢].

وقال: «الشافعي عندنا إمام، والحميدي عندنا إمام، وإسحاق بن راهويه عندنا إمام»[٣].

وقال: «إذا حدثك أبو يعقوب-يعني إسحاق- أمير المؤمنين بحديثٍ فتمسك به»[٤].

وقال: «إذا رأيتَ الرجل يبغض مالكًا فاعلم أنَّه مبتدع»[٥].

وقال: «إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة، فاتهمه على الإسلام، فإنَّه كان شديدًا على المبتدعة»[٦].

وقال: «ما رأى يحيى بن يحيى مثل نفسه»[٧].

١- مقدمة الجرح والتعديل (٣١٠/١)، وهو في «المقدمة» (ص٦٨٥).

٢- انظر: سير أعلام النبلاء (٣٧١/١١)، وهذه الخلافات لا تؤثر في المودة، ولا تقطع حبل المحبة، وهي ليست بالتشهي والهوى أو تعمد المخالفة؛ بل هي من الخير، وفي باب الفرعيات. جاء في «كتاب الملل والنحل» للشهرستاني (٣٥/١- ٤٣) ط: التوفيقية، يقول الشهرستاني: «وأمَّا الاختلافات الواقعة في حال مرضه عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته بين الصحابة ﵃، فهي اختلافات اجتهادية كما قيل! كان غرضهم منها إقامة مراسم الشرع، وإدامة مناهج الدين»، وانظر: «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري (٢١/١-٢٣).

٣- تاريخ بغداد (٣٦٢/٧).

٤- بحر الدم (٧٩/١).

٥- ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٣٨/٢).

٦- سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٧)، و«حواشي تهذيب الكمال» (٢٦٧/٧)، قلت: وبغض المبتدعة لأهل السنة والتشنيع عليهم قديم، وقد تواردت نصوص السلف بخصوصه، ومن ذلك ما جاء في «المقصد الأرشد» (٧٠/٢)، عن أبي زرعة قال: «إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري وزائدة فلا تشك أنَّه رافضي، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحول والأوزاعي فلا تشك أنَّه ناصبي، وإذا رأيت الخراساني يطعن على عبد الله بن المبارك فلا تشك أنَّه مرجئ».

٧- سير أعلام النبلاء (٥١٣/١٠).

وقال عن هشام بن عبد الملك الطيالسي: «أبو الوليد اليوم شيخ الإسلام، ما أقدم عليه اليوم أحدًا»[١].

وقال: «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري»[٢].

وقال: «يزيد بن زريع ريحانة البصرة»[٣].

وقال: «كان ابن أبي ذئب (ت ١٥٩هـ) رجلًا صالحًا قوالًا بالحق»[٤]. وقال: «كان ابن أبي ذيب يُشبه بسعيد ابن المسيب»[٥].

وقيل له: من نسأل بعدك؟ فقال: سلْ عبد الوهاب

وقال: عبد الوهاب أهل أن يقتدى به، عافى الله عبد الوهاب، عبد الوهاب إمامٌ، وهو موضع للفُتيا.

قيل له: كل ما أجابَ عبد الوهاب في شيءٍ تقبلُه؟ قال: سبحان الله! الناسُ يختلفون في الفقه، هو موضعٌ.

وقال: «عبد الوهاب إمامٌ، وهو رجلٌ صالحٌ مثلُه يوفَّق لإصابةِ الحقِّ»[٦].

وقال: «كان أعلمنا بالرجال يحيى بن معين، وأحفظُنا للأبواب سليمان الشاذَكوني، وكان عليٌّ أحفظنا للطوال»[٧].

وقال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله، وذكر أيوب، ويونس، وابن عون،

١- ميزان الاعتدال (٣٠١/٤).
٢- المقصد الأرشد (٣٧٦/٢- ٣٧٧).
٣- الجرح والتعديل (٤٩٣/١٨).
٤- ذم الكلام (٩٨/٥).
٥- المقصد الأرشد (٤٠٧/١).
٦- إثبات الحد للدشتي (ص٢٤١)، وهو في «الورع» له (٤)، و«السنة» للخلال (١٨٣٩).
٧- تهذيب الكمال (٥٥٣/٣١)، وفي «المجروحين» (٥٢/١)، قال: «أحفظنا للمطولات الشاذكوني. وأعرفنا بالرجال يحيى بن معين، وأعلمنا بالعلل علي بن المديني، وكأنَّه أومأ إلى نفسه أنَّه أفقههم».

والتيمي، فقال: «هل في الدنيا مثل هؤلاء؟!»[١].

وقال عن القاسم بن سلَّام البغدادي: «أبو عبيد أستاذ، وهو يزداد كل يوم خيرًا»[٢].

وقال عن الإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي «صاحب السنن»: «هو إمام»[٣].

وعن هارون بن عبد الله الحمال (ت ٢٤٣هـ)، يقول: جاءني أحمد بن حنبل بالليل فدق عليَّ الباب، فقلت: من هذا؟

فقال: أنا أحمد، فبادرت أن خرجت إليه، فمساني ومسيته، قلت: حاجة يا أبا عبد الله؟

قال: نعم، شغلت اليوم قلبي.

قلت: بماذا يا أبا عبد الله؟

قال: «جزت عليك اليوم وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرى، إذا قعدت فاقعد مع الناس»[٤].

وقال عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان: سألت أحمد بن حنبل عن ابن الثلجي؟ فقال: «مبتدع صاحب هوى».

وسألته عن يعقوب بن شيبة؟ فقال: «مبتدع صاحب هوى»[٥].

١- أخبار الشيوخ (٢٦٩).

٢- تاريخ بغداد (١٢/ ٤١٤)، و «طبقات علماء الحديث» (٢/٦٢- ٦٤).

٣- شرح علل الترمذي (١/٢٣٠).

٤- الجامع لأخلاق الراوي (١/٤١١).

٥- لعلَّه لأنَّه تكلم فيه مسألة الوقف في القرآن، والله أعلم.

وسألته عن سوار بن عبد الله القاضي؟ فقال: «ما بلغني عنه إلا جهل».

وسألته عن يحيى بن أكثم؟ فقال: «ما عرفناه ببدعة»[١].

وقال الفضل بن عبد الله الحميري: سألت أحمد بن حنبل عن رجال خراسان؟ فقال: أمَّا إسحاق بن راهويه فلم نرَ مثله، وأمَّا الحسين بن عيسى البسطامي فثقة، وأمَّا إسماعيل بن سعيد الشالنجي ففقيه عالم، وأمَّا عبد الله القطان فبصير بالعربية والنحو، وأمَّا محمد بن أسلم لو أمكنني زيارته لزرته»[٢].

وللإمام أحمد كلام كثير في الرجال في الكتب، ومن الكتب التي تنقل كلامه لا على سبيل الحصر كتاب: «ميزان الاعتدال» للذهبي، وكتاب: «بحر الدم فيمن تكلم فيه أحمد بمدح أو ذم» لابن المَبْرد، وأنقل من الكتابين كلامه في الرجال.

ففي «ميزان الاعتدال» قال: «لا تحلُّ الرواية عندي عن إسحاق بن أبي فروة»[٣].

وفيه: قال: «إسحاق بن نجيح من أكذب النَّاس، يحدث عن البتي، وعن ابن سيرين برأي أبي حنيفة»[٤].

وفيه: قال: «توهمت أن بقية لا يحدث المناكير إلا عن المجاهيل، فإذا هو يحدث المناكير عن المشاهير، فعلمت من أين أتى»[٥].

وفيه: قال عن ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي: «كان يرى القدر، وكان أهل

١- المقصد الأرشد (١١٥/٢).

٢- المصدر السابق (٣١٤/٢).

٣- ميزان الاعتدال (١٩٣/١).

٤- (٢٠١/١).

٥- (٣٣٢/١).

حمص نفوه وأخرجوه»[١].

وفيه: قال أبو اليمان الحمصي الحكم بن نافع: « حديثه عن حريز وصفوان فصحيح»[٢].

وفيه: قال عن أبي داود النخعي سليمان بن عمرو: «كان يضع الحديث»[٣].

وفيه: وقال أبو صالح كاتب الليث: «كان أول أمره متماسكًا، ثمَّ فسد بآخرة»[٤].

وفيه: قال: «عطاء بن السائب ثقة، ثقة، رجل صالح، ومن سمع منه قديمًا كان صحيحًا، وكان يختم كل ليلة»[٥].

وفيه: قال: «كان عكرمة من أعلم النَّاس، ولكنَّه كان يرى رأى الصفرية، ولم يدع موضعًا إلا خرج إليه: خراسان، والشام، واليمن، ومصر، وإفريقية، كان يأتي الأمراء فيطلب جوائزهم، وأتى الجند إلى طاوس، فأعطاه ناقة»[٦].

وفيه: قال: «عمرو بن شعيب له أشياء مناكير، وإنَّما نكتب حديثه لنعتبر به، فأمَّا أن يكون حجة فلا»[٧].

وفيه: قال عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي النسابة: «إنَّما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أنَّ أحدًا يحدث عنه»[٨].

١- (١/٣٧٤).
٢- (١/٥٨١).
٣- (٢/٢١٦).
٤- (٢/٤٤٠).
٥- (٣/٧١).
٦- (٣/٩٦).
٧- (٣/٢٦٥).
٨- (٤/٣٠٤).

كلامه في بعض الثقات مدحًا وتعديلًا من «كتاب بحر الدم»[١].

ومن ذلك قوله: في نافع بن جبير بن مطعم (ت ٩٩هـ): «رجل من أبناء الصحابة ثقة، لا أعلم إلا خيرًا»[٢].

وقال عن أبي صالح السمان ذكوان الزيات (ت ١٠١هـ): «ثقة، ثقة، مِن أجلِّ النَّاسِ وأوثقهم، وقال: كانت له لحيةٌ طويلة، فإذا ذكر عثمان بكى، فارتجت لحيته، وقال: ها، هاه» وذكر من فضله[٣].

وقال عن خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطي (ت ١٠٣هـ): «كان ثقة دينًا، بلغني أنَّه اشترى نفسه منْ اللهِ ثلاثَ مراتٍ، يتصدق بوزن نفسه فضةً»[٤].

وقال عن مُورق العجلي (ت ١٠٥ أو ١٠٨هـ): «كان من خيار النَّاس عباد الله، قيل له: فعمَّن روى من أصحاب النبي ﷺ؟ قال: عن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن جعفر، وأنس، وأُراه روى عن ابن عباس»[٥].

وقال عن عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام (ت ١٢١هـ): «اشترى عامر بن عبد الله نفسه من الله تعالى ست مرات»[٦].

وقال عن زيد بن الحباب (ت ١٣٠هـ): «كان صاحب حديث كيِّسًا، رحل إلى مصر وإلى خراسان في الحديث، وما كان أصبره على الفقر، وقد ضرب

١- استغرق ذلك قراءة الكتاب وجمع هذه النقولات، فهو أشبه بانتقاء لكلام الإمام رحمه الله في الرجال تعديلًا.

٢- (٨٢/٢).

٣- (١٦٨/١).

٤- (١٥٤/١).

٥- (٧٨/٢).

٦- (٢٥١/١).

فيالحديث إلى الأندلس»[١].

وقال عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان (ت ١٣١هـ): «كان سفيان يسمي أبا الزناد أمير المؤمنين: في الحديث»[٢].

وقال عن صالح بن كيسان (ت ١٣٠ أو ١٤٠هـ): «بخٍ بخٍ، هو أكبر من الزهري».

وقال الميموني: «تذاكرنا صالح بن كيسان، فقلت له: كيف هو؟ قال: صالح»[٣].

وقال ابن إبراهيم: قلت له: أيُّما كان أكبر، أبو حصين (ت ١٢٧ أو ١٢٨هـ) أو الأعمش (ت ١٤٨هـ)؟ قال: «أبو حصين أكبر من الاعمش، والاعمش أحب إليَّ، الأعمش أعلم بالعلم والقرآن من أبي حصين، وأبو حصين من بني أشد، وكان شيخًا صالحًا».

وقال ابن إبراهيم: سألته عن الأعمش هو حجة في الحديث؟ قال: «نعم»[٤].

وقال عن معمر بن راشد البصري ثمَّ اليماني (ت ١٥٤هـ): «كان من أطلب أهل زمانه للعلم، وهو أول من رحل إلى اليمن».

وقال عن صفوان بن سليم (ت ١٥٥هـ): «ثقة من خيار عباد الله، الصالحين».

وقال: «كان رجلًا يستسقى بحديثه، وينزل القطر من السماء بذكره، رواه الأثرم»[٥].

وقال محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب (ت ١٥٨هـ):

١- (١/١٨٦).
٢- (١/٢٦٠).
٣- (١/٢٣٦-٢٣٧).
٤- (١/٢١٥).
٥- (١/٢٤٠).

«كان يشبه بسعيد بن المسيب».

وقيل له: «خلف مثله ببلاده؟ قال: لا ولا بغيرها، كان ثقةً، صدوقًا، أفضل من مالك، إلا أنَّ مالكًا أشد تنقية للرجال منه»[١].

وقال عن حيوة بن شريح (ت ١٥٨هـ): «حيوة بن شريح رجل صالح، له أشياء حسان»، قال: «وزاد قول ابن المبارك فيه، ما وصف لي أحد إلا رأيته دون ما وصف إلا حيوة، فإنِّي رأيته فوق ما وُصِف لي»[٢].

وقال عن شعبة بن الحجاج رحمه الله (ت ١٦٠هـ): «لولا شعبة ذهب حديث الحكم، ولم يكن في زمن شعبة مثله في الحديث، ولا أحسن حديثًا منه، قُسِم له من هذا حظٌّ، وروى عن نحو ثلاثين رجلًا من أهل الكوفة، لم يروِ عنهم سفيان».

وقال: «كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن -يعني: في الرجال وبصره بالحديث»[٣].

وقال عن الإمام سفيان الثوري (ت ١٦١هـ): «الثوري أعلم بحديث الكوفيين ومشايخهم من الأعمش».

وقال: قال لي ابن عيينة: «لن ترى عيناك مثل سفيان حتى تموت»[٤].

وقال عن زائدة بن قدامة (ت ١٦١هـ): «المتثبتون في الحديث أربعة: سفيان وشعبة وزائدة وزهير»[٥].

وقال عن حريز بن عثمان بن جبر (ت ١٦٣هـ): «ثقة ثقة ثقة، ولم يكن يرى

١- (٢/٢٩).
٢- (١/١٥٠).
٣- (١/٢٢٨-٢٢٩).
٤- (١/٢٠٣).
٥- (١/١٧٨).

القدر»[١].

وقال عن محمد بن منصور أبو جعفر الطوسي (ت١٧٠هـ): «لا أعلم إلا خيرًا، صاحب صلاة».

وقال أبو داود: جاء رجل إلى أحمد، فقال: أنكتب عن محمد بن منصور الطوسي؟ فقال: «إذا لم تكتب عن محمد بن منصور الطوسي فعمَّن؟ يقول ذلك مرارًا، ثمَّ قال له الرجل: إنَّه يتكلم فيك، فقال أحمَد: رجلٌ صالح، فما يعمل»[٢].

وقال عن صدقة بن خالد الأموي (ت ١٧١هـ): «ثقة، مأمون، ما بلغني أنَّ أحدًا من الشاميين كان يكتب حديثه بنفسه، وذلك بين في حديثه»[٣].

وقال عن عبد الله بن لهيعة (ت ١٧٤هـ): «من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه، من ضبطه، وإتقانه؟»[٤].

وقال عن الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ): « ما في المصريين أثبت منه»[٥].

وقال عن الإمام مالك (ت ١٧٩هـ) لما قال له ابن عبد الله: من أثبت أصحاب الزهري؟ قال: «مالك أثبت في كلِّ شيء»[٦].

وقال عن حماد بن زيد بن درهم (ت ١٧٩هـ): «حماد بن زيد من أئمة المسلمين، من أهل الدين وهو أحب إليَّ من حماد بن سلمة»[٧].

١- (٢٠١/١).
٢- (٣٩/٢).
٣- (٢٣٨/١).
٤- (٢٧١/١)، وله كلام فيه، وفي تليين حديثه (١٧٣/٢).
٥- (١٠/٢).
٦- (٤٣/٢).
٧- (١٤٢/١).

وقال عن هقل بن زياد السكسكي (ت ١٧٩هـ): «لا يُكتَب حديث الأوزاعي عن أوثق من هقل»[١].

وقال عن عبد بن المبارك الحنظلي (ت ١٨١هـ): «لم يكن في زمان ابن المبارك، أطلب للعلم منه، رحل إلى اليمن وإلى مصر، وإلى الشام، والبصرة، والكوفة، كتب عنه الصغار والكبار وجمع أمرًا عظيمًا، وما كان أحدٌ أقلَّ سقطًا منه، كان يحدثُ من كتاب، وكان صاحب حديث، حافظًا».

وقال: «لا أعلمُ أحدًا خرجَ إلى اليمن إلاَّ الثوري، وابن المبارك، وابن جُريج، فأمَّا سفيان: فكان المجلس له والزحمة عليه.

وقد كتبوا عن ابن المبارك، كتب عن أهل اليمن، ولولا رحل إليهم من هؤلاء، من كان من أهل اليمن؟»[٢].

يعقوب بن إبراهيم القاضي (ت ١٨٢هـ): ذكر الخطيب في «تاريخه»: «أنَّ أحمد وابن معين وابن المديني لم يختلفوا في ثقة في النقل»[٣].

وقال عن هشيم بن بشير الواسطي (ت ١٨٣هـ): «كتبَ هشيم عن الزهري بمكة، وقال: أروى النَّاس عن يونس هشيم، لزمتُه أربع أو خمس سنين، وكان كثير التسبيح بين الحديث، يقول بين ذلك لا إله إلا الله يمد بها صوته»[٤].

وقال عن يزيد بن زريع (ت ١٩٦هـ): «كان ريحانة البصرة».

وقال: «رحم الله يزيد بن زريع، مات أبوه، وخلف له أربعين بدرة، فلم يأخذ

١- (٩٩/٢) السكسكي مولاهم، أبو عبد الله الدمشقي، كاتب الأوزاعي، سكن بيروت، وهقل لقبٌ واسمه محمد، وقيل: عبد الله، وثقه ووصفه بالإتقان غير واحد.

٢- (٢٧٢/١-٢٧٣).

٣- (١٣٦/٢).

٤- (٩٨/٢).



منها شيئًا، وتورع منها»[١].

وقال عن وكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ): «ما رأيت رجلًا قطُّ مثل وكيع في العلم والحفظِ، والإسنادِ والأبواب، مع خشوعٍ وورع».

وقال: «ما رأت عيناي مثل وكيع قطُّ يحفظ الحديث جيِّدًا، ويذاكر بالفقه، فيحسن مع ورعٍ واجتهاد، ولا يتكلم في أحد»[٢].

وقال عن يحيى بن أبي سعيد القطان التميمي (ت ١٩٨هـ): «ما كان أضبطه، وأشد تفقده». وقال: «ما رأينا له كتابًا، كان يحدثنا من حفظه».

وقال: «إلى يحيى بن سعيد المنتهى في التثبت بالبصرة»[٣].

وقال عن عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ): «ما رأيت بالبصرة مثل يحيى بن سعيد، وبعده عبد الرحمن، وعبد الرحمن أفقه الرجلين، وإذا اختلف هو ووكيع، فعبد الرحمن أثبت؛ لأنه أقرب عهدًا بالكتاب»[٤].

وقال عن ضمرة بن ربيعة (ت ٢٠٢هـ): «رجل صالح، صالح الحديث من الثقات، المأمونين، لم يكن بالشام رجل يشبه، وهو أحب إلينا من بقية»[٥].

وقال عن معروف الكرخي (ت ٢٠٤هـ): «معروف من الأبدال، وهو مُجاب الدعوة»، وذكر في مجلس أحمد، فقال بعض من حضره: هو قصير العلم. فقال أحمد: «أمسك عافاك الله، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه

١- (٢/١٣١-١٣٢).
٢- (٢/١٠٧)، وله ثناء طويل، ومدح جميل في الإمام وكيع رحم الله الجميع.
٣- (٢/١١٩-١٢٠).
٤- (١/٢٩٥).
٥- (١/٢٤٢).

معروف؟!»[١].

وقال عن يزيد بن هارون بن زادي (ت ٢٠٦هـ): «ما كان أذكاه وأفهمه، وأفطنه».

وقال: «ما كان أجمع أمر يزيد بن هارون، صاحب صلاة، حافظ، متقن للحديث صرامة وحسن مذهب»[٢].

وقال عن سليمان بن داود الهاشمي (ت ٢١٩هـ): «لو قيل لي: اخترْ للأمة رجلًا استخلفتُ سليمان بن داود الهاشمي»[٣].

وقال عن آدم بن إياس (ت ٢٢٠ أو ٢٢١هـ): «كان معنا عند شعبة، وكان في الستة الذين يضبطون الحديث عنه»[٤].

وقال عن عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد "عبدان" (ت ٢٢١هـ): «ما بقي الرحلة، إلا إلى عبدان بخراسان»[٥].

وقال عن إبراهيم بن شماس السمرقندي أبو إسحاق الغازي (ت ٢٢١هـ): «كتب إليَّ بعض أصحابنا أنَّه أوصى بمائة ألفٍ يُشترى بها أسرى من الترك، فاشترينا مائة نفس أو نحوًا».

قال أبو عبد الله: «قتلته الترك أيضًا، فانظر ما ختم الله له به مع القتل»[٦].

وقال عن يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن بن يحيى، أبو زكريا التميمي (ت

١- (٦٤/٢).
٢- (١٣٦/٢)، وصلى رحمه الله صلاة الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة.
٣- (٢١٢/١).
٤- (٧٦/١).
٥- (٢٦٨/١-٢٦٩) روى له البخاري مائة حديث وعشرة أحاديث.
٦- (٦٧/١).



٢٢٤ أو ٢٢٥هـ): «خرج من خراسان رجلان: عبد الله بن المبارك، ويحيى بن يحيى، وأوصى بثياب بدنه للامام أحمد، فكان يحضر بها الجَماعات».

وقال ولده زكريا: أوصى أبي بثياب بدنه لأحمد بن حنبل، فأتيته بها في منديل، فنظر إليها، وقال: «ليس هذا من لباسي، ثمَّ أخذ ثوبًا واحدًا منها ورد الباقي»[١].

وقال عن أحمد بن يونس التميمي الكوفي (ت ٢٢٧هـ): وقال له رجل عمَّن أكتب؟ فقال: «أخرج إلى أحمد بن يونس، فإنَّه شيخ الاسلام»[٢].

وقال عن هشام بن عبد الملك، أبو الوليد الطيالسي (ت ٢٢٧هـ): «أبو الوليد متقن، وهو أكبر من ابن مهدي بثلاث سنين، وأبو الوليد اليوم شيخ الاسلام، ما أقدِّم عليه اليوم أحدًا من المحدثين»[٣].

وقال عن سعيد بن منصور صاحب السنن (ت ٢٢٧هـ) قال سلمة بن شبيب: ذكرته لأحمد بن حنبل: «فأحسن الثناء عليه وفخم أمره»[٤].

ولما قيل له عن خلف بن هشام المقرئ (ت ٢٢٩هـ) إنَّه يشرب يعني النبيذ: «انتهى إلينا علم هذا عنه، ولكن هو والله عندنا الثقة شرب أو لم يشرب»[٥].

وقال عن يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ): «كلُّ حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس بحديثٍ».

١- (١٢٨/٢-١٢٩).
٢- (٥٦/١-٥٧).
٣- (٩٦/٢-٩٧).
٤- (٢٠٣/١).
٥- (١٦٠/١).

وقال: «ههنا رجل خلقه الله لهذا الشأن، يظهر الكذابين»[١].

وقال عن الحسن بن شجاع بن رجاء (ت ٢٤٢هـ): «انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان، أبي زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي»[٢].

وقال عن هنَّاد بن السري، التميمي، الدرامي (ت ٢٤٣هـ): وقيل له: عمَّن نكتب بالكوفة؟ قال: «عليك بهنَّاد».

وقال في رواية المروذي: «ما بالكوفة مثل هنَّاد، هو شيخهم»[٣].

وقال عن أبي ثور (ت ٢٤٦هـ): «لم يبلغني إلا خيرًا». وقال أبو بكر بن الأعين: سألت أحمد عنه؟ فقال: «أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة، وهو عندي في مسلاخ الثوري»[٤].

وقال عن أحمد بن صالح المصري (ت ٢٤٨): وسئل من أعرف النَّاس بأحاديث ابن شهاب؟ قال: «أحمد بن صالح، ومحمد بن يحيى الذهلي»[٥].

وقال عن عبد الوهاب الوراق (ت ٢٥٠هـ): «صالح، مثله يوفق لإصابة الحق».

وقال: «ليس يعرف مثله، عافاه الله قلَّ منْ يرى مثله»[٦].

وقال عن أبي محمد الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ٢٥٥هـ): «كنت عند أحمد بن حنبل فذكر عبد الله بن عبد الرحمن، فقال:

١- (١٢٧/٢).

٢- (١٣١/١) قال ابن حبان: كان ممَّن أكثر من الرحلة، والكتب والحفظ، مات وهو شاب، ولم ينتفع به.

٣- (١٠١/٢).

٤- (٦٥/١-٦٦).

٥- بحر الدم (٥٦/١).

٦- (٢٠٣/١).

هو ذاك السيد، ثمَّ قال: عُرض عليَّ الكفر، فلم أقبل، وعرض عليه الدنيا فلم يقبل»[١].

وقال عن أبي طاهر المصري أحمد بن عمرو السراج الأموي (ت ٢٥٥هـ): أحمد بن عمرو عندك إمام؟ قال: «نعم، رحم الله أحمد، ما علمت إلا خيرًا، هو عندي إمام»[٢].

وقال عن أحمد بن الفرات بن خالد الرازي (ت ٢٥٨هـ): «ما تحت أديم السماء أحفظ لأخبار رسول الله ﷺ من أبي مسعود»[٣].

وقال عن محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ): «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري»[٤].

وقال عن محمد بن يحيى الذهلي (ت ٢٥٨هـ): «لو أنَّ محمد بن يحيى عندنا لجعلناه إمامًا في الحديث»[٥].

وقال عن إبراهيم بن يعقوب الجَوزجاني (ت ٢٥٩هـ): «جليل جدًا. وكان الإمام رحمه الله يكاتبه، ويكرمه إكرامًا شديدًا»

قال ابن عدي: «كان يسكن دمشق، يحدث على المنبر وكان يكاتبه أحمد بن حنبل، ويتقوى بكتابه، وبقراءته على المنبر»[٦].

وله ثناء على مخَّة أخت بشر الحافي: قال عبد الله بن أحمد: جاءت مخة أخت

١- (١/٢٦٧).
٢- (١/٦٠).
٣- (١/٥٨).
٤- (٢/١٥).
٥- (٢/٤١).
٦- (١/٧٤).

بشر إلى أبي، فقالت له: إنِّي امرأة رأس مالي دانقين، أشتري القطن فأردنَّه فأبيعه بنصف فأتقوت بدانق من الجمعة إلى الجمعة، فمر ابن طاهر الطائف، ومعه مشعل، فوقف يكلم أصحاب المصالح فاستغنمت ضوء المشعل، فغزلت طاقات ثمَّ غاب عنِّي المشعل، فعلمت أنَّ لله في مطالبة، فخلصني خلصك الله، فقال لها: تخرجين الدانقين، ثمَّ تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرًا.

قال عبد الله: فقلت لأبي: يا أبةِ لو قلت لها: لو أخرجت الغزل الذي أدركت فيه الطاقات، فقال: يا بنيَّ، سؤالها لا يحتمل التأويل، ثمَّ قال: من هذه؟ قلت: مخة أخت بشر بن الحارث، فقال: من ههنا أتيت(١).

ولنختم بما ذكره البيهقي في «مناقب الشافعي»، عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، قال: سمعت إبراهيم الحَرْبي يقول: سئل «أحمد بن حنبل» عن «مالك بن أنس» فقال: حديث صحيح ورأي ضعيف.

وسئل عن «الأَوْزَاعِي» فقال: حديث ضعيف ورأي ضعيف.

وسئل عن «الشافعي» فقال: حديث صحيح ورأي صحيح.

وسئل عن «أبي فلان» فقال: لا رأي ولا حديث.

قلت: إنَّما قال ذلك «أحمد بن حنبل» في «مالك»، رحمهما الله؛ لأنَّه كان يترك حديثه الصحيح، ويعمل بعمل أهل المدينة في بعض المسائل.

وقال ذلك في «الأوزاعي» رحمه الله؛ لأنَّه كان يحتج بالمقاطيع والمراسيل في بعض المسائل، ثم يقيس عليها.

وقال ذلك في «الشافعي» رحمه الله؛ لأنَّه كان لا يرى الاحتجاج إلا بالحديث

١- (١٧٥/٢).

الصحيح المعروف، ثم يقيس الفروع على ما ثبت أصلها بالكتاب، والسنة الصحيحة، والإجماع.

قال البيهقي: قال ذلك في «غيرهم»، ﷭؛ لأنَّه كان يقول بالحديث الضعيف دون القياس مرة، ويترك الصحيح المعروف بالقياس أخرى، فيقول بالقياس مرة، ويتركه بالاستحسان أخرى؛ وهذا لأنَّه كان يرى الحجة تقوم بخبر المجهول، وبالحديث المنقطع؛ فما وقع إليه من ذلك من حديث بلده قال به وترك القياس لأجله، وما لم يقع إليه من صحيح حديث بلده، أو وقع إليه فلم يثق، قال فيه بالقياس، أو الاستحسان.

وقوله بالحديث المنقطع، ورواية المجهول ما لم يعلم جَرْحه، وتقليده الصحابي الواحد بخلاف القياس فيما بلغه من حديث بلده - يدل على صحة أصل اعتقاده في متابعة الأخبار والآثار....[1].

١- المناقب (١/١٦٧).





ما روي عنه في علوم المصطلح

في النَّظرِ في أصول بعض أنواعِ علوم الحديث، نجد أن استنباط العلماء لها إنما هو قائم على ما فهموه من كلام النبي ﷺ وفعله.

فقد [١] نهى النبي ﷺعن الكتابة بقوله: «لا تكتبوا عنِّي، ومن كتب عنِّي غير القرآن فليمحُه»(١).

[٢] وثمَّ أذن في ذلك بقوله: «اكتبوا لأبي شاه»(٢). وروي عن عمر رضي الله عنه ، أنَّه قال: «قيدوا العلم بالكتاب»، ومثله عن ابن عمرو، وأنس رضي الله عنهم(٣).

[٣] وقال: «بئس أخو العشيرة»، وهذا دليل القوم في جواز الجرح والتعديل.

[٤] وكان يرسل الرسول الواحد ليبلغ قومًا كما هو معلوم ومشهور، وهذا من الأدلة في الاحتجاج بخبر الآحاد.

[٥] وكذلك الحرص على السماع، كما في قصة أبي هريرة رضي الله عنه في ملازمته النبي ﷺ (٤).

١- صحيح مسلم (٣٠٠٤)، وأحمد في «مسنده» (١١٠٨٧) بلفظ: «لا تكتبوا عني شيئًا، فمن كتب عنِّي شيئًا فليمحه».

٢- صحيح البخاري (٢٣٠٢).

٣- شرح السنة للبغوي (٢٩٥/١)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٠٦/١)، من قول عمر رضي الله عنه، ومن قول أنس رضي الله عنه. وذكره مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمرو، وفيه عبد الله بن المؤمل، وهو ضعيف.

وانظر: «تقييد العلم» للخطيب (ص٦٨،٧٠)، و«العلم» لأبي خيثمة (ص٤٩)، من قول أنس رضي الله عنه، وقال السخاوي في «فتح المغيث» (٨/٣)، «روي رفعه، ولا يصح».

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال «إنَّ النَّاس يقولون: أكثرَ أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله عز وجل ما حدثت حديثا، ثمَّ تلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [البقرة: ١٧٤] و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٥٩] وإنَّ إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإخواننا الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإنَّ أبا هريرة كان يلزمُ رسول الله ﷺ لشبعِ بطنه، ويحضر ما لا يحضرون» كما في «صحيح البخاري» (١١٨).

[٦] وتوقي الصحابة في السماعِ إلا عن العدول كما في قول ابن عباس رضي الله عنه عندما قال: «إنَّما كنَّا نحفظ الحديث، والحديثُ يحفظ عن رسول الله ﷺ، فأمَّا إذ ركبتم كل صعب وذلولٍ فهيهات»[١].

[٧] وفي التثبت في نقل الحديثِ ونشره كما في قصة عمر مع أبي موسى رضي الله عنهما[٢].

[٨] وفي حرصهم على نشره كما في الحديث «ليبلغِ الشاهدُ منكُمُ الغائبَ»[٣].

[٩] وفي العناية بطلاب الحديث كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه وكان يوسع للطلاب الحديث ويرحب بهم[٤]، ومنه عنون الخطيب في كتابه «شرف أصحاب الحديث» (وصية النبي ﷺ: بإكرام أصحاب الحديث)[٥].

[١٠] وكذلك تتابع الصحابة على فعل ما فعله رسول الله ﷺ من ضحك وقيام وكل شيء، كقوله ﷺ : يا معاذ إنِّي لأحبك. فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا أحبك. قال: «أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دُبُر كلِّ صلاة»[٦] الحديث.

١- صحيح مسلم (المقدمة) (١/١٢).

٢- رواه مسلم في «صحيحه» (باب الاستئذان) (٣٣) (٢١٥٣)، ومالك في «الموطأ» (باب الاستئذان) (٢).

٣- رواه البخاري في صحيحه (١٠٥)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وعند أحمد في «مسنده (٢٠٤١٩)، بلفظ «فلعلَّ الغائبَ أن يكونَ أوعى لهُ من الشَّاهِدِ».

٤- كما رواه الترمذي في «سننه» (باب ما جاء في الاستيصاء بمن يطلب العلم) (٢٦٥٠)، عن أبي هارون العبدي، قال: كنَّا نأتي أبا سعيد، فيقول: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ، إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ النَّاس لكم تبع، وإن رجالًا يأتونكم من أقطار الأرضين يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرًا»: قال علي: قال يحيى بن سعيد: «كان شعبة يضعف أبا هارون العبدي»

٥- (ص٤٥).

٦- رواه أحمد في «مسنده» (٢٢١١٩)، واللفظ له، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٩)، والبزار في «مسنده» (٢٦٦١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٧٥١)، وابن حبان «صحيحه» (٢٠٢٠) و (٢٠٢١).



وهذا يعرف بالمسلسل، وقد وقع فعلًا من الصحابة فمن بعدهم، وهو مدوَّن في كتب الاصطلاح.

وسردُ ذلك يطول، ولكن نريد أن نبين بأن هذا العلم -أصول الحديث- له أصل في زمن الصحابة؛ ولكن سبك هذه القواعد وإظهارها بالاصطلاح المشهور حصل في الأزمنة المتأخرة، وأنَّ معالم هذا العلم ظهرت بعد ذلك كأيِّ علم تفرَّع وكُتِب فيه.

وقد وقع من أقوال أئمة الحديث الكثير من ذلك، ثمَّ المؤلفات ظهرت تباعًا وكما يظنُ البعض أنَّ علم المصطلح أول من أفرده تصنيفًا الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ)، في كتابه «المحدث الفاصل بين الراوي والوعي» مع عدم استيعابه كامل أنواعه، وإضافة ما هو حق بأن يذكر في غيره.

ثمَّ جاء بعده وهو أحق بالأولية الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، ووضع كتاب «معرفة علوم الحديث» مع الاستدراكِ عليه، كما فعل الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) في «اختصار علوم الحديثِ» في مباحث مهمة، وغيره، وهو كما قال الحافظ ابن حجر في «توضيح النخبة»: «لم يهذب ولم يرتب»[1].

ثمَّ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) في كتابيه: «الجامع لأخلاق الراوي»، و«الكفاية في معرفة أصول الرواية»، مع ما له كتبت متخصصة في أنواعه، بل قلَّ فن من فنون الحديث إلا وقد صنَّف فيه كتابًا مفردًا، فكان كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة: «كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على

١- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (ص٥٩) ط: ابن كثير.
قال الكوراني (ت ١١٠١هـ): في «حاشيته على النخبة»: «التهذيب: التصفية، والترتيب في اللغة: جعل كلِّ شيءٍ في مرتبته، وفي الاصطلاح: جعل الأشياء الكثيرة بحيثُ يطلق عليها اسم الواحد، ويكون لبعضها نسبة إلى بعض بالتقدُّمِ والتَّاخرِ».

كتبه»[١]. وهذه الكتب من مصادر الحافظ ابن الصلاح في مقدمته يراها جليًّا من نظر في كلا الكتابين، وقد وقع ذلك تصريحًا من ابن الصلاح في كتابهِ.

ومثله في التصنيفِ الحافظ ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) في «مقدمةِ التمهيدِ»[٢]، وقد طبع مستقلة بطبعاتٍ عدَّة[٣]، وكان يجدر بابن حجر ذكرها مع ما ذكر من كتب المصطلح في «النكت على نزهة النظر» (ت٨٥٢هـ)، بدلًا أو مع ذكره لكتاب أبي حفص الميانجي «ما لا يسعُ المحدِّثَ جهلُهُ» فهي صغيرة الحجم وفيها فوائد، وعليها استدراكات جمعتها في جزءٍ.

ثمَّ القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) في كتابه «الإلماع»، مع عوز ونقص لمباحث مهمة.

ثمَّ جاءِ بعده واسطة العقد، الشيخ الحافظ تقي الدين، عثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) وألَّف «معرفة أنواع علوم الحديث» فجمع ما وقع في التصانيف السابقة ورتبها، وناقش في بعضها.

ثمَّ بعده النووي (ت ٦٧٦هـ) والنووي له فوائد نافعة في شرحه لمقدمة «صحيح الإمام مسلم»، وآداب مهمة يحتاجها طالب العلم في مقدمة كتابه «المجموع»، وما أشبه ما فيه ببعض ما في «الكفاية» للخطيب، مع ما صنع في كتابه: «التبيان في آداب حملة القرآن» ففيه فوائد مقاربة للخطيب رحمه الله.

ومن جهود النَّووي اختصارهِ لمقدمة ابن الصلاح السالف ذكرها في كتاب «إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ»، ثمَّ اختصر هذا

١- نزهة النظر (ص٦٠)، وهو في «التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد» (١/١٧٠).

٢- هو التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.

٣- من أفضلها طبعة دار البشائر، طبعت مع مجموعة من الرسائل.



الكتاب في كتابٍ آخر سماه «التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث»[١].

ثمَّ شرع جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) بشرحِ التقريب في كتابه التدريب، وسمَّاه: «تدريبُ الراوي في شرح تقريب النواوي».

وممَّن اختصر مقدمة ابن الصلاح جماعةٌ من العلماء[٢]: كابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) في كتاب: « المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي».

وابن التركماني (ت ٧٥٠هـ) في كتابهِ: «المنتخب في علوم الحديث»، وأشاد به العراقي وابن حجر العسقلاني، بل قال العراقي: « أوفى بمقصوده، ولا أعلم أحدٌ سواه في ذلك»، ويذكر أنَّ الحافظ ابن حجر من شدةِ إعجابهِ بهذا الكتاب يقرئه لبعض تلامذتهِ، فقد جاء في "ثبت أبي جعفر البلوي" عن شيخه أبي الحسن القلصادي الأندلسي أنَّه رحل إلى ابن حجر وقرأ عليه كُتبًا، ومنها هذا الكتاب»[٣].

وابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) في كتابهِ: «اختصار علوم الحديثِ».

وشرح المقدمة الحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ) في كتابهِ: «التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح»، ثمَّ نظمها شعرًا، وزاد عليها في ألفيته المعروفة «التبصرة والتذكرة»، ثمَّ شرحه هو رحمه الله[٤].

١- قال رحمه الله: «هذا كتاب اختصرته من كتاب "الإرشاد" الذي اختصرته من علوم الحديث للشيخ الإمام الحافظ المتقن المحقق أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح رضي الله عنه، أبالغ فيه في الاختصار إن شاء الله تعالى من غير إخلال بالمقصود، وأحرص على إيضاح العبارة، وعلى الله الكريم الاعتماد وإليه التفويض والاستناد».

٢- انظر: ما ذكره الشيخ ماهر الفحل نفع الله به في مقدمة تحقيق (شرح التبصرة والتذكرة) (٨/١).

٣- ثبت البلوي (ص١٣٢)، بالاستفادة من مقدمة المحقق (ص٣٢) ط: وزارة العدل.

٤- وممَّن نظمها جماعة، وبعض هذه المنظومات مطوّلة، وبعضها مختصرة، وبعضها متوسطة، ولعلّ

وصدق الخويي (ت ٦٩٣هـ) إذ قال عن كتاب ابن الصلاحِ، في "منظومته":

وخَيْرُ ما صُنِّفَ فِيها واشْتَهَرْ كِتَابُ شَيْخِنَا الإِمَامُ المعْتَبَرْ
وَهْوَ الذي بِابْنِ الصَّلاحِ يُعْرَفُ فَلَيْسَ فِيها مِثْلَهُ مُصَنَّفُ[1].

فضلًا عن النكات التي وضعت عليها، ومن أشهرها: الزركشي، وابن حجر، وغيرهم.

ثم تلاهم الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت ٨٥٢هـ) وله في ذلك تصينفًا، وشرحًا، ونكتًا.

ثمَّ نختم هذه المقدمة بذكر كلامِ ابن الأكفاني في كتابه «إرشاد القاصد»، والذي تكلم فيه على أنواع العلوم، فقال: علم الحديث الخاص بالرواية: علم يشتمل على نقل أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وروايتها، وضبطها، وتحرير ألفاظها.

وعلم الحديث الخاص بالدراية: علم يعرف منه حقيقة الرواية؛ وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة، وشروطهم، وأصناف المرويات، وما يتعلق بها»[2].

من أبرز من نظمه:
[١] شمس الدين الخُوَيي (ت ٦٩٣ هـ)، وسمّى منظومته باسم «أقصى الأمل والسول في علوم حديث الرسول».
[٢] أبو عثمان سعد بن أحمد بن ليون التجيبي (ت ٧٥٠هـ).
[٣] زين الدين العراقي (ت ٨٠٦ هـ) ألفيته المعروفة بـ «التبصرة والتذكرة».
[٤] محمد بن عبد الرحمن بن عبد الخالق المصري البرشنسي (ت ٨٠٨ هـ) وسمّى منظومته: «المورد الأصفى في علم حديث المصطفى».
[٥] شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) وسمّى منظومته «الهداية في علم الرواية».

١- نظم أقصى الأمل والسُّول في علم حديث الرسول ﷺ أبيات (٧- ٨) (ص٦١).
٢- إرشاد القاصد (ص ١٠٢- ١٠٧)، و«تدريب الراوي» (٣٧/١)، وانظر كلام محققه الشيخ طارق حفظه الله.



وقال السيوطي رحمه الله: «**فحقيقة الرواية**: نقل السنَّة ونحوها وإسنادُ ذلك إلى من عُزِي إليه بتحديث أو إخبار أو غير ذلك.

وشروطها: تحمُّل راويها لما يرويه بنوع من أنواع التحمَّل؛ من سماعٍ أو عرض أو إجازة ونحوها.

وأنواعها: الاتصالُ والانقطاعُ ونحوهما.

وأحكامها: القبولُ والردُّ.

وحال الرواة: العدالة والجرح.

وشروطهم: في التحمَّل وفي الأداءِ كما سيأتي.

وأصناف المرويات: المصنفات من المسانيد والمعاجم والأجزاء وغيرها، أحاديثَ وآثارًا وغيرهما.

وما يتعلق بها: هو معرفةُ اصطلاح أهلها»[١].

وقد أطلت في ذكر ذلك، وفيه خير وبركة -إن شاء الله-، ثمَّ نعودُ ونذكر أنَّ الإمام أحمد رحمه الله له أقوال نفيسة مباركة في أصول الحديثِ وعلومهِ، قد دونت بعضها في كتبت المصطلح، وذكر بعضها في كتب أصول الفقه المدونة في المذهب على وجه الخصوص كالعدة والمسودة وهي غزيرة نافعة وقد تركت الإطالة، وأخذت من مقاله الذي يحصل به الغرض وينقضي به الأرب، وقد أفرد ما روي عنه تصنيفًا[٢]، وأنا أذكر ما مرَّ بي من كلامه، والله المعين، وخير ما ابتدئ به، حديث أبي عنبة الخولاني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا

١- تدريب الراوي (٣٨/١).

٢- وطبع حديثًا كتاب بعنوان: (أراء الإمام أحمد في علم مصطلح الحديث) ط: الأصول العلمية.

يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته»[١].

قال أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم البغدادي: بلغني عن أحمد بن حنبل رحمه الله قال: «هم أصحاب الحديث»[٢].

وقال الإمام أحمد: «مَن عَظّم أصحاب الحديث، تعظم في عين رسول الله، ومن حقرهم، سقط من عين رسول الله؛ لأنَّ أصحابَ الحديث أحبارُ رسول الله ﷺ»[٣].

وعن محمد بن إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي فتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه، فقال: «زنديق، زنديق، زنديق، ودخل البيت»[٤].

١- رواه ابن ماجه في «سننه» (٨)، وهو في «مسند أحمد» (١٧٧٨٧)، و «صحيح ابن حبان» (٣٢٦). قال البوصيري في «الزوائد» (١/٥٤): «هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات» كذا قال! وبكر بن زرعة الخولاني لم يوثقه إلا ابن حبان، وتوثيقه لين.
وجوَّد إسناده شيخنا الحويني تقبل الله منه كما في «الفتاوى الحديثية» (٥/١٥٨-١٦٠) على شرط ثبات صحبة أبي عنبة للنبي ﷺ، وممَّن أثبتها (ابن سعد، وخليفة خياط، وعليه عامة المتأخرين) قال الحافظ في (الإصابة): «صحابي مشهور بكنيته».
وممَّن ذهب لنفي الصحبة: أبو حاتم وأبو زرعة، والدليل على نفي الصحبة ما أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «العلل» رقم (٥٨١٥) بسندٍ جيدٍ، عن شرحبيل بن مسلم الخولاني، قال: «رأيت سبعةَ نفرٍ، خمسةً قد صحبوا النبي ﷺ واثنين قد أكلا الدم في الجاهلية ولم يصحبا النبي ﷺ. فأما اللذان لم يصحبا النبي ﷺ فأبو عنبة الخولاني وأبو فالح الانماري».
٢- جامع بيان العلم (٢/١٠٣٤)، و «طبقات الحنابلة» (١/٣٨٩)، وفي «المقصد الأرشد» (٣/٦٨)، من رواية نعيم بن طريف عنه.
٣- المجموع من مرويات أبي الفضل صالح في المحنة وغيرها (ص٢٤٠)، و«المناقب» (ص٢٤٧).
٤- معرفة علوم الحديث (ص١١٤)، و«شرف أصحاب الحديث» (ص٩٨)، و«الغنية عن الكلام وأهله» (ص٦٥)، و«بحر الدم» (ص٥٠٦- ٥٠٧)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٤٨٢) ط: الميراث النبوي.



وسئل: أيؤجر الرجل على بغض من خالف حديث رسول ﷺ فقال: «إي والله»(١).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: عارضت بكتابٍ لأبي ثلاث عشرة مرة، فلمَّا كان في الرابعة عشر خرج فيه خطأ، فوضعه من يده، ثمَّ قال: «قد أنكرتُ أنْ يصح غير كتاب الله عز وجل»(٢).

وقال: «لا ينبغي للرجل إذا لم يعرف الحديث أن يحدث به»، ثمَّ قال: «صار الحديث يحدث به من لا يعرفه!»(٣).

وقال: «الإسناد العالي سنَّة عمَّن سلف»(٤). وزاد ابن الجوزي: «لأنَّ أصحاب عَبدالله كانوا يَرحلون من الكوفة إلى المدينة فيتعلمون من عُمر ويَسمعون منه»(٥).

وقال: «طلب إسنادِ العلو من السنَّةِ»(٦).

وقال: «الإسنـــادُ من الدينِ»(٧).

وقال: «ينبغي للعدل أن يكون فيه ست خصال: فقيهًا، عالماً، زاهدًا، ورعًا، عفيفًا، بصيرًا بما يأتي، بصيرًا بما يذر»(٨).

وقال: «من يفلت من التصحيف؟»(٩).

وفي كراهية أهل البدع لأهل الحديث آثار كثيرة، وسوف أتكلم عنها في كتابي (الإسناد وأهميته) بإذن الله وتوفيقه.

١- المسائل التي حلف عليها أحمد رقم (٦)، و«إعلام الموقعين» (٥٦/٦).
٢- موضح أوهام الجمع والتفريق (١٤/١).
٣- بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم (٤٩/١) ط: دار الإمام أحمد.
٤- معرفة أنواع علوم الحديث (ص٢٥٦)، و«تدريب الراوي» (١٤٤/٢).
٥- المناقب (ص٢٧٩).
٦- الجامع لأخلاق الراوي (١٢٣/١)، وبنحوه في «الرحلة في طلب الحديث» (ص٦٩).
٧- المقصد الأرشد لبرهان الدين بن مفلح (ت ٨٨٤هـ) (١٥٠/٣).
٨- المقصد الأرشد (١٦٤/٣).
٩- تاريخ بغداد (٢٠١/١٤).

وقال: «لَا تكتبُوا الغرائبَ؛ فإِنَّها مناكِير وغالبها عن الضُّعفاء»[١].

وقال: «شرُّ الحديث الغرائب التي لا يعمل بها ولا يعتمدُ عليها»[٢].

وقال: «تركوا الحديث وأقبلوا على الغرائب، ما أقلَّ الفقه فيهم»[٣].

وقال: «الاشتغال بالأخبار القديمة يقطع عن العلم الذي فرض علينا طلبه»[٤].

وقال: «ثلاثة كتب ليس لها أصولٌ: المغازي، والملاحم، والتفسير»[٥].

وقال: «أَكْذَبُ النَّاسِ السُؤَّالُ والقُصّاص»[٦].

وقال: «وما أحوج النَّاس إلى قاصٍ صادق صدوق؛ لأنَّهم يذكرون الموتَ وعذابَ القبر».

قيل له: أكنت تحضر مجالسهم؟ قال: «لا»[٧].

وقال عن محدثٍ كذَب في حديثٍ واحد، ثمَّ تاب ورجع: «توبته فيما بينه وبين الله تعالى، ولا يكتب حديثه أبدًا»[٨].

١- أدب الإملاء (ص٥٨)، و«رسالة البيهقي للجويني» (ص١٠٠)، و«فتح المغيث (٣/٣٩١)، و«تدريب الراوي» (٢/١٧٨).

٢- الكفاية (١/٣٤٠)، و«شرح علل الترمذي» (١/٤٠٨).

٣- الكفاية (١/٣٤١)، و«شرح علل الترمذي» (١/٤٠٨) ط: دار السلام.

٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/١٢٢).

٥- الكامل في ضعفاء الرجال (١/٢١٢)، و«الجامع لأخلاق الراوي» (٤/٢٢٠)، وانظر: «مقدمة في أصول التفسير» (٧٢) ط: دار المنهاج، و«لسان الميزان» (١/٢٠٧)، و«المقاصد الحسنة» (١٣٥٦) (ص٧٤٦)، وقد بيَّنت ذلك في مقدمات كتابي (أربعون حديثا في الفتن من رواية أبي هريرة ﷺ) أو (أحاديث أبي هريرة ﷺ في الفتن).

٦- الطيوريات (٢/٣٩٥) وهو في «المدخل» لابن الحاج (٢/١٤٩)، و«المقصد الأرشد» (٢/٣١٣)، و«تحذير الخواص» (ص٢٦٥).

٧- الحوادث والبدع للطرطوشي (ص١١٨)، و«القصاص والمذكرين» لابن الجوزي (ص١٧٤)، و«تلبيس إبليس» (ص١٥٠)، و«تحذير الخواص» للسيوطي (ص٢١٤).

٨- الكفاية (٣٠٤) (١/٢٩٧)، و«المقصد الأرشد» (٢/٦٦).

قال ابن الصلاح في «معرفة أنواع علوم الحديث» (ص١١٦) ط: دار الفكر. «التائب من الكذب في حديث الناس وغيره من أسباب الفسق تقبل روايته، إلا التائب من الكذب



وقال[1]: «إنَّ العالَم إذا لم يعرف الصحيح والسقيم، والنَّاسخ والمنسوخ من الحديث لا يسمَّى عالماً»[2].

وقال: قد أقبل أصحاب الحديث بأيديهم المحابر فأومأ إليها: «هذه سرج الإسلام» يعني المحابر[3].

وقال: «نحن نحدث عن القدرية، لو فتشت أهل البصرة وجدت ثلثهم قدرية»[4].

وقال عبد الله: سألته عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيها إلا صاحب حديث لا يدري صحيحه من سقيمه، وصاحب رأي فمن يسأل؟ قال: «يسأل صاحب الحديث، ولا يسأل صاحب الرأي»[5].

وقال أبو عمران الصوفي: و رأى أصحاب الحديث وقد خرجوا من عند محدث، والمحابر في أيديهم، فقال أحمد: «إن لم يكونوا هؤلاء النَّاس، فلا أدري من

متعمدًا في حديث رسول الله ﷺ، فإنَّه لا تقبل روايته أبدًا، وإن حسنت توبته، على ما ذكر عن غير واحد من أهل العلم، منهم أحمد بن حنبل وأبو بكر الحميدي شيخ البخاري». وانظر: «النكت على مقدمة ابن الصلاح» (٤٠٧/٣) ط: أضواء السلف.

وذكر ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (٥٠/١) عن رافع بن أشرس قال كان يقال: «من عقوبةِ الكذابِ ألا يقبلَ صدقه».

١- وهو قول الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله.

٢- معرفة علوم الحديث (ص٢٥١) ط: مكتبة المعارف.

٣- الطيوريات (٦٨/١) و(١٢٩/١)، و«الجامع لأخلاق الراوي» (٨١/٢)، وللأديب أبي الحسن الفنجكردي كما في «فتح المغيث» (٧٤/٣):

مِدَادُ الْفَقِيهِ عَلَى ثَوْبِهِ ... أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْغَالِيهْ

وَمَنْ طَلَبَ الْفِقْهَ ثُمَّ الْحَدِيثَ ... فَإِنَّ لَهُ هِمَّةً عَالِيَهْ

وَلَوْ تَشْتَرِي النَّاسُ هَذِي الْعُلُومَ ... بِأَرْوَاحِهِمْ لَمْ تَكُنْ غَالِيَهْ

رُوَاةُ الْأَحَادِيثِ فِي عَصْرِنَا ... نُجُومٌ وَفِي الْعُصُرِ الْخَالِيَهْ

٤- بحر الدم (٢٦٠/١).

٥- فتح المغيث (١٤٧/١).

الناس!»[١].

وقال: «ليس قوم عندي خيرًا من أهلِ الحديث، ليس يعرفون إلا الحديث».

يعني لم يخوضوا بما خاض به أهل البدع وأصحاب الكلامِ.

وقال: «أهل الحديث أفضل من تكلَّم في العلم»[٢].

وقال لعبد الله: «أفد أصحاب الحديث وأكرمهم، فإنَّ إبراهيم بن بكر بن عياش لم يكن يفيد أصحاب الحديث ويجفوهم فلم يفلح»[٣].

وقال: «ما سمعتُ بصاحبِ حديثٍ لا يقوم بالليل»[٤].

وقال: «صاحب الحديثِ عندنا من يستعملُ الحديث»[٥].

وقال له إسحاق الحربي: كم يقنع الرجل أن يكتب من الحديث؟ قال: لي يا إسحاق خدمة الحديث أصعب من طلبه قلت: ما خدمته؟ قال: «النظر فيه»[٦].

وسُئِل أين نطلب البدلاء؟ فقال: «إنْ لم يكن من أصحاب الحديث، فلا أدري»[٧].

وقال: «لا أعلم لدفن الكتب معنى»[٨].

١- المقصد الأرشد (٣/١٦١).
٢- شرف أصحاب الحديث «كونهم خيار الناس» (ص٧٣)، و«بحر الدم» (١/٢٩٥).
٣- الآداب الشرعية (٢/١٠٤).
٤- كشاف القناع عن متن الإقناع (١/٤٣٧).
٥- الجامع لأخلاق الراوي (١/٢٠٦).
٦- الطبقات (١/١١٣).
٧- السير (١١/٢١٥)، وهو في «شرف أصحاب الحديث» (ص٧٥)، وبهذا بوَّب الخطيب في كتابه فقال: «من قال: إن الأبدال والأولياء أصحاب الحديث»، وساق أثر أحمد السابق، «ومفتاح الجنة» (ص٦٨). هذا بالنسبة لما جاء عن الإمام أحمد وغيره، أمَّا ما روي مرفوعًا فلا يصح في ذلك حديث، وهذا فيه تفصيل بينته في كتاب خاص بحمد الله.
٨- تقييد العلم (ص٦٩)، ومن طريقه: ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص٣٩٩).



وقال: «من أراد الحديث خدمه»[١].

وقال أفضل التابعين سعيد بن المسيب، فقيل له: فعلقمة والأسود؟ فقال: «سعيد بن المسيب، وعلقمة، والأسود»[٢].

وقال: «لا يعجبني التدليس هو من الريبة». وقال: «التدليس عيب»[٣].

وقال: «حدثنا وأخبرنا شيءٌ واحد»[٤].

وقال: «الإتقان هو الحفظ»[٥].

١- الآداب الشرعية (٢١١/١)، قال الحافظ البيهقي: «قد خدِمَهُ أبو عبد الله أحمد بن حنبل فرحل فيه، وحفظهُ، وعمل بهِ، وعلَّمه، وحمل شدائده» رحمه الله ورضي عنه.

٢- معرفة أنواع علوم الحديث (ص٣٠٥)، و«بحر الدم» (٢٠٢/١). قال العراقي في «شرح التبصرة والتذكرة» (١٦٣/٢)، «وأما تفضيل أحمد لابن المسيب وغيره فلعله لم يبلغه هذا الحديث، أو لم يصح عنه، أو أراد بالأفضلية: الأفضلية في العلم لا الخيرية، وقد تقدم في "معرفة الصحابة" أنَّ الخطابي نقل عن بعض شيوخه أنَّه: (كان يفرق بين الأفضليَّة والخيريَّة)، والله أعلم».

وقال أيضًا في كتابه «التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح» (ص٣٢٦): والصواب ما ذهب إليه أهل الكوفة، لما روى مسلم في "صحيحه" من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ خير التابعين رجل يقال له أويس» الحديث، وقد يحتمل ما ذهب إليه أهل المدينة وأحمد أيضًا من تفضيل سعيد بن المسيب على سائر التابعين أنَّهم أرادوا فضيلة العلم لا الخيرية الواردة في الحديث، والله أعلم.

٣- المسودة (ص١٩٣)، وفي نسخة الكتب العلمية «هو من الزينة» قلت: حذر السلف من خطر التدليس، ونعتوا فاعله بأشد النعوت تقريعًا وذمًا، وهو على أنواع عدَّة، وحكمه يختلف بحكم المدلس نفسه، والباعث له، وقد نقل السخاوي في «فتح المغيث» (٣٣١/١) قائلًا: «قال بعض الأئمة: حرام إجماعًا».

وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٦٠٨/٤) «والمدلس داخلٌ في عمومِ قوله: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾، وداخل في قوله عليه السلام: «منْ غشنا فليس منَّا» لأنَّه يوهم السامعين أن حديثه مُتصل، وفيه انقطاع، هذا إذا دلس عن ثقة، أما إذا دلس خبره عن ضعيف يوهم أنَّه صحيح، فهذا قد خان الله ورسوله، وقد قال عبد الوارث بن سعيد: التدليس ذل».

٤- الكفاية (٧٦/٢)، و«المحدث الفاصل» (ص٥٦٢)، وهو قول جماعة كـ (ابن القطان، ويزيد بن هارون، والنضر بن شميل، وأبي عاصم النبيل، ووهب بن جرير، وغيرهم) وبهذا بوَّب الخطيب رحمه الله.

٥- الآداب الشرعية والمنح المرعية (١١٩/٢)، وعبارة: «الحفظ الإتقان» رويت عن عبد الرحمن بن مهدي، كما في «الطيوريات» (٥٩) (٧٦/١)، و «الإلماع» (ص٢٨٢)، و «مسند الموطأ» للجوهري (١٩).

وقال: «من لم يهب الحديث وقع فيه»[١].

وقال: «كان شعبة يتشدد في التدليس»[٢].

وقال عن العبادلة هم: «عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم».

قلت: لأحمد وابن مسعود؟ قال: «ليس عبد الله بن مسعود من العبادلة»[٣].

ولما قيل له عن حديث: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين» كأنَّه كلام موضوع. قال: لا، هو صحيح. فقلت: ممَّن سمعته أنت؟ قال: من غير واحد.

١- المقصد الأرشد (٣١٣/٢) وهو قول ابن المديني.

٢- بحر الدم (٢٢٩/١)، وانظر: العلل رواية المروذي (٣٦)، وصدق الإمام أحمد، فإنَّ شعبة كان شديدًا على المدلسين، ومثله: ما رواه الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١٠/١) قال: لأن أشرب من بولِ حمار حتى أروى أحب إليَّ من أن أقول: «حدثنا أبان بن أبي عياش!».
وقال: «لأن يزني الرجل خير من أن يروى عن أبان!».
ولما سأله مزاحم بن زفر الكوفي عن أبي بكر الهذلي قال: «دعني لا أقيء» كما في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١٤٣/١).
وقال: «التدليس أخو الكذب». وقال: «لأنْ أزني أحب إلي من أن أدلس». قال الحافظ ابن الصلاح عقبه: «وهذا من شعبة محمول على المبالغة في الزجر عنه والتنفير» كما في «معرفة أنواع علوم الحديث» (ص٧٤-٧٥).

٣- طبقات الحنابلة (٣٤٨/١)، و«معرفة أنواع علوم الحديث» (ص٢٩٦)، و«بحر الدم» (٢٧٥/١)، وهؤلاء العبادلة مكثرون في رواية الحديث، كما قال السيوطي في «ألفيته» (٦٦١- ٦٦٢).

وَالْمُكْثِرُونَ فِي رِوَايَةِ الأَثَرْ: أَبُو هُرَيْرَةَ يَلِيهِ ابْنُ عُمَرْ
وَأَنَسٌ وَالْبَحْرُ كَالْخُدْرِيِّ وَجَابِرٌ وَزَوْجَةُ النَّبِيِّ

قال البيهقي: «هؤلاء عاشوا حتى احتيج إلى علمهم، فإذا اجتمعوا على شيءٍ قيل: هذا قول العبادلة. وابن مسعودٍ ليس منهم؛ لأنَّه تقدم موته عنهم، واقتصر الجوهري في الصحاح على قول العبادلة».
وذكر الرافعي والزمخشري أنَّ العبادلة هم: «ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر» وهذا غلط من حيث الاصطلاح.
وذكر ابن الصلاح أنَّ من تسمَّى (عبد الله) من الصحابة نحو (٢٢٠) نفسًا.
وقال العراقي (ص٢٦٢): «يجتمع من المجموع (٣٠٠) رجل». كما في كتاب «الباعث» للشيخ أحمد شاكر (ص١٩٠).



قلت: من هم؟

قال: حدثني به مسكين، إلا أنَّه يقول: معان[١]، عن القاسم بن عبد الرحمن.

قال أحمد: «معان بن رفاعة، لا بأس به»[٢].

وقال: «مرسلات إبراهيم النخعي لا بأس بها»[٣].

وقال: «الحديث اذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً»[٤].

وقال: «من لم يجمع علم الحديث، وكثرة طرقه، واختلافه؛ لا يحل له الحكم على الحديث، ولا الفتيا به»[٥].

وقال صالح: قلتُ لأبي: يكونُ في الحديثِ: قال رسول الله ﷺ، فيجعلُهُ الإنسان: قال النبي عليه السلام؟ قال: «أرجو أنْ يكون لا به بأس»[٦].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «رأيت أبي إذا قرأ عليه المحدث فكان في الكتاب: النَّبي، فقال المحدث: عن رسول الله ﷺ ضرب وكتب: عن رسول الله ﷺ».

قال أبو بكر الخطيب البغدادي معلقًا: «وهذا غير لازم، وإنَّما استحب أحمد

١- وقد ضعفه ابن معين كما في «تاريخه» (٥١٣٤) رواية الدوري، وأبو حاتم كما في «الجرح والتعديل» (٤٢١/٨)، وابن حبان في «المجروحين» (٣٦/٣).
قال ابن القطان كما في «بيان الوهم والإيهام» (٤٠/٣): «خفي على أحمد من أمره ما علمه غيرُه».

٢- شرف أصحاب الحديث (ص٥٤)، و«لسان الميزان» (٧٧/١).

٣- جامع التحصيل للعلائي (ص٨٩)، وقال عقبه: «خصَّ البيهقي ذلك بما أرسله عن ابن مسعود دون غيره، وقد تقدم أنَّه لم يسمع من الصحابة رضي الله عنهم إلا اليسير جدًا، أو لم يسمع منهم شيئا أصلًا؛ فإذا أرسل عن النبي ﷺ لا يكون بينه وبينه واحد؛ بل أكثر فلهذا تنزل مراسيله وإن كانت مقبولة عن مرتبة مراسيل ابن المسيب».

٤- الجامع لأخلاق الراوي (١٦٤٠).

٥- المسودة في أصول الفقه (٣٥٢).

٦- كتاب المحنة لصالح (ص٣٦١).

اتباع المحدث في لفظه، وإلا فمذهبه الترخص في ذلك»[١].

وقال عن بقية: «إذا حدَّث بقيةُ من المشهورينَ فرواياتُه مقبولةٌ، وإذا حدَّث عن المجهولينَ فغيرُ مقبولةٍ»[٢].

وقال عن ابن لهيعة: «هو كثير التدليس جدًا».

قيل له: فإذا قال أخبرني وحدثني فهو ثقة؟ قال: «هو يقول أخبرني ويخالف»[٣].

وقال صالح: قال أبي: «يزيد بن هارون من سمع منه بواسط هو أصح ممَّن سمع منه ببغداد؛ لأنَّه كان بواسط يلقن فرجع إلى الكتاب»[٤].

وقال عبد الله: سألت أبي عن إبراهيم بن بشار الرمادي فلم يعجبه.

وقال: «كان يكون عند سفيان فيقوم فيجيئون إليه الخراسانية، فيملي عليهم ما لم يقل ابن عيينة»

فقلت له: أما تتقي الله! أما تراقب الله! أو كما قال[٥].

وعن عباس الدوري قال: سمعت أحمد بن حنبل، وسئل وهو على باب أبي النضر هاشم بن القاسم، فقيل له: يا أبا عبد الله ما تقول في موسى بن عبيدة الربذي، وفي محمد بن إسحاق؟ فقال: «أمَّا محمد بن إسحاق فهو رجل تكتب

١- الجامع لأخلاق الراوي (١/٥٠١-٥٠٢)، ونقله ابن الصلاح في «مقدمته» (ص٢٣٣).

٢- معرفة علوم الحديث (ص١٢٢).

٣- ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٤٧٠)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (١٨/٢٦-٢٧): «ومثل هذا عبد الله بن لهيعة فإنَّه من أكابر علماء المسلمين، وكان قاضيًا بمصر كثير الحديث لكن احترقت كتبه فصار يحدث من حفظه فوقع في حديثه غلط كثير مع أنَّ الغالب على حديثه الصحة. قال أحمد: قد أكتب حديث الرجل للاعتبار به: مثل ابن لهيعة. وأمَّا من عرف منه أنَّه يتعمد الكذب فمنهم من لا يروي عن هذا شيئًا، وهذه طريقة أحمد بن حنبل وغيره؛ لم يرو في مسنده عمَّن يعرف أنَّه يتعمد الكذب؛ لكن يروي عمن عرف منه الغلط للاعتبار به والاعتضاد».

٤- مسائل صالح (١٢٧٠)، وانظر: الحديث عن تلقينه في كتاب «كيف تكون محدثًا» (١/١٣١).

٥- ميزان الاعتدال (١/٢٣).



عنه هذه الأحاديث -كأنَّه يعني المغازي- ونحوها، وأمَّا موسى بن عبيدة فلم يكن به بأس؛ ولكنَّه حدث بأحاديث مناكير عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، فأمَّا إذا جاء الحلال والحرام أردنا قومًا هكذا، وقبض أبو الفضل على أصابع يديه الأربع من كلِّ يد، ولم يضم الإبهام»(١).

وقال عبد الله: سمعت أبي يقول ليحيى بن معين: يا أبا زكريا بلغني أنَّك تقول: نا إسماعيل ابن علية؟ فقال يحيى: نعم! أقول هكذا.

قال أحمد: فلا تقله، قل: إسماعيل بن إبراهيم؛ فإنَّه بلغني أنَّه كان يكره أن ينسب إلى أمه.

قال يحيى لأبي: «قد قبلنا منك يا معلمَ الخير»(٢).

وقال: «كلُّ حديثٍ لا يعرفهُ يحيى بن معين فليس هو بحديثٍ»(٣).

وقال أبو حاتم: سألت أحمد بن حنبل عن أيوب، وعبيد الله بن عمر، ومالك أيُّهم أثبت في نافع؟ فقال: «عُبيد الله أثبتهم وأحفظهم وأكثرهم رواية»(٤).

وقال الأثرم: سمعت أحمد سُئِلَ عن الرجلِ يعرفُ بلقبهِ؟ قال: «إذا لم يعرف إلا به جاز»، ثمَّ قال: «الأعمش إنَّما يعرفه الناس بهذا، فسهل في مثله إذا اشتهر به»(٥).

وسُئِلَ: كيف لقب بالماجشون؟

قال: «تعَلَّقَ من الفارسيَّة بكلمةٍ، وكان إذا لقي الرَّجل يقول: شوني، شوني،

١- تاريخ ابن معين رواية الدوري (٣/٦٠).
٢- الجامع لأخلاق الراوي (١٢٣٧) (٢/٧٩) و«فتح المغيث» (٣/٢٦٥).
٣- المقصد الأرشد (٢/٤١٠).
٤- بحر الدم (١/٣١٨).
٥- نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر (١/٤٥).

فلقب: الماجشون»[١].

وقال محمد بن عبد الرحمن الصيرفي (ت ٢٦٥هـ): قلت لأحمد بن حنبل، إذا اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في مسألةٍ هل يجوزُ لنا أن ننظرَ في أقوالهِم لنعلمَ مع من الصوابُ منهم فنتبعه؟

فقال لي: «لا يجوز النَّظرُ بين أصحاب رسول الله ﷺ».

فقلت: فكيف الوجهُ في ذلك؟

قال: «تُقلّدُ أيَّهم أحببت».

قال ابن عبد البر معلقًا: «ولم نرَ النَّظر فيما اختلفوا فيه خوفًا من التطرق إلى النَّظرِ فيما شجر بينهم وحارب فيه بعضهم بعضًا»[٢].

وقال: «إنَّما هو السنة والاتباع، وإنَّما القياس أن نقيس على أصل، فأمَّا أن تجيء إلى الأصل فتهدمه، ثمَّ تقول هذا قياس، فعلى أي شيءٍ كان هذا القياس؟»

وقيل لأبي عبد الله، فلا ينبغي أن يقيس إلا رجل عالم كبير، يعرف كيف يشبه الشيء بالشيء، فقال: «أجلْ، لا ينبغي»[٣].

وقال الخطيب: «رأيت بخط أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل في عدة أحاديث اسم النبي، ولم يكتب الصلاة عليه، وبلغني أنَّه كان يصلي على النبي ﷺ نطقًا لا خطًا، وقد خالفه غيره من الأئمة المتقدمين في ذلك»[٤].

١- السير (٧/٣١٠)، وهذا قول من الأقوال، وانظر: «إبهاج الطالبين».

٢- جامع بيان العلم (١٧٠٥).

٣- الفقيه والمتفقه (٢/١٠٢).

٤- الجامع لأخلاق الراوي (١/٢٧١)، و«المقدمة لابن الصلاح» (ص١٨٨)، والدافع لذلك أنَّ الإمام يكون في مجلس السماع فخوفًا من الفوات ينطق بها لفظًا ثم يثبتها خطًا بعد ذلك، أو لضيق الحال أثناء الرحلة، أو غير ذلك من التأويلات المحتملة واللائقة بالإمام، وإلا فمثل هذا لا يغفل عنه إمام عظيم كإمام أهل السنة والجماعة رحمة الله عليه، والله أعلم.



وقال: «إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكمًا، ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد»[١].

وعن أبي القاسم محمد بن جعفر الأخباري قال: أنشدنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه رحمه الله:

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَخْبَارُ ... نِعْمَ الْمَطِيَّةُ لِلْفَتَى الْآثَارُ

لَا تَرْغَبَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ ... فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارُ

وَلَرُبَّمَا جَهِلَ الْفَتَى أَثَرَ الْهُدَى ... وَالشَّمْسُ بَازِغَةٌ لَهَا أَنْوَارُ[٢]

قال الحافظ ابن رجب: «والمناولة أن يناوله شيئًا معينًا من رواياته قد عرفه، ويخبره أنه من رواياته، ويأذن له في روايته عنه، أو يكتب إِلَيْهِ بخطه الإذن في رواية شيء معين من رواياته.

فأما الإجازة المطلقة، وهو أن يقول: «أجزت لك جميع ما يصح عندك من مروياتي، أو يكتب إِلَيْهِ بذلك»، فهذا فيه نزاع بين من يرى صحة المناولة المعينة، والذي نقله أبو بكر الخطيب وغيره عن أهل المدينة العمل به، وقد أنكره جماعة ممن يرى صحة المناولة المعينة، كأحمد بن صالح المصري، ولذلك نقل حنبل عن الإمام أحمد ما يدل عَلَى كراهته، وممن أنكر ذلك البرقاني وأبو بكر الرازي، وطائفة من الفقهاء والمحدثين، وأكثر أصحاب الشافعي وأحمد عَلَى

١- الكفاية في علم الراوية (٣٢٧/١)، و«المدخل إلى الإكليل» (ص٦٢)، وانظر: مقال لي بعنوان: «معالم في رواية الحديث الضعيف والاستشهاد به» وهو منشور علَى الشبكة.

٢- جامع بيان العلم (٧٢٨/١).

جوار ذلك»[١].

وقال الحسين بن منصور: سئل أحمد بن حنبل عمَّن نكتب العلم؟ فقال: «عن النَّاس كلهم, إلا عن ثلاثة: صاحب هوى يدعو إليه، أو كذاب فإنَّه لا يكتب عنه قليل ولا كثير، أو عن رجل يغلط فيرد عليه فلا يقبل»[٢].

وقال أبو بكر الأثرم: وسمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل، يسأل عن الرجل يعرف بلقبه، فقال: «إذا لم يعرف إلا به»[٣].

وقال: «ما أعلم النَّاسَ في زمانٍ أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان».

قلت: ولم؟

قال: «ظهرت بدع فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها»[٤].

وقال محمد بن عبد العزيز الأبيوردي: سألت أحمد بن حنبل: أيكتب عن

١- مقدمة تشمل على أن جميع الرسل كان دينهم الإسلام لابن رجب (٣٦٣/٤).

٢- الكفاية (٣٤٦/١).

قلت: وللفائدة روي ذلك عن جماعة: عن إسحاق بن عيسى سمعت ابن المبارك، يقول: «يكتب الحديث إلا عن أربعة: غلاط لا يرجع، وكذاب، وصاحب هوى يدعو إلى بدعته، ورجل لا يحفظ فيحدث من حفظه» كما في «الكامل في الضعفاء» (٢٥٧/١) (ص٤٥١)، ومن طريقه الخطيب في «الكفاية» (٣٤٥/١).

وقول الإمام مالك بن أنس: «لا تأخذ العلم من أربعة، وخذه ممَّا سوى ذلك: من معلن للسفلة وإن كان أروى الناس، ولا من كذاب يكذب في حديث الناس، وإن كان لا تتهمه بكذب على رسول الله ﷺ، ولا من صاحب هوى يدعو إلى هواه، ولا من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به» هكذا في «شرح السنة» (٣١٨/١)، و«شرح علل الترمذي» (٣٤٨/١)، وبنحوِ هذا في «الكفاية» (٢٩٥/١)، و«المعرفة والتاريخ» (٣٨٥/١)، و«المدخل إلى كتاب الإكليل» (٣٠) (ص١١٨-١١٩)، و «سير أعلام النبلاء» (٦٧/٨).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «لا يكونُ إمامًا في الحديثِ من تتبع شواذ الحديث أو حدَّث بكلِ ما يسمع أو حدَّث عن كلِ أحد» كما في «جامع بيان العلم» (١٥٣٥) (٨١٨/٢).

٣- الجامع لأخلاق الراوي (٤١٨/٣)، وانظر: كتاب الفقير لعفو ربه (إبهاج الطالبين) فقد فصلت في ذلك بحمد الله وتوفيقه.

٤- الآداب الشرعية (٣٧/٢)، والمناقب (ص٢٥١)، فكيف بزماننا!



المرجئ والقدري؟

قال: «نعم يكتب عنه إذا لم يكن داعيًا»[1].

وقال أبو أمية الطرسوسي: سألت أحمد بن حنبل عن رجل سمع معي وهو يرى رأي الخوارج أعطيه سماعه؟ قال: «نعم؛ أعطه لعلَّ الله ينفعه به»[2].

وقال أحمد بن سهل: سمعت الإمام أحمد في وصية وصاهم: «إيَّاكم أن تكتبوا عن أحدٍ من أصحابِ الأهواءِ قليلًا ولا كثيرًا، عليكم بأصحاب الآثار والسنن»[3].

وقال لابن عمه حنبل بن إسحاق، ورآه يكتب خطًا دقيقًا: «لا تفعل أحوج

١- الكفاية (٣١٦/١)، و«شرح علل الترمذي» (٥٥/٢)، و«الواضح لابن عقيل» (٢٨/٥). قال الخطيب: «إنَّما منعوا أن يكتب عن الدعاة، خوفًا أن تحملهم الدعوة إلى البدعة والترغيب فيها على وضع ما يحسنها، كما حكينا في الباب الذي قبل هذا عن الخارجي التائب قوله: «كنَّا إذا هوينا أمرًا صيرناه حديثًا».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في «شرح علل الترمذي» (٥٣/١- ٥٤): «وهذه المسألة قد اختلف العلماء فيها قديماً وحديثاً، وهي الرواية عن أهل الأهواء والبدع:

(١) - فمنعت طائفة من الرواية عنهم كما ذكره ابن سيرين، وحكي نحوه عن مالك وابن عيينة والحميدي ويونس بن أبي إسحاق وعلي بن حرب وغيرهم، وروى أبو إسحاق الفزاري عن زائدة عن هشام عن الحسن قال: «لا تسمعوا من أهل الأهواء» خرجه ابن أبي حاتم.

(٢) - ورخَّصت طائفة في الرواية عنهم إذا لم يتهموا بالكذب. منهم أبو حنيفة والشافعي ويحيى بن سعيد. قال علي بن المديني: «لو تركت أهل البصرة للقدر، وتركت أهل الكوفة للتشيع لخربت الكتب».

(٣) - وفرَّقت طائفة أخرى بين الداعية وغيره، فمنعوا الرواية عن الداعية إلى البدعة دون غيره، منهم: ابن المبارك، وابن مهدي، وأحمد ابن حنبل، ويحيى بن معين، وروي أيضاً عن مالك.

والمانعون من الرواية لهم مأخذان:

أحدهما: تكفير أهل الأهواء أو تفسيقهم، وفيه خلاف مشهور.

والثاني: الإهانة لهم والهجران والعقوبة بترك الرواية عنه، وإن لم نحكم بكفرهم أو فسقهم.

والثالث: أنَّ الهوى والبدعة لا يؤمن معه الكذب، ولا سيَّما إذا كانت الرواية ممَّا تعضد هوى الرواي».

٢- طبقات الحنابلة (٢٦٤/١).

٣- المسودة لآل تيمية (ص١٨٣) ط: ابن حزم، وقال: (مسألة: الفاسق ببدعته إذا لم يكن داعية فيه روايتان ذكرهما أبو الخطاب: إحداهما: لا يقبل خبره وبها قال ابن نصر المالكي وقوم. والثانية: تقبل وبه قال قوم، فأمَّا من مذهبه جواز الكذب كبعض الرافضة فإنَّه لا يقبل خبره بلا خلاف).

ما تكون إليه يخونك»[١].

وقال أبو بكر الأثرم: قال لي أبو عبد الله يعني أحمد بن حنبل: «الحديث شديد، فسبحان الله ما أشده» أو كما قال.

ثمَّ قال: «يحتاج إلى ضبط وذهن وكلام يشبه هذا، ثمَّ قال: لا سيَّما إذا أراد أن يخرج منه إلى غيره»[٢].

وعن صالح ابن الإمام أحمد قال: سمعت أبي يقول: «ما النَّاس إلا من قال: حدثنا أو أخبرنا، وسائر النّاس لا خير فيهم، ولقد التفت المعتصم إلى أبي فقال له: كلم ابن أبي داؤد، فأعرض عنه أبي بوجهه وقال: كيف أكلم من لم أراه على باب عالم قط»[٣].

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل، وسئل، عن قول شعبة: (إنَّ هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله، وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون؟).

فقال: «لعلَّ شعبة كان يصوم، فإذا طلب الحديث وسعى فيه يضعف، فلا يصوم، أو يريد شيئًا من أعمال البر، فلا يقدر أن يفعله للطلب، فهذا معناه»[٤].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي متى يجوز سماع الصبي في الحديث؟

١- الجامع لأخلاق الراوي (٥٣٧) (١/٢٦١)، و«فتح المغيث» (١/٢٧)، و«تدريب الراوي» (٢/١٣). قال السمعاني في «أدب الإملاء» (ص١٦٨): «ولا ينبغي للطالب أن يكتب خطا دقيقًا إلا في حال العذرِ، مثل: أن يكون فقيرًا لا يجد من الكاغد سعة، أو يكون مسافرًا؛ فيدق خطَّه؛ ليخفَّ حملُ كتابه عليه».

٢- الكفاية (١/٣٨٤)، و«بحر الدم» (١/٤٩).

٣- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية (ص٢٨)، و«الصلة» لابن بشكوال (١/٢٥٥)، و «ذيل طبقات الحنابلة» (١/٣٠٥)، وأحمد الخزاعي قال عنه ابن رجب في «الذيل»، (١/١٢٩): «وصنَّف مناقب الإمام أحمد رضي الله عنه في مجلد كبير، وفيه: فوائد حسنة».

٤- شرف أصحاب الحديث (ص١٣٥).



فقال: إذا عقل وضبط.

قلت: فإنَّه بلغني عن رجل سميته أنَّه قال: لا يجوز سماعه حتى يكون له خمس عشرة سنة، لأن النبي ﷺ رد البراء وابن عمر، واستصغرهما يوم بدر, فأنكر قوله هذا، وقال: «بئس القول يجوز سماعه إذا عقل فكيف يصنع بسفيان بن عيينة ووكيع، وذكر أيضًا قومًا»(١).

وقال عبد الله سألت أبي عن الرجل تكون له الكتب المصنفة فيها قول رسول اللَّه ﷺ، واختلاف الصحابة والتابعين، وليس للرجل بصر بالحديث الضعيف المتروك منها، فيفتي به، ويعمل به؛ قال: لا يعمل حتى يسأل: ما يؤخذ به منها؟ فيكون يعمل على أمر صحيح، يسأل عن ذلك أهل العلم(٢).

وقال حنبل: قدمت من الكوفة، فقلت لأبي عبد الله: حدثنا يحي الحماني، عن أبي عبد الله بحديث إسحاق الأزرق، فقال: «ما أعلم أنِّي حدثته به، فلعله حفظه على المذاكرة»(٣).

وقال أحمد: «لا بأس برواية الضرير إذا كان يحفظ، وكذلك قال في الأمي إذا كان يحفظ، وذلك لأنَّه لا عمل للبصر والخط في الحفظ والأداء، فإذا كان سليم الآلة التي يحصل بها الأداء، فلا عبرة. بما سواها»(٤).

وقال: «ينبغي للرجل إذا حَمَل نفسَه على الفُتْيا أن يكون عالماً بوجوه القرآن، عالماً بالأسانيد الصحيحة، عالماً بالسُّنن، وإنَّما جاء خلافُ مَنْ خالف لقلة

١- الكفاية (١/١٩٩).

٢- مسائل عبد الله (٤٣٨/ ١٥٨٤)، و«العدة» (٥/ ١٦٠١).

٣- سير أعلام النبلاء (١٠/٥٢٩)، و«تاريخ بغداد» (١٤/١٧١)، وذهب جماعة من السلف أنهم لا يقبلون من أحد أن يكتب عنهم في حال المذاكرة.

٤- الواضح في أصول الفقه (٥/٣٠).

معرفتهم بما جاء عن النبي ﷺ، وقلة معرفتهم بصحيحها من سَقيمها»[١].

وقال: «ابن سيرين أحسن حكاية عن أصحاب النبي ﷺ من الحسن»[٢].

وقال: «مرسلات سعيد بن المسيب أصح المرسلات، ومرسلات إبراهيم النخعي لا بأس بها، وليس في المرسلات أضعف من مرسلات الحسن، وعطاء بن أبي رباح، فإنَّهما كانا يأخذان»[٣].

وقال: ما كتبت حديثًا إلا وقد عملت به حتىَّ مرَّ بي في الحديث: «أنَّ النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا، فاحتجمت وأعطيت الحجام ديناراً»[٤].

وقال إسحاق بن منصور: قُلْتُ لأحمد: هل للصحبةِ حدٌّ تحدده؟

قَالَ: لا، ومَن صحبَ النبي ﷺ ولو ساعة، فهو مِن أصحابِ رسول الله ﷺ[٥].

وقال: «**أصول الإسلام أربعة: دالٌّ، ودليل، ومبيِّن، ومُستدِلّ**. فالدالّ هو الله، والدليل هو القرآن، والمبيِّن هو الرسول؛ قال الله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، والمستدِلّ هم أولو العلم وأولو الألباب الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم»[٦].

١- إعلام الموقعين (٢/٨٣- ٨٤)، و«تعظيم الفتيا» (ص٧٠)، وفي «الفقيه والمتفقه» (٣/١٦٦)، قال صالح: ما تقول في الرجل يسأل عن الشيء فيجيب بما في الحديث، وليس بعالم بالفتيا؟ قال: «ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عالماً بالسنن، عالما بوجوه القرآن، عالماً بالأسانيد الصحيحة، وإنَّما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن النبي ﷺ في السنة، وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها».

٢- المقصد الأرشد (٢/٤٣٦).

٣- انظر: الكفاية (٢/٢١٤)، و«تهذيب الكمال» (٢٠/٨٣)، و«تدريب الراوي» (١/٣٠٩)، وينظر: «شرح علل الترمذي» (١/٣١٨).

٤- السير (١١/٢٩٦)، و«تدريب الراوي» (٢/١٢٢).

٥- مسائل الكوسج (٣٢٨٢).

٦- انظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/٢٤٨)، وانظر الكلام في «الفقيه والمتفقه» في الحديث عن (ذكر الدليل ومعناه) (٢/٤٤) بتصرف واختصار، و«الجامع لعلوم الإمام أحمد» (٥/٥٦).



وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: يا أبت ما الحفاظ؟

قال يا بني، شباب كانوا عندنا من أهل خراسان وقد تفرقوا.

قلت: من هم يا أبتِ، قال: محمد بن إسماعيل ذاك البخاري، وعبيد الله بن عبد الكريم ذاك الرازي، وعبد الله بن عبد الرحمن ذاك السمرقندي، يعني الدارمي، والحسن بن شجاع ذاك البلخي.

قلت: يا أبت فمن أحفظ هؤلاء، قال: «أمَّا أبو زرعة فأسردهم، وأمَّا محمد بن إسماعيل فأعرفهم، وأمَّا عبد الله بن عبد الرحمن فأتقنهم، وأمَّا الحسن بن شجاع فأجمعهم للأبواب»(١).

وعن عياش القطان، قال: قلت لأحمد بن حنبل: أشتهي أن أجمع، حديث الأنبياء فقال لي أحمد: «حتى تفرغ من حديث نبينا ﷺ»(٢).

وهذا من فقهه وعلمه رحمة الله عليه، وطالب العلم وصاحبُ الحديثِ يقدم الأولى فالأولى، وأولى ما ينبغي للطالبِ أن يشتغل به هو حديث نبينا ﷺ.

وقال عبد الملك الميموني: ثنا أحمد بن حنبل بحديث ابن عباس حين سأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبي ﷺ في الحديث قصة يقول فيها عمر: وكان لي أخ يشهد رسول الله ﷺ يومًا، وأشهده يومًا، فإذا غبت جاءني بما يكون من الوحي، وما يكون من رسول الله ﷺ. قلت له: في هذا حجة بخبر يجيء به الرجل وحده؟ قال: «نعم، واستحسنه»(٣).

وقال إسحاق بن إبراهيم لأبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل: إنَّ قومًا يكتبون

١- تدريب الراوي (٢/٥٦٧- ٥٦٨).
٢- الجامع للخطيب (٢/٣٠١).
٣- الكفاية في علم الرواية (باب ذكر بعض الدلائل على صحة العمل بخبر الواحد ووجوبه) (١/١٣٥)، وإسناد المؤلف ضعيف، وله طرق أخرى.

الحديث ولا يرى أثره عليهم، وليس لهم وقارٌ؟ وقال أبو عبد الله: «يؤولون في الحديث إلى خير»[١].

وقال مهنا: قلت: لأبي عبد الله سمعت عبد الرزاق يقول: قال: «بعض أصحابنا لسفيان الثوري يا أبا عبد الله حدثنا كما سمعت قال: والله ما إليه سبيل وما هو إلا المعاني فقال: «أحمد هو ذاك»[٢].

قال أبو زرعة الدمشقي: قلت لأحمد بن حنبل: كان عبد الرزاق يحفظ حديث معمر؟ قال: «نعم، وأتيناه قبل المائتين وهو صحيح البصر، ومن سمع منه بعدما ذهب بصره، فهو ضعيف السماع»[٣].

١- شرف أصحاب الحديث (ص٨٦) فدلَّ ذلك على أنَّ الوقار والأدب من أهم صفات صاحب الحديث فانتبه.

٢- طبقات الحنابلة (٣٤٨/١)، قلت: وهذا يدلُّ على جواز الرواية بالمعنى، كما قال الترمذي رحمه الله تعالى: «فأمَّا منْ أقامَ الإسنادَ وحفظه وغيَّر اللفظ فإنَّ هذا واسع عند أهل العلم، إذا لم يتغير به المعنى».

ثنا محمد بن بشار، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، ثنا معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، عن وائلة بن الأسقع، قال: «إذا حدثناكم على المعنى فحسبكم».

ثنا يحيى بن موسى، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، قال: «كنت أسمع من عشرة اللفظ مختلف والمعنى واحد».

ثنا أحمد بن منيع، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، عن ابن عون قال: «كان إبراهيم النخعي والحسن والشعبي يأتون بالحديث على المعاني، وكان القاسم بن محمد ومحمد بن سيرين ورجاء بن حيوة يقيدون الحديث على حروفه». كما في «شرح علل الترمذي» (١٤٥/١).

٣- طبقات الحنابلة (٣٤٨/١)، وهذا يسمى الاختلاط، وقد وقع به الإمام عبد الرزاق بسبب العمى، وقد ذكر ابن الصلاح في «معرفة أنواع علوم الحديث» (ص٣٩٦) فقال: «وعلى هذا نحمل قول عباس بن عبد العظيم لما رجع من صنعاء: «والله لقد تجشمت إلى عبد الرزاق، وإنه لكذاب، والواقدي أصدق منه».

قلت: قد وجدت فيما روي عن الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق أحاديث استنكرتها جدا، فأحلت أمرها على ذلك، فإن سماع الدبري منه متأخر جدًا، قال إبراهيم الحربي: «مات عبد الرزاق وللدبري ست سنين أو سبع سنين».

ونحصل أيضًا في نظر من كثير من العوالي الواقعة عمَّن تأخر سماعه من سفيان بن عيينة وأشباهه».





قواعد حديثيَّة قررها الإمام رحمه الله

روي عن الإمام أحمد أقوالًا قالها فيما يتعلق بالحديث النبوي تعليلًا وتضعيفًا، مع فوائد نفيسة، وقد ذُكرت في نثار كتب الرجال والجرح والتعديل وغيرها، وهي أشبه بقواعد كليَّة يستند إليها، ويأخذ بها، ومن ذلك:

[١] قوله عن حديث: (**إنَّما الأعمالُ بالنِّياتِ**) «يدخل فيه ثلث العلم»(١).

[٢] وقوله: **أصول الإسلام على ثلاثةِ أحاديث**: حديث عمر رضي الله عنه: «الأعمال بالنيات». وحديث عائشة رضي الله عنها: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد»، وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «الحلال بين، والحرام بين»(٢).

[٣] وقال: عن حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن الله تبارك وتعالى، أنَّه قال: «**يا عبادي! إنِّي حرمت الظلم على نفسي، وجعلتُهُ بينكم محرمًا، لا تظالموا**...» الحديث. قال: «ليس لأهل الشام حديثٌ أشرفَ مِن هذا الحديث»(٣).

[٤] وسُئِلَ هل (**صح عندك في النبيذ حديث**)، فقال: «والله ما صح عندي حديث واحد إلا على التحريم»(٤).

[٥] وسُئِلَ عن حديث (**نبات الشعر في الأنف أمان من الجذام**)، فقال: «يا مؤمن ذا شيء؟!»(٥).

١- بستان العارفين للنووي (ص٤٠) ط: دار البشائر.
٢- جامع العلوم والحكم (ص١٨- ١٩)، و«طرح التثريب» (٢/٥).
٣- الأذكار للنووي (ص٦٢٣) ط: ابن كثير.
٤- المسائل التي حلف عليها أحمد رقم (٨)، و«إعلام الموقعين» (٦/٥٦- ٥٧).
٥- انظر المنار المنيف لابن القيم (ص٥٤- ٥٥) ط: عالم الفوائد، وفي نسخة غيرها قال: (ما من ذا شيء). قال البزار في «المسند» (٣٠٣٠) حدثنا عبد الله بن معاوية، ثنا أشعث بن سعيد، (ح) وحدثناه أحمد بن عبدة، ثنا نعيم بن مورع، ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رفعت الحديث،

[٦] وقال عن حديث: (**لا صلاة لمن عليه صلاة**) «لا أعرفه». وقال الحربي: «ولا سمعت أنا بهذا في حديث رسول الله ﷺ»(١).

[٧] وسأل إبراهيم الحربي الإمام أحمد بن حنبل عن (**تعمير الخضر وإلياس وأنَّهما باقيان يريان ويروى عنهما**) فقال: «من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان»(٢).

[٨] وقال حرب الكرماني: سألت أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ عن الحديث الذي يروى: (**مَنْ وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته**) فقال: «لا أصل له»(٣).

[٩] وقال عن حديث: (**منْ غسَّل ميتًا فليغتسل، ومنْ حمله فليتوضأ**). «لا يصح في هذا الباب شيء»(٤).

[١٠] وقال عن أحاديث: (**التسمية على الوضوء**) «لا يثبت في التسمية على

قالت: «نبات الشعر في الأنف أمان من الجذام».
قال البزار: «لا نعلم أحداً رواه وأسنده، إلا أشعث، وهو أبو الربيع السمان، ونعيم، لا نعلم رواه غيرهما، إلا ألين منهما، وهما لينا الحديث».
قلت: وقد تابع شيخنا الحويني حفظه الله وعافاه، طريقه في «تنبيه الهاجدِ» رقم (٤٢)، فقال: «فلم يتفرد به أبو ربيع، فتابعه يحيى بن هشام السمسار ونعيم بن مورع بن توبة العنبري» أهـ.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨٣٨٩) «رواه أبو يعلى، والبزار، والطبراني في الأوسط، وفيه أبو الربيع السمان، وهو ضعيف»، وانظر تعليقي عليه في كتابي (التلخيص والتعريف بما قال فيه ابن القيم لا يصح فيه حديث).

١- المنار المنيف (ص١١٨)، وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» رقم (٧٤٩) حديث لا صلاة لمن عليه صلاة «هذا حديث نسمعه عن ألسنة الناس وما عرفنا له أصلاً».

٢- المغني عن الحفظ والكتاب لضياء الدين الموصلي (٧٧/١).

٣- أحاديث القصاص (ص٧٩)، و«المنار المنيف» (ص١٠٣)، قال ابن القيم: «وأما حديث الاكتحال والأدهان والتطيب؛ فمن وضع الكذابين، وقابلهم آخرون فاتخذوه يوم تألمٍ وحزنٍ، والطائفتانِ مبتدعتان خارجتان عن السنة.
وأهل السنَّة يفعلون فيه ما أمر به النبي ﷺ من الصوم، ويجتنبون ما أمر به الشيطانُ من البدع» أهـ.

٤- بلوغ المرام لابن حجر رقم (٧٦) ت الزهيري.



الوضوء حديث»[١]، قال ابن القيم عقبه: «ولكنها حسان»[٢].

[١١] وحديث: **(النهي عن قطع اللحم بالسكين)**، وأنَّه من صنع الأعاجم.

قال: «ليس بصحيح وقد كان رسول الله ﷺ يحتز من لحم الشاة ويأكل»[٣].

[١٢] وقال: «**صحَّ الحديث في الخوارج من عشرة أوجه**»[٤].

١- المنار المنيف (ص١١٦)، وقارنه بـ«زاد المعاد» (١/١٩٥)، وينظر: «مسائل عبد الله ابن الإمام أحمد» (٨٥)، و«مسائل الإمام أحمد» لأبي داود (ص١١)، و«جامع الترمذي» (١/٣٧)، و«الكامل» لابن عدي (٣/١٣٧)، و«الأذكار» للنووي (ص٧٩)، وينظر: «كيف تكون محدثًا» للشيخ عبد الله السعد (٢/٤٧- ٧٣).

قال النووي في «الأذكار» (ص٧٩) قال أصحابنا: فإن ترك التسمية في أول الوضوء أتى بها في أثنائه. فإن تركها حتى فرغ فقد فات محلها فلا يأتي بها ووضوؤه صحيح، سواء تركها عمدًا أو سهوًا. هذا مذهبنا ومذهب جماهير العلماء.

وجاء في التسمية أحاديث ضعيفة، ثبت عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ الله أنَّه قال: «لا أعلم في التسمية في الوضوء حديثا ثابتاً».

قلت: لشيخنا أبي إسحاق حفظه الله، كتابًا سمَّاه «كشف المخبوء بثبوت حديث التسمية عند الوضوء» ينظر في الأحاديث الموجودة في الباب والتعليق عليه.

٢- قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ الله في «التحديث» (ص٣٩) عن كلمة ابن القيم: «تلتقي عليها كلمة التحقيق في هذا الباب الذي طال الجدلُ فيه، والله أعلم».

٣- المنار المنيف (ص١٢٤)، ويكفي صنيع البخاري في «صحيحه» (٥/٢٠٦٤)، عندما قال: «باب قطع اللحم بالسكين»، قلت: وكذلك أحاديث الأضاحي والذبح أيضًا.

قال ابن عراق الكناني في «تنزيه الشريعة» (٢/٢٧١) «لا تقطعوا اللحم بالسكين فإن ذلك من صنع الأعاجم». (رواه أبو معشر) من حديث عائشة. قال الإمام أحمد: «ليس بصحيح، وقد كان النبي ﷺ يحتز من لحم الشاة وأبو معشر ليس بشيء». (تعقب) بأنَّ الحديث أخرجه أبو داود في «سننه» من طريق أبي معشر، وقال ليس هذا بالقوي والبيهقي في «الشعب» وذكر أنَّه ورد ما يعارضه كما مرَّ عن أحمد، ثمَّ قال: فإن صح حديث أبي معشر فيكون هذا في لحم لم ينعم نضجه، وحديث أبي معشر في لحم قد تكامل نضجه انتهى.

وجاء من حديث أم سلمى أخرجه الطبراني من طريق عباد ابن كثير الثقفي، وهو ضعيف (قلت): بل متروك متهم، والله أعلم».

٤- النبوات (١/٥٦٥)، وقال شيخ الإسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٣/٢٧٩): «قال الإمام أحمد: صحّ الحديث في الخوارج من عشرة أوجه. وقد رواها مسلم في صحيحه، وروى البخاري منها ثلاثة أوجه؛ حديث عليّ، وأبي سعيد، وسهل بن حنيف. وفي السنن والمسانيد طرق أُخَر متعددة ...».

[١٣] وحديث: (**وجوب صلاة العيد على النساء في العيدين**) قال: «ما سمعنا فيه شيء»[١].

[١٤] وحديث: (**أكل الطين**) قال أحمد: «ما أعلم في أكله شيئًا يصح». وقال مرة: «ليس فيه شيء يثبت، إلا أنَّه يضر بالبدن»[٢].

[١٥] وفي «مسائل أبي داود» قلت لأحمد: تعرف في **فضل الاعتكاف** شيئًا؟ قال: «لا، إلا شيئًا ضعيفًا»[٣].

[١٦] وحديث: (**ما بين المشرق والمغرب قبلة**)، قال: «ليس له إسناد، يعني: حديث بن عبد الله بن جعفر المخرمي من ولد مسور بن مخرمة، عن عثمان الأخنسي، عن المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. يريد بقوله: ليس له إسناد لحال عثمان الأخنسي؛ لأنَّ في حديثه نكارة»[٤].

[١٧] وحديث: (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**) قال: «لا يثبت عندنا في هذا الباب شيء»[٥].

١- مسائل إسحاق النيسابوري (٤٦٨و ٤٧٦)، وعنه «قواعد حديثية» (ص١٠٤).

٢- المغني عن الحفظ (٢/٤٥٥)، و «الموضوعات» (٣/٣٣)، و«زاد المعاد» (٤/٣٠٩)، و«اللؤلؤ المرصوع» (٧٢١)، و «الأسرار المرفوعة» (٤٣٤).

٣- (٦٦٣)، وانظر رسالة لي بعنوان: «كتاب الاعتكاف من فقه السنة والكتاب» (فصل: في أحاديث ضعيفة في فضائل الاعتكاف).

٤- مسائل أبي داود (١٩٠٤)، وينظر: «مسند البزار» (٨٤٨٥)، وقال الترمذي في «سننه» (٣٤٣) عقبه: «حديث أبي هريرة قد روي عنه من غير وجه»، «وقد تكلم بعض أهل العلم في أبي معشر من قبل حفظه، واسمه نجيح مولى بني هاشم»، قال محمد: «لا أروي عنه شيئًا، وقد روى عنه الناس»، قال محمد: «وحديث عبد الله بن جعفر المخرمي، عن عثمان بن محمد الأخنسي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أقوى من حديث أبي معشر وأصح».

٥- العلل المتناهية (١/٦٦)، قال الحافظ ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/٢٣): «هذا حديث يروى عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، كلها معلولة، لا حجة في شيء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد»، وانظر (حاشية المحقق فإنها مباركة استغرقت ٢٠ صفحة تقريبًا، وذهب لتحسينه بالشواهد).



[١٨] و(**أحاديث البطيخ وفضله**) قال: «لا يصح في فضل البطيخ شيء إلا أنَّ رسول الله ﷺ كان يأكله»(١).

[١٩] وقال عن (**باب المسح على الخفين**): «فيه أربعون حديثًا عن الصحابة مرفوعة»(٢).

[٢٠] وحديث: (**الأُذان من الرأس**) قال عبد الله: سألت أبي عن من ترك مسح الأثنين ناسيًا حتى يفرغ من صلاته؟ قال: «أرجو أن يجزيه، قال ابن عمر: الأذنان من الرأس»(٣).

[٢١] حديث: النهي (**عن بيع الكالىء بالكالىء**) قال: «ليس في هذا حديث يصح؛ لكن إجماع الناس على أنَّه لا يجوزُ بيع دينٍ بدين»(٤).

[٢٢] وحديث: (**إذا كان الماء قلتين لم ينجس**) قال عبد الله: سئل أبي وأنا أسمع عن الماء الراكد يتوضأ منه -يعني إذا فيه نجاسة؟ -

قال: «حديث النبي ﷺ إذا كان الماء قلتين لم ينجس»(٥).

١- المغني عن الحفظ والكتاب (٢/٤٥٩)، و«المنار المنيف» (ص١٢٥)، وقال السخاوي في «المقاصد» (٢٩٦) «حديث: البطيخ وفضائله، صنَّف فيه أبو عمرو النوقا في جزءاً، وأحاديثه باطلة، قال أبو القاسم التيمي فيما أجاب به أبا موسى المديني: لا تزيده كثرة الطرق إلا ضعفًا، وقال النووي: إنَّه غير صحيح».

٢- سبل الصنعاني (١/٢٣٥) ط: ابن الجوزي.

٣- مسائل عبد الله (٩٥) ومفهوم كلام الإمام أنه يقول بصحته موقوفًا.

٤- التلخيص الحبير (٣/٧٠- ٧١)، ط: العلمية، والتحديث (ص١١٢)، قلت: والسبب في ذلك أنَّ في سنده (موسى بن عبيدة)، قال الإمام أحمد: «لا تحل عندي الرواية عنه، ولا أعرف هذا الحديث عن غيره»، وقال الشافعي: «أهل الحديث يوهنون هذا الحديث».

قال ابن الأثير في «النهاية» (٤/٣٤٧) عن (بيع الكالىء بالكالىء) «أي النسيئة بالنسيئة، وذلك أن يشتري الرجل شيئًا إلى أجل، فإذا حلَّ الأجل لم يجد ما يقضي به، فيقول: بعنيه إلى أجل آخر بزيادة شيء؛ فيبيعه منه ولا يجري بينهما تقابض. يقال: كلأ الدين كلوءا فهو كالئ إذا تأخر».

٥- (مسائل عبد الله) (٨)، وينظر: «مسائل إسحاق» (٢٤)، ومال لتصحيحه الحاكم وابن منده، وابن حبان، كما في «قواعد حديثية» للشيخ عمرو عبد المنعم (ص٧٣).

[٢٣] وحديث: (**الخلع تطليقة**) قال: «لا يصح؟ فقال: ما أدري، جمهان لا أعرفه»[١].

[٢٤] أحاديث: (**تخليل اللحية**) قال: «لا يثبت في تخليل اللحية حديث»[٢].

[٢٥] حديث (**التسليمة الواحدة**) قال: «لا نعرف عن النبي ﷺ في التسليمة الواحدة إلا حديثا مرسلًا لابن شهاب الزهري، عن النبي ﷺ»[٣].

[٢٦] وحديث: (**من ذرعه القيء فلا قضاء عليه, ومن استقاء فعليه القضاء**) قال: «ليس من ذا شيء»[٤].

[٢٧] وقال: «**ليس يروى في التكبير في العيدين حديثٌ صحيح**»[٥].

١- مسائل أبي داود (١٩١٥)، وفي «السنن الكبرى» للبيهقي (١٥٢٦٣)، قال: «تفرد به عباد بن كثير البصري، وقد ضعفه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والبخاري، وتكلم فيه شعبة بن الحجاج، وكيف يصح ذلك؟».

٢- زاد المعاد (١/١٩٨)، وينظر: «مسائل أبي داود» (ص١٣)، وممن أعلَّ ذلك: العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/٣٢٧) قائلًا: «والرواية في التخليل فيها لين»، وابن حزم في «المحلى» (١/٢٨٢)، وانظر: في كتاب «فتح المغيث» (١/١٣٣- ١٣٥)، و«كيف تكون محدثًا» للشيخ عبد الله السعد (٢/٧٩- ٨٤).

وفي حكم ذلك ينظر ما كتبه الفقير لعفو ربه: «الأدلة الشرعية في حكم اللحية مع بعض الفرائد العلمية والفوائد الفقهية» (مسألة حكم تخليل اللحية) (ص١١١- ١١٥).

٣- فتح الباري لابن رجب (٧/٣٦٧)، و«متخير المقولات» (ص٧٧).

٤- السنن الكبرى للبيهقي (٨٠٢٨)، وقال: «وقد روي من وجه آخر ضعيفٍ عن أبي هريرة مرفوعًا، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال في القيء: «لا يفطر»، وروي في ذلك عن علي رضي الله عنه من قوله» وينظر: «قواعد حديثية» (ص١٥) وبالاستفادة.

٥- سبل السلام (٣/١٩٢)، و«العلل المتناهية» (١/٤٧٥)، وفي «مسائل عبد الله» (ص١٢٨)، قال: قلت: لأبي ما تقول عن التكبير إذا كبر في العيدين؟ قال: «حديث ابن مسعود هو أرفعها»، وينظر: «سنن الترمذي» (٥٣٦)، وانظر: كتابي (تمام الفرحتين بتهذيب كتاب العيدين) (ص٤٢- ٤٣) نشر الألوكة.

قال الشيخ بكر في «التحديث» (ص٨٤- ٨٥)، «وردتِ الأحاديث بسبع تكبيرات في الأولى عدا تكبيرة الإحرام، وخمسٍ في الثانية، عن جماعةٍ من الصحابةِ؛ منهم: ابن عمر، وابن عمرو، وعائشةُ، وعمرو بن عوف المزني، وسعد القرظ المؤذن، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم»، ولهذا جاء عن الإمام أحمد أيضًا أنَّه يذهبُ إليها في مسائله لدى ابنه عبد الله وإسحاق وأبي داود، والله أعلم.



[٢٨] حديث: (**صلوا خلف كل بر وفاجر**) قال: «ما سمعنا بهذا»[١].

[٢٩] حديث: (**مسح الوجه باليدين بعد رفعهما للدعاء**) قال: «لا يعرف هذا عن النبي ﷺ، وإنَّما يروى عن الحسن البصري»[٢].

[٣٠] وحديث (**ثواب من حفظ أربعين حديثًا**) قال السخاوي: قد قال أحمد فيما حكاه البيهقي في «الشعب» عنه عقب حديث أبي الدرداء رضي الله عنه منها: «هذا متنٌ مشهور فيما بين الناس، وليس له إسنادٌ صحيح»[٣]..

وهذا وهم من السخاوي رحمه الله، وإلا فالبيهقي هو أحمد والدليل أنَّ البيهقي بعدما ساقه، قال: «هذا بين مشهور فيما بين الناس، وليس له إسناد صحيح»[٤].

١- العلل المتناهية (٤٢٨/١)، وانظر: «المقاصد» للسخاوي (ص٤٢٩).

٢- التحديث (ص١٢٧) وقال: «وقد أفردتُ في هذا البابِ جزءًا- ولله الحمدُ- بلغتُ النتيجة فيه إلى أنَّه لا يثبت فيه حديثٌ، وأنَّ المسح خارج الصلاةِ وردت فيه آثار عن بعض السلفِ فحسب، والله أعلم».

قلت: انظر «مسائل عبد الله» رقم (٣٢٢)، وقال البيهقي في «السنن الكبرى» (٢١٢/٢): «فأمَّا مسح اليدين بالوجه عند الفراغ من الدعاء فلست أحفظه عن أحد من السلف في دعاء القنوت، وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة، وقد روى فيه عن النبي ﷺ حديث فيه ضعف، وهو مستعمل عند بعضهم خارج الصلاة، وأمَّا في الصلاة فهو عمل لم يثبت بخبرٍ صحيحٍ، ولا أثر ثابت، ولا قياس؛ فالأولى أن لا يفعله، ويقتصر على ما فعله السلف رضي الله عنهم من رفع اليدين دون مسحهما بالوجه في الصلاة، وبالله التوفيق»، وذكر عن قتادة قائلًا: «وكان الحسن يفعل مثل ذلك» أهـ.

وذكر الإمام الطبراني رحمه الله ثلاثة أحاديث في كتابه «الدعاء»، وبوب لها قائلاً: «باب مسح الرجل وجهه عند الفراغِ من الدعاء» (ص٩٢) ط: دار الحديث، وهي لا تخلو من مقالٍ وضعفٍ في أسانيدها، فراجعها إن شئت.

٣- المقاصد الحسنة (١١١٥).

٤- شعب الإيمان (١٧٢٧) (٢٧٠/٢)، قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي «تحقيق الكلام في المسائل الثلاث الاجتهاد والتقليد, السنة والبدعة, العقيدة» (المسألة الثانية السنة والبدعة) من «مجموع رسائله» (٢٩٢/٤): «وهو حديث ضعيف، ولكن كثير من الأئمة جمعوا أربعينات؛ لأنَّهم رأوا أنَّه ممَّا لا خلاف فيه: أن جمع سنة رسول الله ﷺ من أعظم القربات بأي عدد كان، وهذا أصل معمول به بلا خلاف، وهو يشتمل ما إذا كان المجموع أربعين أو أقل أو أكثر، فمن جمع منهم أربعين كان عاملًا بهذا الأصل الصحيح وملاحظا العمل بذلك الحديث الضعيف، أي: إن كان صحيحًا في نفس الأمر

[٣١] حديث: (**الوضوء مما مسته النار**) قال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي رحمه الله: يقولون: إنَّك تتوضأ مما مست النَّار. قال: «ما فعلته قط، ولم يثبت عندي في ذا خبر»[١].

[٣٢] حديث: (**التسبيح للرجال والتصفيق للنساء، من أشار في الصلاة إشارة تفهم عنه فليعد لها**) قال: «لا يثبت هذا الحديث، إسناده ليس بشيء»[٢].

[٣٣] أحاديث: (**اغتسال من غسَّل ميتًا**) قال: «لا يثبت في هذا حديث صحيح»[٣].

[٣٤] وحديث: (**النهي عن قطع السدر**) قال: «ليس فيه حديث صحيح»[٤].

[٣٥] حديث: (**الضحك في الصلاة**) قال: «ليس في الضحكِ حديث صحيح»[٥].

[٣٦] حديث: (**قنوت الوتر قبل أو بعد**) قال: «لم يصح عن النبي ﷺ في قنوت الوتر قبل أو بعد شيء»[٦].

فقد عمل به، وإلا فهو عامل بالسنة قطعًا، لدخول عمله تحت ذلك الأصل المعمول به».
والحديث كما قال النووي: «ضعيف بالاتفاق»، كما في «فتح المغيث» (١/١٣٠).

١- ذيل طبقات الحنابلة (١/٢٩٩).

٢- فتح الباري لابن رجب (٩/ ٤٩٣).

٣- التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث (ص٤٧)، وعزاه لـ «المغني» للموصلي (ص٢٣١- ٢٤٥)، و«تهذيب السنن» لابن القيم (٤/٣٠٥)، و«بدائع الفوائد» (٤/٧٢) وذكر الإمام ابن القيم في «تهذيب السنن» أقوالًا: (وجوب الغسل على من غسل ميتًا، وهذا مرويٌّ عن علي، ولا يجب، وهو قول الأكثرين، وجوبه من غسل الميت الكافر دون المسلم، وهو رواية عن أحمد).

٤- المغني (٢/٤٣٧)، و«المنار» (ص١٢٣)، وانظر: «التحديث» (ص١٧٤).

٥- التلخيص الحبير (١/٣٢٧).

٦- مسائل عبد الله (ص٩٢)، وقال: سمعت أبي يقول: «اختار القنوت بعد الركعة؛ لأن كل شيءٍ يثبتُ عن النبي ﷺ في القنوت إنَّما هو في الفجر لما رفع رأسه من الركعة فقال ﷺ: اللهم انج الوليد



[٣٧] حديث: (**كراهية العقيقة**) قال الميموني: قلت لأبي عبد الله: يثبت عن النبي ﷺ في العقيقة شيء؟

فقال: أي والله، غيرُ حديثٍ عن النبي ﷺ عن الغلام شاتين، وعن الجارية شاة. قلت له: فتلك الأحاديث التي يعترض فيها؟ فقال: «ليست بشيءٍ لا يعبأ بها»[1].

[٣٨] حديث: (**اللعب بالشطرنج**) قال مهنا سألت أحمد عن اللعب بالشطرنج، هل يعرف فيه شيئًا؟

قال: «لا أعلم إلا قول علي»[2].

[٣٩] حديث: (**إنَّ امرأتي لا ترد يد لامس**) قال: «لا يثبت عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء، وليس له أصل»[3].

[٤٠] قال حرب: قلت لأحمد: فنقرأ ليلة الجمعة في العتمة بسورة الجمعة

بن الوليد وسلمة بن هشام، وقنوت الوتر أيضًا اختاره بعد الركوع»، ويرد عليه كما في كتاب «قواعد حديثية» (ص١٣٩): «أنه صح في الباب حديثان:

الأول: عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: أنَّ رسول الله ﷺ كان يوتر قبل الركوع، أخرجه النسائي (٣/٣٥)، وابن ماجه (١١٨٢) بسندٍ حسن.

والثاني: عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، قال علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر، وفي رواية: في قنوت الوتر، وفي رواية: قبل الركوع....».

١- المسائل التي حلف عليها (ص٥٥)، و«تحفة المودود» (ص٤٦) والمثبت منه، زاد ابن القيم: «وأما أحاديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا أحب العقوق» فسياق الحديث من أدلة الاستحباب، فإنَّ لفظه هكذا سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة؟ فقال: لا أحب العقوق، وكأنَّه كره الاسم. فقالوا: يا رسول الله إنَّما نسألك عن أحدنا يولد له ولد؟ فقال: «منْ أحب منكم أن ينسك عن ولده فليفعل عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة» وأمَّا حديث أبي رافع فلا يصح، وقد قال الإمام أحمد في هذه الأحاديث المعارضة لأحاديث العقيقة: «ليست بشيءٍ لا يعبأ بها»، وقد استفاضت الأحاديث بأنَّ النبي ﷺ عقَّ عن الحسن والحسين».

٢- منتخب العلل للخلال (١٠/١٩٦)، و«قواعد حديثية» (ص١٥٢).

٣- التلخيص الحبير (٣/ ٤٨٥)، و«الموضوعات» (٢/٢٧٢)، و«متخير المقولات» (ص٨١).

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ -؟ قال: لا؛ لم يبلغني في هذا شيء. وكأنَّه كره ذلك[١].

[٤١] وقِيلَ لَهُ: هذه **الأحاديث التي جاءت أنَّ الله تكفل لي بالشام وأهله،** ونحو هذا؟ قال: ما أكثر ما جاء في هذا. قِيلَ لَهُ: فلعله في الثغور. قال: لا. وقال: «أرض بيت المقدس أين هي؟ ولا يزال أهل الغرب ظاهرين عَلَى الحق، هم أهل الشام»[٢].

[٤٢] وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الغرب ظاهرين عَلَى الحق حتى تقوم الساعة».

قال ابن رجب: «وقد **فسر الإمام أحمد أهل الغرب في هذا الحديث بأهل الشام**؛ فإن التشريق والتغريب أمر نسبي، والنبي ﷺ إِنَّمَا قال هذا بالمدينة، وقد سمي النبي ﷺ وأهل نجد والعراق أهل المشرق، فلذلك كانوا يسمون أهل الشام أهل المغرب؛ لأنَّ الشام تتغرّب عن المدينة، كما أنَّ نجدًا تتشرّق عنها.

وكانوا يسمون البصرة هِندًا؛ لأنهَّا من جهة الهند، ومنها يُسلك إِلَى الهند، ولهذا قال خالد لما عزله عمر عن الشام: إن عمر أمرني أن آتي الهند. قال الرواي: وكانت الهند عندنا البصرة»[٣].

[٤٣] وحديث: **(من بشرني بخروج آذار بشرته بالجنة)**، قال: «هذا لا أصل له»[٤]. والله أعلم.

١- فتح الباري لابن رجب (٤٨/٧).
٢- فضائل الشام لابن رجب (٢/ ١٢١)، وينظر: «المغني» (٢٠/١٣).
٣- المصدر السابق (٢/ ١٤٣).
٤- ميزان الاعتدال (١/ ٤٨).



ما روي عنه في الحث على التمسك بالسنة[1].

لقد حثَّ أئمتنا على التمسك بالسنة قولًا وفعلًا، وقدموها على أيِّ قولٍ، وجعلوا الحكم إليها في الخلاف، وأنزلوها بمنزلها اللائق بها، فلم يفرقوا بينها وبين القرآن، كما فعل أهل البدع من ترك بها؛ بل إنَّهم جعلوها المصدر الثاني للتشريع، واعتبروها مفسرة وموضِّحة لما جاء في القرآن الكريم.

ومن العناية التي لقيتها السنة عند علماء الأمة: التحذير من ردها، والأمر بالتمسك بها، وترك تقليد الأقوال المعارضة لها، ومن هؤلاء الأئمة الأعلام، والشيوخ ذوي البصائر والأفهام، الإمام الرَّباني أحمد بن حنبل الشيباني، فقد وقع من قوله الشيء الكثير من هذا القبيل، ومن ذلك قوله: «من ردَّ حديثَ رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكةٍ»[2].

وقال صالح: قلت لأبي: رجلٌ صالحٌ ولا يأخذ بالحديث! فقال أبي: «لا يقال لهذا صالح ولا كرامة»[3].

وقال: «لا تقلِّدني ولا تقلِّد مالكًا، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا»[4].

١- انظر: صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ ناصر الدين رحمه الله (ص٥٣) بالاستفادة.

٢- شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة (٧٣٣)، و«الحجة في بيان المحجة» (٢٠٧/١)، و«الفقيه والمتفقه» (٣١٦/١)، وفي «صيد الخاطر» (ص٧٦) ونحوه في (ص٤٨٣) قال أبو بكر المروذي: سمعت أحمد بن حنبل يرغب في النكاح، فقلت له: قال ابن أدهم.. فما تركني أتمم حتى صاح علي وقال: «أذكر لك حال رسول الله ﷺ وأصحابه، وتأتيني ببنيات الطريق؟!».

وفي «المناقب» (ص٢٦٤) أن رجلاً سال أحمد بن حنبل: أكتب كتب الرأي؟ قال: لا. قال: فابنُ المبارك قد كتبها! قال: «ابن المبارك لم ينزل من السماءِ، إنَّما أمرنا أنْ نأخذ العلم من فوق».

٣- جامع المسائل (ص٣٢٥).

٤- إعلام الموقعين (٤٦٩/٣)، وانظر: «إيقاظ همم أولي الأبصار» (ص ١١٣)، و«الإنصاف» للدهلوي (ص ١٠٥).

وقال: «الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثمَّ هو من بعد التابعين مخير»(١).

وقال: «إن استطعت أنْ لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل»(٢).

وقال: «رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء، وإنَّما الحجة في الآثار»(٣).

وقال أبو داود: قلت لأحمد: الأوزاعي هو أتبع مِن مالك؟

قال: «لا تقلد دينك أحدًا من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثمَّ التابعين بعدُ الرجلُ فيه مخيَّر»(٤).

وقال: سمعت أحمد يقول: «ليس أحد إلا ويؤخذ من رأيه ويترك -يعني ما خلا النبي ﷺ»(٥).

وقال: ألا تعجب؟ «يقال للرجل: قال رسول الله ﷺ فلا يقنع، وقال فلان فيقنع».

وقال: «عجبًا لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣]، الفتنة الكفر»(٦).

١- مسائل الإمام أحمد برواية أبي داود (ص٢٧٦- ٢٧٧).

٢- الآداب الشرعية (٢/٤١٥)، وهو في «ذم الكلام وأهله» (١/١٨١) عن الإمام سفيان الثوري وقال الإمام الأوزاعي: «ندور مع السنَّةِ حيثُ دارت» «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/٧١)، وانظر كتاب (احترام العلماء) (ص٢٨- ٢٩).

٣- جامع بيان العلم (٢/١٠٨٢).

٤- إعلام الموقعين (٣/٤٦٩)، وانظر: «مسائل أبي داود» (ص ٢٧٧)، و«إيقاظ همم أولي الأبصار» (ص ١١٣) للفُلَّاني.

٥- مسائل أبي داود (١٧٨٦)، و«متخير المقولات» (ص ٤٢).

٦- ذكرهما في الفروع (١١/١٠٧).



ولله درُّ القائلِ:

أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ السَّلَامِ وَقُدْرَتِهِ مِنَ الْبِدَعِ الْعِظَامِ
أُبَيِّنُ مَذْهَبِي فِيمَنْ أَرَاهُ إِمَامًا فِي الْحَلَالِ وَفِي الْحَرَامِ
كَمَا بَيَّنْتُ فِي الْقُرَّاءِ قَوْلِي فَلَاحَ الْقَوْلُ مُعْتَلِيًا أَمَامِي
فَلَا أَعْدُو ذَوِي الْآثَارِ مِنْهُمْ فَهُمْ قَصْدِي وَهُمْ نُورُ التَّمَامِ
أَقُولُ الْآنَ فِي الْفُقَهَاءِ قَوْلًا عَلَى الْإِنْصَافِ جَدَّ بِهِ اهْتِمَامِي
أَرَى بَعْدَ الصَّحَابَةِ تَابِعِيهِمْ لِذِي فُتْيَاهُمْ بِهِمُ ائْتِمَامِي
عَلِمْتُ إِذَا اعْتَزَمْتُ عَلَى اقْتِدَائِي بِهِمْ أَنِّي مُصِيبٌ فِي اعْتِزَامِي
وَبَعْدَ التَّابِعِينَ أَئِمَّةٌ لِي سَأَذْكُرُ بَعْضَهُمْ عِنْدَ انْتِظَامِ
فَسُفْيَانُ الْعِرَاقِ وَمَالِكٌ فِي احْتِجَازِهِمُ وَأَوْزَاعِيٌّ شَامِي
أَلَا وَابْنُ الْمُبَارَكِ قُدْوَةٌ لِي نَعَمْ وَالشَّافِعِيُّ أَخُو الْكِرَامِ
وَسَامِ بِذِكْرَى النُّعْمَانِ فِيهِمْ فَنِعْمَ فَتًى بِهِ سَامِي الْمَسَامِي
وَمِمَّنِ ارْتَضِي فَأَبُو عُبَيْدٍ وَأَرْضَى بِابْنِ حَنْبَلٍ الْإِمَامِ
فَآخُذُ مِنْ مَقَالِهِمُ اخْتِيَارِي وَمَا أَنَا بِالْمُبَاهِي وَالْمُسَامِ
وَأَخْذِي بِاخْتِلَافِهِمُ مُبَاحٌ لِتَوْسِيعِ الْإِلَهِ عَلَى الْأَنَامِ
وَلَسْتُ مُخَالِفًا إِنْ صَحَّ لِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلًا بِالْكَلَامِ
إِذَا خَالَفْتُ قَوْلَ رَسُولِ رَبِّي خَشِيتُ عِقَابَ رَبٍّ ذِي انْتِقَامِ
وَمَا قَالَ الرَّسُولُ فَلَا خِلَافٌ لَهُ يَا رَبِّ أَبْلِغْهُ سَلَامِي[1]

١- جامع بيان العلم (٢/٨٩٩).

فرع: بيان وتعريف بكلام الإمام أحمد

بيَّن الحافظ ابن رجب الحنبلي معاني كلام الإمام أحمد في النهي عن التقليد والاشتغال بكلام الفقهاء، فقال: إنْ قيل: فما تقولون في نهي الإمام أحمد وغيره من الأئمة عن تقليدهم وكتابة كلامهم، وقول الإمام أحمد: لا تكتب كلامي ولا كلام فلان وفلان، وتعلم كما تعلمنا. وهذا كثيرٌ موجود في كلامهم.

قيل: لا ريب أنَّ الإمام أحمد ﵁ كان ينهى عن آراء الفقهاء، والاشتغال بها حفظًا وكتابة، ويأمر بالاشتغال بالكتاب والسنة حفظًا وفهمًا، وكتابة ودراسة، وبكتابة آثار الصحابة والتابعين دون كلام من بعدهم، ومعرفة صحة ذلك من سقمه، والمأخوذ منه والقول الشاذ المطرح منه، ولا ريب أن هذا مما يتعين الاهتمامُ به والاشتغال بتعلمه أولاً قبل غيره.

فمن عرف ذلك وبلغ النهاية من معرفته كما أشار إِلَيْهِ الإمام أحمد، فقد صار علمُه قريبًا من علم أحمد. فهذا لا حجر عليه ولا يتوجه الكلام فيه، إنَّما الكلام في منع من لم يبلغ هذه الغاية ولا ارتقى إِلَى هذه النهاية، ولا فهم من هذا إلا النزر اليسير، كما هو حال أهل هذا الزمان.

بل هو حالُ أكثر النَّاس منذ أزمان، مع دعوى كثير منهم الوصول إِلَى الغايات، والانتهاء إِلَى النهايات، وأكثرهم لم يرتقوا عن درجة البدايات. وإذا أردت معرفة ذلك وتحقيقه، فانظر إِلَى علم الإمام أحمد ﵁ بالكتاب والسنة[1].

١- الرد عَلَى من اتبع غير المذاهب الأربعة (١/٤٧١- ٤٧٢).

علم العلل ومسائل الإمام أحمد

اعتمد الحافظ ابن رجب الحنبلي -وغيره ممَّن كتب، أو أنقل أقوال أهل العلل- اعتمادًا كبيرًا على أقوالِ الإمام أحمد في العلل[١]، وهذا أمر لا بدَّ منه؛ لأنَّ الإمام أحمد يعتبر بحق أستاذ فن العلل[٢]، وقد شاعت أقواله فيه وذاعت حتى استعصت على الإحاطة والحصر، ومرجع ذلك علمه الوفير، وشخصيته الفذة يضاف إليه ما امتاز به الإمام أحمد إذ أقبل عليه كثرة من التلاميذ الأوفياء الأذكياء العلماء، فسألوا الكثير، وكتبوا عنه الكثير. وقد كان بعض هؤلاء التلاميذ ممَّن يشار إليه بالفضل والفقه قبل التحاقه بصحبة الإمام أحمد.

وقد اشتهر من هؤلاء عدد تناقل الناس مسائلهم، وجاء ذكرهم كثيرًا في «شرح علل الترمذي» لابن رجب، منهم:

(١) -مهنا بن يحيى الشامي (ت ٢٤٨هـ)، كتب عن أحمد بضعة عشر جزءا من المسائل، ولزمه ثلاثًا وأربعين سنة، وأول لقيه له في مجلس سفيان بن عيينة.

(٢) -عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، صحب الإمام أحمد من (سنة ٢٠٢- ٢٢٧هـ) وكان في أحمد مثل ابن جريح في عطاء لكثرة مسائله.

(٣) -أحمد بن محمد بن الحجاج أبو بكر المروزي (ت ٢٧٥هـ) .

(٤) -أحمد بن محمد بن هانئ الطائي الأثرم، نقل عن الإمام أحمد مسائل

١- قلت في «السير» (١١/١٩٠) قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: «خالف وكيع ابن مهدي في نحو من ستين حديثًا من حديث سفيان، فذكرت ذلك لابن مهدي، وكان يحكيه عنه».

٢- قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي في «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» (١/٢٧٤) ط: عطاءات العلم. «أما تمحيص الروايات لمعرفة الصحيح من السقيم، والراجح من المرجوح، والناسخ من المنسوخ؛ فأحمد أرجح الأئمة في ذلك، لأنَّه أوسعهم رواية، وأعلمهم بأحوال الرواة وعلل الحديث، وأعلمهم بآثار الصحابة والتابعين».

وصنَّفها ورتبها أبوابًا.

(٥) -أبو طالب، أحمد بن حميد، المتخصص بصحبة الإمام أحمد ومسائله (ت ٢٤٤هـ).

(٦) -الحربي أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق (ت ٢٨٥هـ).

(٧) -حنبل بن هاني (ت ٢٦٥هـ).

(٨)-إسماعيل بن سعيد الشالنجي (ت ٢٣٠هـ)، وله مسائل كثيرة عن أحمد[1].

(٩) -أحمد بن محمد أبو الحارث الصائغ، روى عن أحمد بضعة عشر جزءًا من المسائل.

(١٠) -صالح بن الإمام أحمد بن حنبل، ومسائله كثيرة ومشهورة، (ت ٢٦٦هـ).

(١١) -عبد الله بن الإمام أحمد، ومسائله مشهورة، وأكثرها وصل إلينا (ت ٢٩٠هـ).

(١٢) -أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت ٢٦٥هـ) وهو الإمام المشهور.

وأمَّا ما وصلنا من هذه المسائل فقليل، وما وصل لم يسلم منه إلا أجزاء يسيرة، فيما عدا كتاب العلل ومعرفة الرجال، وكتاب مسائل الإمام أحمد فقد وصلا

١- قلت: قال السمعاني في «الأنساب» (٢٨/٨): «الشَّالَنْجي: بفتح الشين المعجمة واللام بينهما الألف وسكون النون وفي آخرها الجيم، هذه النسبة إلى بيع الأشياء من الشعر كالمخلاة والمقود والحبل، واشتهر بهذه النسبة جماعة، منهم أبو إسحاق إسماعيل بن سعيد الشالنجي الكسائي الجرجاني، إمام فاضل جليل القدر، طبري الأصل، صنَّف كُتُبًا كثيرة، منها كتاب البيان وغيره، وكان أحمد بن حنبل يكاتبه، وكان إسماعيل الشالنجي ينتحل مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، وكتب الحديث ورأى الحق في اتباع سنة رسول الله ﷺ ثمَّ رد عليهم في كتاب البيان، وكان من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما، كان يذكر المسألة ثم يرد عليها، وحكى عنه أنَّه قال: كنت أربعين سنة على الضلالة فهداني الله
فأي رجال فاتتني».



كاملين. وأمَّا المسائل الأخرى فقد سلم منها:

(أ)-جزء من مسائل الميموني.

(ب)-جزء من مسائل صالح بن الإمام أحمد.

(ج)-جزء من مسائل المروزي، في العلل.

(د)-جزء من مسائل الأثرم في العلل.

والجدير بالذكر أن هذه الكتب متشابهة في طريقة العرض، وهي غير مرتبة ولا مبوبة بينما نجد المسائل الفقهية قد دخل عليها التبويب والترتيب كمسائل المروذي في الفقه والجزء الأول من مسائل أحمد، لأبي داود السجستاني(١).

١- انظر: (مقدمة شرح علل الترمذي) بقلم الشيخ همام عبد الرحيم سعيد (١/٧٠- ٧٢) بتصرف يسير.

قلت أبو إسحاق: وفاته مسائل الفضل بن زياد، ومسائل إسحاق بن منصور، وغيرها، وهناك مسائل مهمة أوردها أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» المطبوع المعروف بـ«تاريخ أبي زرعة الدمشقي» في مواطن عديدة، ولابن القيم في «بدائع الفوائد» (٤/١٣٨٨- ١٤٤٦)، وذكر الذهبي في «تاريخه» جملة من مسائل الفضل، أذكر منها:

(٣/٣٨٥) «قال الفضل بن زياد: سئل أحمد بن حنبل عن جابر الجعفي وليث بن أبي سليم فقال: جابر أقواهما حديثا، وليث أحسنهما رأيا، إنما ترك الناس حديث جابر لسوء رأيه. فسئل أحمد عن جابر، وحجاج بن أرطاة فأطرق ساعة، وقال: لا أدري، ثم قال: قد روى شعبة عن جابر الجعفي نحو سبعين حديثا، وقال شعبة: هو صدوق».

(٤/٢٠٣) قال الفضل بن زياد: سئل أحمد بن حنبل: أيُّما أعجب إليك ابن عجلان أو ابن أبي ذئب؟ فقال: «ما فيهما إلا ثقة».

(٤/٦٤٢) وقال الفضل بن زياد: قال أحمد بن حنبل: «شريك في أبي إسحاق أقوى من إسرائيل». قال: «وكان يحيى القطان لا يروي عن شريك إلا على سبيل العبرة، كان لا يرضاه».

(٤/٧١٩) وقال الفضل بن زياد: سألت أحمد: من الذي ضرب مالكًا؟ قال: «ضربه بعض الولاة في طلاق المكره. كان لا يجيزه، فضربه لذلك».

(٤/٨٠٩) وعن الفضل بن زياد، عن أحمد: «ليس أحدًا أروى لحديث الشاميين من ابن عياش، والوليد».

(٤/١٠٧٠) وقال الفضل بن زياد: سألت أحمد بن حنبل عن وهيب وابن علية: أيهما أحب إليك إذا اختلفا؟ قال: «وهيب، ما زال إسماعيل وضيعًا من الكلام الذي تكلم فيه إلى أن مات»، قلت: أليس قد رجع وتاب على رؤوس الناس؟ قال: بلى، ولكن ما زال لأهل الحديث بعد كلامه ذلك



مبغضًا، وكان لا ينصف في الحديث، كان يحدث بالشفاعات، وكان معنا رجل من الأنصار يختلف إلى الشيوخ، فأدخلني عليه، فلما رآني غضب، وقال: «من أدخل هذا علي؟»».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ كما في «جامع المسائل» (٤٢٢/١): «وحنبل وأحمد بن الفرج كانا يسألان الإمام أحمد عن مسائل مالك وأهل المدينة، كما كان يسأله إسحاق بن منصور وغيره عن مسائل سفيان الثوري وغيره، وكما كان يسأله الميموني عن مسائل الأوزاعي، وكما كان يسأله إسماعيل بن سعيد الشالنجي عن مسائل أبي حنيفة وأصحابه، فإنه كان قد تفقَّه على مذهب أبي حنيفة، ثم اجتهد في مسائل كثيرة رجَّح فيها مذهب أهل الحديث، وسأل عن تلك المسائل أحمدَ وغيرَه، وشرحها إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني إمام دمشق. وأما الذين كانوا يسألونه مطلقًا- مثل الأثرم وعبد الله وصالح وغيرهم- فكثيرون».



وفاته

قال صالح بن أحمد بن حنبل: «فلمَّا كان أوَّلُ شهر ربيع الأولِ، من سنة إحدى وأربعين، حمَّ ليلة الأربعاء.

وكان في خريقتهِ قطيعاتٌ، فإذا أراد الشَّيء أعطينا من يشتري له، وقال لي -يوم الثلاثاء، وأنا عندهُ-: انظر في خريقتي شيءٌ؟

فنظرتُ، فإذا فيها درهمٌ.

فقال: وجِّه، اقتضِ بعض السُّكان.

فوجَّهتُ، فأعطيتُ شيئًا.

فقال: وجِّه، فاشتر لي تمرًا، وكفِّر عنِّي كفَّارة يمين.

فاشتريتُ، وكفَّرتُ عن يمينه، وبقي من ثمنِ التَّمرِ ثلاثة دراهم، فأخبرتُهُ، فقال: الحمد لله.

وكنت أنامُ بالليل إلى جنبهِ، فإذا أرادَ حاجةً حرَّكني، فأناولهُ، وجعل يحرِّكُ لسانه، ولم يئن إلَّا في الليلة الَّتي تُوفِّي فيها، ولم يزل يصلي قائمًا، أمسكُهُ فيركع ويسجدُ، وأرفعهُ في ركوعهِ.

واجتمعت عليه أوجاع الحصرِ وغير ذلك، ولم يزل عقلُهُ ثابتًا.

فلمَّا كان يومُ الجمعةِ لاثنتي عشرةَ خلتْ من شهر ربيعٍ الأول، لساعتين من النَّهار، توفي رحمةُ الله عليه»[١].

وقال: «لما حضرت أبي الوفاة فجلست عنده والخرقة بيدي أشد بها لحيته قال: فجعل يغرق ثمَّ يفيق ويفتح عينيه، ويقول بيده هكذا: «لا بعد لا بعد لا بعد

١- المستدرك من كتاب المحنة (ص٢٣٤-٢٣٥).

ففعل هذا مرة، وثانية فلما كان في الثالثة قلت: يا أبة إيش هذا الذي لهجت به في هذا الوقت؟ فقال: يا بني، أما تدري؟

قلت: لا فقال: إبليس -لعنه الله- قائمٌ بحذائي، عاض على أنامله يقول: يا أحمد فتني! فأقول: «لا حتى أموت»[١].

ودخل عليه رحمه الله في مرض موته شيخ، فقال: اذكر وقوفك بين يدي الله، فشهق أبو عبد الله وسالت الدموع على خديه.

فلمَّا كان قبل وفاته بيوم أو يومين، قال: ادعوا لي الصبيان بلسان ثقيل، فجعلوا ينضمون إليه؛ فجعل يشمهم، ويمسح بيده على رؤوسهم، وعينه تدمع، وأدخلت الطست تحته فرأيت بوله دمًا عبيطًا ليس فيه بول!

فقلت للطبيب: فقال: «هذا رجل قد فتت الحزن والغم جوفه، واشتدت علته يوم الخميس»[٢].

قال صالح: وأوصى وصية: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل: «أوصى أنَّه يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، أرسله بالهدى ودينَ الحقِّ ليظهرهُ على الدينِ كُلِّهِ ولو كره المشركون.

١- شعب الإيمان (٨٢٦)، والذهبي في «السير» (١١/٣٤١) وقال: «هذه حكاية غريبة تفرد بها ابن علم».

وقال أيضاً: في ترجمة ابن علم في «السير» «حكايته عن عبد الله ابن أحمد في قول أبيه لا تعد منكرة».

ولعل المراد والله أعلم «تعد منكرة» ويشهد لذلك إنكاره على ابن علم، وربما خطأ من الناسخ أو المطبوع.

وذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/٤٥٤)، عن ابن علم، «لم أسمع أحداً يقول فيه إلا خيراً».

وكلام الخطيب لا يعني تزكيته مطلقاً، فكم من صالح غير حافظ، والخطأ وارد ومحتمل، والله أعلم.

٢- طبقات الشافعية (٢/٣٤).

وأوصى من أطاعه من أهلهِ وقرابتهِ أن يعبدوا الله في العابدين، ويحمدوه في الحامدين، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين

وأوصي إنِّي قد رضيتُ بالله ربًا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا.

وأوصي أنَّ لعبدِ اللهِ بن محمد المعروف بفوران عليَّ نحوًا من خمسين دينارًا، وهو مُصدَّقٌ فيما قال، فيقضى ما له عليَّ من غلَّةِ الدار إنْ شاء اللهُ.

فإذا أستوفى؛ أعطي ولد صالح وعبد الله ابنا أحمد بن محمد بن حنبل كلَّ ذكرٍ وأنثى عشرة دراهم بعد وفاء ما عليَّ لأبي محمد.

شهد أبو يوسف، وصالح وعبد الله ابنا أحمد بن محمد بن حنبل»[١].

قال المروزي: «مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خَلَتا من ربيعٍ الأول ومرض تسعة أيام، وكان ربَّما أذِن للناس فيدخلون إليه أفواجًا، يسلمون عليه ويرد عليهم، وتسامع الناس وكثروا، وسمع السلطان بكثرة النَّاس فوكل ببابه وبباب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار، ثمَّ أغلق باب الزقاق، فكان الناس في الشوارع والمساجد حتى تعطل بعض الباعة وحيل بينهم وبين البيع والشراء. وكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه ربما دخل من بعض الدور وطرز الحاكة، وربما تسلق. فلمَّا كانت ليلة الجمعة ثقل وقبض صدر النَّهار، فصاح النَّاس، وعلتِ الأصوات بالبكاء حتى كأنَّ الدنيا قد ارتجت، وامتلأت السكك والشوارع».

قال المروزي: «أخرجت الجنازة بعد منصرف النَّاسِ من الجمعة»[٢].

وصلى عليه ثمان مئة ألف رجل، وستين ألف امرأة، ونظروا من صلى في مسجد

١- المستدرك من كتاب المحنة برواية صالح، وهو مطبوع مع المحنة (ص٢١٤) ط: أروقة.
٢- النعت الأكمل (ص٣٧- ٣٨)، و«المعرفة والتاريخ» للفسوي (١/٢١٢).

الرصافة العصر فكانوا نيفًا وعشرين ألفَ رجل[١].

قال محمد بن يحيى النيسابوري، حين بلغه وفاة أحمد بن حنبل: «ينبغي لكل أهل دارٍ ببغدادَ أن يقيموا على أحمدَ بن حنبل النياحة في دورهم»[٢].

وقال صالح: لم يحضر أبي وقت غسلهِ غريبٌ، فأردنا أن نكفِّنهُ، فغلبنا عليه بنو هاشمٍ، وجعلوا يبكون عليه، ويأتون أولادهم، فيكبُّونَهُم عليه، ويقبِّلونه، ووضعناهُ على السرير، وشددنا بالعمائم.

وقال: لما توفي أبي، وجَّه إليَّ ابنُ طاهرٍ: من يصلِّي عليه؟

قلت: أنا.

فلمَّا صرنا إلى الصحراء إذا ابن طاهرٍ واقفٌ، فخطا إلينا خطواتٍ، وعزَّانا، ووضع السرير.

فلمَّا انتظرتُ هنيةً، تقدمتُ وجعلتُ أُسوِّي النَّاسُ، فجاءني ابن طالوتٍ ومحمد بن نصرٍ، فقبض هذا على يديَّ، وهذا على يديَّ، وقالوا الأمير! فمانعتُهمُ، فنحَّياني، فصلَّى. ولم يعلم النَّاسُ بذلك، فلمَّا كان من الغدِ علم النَّاسُ، فجعلوا يجيؤون ويصلُّون عليه القبر، ومكث النَّاسُ -ما شاء الله- يأتون فيصلون على القبر[٣].

قال الحافظ ابن رجب: «ولما مات قال بعض العلماء: معشر أهل الهوى، كلوا الدنيا بالدين، فقد مات سفيان، يعني؛ ما بقي بعده أحد يستحيا منه.

وأمَّا الإمام أحمد فكان أشد منهما تقشفًا في عيشه، وأكثر صبرًا على خشونة

١- تهذيب الكمال (١/٤٦٦- ٤٤٧)، و«كتاب الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين» للحافظ شرف الدين أبي الحسن المقدسي المالكي (ص٢٤٦).

٢- حلية الأولياء (٧/٣٠٩)، و«المقصد الأرشد» (١/٤٠٩).

٣- المجموع من مرويات أبي الفضل (ص٢٥٢-٢٥٣).

العيش للقلة، وكانت معيشته من حوانيت له ورثها من أبيه، ويأخذ أجرها في الشهر دون عشرين درهما، ومات لم يخلف إلا قطعًا في خرقة له، كان وزنها دون نصف درهم، وترك عليه دينًا قضي عنه من أجرة حوانيته مع كثرة ما كان يرد عليه من الخلفاء من الجوائز والصلات»[١].

ذكر ابن الجوزي في «المنتظم»، وفي «شذور العقود في تاريخ العهود» عن أحداث سنة (٥٧٤هـ) تقدم أمير المؤمنين - المستضيء بأمر الله- بعمل لوح يُنصبُ على قبر الإمام أحمد، وكتب في وسطه: هذا قبر تاج السنة، وحيد الأمة، العالي الهمة، العالم العابد الفقيه الزاهد الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله [٢].

[فائدة]: وذكر في أحداث سنة (ت ٢٤١هـ) ماجت النجوم في السماء وجعلت تتطاير شرقًا وغربًا كالجراد، من قبل غروب الشفق إلى قريب من الفجر، ولم يكن مثل هذا إلا عند ظهور رسول الله ﷺ، وفيها توفي الإمام أحمد بن حنبل[٣].

١- ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء رضي الله عنه (٢/٣٣٢).

٢- المنتظم (١٨/٢٤٩)، و«شذور العقود» (ص٣١١) ط: نجيبويه.

٣- شذور العقود (ص١٨٦).







ما أظهره الله من الكرامات بموته رحمه الله

أهل السنة والجماعة يثبتون الولاية، ويؤمنون بالكرامة، ويجِلّون أهلها ويعرِفون لهم قدرهم دون غلو أو تشدد، فهم بذلك يعظمون من عظم الله، ويجلون من أمر الله بإجلالهِ، ونحن لا ننكر الكرامة كما أنكرها بعض المبتدعة، ولا نبالغ بها مبالغة الجهلة، ولكن لا نقول بها إلا لمن كان أهلًا لها، ولا أهلية إلا لمن ثبتت له بطريقةٍ سنيَّةٍ لا بدعيَّة، وبصفة مرْضيةٍ لا مخزية، فهي لا تقع للمجانين، ولا من ترك عبادة رب العالمين، فالولي: هو المؤمن التقي، وأحق الناس بصفة الولاية العلماء الربانيون، لا المتشبهين بهم من المتعالمين والدجلين، ومن العلماء الربانيين الإمام أحمد رحمه الله ورضي الله عنه، كان له من الكرامات الشيء الكثير، كما جاء في مناقبه، وإنَّما أريد الحديث عن الكرامة التي أكرمها الله له عند موته.

قال أبو زرعة: «بلغني أنَّ المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف الناس عليه[1]، حيث صلى على أحمد بن حنبل، فبلغ مقام ألفي ألف وخمسمائة ألف».

وقال الوركاني جار أحمد بن حنبل: «أسلم يوم مات أحمد بن حنبل عشرون ألفًا من اليهود والنصارى والمجوس»[2].

١- قال عمرو بن الحارث: «الشرف شرفان، شرف العلم، وشرف السلطان، وشرف العلم أشرفهما» ذكر الذهبي في «السير» (٣٥٢/٦).

٢- الجرح والتعديل (٣١٢/١).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣٤٣/١١) «هذه حكاية منكرة، تفرد بنقلها هذا المكي عن هذا الوركاني، ولا يعرف، وما ذا بالوركاني المشهور محمد بن جعفر الذي مات قبل أحمد بن حنبل بثلاث عشرة سنة، وهو الذي قال فيه أبو زرعة: كان جارًا لأحمد بن حنبل.

ثم العادة والعقل تحيل وقوع مثل هذا، وهو إسلام ألوف من الناس لموت ولي لله، ولا ينقل ذلك إلا مجهول لا يعرف.

فلو وقع ذلك، لاشتهر ولتواتر، لتوفر الهمم، والدواعي على نقل مثله. بل لو أسلم لموته مائة نفس،

قال العليمي عنه: «وكان من أحيا الناسِ وأكرمهم نفسًا، وأحسنهم عشرةً وأدبًا، وكراماته ظاهرة، وإجابة دعائه مشهورة»[1].

لقضي من ذلك العجب، فما ظنك!».

قلت: والوركاني هذا له ترجمة في «المقصد الأرشد» (٢/٣٨٧)، ونقل فيه أنَّه سمع من الإمام أحمد.

١- الدر المنضد (١/٤٨).



ما ذكر في رؤيته في المنام

اعلم أنَّه تقرَّر عند أهل العلم أنَّ الرؤى لا ينبني عليها حكم شرعي، وأنَّها ليست من مصدر التلقي إلا رؤى الأنبياء فقد انعقد الإجماع على أنها وحي من الله وهو معروف وجلي، وممَّن نقل ذلك الحافظ العبقري ابن عبد البر المالكي (ت ٤٦٣هـ)، والقاضي عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، وغيرهما[١].

وإنَّ من الجهلِ إثبات شيء من الشرع بذلك، قال الحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ): بلغنا عن القاضي الحسين (ت ٤٦٢هـ) من كبار الشافعية أنَّه أتاه سائل فقال له: رأيت النبي ﷺ ليلة الثلاثين من شعبان، وقال: غدًا من رمضان، ولم يكن الهلال رئي.

فقال له القاضي الحسين: إنَّ النبي ﷺ قال في اليقظة: «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا نصوم حتى نراهُ»[٢].

وقال أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) في الحديث عن مأخذ أهل البدع في الاستدلال: «قومٌ استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلانًا الرجل الصالح في النَّومِ، فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا. ويتفق مثل هذا كثيرا للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي كذا، وأمرني بكذا؛ فيعمل بها، ويترك بها، معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ؛ لأنَّ الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعًا على حال، إلا أن نعرضها على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنَّما

١- ينظر: الاستذكار (٤٥٦/٨)، و«إكمال المعلم بفوائد مسلم» (١٥٣/١).
٢- الباعث على الخلاص من حوادث القصاص (ص١٥٤).

فائدتها البشارة والنذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا»[١].

فالرؤية الصالحة التي يراها الرجل الصالح يستأنس بها[٢]، ولكن لا يبني عليها حكم شرعي، ولا يحكم لصاحبها بجنة، ولا نار. قال الإمام أحمد كان سفيان الثوري إذا قيل له: إنَّه رؤِي في المنام، يقولُ: «أنا أعرفُ بنفسي من أصحابِ المناماتِ»[٣].

والمؤمن يتقي الله وهو عاصمه، قال ابن سيرين: «اتقِ الله في اليقظة، ولا تبالِ ما رأيتَ في النوم»[٤].

وإنَّما ذكرت هذا، لأنَّ هذا الموضوع -الرؤى- كثر الحديث عنه في كتب التراجم عمومًا، وفي ترجمة الإمام أحمد خصوصًا.

قال أحمد بن حنبل: مات رجل من أصحابي فرئي في المنام، فقال: «قولوا لأبي عبد الله: عليك بالسنة؛ فإنَّ أول ما سألني الله سألني عن السنَّة»[٥].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبي: «رأيت البارحة في النوم علي بن عاصم فأولت ذلك عليًا علوًا، وعاصمًا عصمة»[٦]، وهذا من باب التعبير بالأسماء، وهي إحدى طرق التعبير المشهورة، وبهذين يتبين لنا أنَّ الإمام أحمد

١- الاعتصام (٢/٩٣) ط: ابن الجوزي، وانظر ما يفيدك من الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الباب في المصادر التالية، على سبيلِ المثال: «الروح» لابن القيم (١/٨٤- ٨٦) ط: عالم الفوائد، و«الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين» ط: كنوز إشبيليا، و «مختصر الكلام في تعبير الرؤى والأحلام» ط: مدار الوطن، و «الرؤى والأحلام وضوابطها في الشريعة الإسلامية» ط: مؤسسة الرسالة، و «الرؤى والأحلام في سنة هادي الأنام» ط: دار الوطن، وغيرها.

٢- وقد كتبت في ذلك كتابًا بحمدِ اللهِ جمعت فيه سير المحدثين وهو لطيف في بابه، بعنوان «من رؤي من المحدثين في المنام» يسر الله تمامه وطبعه.

٣- سير أعلام النبلاء (٧/٢٥٢).

٤- شرح السنة للبغوي (١٢/٢٠٨)، و«بحر الدم» (١/٢٠٤).

٥- السنة للبربهاري (ص١٣٤).

٦- المقصد الأرشد (٢/٣٤٠).



سمع الرؤى وأوَّلها.

وقال أبو أيوب الخلال الموصلي: كنت أتمنى أنْ أرى أحمد بن حنبل في المنام، فرأيته وعليه حلتان، وعلى رأسه تاج وهو يشمر، فقلتُ له: يا أبا عبد الله، ما عهدناك في دار الدنيا تمشي هذه المشية، فقال: «هذهِ مشية الخدَّام في دارِ السلام»[١].

قال محمّد بن فضيل: تناولتُ مرَّةً أحمدَ بن حنبل فوجدتُ في لساني ألَمًا لم أجد القرار، فنمتُ ليلةً فأتاني آتٍ، فقال: «هذا بتناولك الرَّجل الصَّالح، هذا بتناولك الرَّجل الصَّالح، فانتبهتُ، فلم أزل أتوبُ إلى الله تعالى حتَّى سكن»[٢].

ولما مات المروذي أغفا إنسان عند قبره، فانتبه من نومه فزعاً، فقيل له: أي شيء القصة؟

قال: رأيت أحمد بن حنبل راكباً فقلت: إلى أين يا أبا عبد الله؟ فقال: «إلى شجرة طوبى نلحق أبا بكر المروذي»[٣].

وروى ابن بشكوال من طريق جعفر الزعفراني قال: سمعت خالي الحسن بن محمد يقول: رأيت أحمد بن حنبل في النوم فقال لي: «يا أبا علي، لو رأيت صلاتنا على النبي ﷺ في الكتب كيف تزهر بين أيدينا!»[٤].

ولما دخل إبراهيم الحميدي عليه، وكان رجلًا صالحًا، فقال: إنَّ أمي رأت لك كذا وكذا وذكرت الجنة. فقال: يا أخي إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا، وخرج سهل إلى سفك الدماء وقال -الإمام-: «الرؤيا تسر المؤمن

١- تاريخ أصبهان (٢/٢٨١)، و«تاريخ دمشق» (٥/٣٣٦).
٢- المناقب (ص٦٤٥- ٦٥٥).
٣- منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد (ص ٢٥٢).
٤- فتح المغيث (٣/٤٧)، وعزاه في «القول البديع» (٢٥٢) إلى ابن بشكوال.



ولا تغره»[١].

وقال أحمد بن محمد الكندي: رأيت أحمد بن حنبل في النوم، فقلت: يا أبا عبد الله، ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ثمَّ قال: يا أحمد، ضربت فيَّ ستين سوطًا؟

قلت: نعم يا ربّ.

قال: هذا وجهي قد أبحتك، فأنظر إليه[٢].

١- الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/٤٥٣).

٢- الروح لابن القيم (١/٧٩)، و«العاقبة» للإشبيلي (٢٢٤)، وانظر: السير للذهبي (١١/٣٤٤ وما بعد) قوله: (ومن المنامات)، وساق ذلك.



قصص لا تصح نسبتها للإمام أحمد

القصص: تتبع الأثر، يقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١][١].

والقاص: «هو الذي يروي أخبار الماضين، ويسرد عليهم القصص»[٢]، وقد انتشرت كثير من القصص على ألسنة القصاص منسوبة إلى الإمام وهي لا تصح، وليس لها أصل[٣].

ك **قصته مع صاحب الفرن**، ولا أصل لها.

و**قصته في سكرات الموت**، وقول الشيطان: يا أحمد فتني**!** فأقول: «لا حتى أموت»[٤].

وقصته مع الرجل الذي رحل إليه من أجل سماع الحديث، وكان يسقي الكلب، ثمَّ سمع منه حديثًا واحدًا واكتفى بذلك[٥].

و**قصته فيمن أسلم أثناء وفاته**، وإنكار الذهبي لذلك كما سبق ذكره.

وقصة الإمام الشافعي في نزوله ضيفًا على الإمام أحمد.

١- لسان العرب (٧٣/٧).

٢- شرح السنة (٣٠٥/١)، وينظر: «معيد النعم» للسبكي (ص٨٩).

٣- ليس لها أصل يعني: (لا إسناد له). قال السيوطي في «تدريب الراوي» (٥٠١/١): «قولهم: هذا الحديث ليس له أصل، أو لا أصل له؛ قال ابن تيمية، معناه: (ليس له إسناد)».

ومنه ما استقرأه السبكي «طبقات الشافعية الكبرى»؛ فإنَّه لما ترجم للغزالي، وذكرَ كتابه «إحياء علوم الدين» سرد الأحاديث التي لم يجد لها أصلًا، وهي نحو ألف حديث.

الثاني: لا أصل له صحيحًا، فلهُ إسنادٌ لكن لا يصح.

وهذا مستفادٌ من الواقع فيما ينفيه الحفاظ من الحديث، وفي التراجم ما يفيد هذا المعنى كثيرًا.

ومنه قول العقيلي في علي بن قتيبة: «يحدث عن الثقات بالبواطيل وبما لا أصل له» ينظر: «التحديث» للشيخ بكر رحمه الله (ص١١- ١٢).

٤- سبق ذكرها في الحديثِ عن (وفاته) واستنكرها الذهبي والله أعلم.

٥- سبق ذكرها وبيان ما جاء فيها في الحديث (عن رحلاته).

وقصته مع القاص، وهو الذي روى الحديث المكذوب «من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة منها طيرًا منقاره من ذهب وريشه من مرجان»، وقد سبق بيان نكارتها، وأنَّه لا أصل للحديث.

وقصته مع الإمام الشافعي في المناظرة التي كانت بينهما بخصوص تارك الصلاة.

وقصته في مجلس الحارث المحاسبي(١).

وقصته في توليته قضاء اليمن، عن محمد بن يحيى؛ خادم المزني، عنه، قال: قال الشافعي: لما دخلت على الرشيد، قال: اليمن يحتاج إلى حاكم، فانظر رجلًا نوليه.

فلمَّا رجع الشافعي إلى مجلسه، ورأى أحمد بن حنبل من أمثلهم، كلمه في ذلك، وقال: تهيأ حتى أدخلك على أمير المؤمنين.

فقال: «إنَّما جئت لأقتبس منك العلم، وتأمرني أن أدخل في القضاء!» ووبخه،

١- قال الحاكم: سمعت أحمد بن إسحاق الصبغي: سمعت إسماعيل بن إسحاق السراج يقول: قال لي أحمد بن حنبل: يبلغني أنَّ الحارث هذا يكثر الكون عندك، فلو أحضرته منزلك وأجلستني في مكان أسمع كلامه.

ففعلت، وحضر الحارث وأصحابه، فأكلوا وصلوا العتمة، ثم قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت إلى قريب نصف الليل، ثم ابتدأ رجل منهم، وسأل الحارث، فأخذ في الكلام، وكأن على رؤوسهم الطير، فمنهم من يبكي، ومنهم من يحنّ، ومنهم من يزعق، وهو في كلامه، فصعدت الغرفة، فوجدت أحمد قد بكى حتى غشى عليه، إلى أن قال: فلما تفرقوا قال أحمد: ما أعلم أنِّي رأيت مثل هؤلاء، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا.

وعلى هذا فلا أرى لك صحبتهم.

قلت: إسماعيل وثقه الدارقطني.

قال الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٣٠): «وهذه حكاية صحيحة السند منكرة، لا تقع على قلبي، أستبعد وقوع هذا من مثل أحمد، وأما المحاسبي فهو صدوق في نفسه، وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه».



فاستحيا الشافعي[١].

قصته مع شيبان الراعي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكذلك حكاياتهم: أنَّ الشافعي وأحمد اجتمعا لشيبان الراعي وسألاه عن سجود السهو، وكذلك اتفق أهل المعرفة على أن الشافعي وأحمد لم يلقيا شيبان الراعي؛ بل ولا أدركاه»[٢].

١- قال الذهبي في «السير» (١١/٢٢٣-٢٢٤): «إسناده مظلم»، وقال: قال ابن الجوزي: «قيل: كان هذا في زمان الأمين».
٢- مجموع الفتاوى (١١/٥٨٠).



القسم الثاني

الحديث عن المسانيد
ومكانة الإمام أحمد عند أصحاب كتب السنة
والعلاقة بينه وبين الشافعي

[١] نظرة عامة عن التأليف في كتب السنة.

[٢] أهمية الإسناد.

[٣] ترتيب المسانيد.

[٤] أول من صنف في المسانيد.

[٥] ترتيب أصحاب المسانيد على حسب التسلسل الزمني لوفياتهم.

[٦] في ذكر المسانيد عموماً. ويليه: (فائدة: الفرق بين الأبواب والتراجم).

[٧] الإمام أحمد محدثًا وفقيهًا.

[٨] الإمام أحمد ومنزلته عند أصحاب كتب السنة.

[٩] نماذج عطرة في العلاقة الأخوية والعلميَّة بين الإمام الشافعي والإمام أحمد.

فرع: في رواية الإمام أحمد في مسنده للأحاديثِ من طريق الإمام الشافعي.

[١٠] بيان بعض أحواله في كتابة الحديث، وفيه:

١-شدُّة تحريهِ في الرواية.

٢-التحديث عن شيوخٍ معينينَ.

٣-أمره بالسماع على الثقاتِ وكتب الحديثِ عنهم.

٤-حثه على الرجوع إلى أصحابِ التَّخصصِ.



نظرة عامة عن التأليف في كتب السنة

لم يكن التصنيف ظاهرًا في زمن الصحابة والتابعين كما هو معلوم؛ وذلك لأنَّه جاء الأمر النبوي بالمنع من الكتابة[١]، فضلًا أن الغالب منهم كان يعتمد على الحفظ، ومع ذلك فظاهرة تدوين السنة كانت عبارَة عن أجزاء، أو صحف؛ كصحيفة علي رضي الله عنه وهي صحيفة مشهورة، ثمَّ ظهر بعض من يكتب الحديث، ويدون السنَّة النبوية، ووقع خلاف بين أهل العلم في أول من كتب، من بعد خلافهم حول جواز كتابة الحديث أو ترك ذلك، وكلا الطرفين لهم دليل، وترتب على هذا النهي ظاهرة عند المحدثين وهي إتلاف كتبهم، والكلام حول هذه المسائل الثلاثة يحتاج تفصيلًا وبيانًا، ولكن حسبي أن أنقل في ذلك الحديث على المسألة الأولى بدون إخلال أو إملال، والله الموفق.

فأوَّلُ من دون الحديث هو الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)، وكان ذلك في فترة خلافة عمر عبد العزيز كما جاء في صحيح البخاري[٢]. ثمَّ جاء تلامذته من بعده فجمعوا الحديث والأثر على أبواب الفقه، ومنهم: مالك بن أنس، وعبد العزيز بن الماجشون، وابن أبي ذئب، وابن جريج، ومعمر، والثوري، وحماد زيد، وحماد بن سلمة، وهشيم بن بشير، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وغيرهم كثير.

١- وانظر: كتاب «تقييد العلم» للخطيب البغدادي، والرد على بعض الشبه المثارة في كتاب «الأنوار الكاشفة» للشيخ المحدث المحقق عبد الرحمن بن يحيي اليماني، وكتاب «إعلام الأعلام بأسباب عدم جمع السنة النبوية في عصر صدر الإسلام» للدكتور أحمد القرني، وكتيب لي بعنوان: «الباعثُ الحثيثِ في ترك السَلَفِ لكتابةِ الحديث»، يسر الله تمامه.

٢- كتاب العلم صحيح البخاري (١/٣١).

وفي ذلك يقول السيوطي في ألفيته:

أَوَّلُ جامِعِ الحديثِ والأَثَرْ ... اِبْنُ شِهابٍ آمِرًا لَهُ عُمَرْ
وَأَوَّلُ الجَامِعِ لِلأَبْوَابِ ... جَمَاعَةٌ فِي العَصْرِ ذُو اقْتِرَابِ
كَابْنِ جُرَيْجٍ وَهُشَيْمٍ مَالِكِ ... وَمَعْمَرٍ وَوَلَدِ المبَارَكِ[١]

ثمَّ تلاهم: الشافعي، والحميدي، والطيالسي، وعبد الرزاق، وغيرهم.

وبعدهم: أبو بكر ابن أبي شيبة، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، ثمَّ جاء من بعدهم تلاميذهم[٢].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله (ت ٧٩٥هـ): «والذي كان يكتب في زمن الصحابة والتابعين لم يكن تصنيفاً مرتباً مبوباً، إنمَّا كان يكتب للحفظ والمراجعة فقط، ثمَّ إنَّه في عصر تابعي التابعين صنفت التصانيف، وجمع طائفة من أهل العلم كلام النبي ﷺ، وبعضهم جمع كلام الصحابة».

قال عبد الرزاق (ت ٢١١هـ): «أوَّل من صنَّف الكتب ابن جريج، وصنَّف الأوزاعي حين قدم على يحيى بن أبي كثير كتبه»[٣].

وقال ابن خراش (ت ٢٨٣هـ): «يقال: إنَّ أول من صنف الكتب سعيد بن أبي عروبة»[٤].

وقال السيوطي (ت ٩١١هـ): «أمَّا جمع حديث إلى مثله في باب واحد فقد سبق إليه الشعبي، فإنَّه روي عنه أنَّه قال: هذا باب من الطلاق جسيم، وساق

١- الألفية أبيات (٤١-٤٣).
٢- التذكرة في علم مصطلح الحديث (ص١٢-١٣).
٣- الكامل لابن عدي (١/١٧٤)، و«شرح علل الترمذي» (١/٣٧).
٤- شرح علل الترمذي (١/٣٧- ٣٨).



فيه أحاديث، ثمَّ تلا المذكورين كثير من أهل عصرهم إلى أن رأى بعض الأئمة أن تفرد أحاديث النبي ﷺ خاصة، وذلك على رأس المائتين، فصنف عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي مسندًا... »[١].

وانقسم الذين صنفوا الكتب أقساماً:

فمنهم: من صَنَّف كلام النبي ﷺ أو كلامه، وكلام أصحابه على الأبواب، كما فعل مالك، وابن المبارك، وحماد بن سلمة، وابن أبي ليلى، ووكيع، وعبد الرزاق، ومن سلك سبيلهم في ذلك.

ومنهم: من جمع الحديث على مسانيد الصحابة؛ كما فعله أحمد، وإسحاق، وعبد بن حميد، والدارمي، ومن سلك مسلكهم في ذلك.

قال ابن أبي خيثمة (ت ٢٧٩هـ): [ثنا] الزبير بن بكار، أخبرني محمد بن الحسن، عن مالك بن أنس قال: «أول من دوّن العلم ابن شهاب»، يعني الزهري.

١- تدريب الراوي (١/١١٨- ١١٩).







أهمية الإسناد[(١)]

من منَّة الله على أهل السنة والجماعة أنَّهم حفظوا دين الإسلام بوسائل مختلفة منها: علم الحديث، فكشفوا به أباطيل المبتدعة وتدليسهم، وهو الذي يقوم في أصله على الإسناد، وهذه النعمة خصَّ الله بها أمة الإسلام عامة وأهل السنَّة خاصة.

والسند: «الإخبار عن طريق المتن»، وهو مأخوذ إمَّا من السند، وهو ما ارتفع وعلا عن سفح الجبل؛ لأنَّ المسند يرفعه إلى قائله.

أو من قولهم: فلان سند، أي: معتمد، فسمي الإخبار عن طريق المتن سندًا؛ لاعتماد الحفاظ في صحة الحديث، وضعفه عليه.

وأمَّا الإسناد: «فهو رفعُ الحديث إلى قائله»، والمحدثون يستعملون السند والإسناد لشيء واحد[(٢)].

وللإسناد أهمية فهو [١] من خصائص هذه الأمة، كما قال القاسم بن بندر: سمعت أبا حاتم الرازي يقول: «لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة فقال: له رجل يا أبا حاتم ربما رَوَوا حديثاً لا أصل له ولا يصح؟ فقال: علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم فروايتهم ذلك للمعرفة يتبين لمن بعدهم أنَّهم ميَّزوا الآثار وحفظوها»[(٣)].

وقال صالح بن أحمد الحافظ سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: «بلغني أن

١- وبإذن الله سوف أفرد له جزءًا في بيان فضله وما جاء عن السلف حوله وما يتعلق به.

٢- المنهل الروي لابن جماعة الحموي (ص٢٩- ٣٠) ط: دار طيبة، و«الخلاصة في معرفة الحديث» للطيبي الدمشقي (ص٢٩) ط: المكتبة الإسلامية، و«تدريب الراوي» (١/٣٩- ٤٠)، وانظر: «النزهة» لابن حجر (ص٥٣).

٣- شرف أصحاب الحديث (ص٦٨)، وانظر: «فيض القدير» (١/٤٣٤).

الله خصَّ هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد، والأنساب، والإعراب»[١].

وقال الإمام ابن المبارك رحمه الله: «إنَّ الله حفظ الأسانيد على أمة محمد ﷺ»[٢].

[٢] وأمَّا قيمته العظيمة عند علماء الأمة، فلما تواتر من كلامهم حوله وبيان أهميته. كما قال الإمام شعبة بن الحجاج رحمه الله (ت ١٦٠هـ): «كل حديث ليس فيه حدَّثنا أو أَخْبرَنا فهو مثل الرجل بفلاة معه بعير ليس له خطام»[٣].

وقال: «كل حديثٍ ليس فيه حدَّثنا أو أخبرنا، فهو خلٌ وبقلٌ»[٤].

وكان الأعمش (ت ١٤٨هـ) يقول: «بقي رأس المال: حدثني فلان، قال: فلان عن فلان»[٥].

[٣] وهو سلاح مشهر بوجوه أعداء الدين من المبتدعة والملاحدة، كما قال سفيان الثوري (ت ١٦١هـ): «أكثروا من الأحاديث فإنَّها سلاح»[٦].

وقال: «الإسنادُ سلاحُ المؤمن، إذا لم يكن معه سلاحٌ فبأي شيءٍ يقاتل»[٧].

١- شرف أصحاب الحديث (٧١) (ص٦٥).
٢- شرح علل الترمذي لابن رجب (١/٥٨).
٣- المجروحين (١/٣١) و(١٠١).
٤- المحدث الفاصل (ص٥٦١)، و«الكفاية» (٢/٤٢)، و«المدخل إلى الإكليل» (ص٥٨)، وينظر: «مسند ابن الجعد» (٣٠) (ص٢٢)، والعسكري في «تصحيفات المحدثين» (١/٢٣)، والسمعاني في «أدب الإملاء» (ص٧)، والعلائي في «جامع التحصيل في المراسيل» (ص٥٨).
٥- المجروحين (١/١٩).
٦- حلية الأولياء (٥/٢٩٢)، و«المدخل إلى الإكليل» (ص٥٨)، و«شرف أصحاب الحديث» (ص١٤٥).
٧- المجروحين (١/٣١)، وفي «المقدمة» (ص١٠١)، و«المدخل إلى الإكليل» (ص٥٨)، و«شرف أصحاب الحديث (ص٦٧)، و«ذم الكلام» (٨٩١)، و«شرح علل الترمذي» (١/٥٨)، و«السابع عشر من المشيخة البغدادية» لأبي طاهر السلفي (مخطوطة/ ٢٢٢)، وأدب الإملاء (ص٨).

وقال ريحانة البصرة يزيد بن زريع (ت ١٨٢هـ): «لكلِّ شيءٍ فرسان، ولهذا العلم فرسان»[١].

وفي لفظ: «لكلِّ دينٍ فرسان، وفرسانُ هذا الدينِ أصحابُ الأسانيد»[٢].

وقال إياس بن معاوية (ت ١٢٢هـ): «إنَّ للحديثِ فرسانًا كفرسانِ الخيل»[٣].

وقال إلكيا الهراسي (ت ٥٠٤هـ): «إذا جالت فرسانُ الأحاديث في ميادين الكفاحِ، طارت رؤوس المقاييس في مهابِّ الرياح»[٤].

وقال ابن المبارك (ت ١٨١هـ): «الإسنادُ من الدينِ، ولولا الإسناد لقال: من شاء ما شاء»[٥].

وقال يزيد ابن أبي حبيب (ت ١٢٨هـ): «إذا سمعت الحديث، فأنشدهُ كما تُنشد الضالة، فإن عُرف وإلَّا فدعْه»[٦].

دينُ الرَّسُولِ وشرعُهُ أخبارُهُ ... وَأجلُّ علْمٍ يقْتَني آثَارُه

مَنْ كَانَ مُشْتَغلًا بهَا وبنشرِهَا ... مِنْ الْبَرِيَّة لَا عفَّتْ آثَارُه[٧]

١- المجروحين (٣١/١). قال أبو حاتم: «فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين، وهدوهم إلى الصراط المستقيم، الذين آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطار في طلب السنن في الأمصار، وجمعها بالرحل والأسفار والدوران في جميع الأقطار، حتى إنَّ أحدهم ليرحل في الحديث الواحد الفراسخ البعيدة وفي الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة، لئلا يُدْخل مضل في السنن شيئًا يضل به، وإن فعل فهم الذابون عن رسول الله ﷺ ذلك الكذب، والقائمون نصرة للدين».

٢- المدخل للحاكم (ص٦١)، و«أدب الإملاء» (ص٨).

٣- الكامل لابن عدي (٢٥٠/١)، وهو في «المقدمة» (ص٤٣٣).

٤- طبقات الشافعية (٢٣٢/٧).

٥- مقدمة صحيح مسلم (١٢٠/١) ط: دار الحديث، و«المجروحين» (٣٠/١)، وهو في المقدمة المطبوعة (ص٩٨) ت: البيضاني، و«الخلاصة» للطيبي (ص٢٥).

٦- رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه (ص٤٨) ط: دار السلام. ومعناه: (أي فإن عرف مخرجُه وتبيَّن تلقي العلماء له فخُذ به، وإلَّا فدعه فإنَّـه خبرٌ ضعيف أو معلول).

٧- البلدانيات للسخاوي (ص٧٥). والشعر لأبي طاهر السلفي.

وقال إبراهيم بن الحسين: خالي[1] يقول: كنَّا على باب عفان أنا وأحمد ويحيى بن معين وأبو خيثمة، وعد جماعة، فجاء غلام فقال ليحيى بن معين: انظر إلى هذا الحديث الموضوع، فقال يحيى: «إنَّ للعلم شبابًا ينتقدون العلم»[2].

وأنشد أبو الفضل العباس بن محمد الخراساني:

رَحَلْتُ أَطْلُبُ أَصْلَ الْعِلْمِ مُجْتَهِدًا وَزِينَةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا الْأَحَادِيثُ

لَا يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا بَازِلٌ ذَكَرٌ وَلَيْسَ يَبْغَضُهُ إِلَّا الْمَخَانِيثُ

لَا تَعْجَبَنَّ بِمَالٍ سَوْفَ تَتْرُكُهُ فَإِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَوَارِيثُ[3].

[٤] وهو من السبل النافعة الكاشفة لتدليس المبتدعة والكذابين.

١-كما قال الإمام محمد بن سيرين رحمه الله (ت ١١٠هـ): «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلمَّا وقعت الفتنة -أي بدعة الخوارج- قالوا: سمُّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنّة فيؤخذ قولهم، وينظر إلى أهل البِدعةِ فلا يؤخذ قولهم»[4].

وقال: «إنَّ هذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم»[5].

وفي لفظ: «انظروا عمَّن تأخذون هذا الحديث، فإنَّما هو دينكم»[6].

١- الإمام الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن بن علي الهمذاني الكسائي.

٢- الكفاية (١/١٤٦).

٣- شرف أصحاب الحديث (ص٩٥).

٤- مقدمة صحيح مسلم (١/١١٩)، و«الكفاية» (١/٣٠٧)، و«المحدث الفاصل» (ص١٩٠).

٥- كما في مقدمة صحيح مسلم (١/١١٩)، و«سنن الدارمي» (٤٣٨)، و«الكامل» (٤/١٧٤)، (ص٤٣٩)، و«مقدمة المجروحين» (ص٢٤) بلفظ «إنَّ هذا العلمَ دينٌ، فانظروا ممَّن تأخذون دينكم»، و«شرح علل الترمذي» (١/٥٩- ٦٠).

وروي مرفوعًا وهو لا يصح، وروي موقوفًا عن (علي وأبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم) ولا يصح.

قال ابن رجب عن أثر ابن سيرين (١/٦١): «وخرَّجه أيضاً من كلام الحسن، وأنس بن سيرين، والضحاك بن مزاحم، والنخعي». وكذلك زيد بن أسلم.

٦- سنن الدارمي (٣٩٩) (١/٣٨٤).



المفهوم أن أهل السنة لم يكونوا يطلبون الإسناد فلما ظهرت بدعة الخوارج طلبوا السند ليكشفوا كَذِبَ وزيف المبتدعة.

٢-وهذا شيخ من الخوارج قال بعد ما تاب: «انظروا عمّن تأخذون دينكم، فإنّا كنا إذا هوينا أمراً صيَّرناهُ حديثاً»[١].

٣-قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأهل الحديث والسنَّة هم أعظمُ النَّاس علمًا ويقينًا وطمأنينة وسكينة، وهم الذين يعلمون ويعلمون أنهَّم يعلمون، وهم بالحق يوقنون لا يشكون ولا يمترون»[٢].

٤-وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومن أحالك على غير «أخبرنا» و«حدثنا» فقد أحالك: إمَّا على خيالٍ صوفيٍّ، أو قياس فلسفيٍّ، أو رأي نفسيٍّ، فليس بعد القرآن و«أخبرنا» و«حدثنا» إلا شُبُهاتُ المتكلمين وأراءُ المنحرفين، وخيالاتُ المتصوفين، وقياس المتفلسفين، ومَن فارقَ الدليل ضلَّ عن سواءِ السبيل، ولا دليلَ إلى الله والجنَّة سوى الكتابِ والسنَّة، وكلُّ طريقٍ لم يصحبها دليلُ القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم والشّيطان الرجيم»[٣].

١- الموضوعات لابن الجوزي (١/٣٨)، و«الكفاية» (١/٣٠٨)، و«ذم الكلام» (١٣٨٧).

٢- الفتاوى (٤/٢٩).

٣- مدارج السالكين (٢/٤٩٣).

تعريف بالمسانيد

تعريفه المسانيد: جمع مسند[١].

وهي الكتب التي موضوعها جعلُ حديثِ كلِّ صحابي على حدة صحيحاً كان أو حسناً أو ضعيفًا.

(طريقتها): ترتب على حروف الهجاء في أسماء الصحابة كما فعله غير واحد وهو أسهل تناولاً، أو على القبائل، أو السابقة في الإسلام، أو الشرافة النسبية، أو غير ذلك.

وقد يقتصر في بعضها على أحاديث صحابي واحد (كمسند أبي بكر) أو أحاديث جماعة منهم: كمسند الأربعة أو العشرة أو طائفةٍ مخصوصةٍ جمعها وصفٌ واحد (كمسند المقلين) و (مسند الصحابة الذين نزلوا مصر) إلى غير ذلك[٢].

قال السيوطي: «وأمَّا المسنَد بفتح النون فله اعتبارات: أحدها: الكتاب الذي جمع فيه ما أسنده الصحابة، أي رووه، فهو اسم مفعول»[٣].

فذوُ المسَانِيدِ بأنْ يُفْردَ مَاَ ... لِكلِّ صَاحِبٍ فعِ المؤَمَّما

وهي تجي عَلَى حُروفِ المعْجَمِ ... وقَدْ تَجِي بِحَسبِ المقْدمِ[٤].

١- انظر: فتح الباقي بشرح ألفية العراقي (١٣٣/٢)، و«الغاية في شرح الهداية في علم الرواية» (١١٠/١)، و«فتح المغيث» (١٥٧/١) قائلًا: «موضوعها جعل حديث كل صحابي على حدة، من غير تقيدٍ بالمحتج به».

٢- الرسالة المستطرفة (ص٦١)، و«علوم الحديث ومصطلحه» (ص١٢٣) بتصرف يسير.

٣- تدريب الراوي (٤١/١).

٤- رفع الأستار عن محيا مخدراتِ طلعة الأنوار (ص٤٨).



ترتيب المسانيد

تختلف المسانيد عن الصحاح والسنن، من حيث: (المضمون، والصحة).

ويختلف أيضًا صنيع أصحاب المسانيد بين بعضهم البعض، وإن كانوا يلتقون في الغالب في نفس الفكرة.

فمنهم: من يرتب مسنده على أسماء الصحابة، ويبدأ بالعشرة المبشرين من الجنة، ثمَّ من بعدهم.

ومنهم: من يرتب مسنده على حروف المعجم، أو القبائل، أو غير ذلك.

وقد يحوي المسند الصحيح والضعيف على حسب شرط مؤلفه في ذلك، كما قال الحافظ الكبير أحمد بن علي البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي»: «فإن شاء رتَّب أسماء الصحابة:

١-على حروف المعجم من أوائل الأسماء، فيبدأ بأبي بن كعب وأسامة بن زيد، ومن يليهما.

٢-وإن شاء رتَّبها على القبائل، فيبدأ ببني هاشم، ثمَّ الأقرب فالأقرب إلى رسول الله ﷺ في النسب.

٣-وإن شاء رتَّبها على قدر سوابق الصحابة في الإسلام، ومحلهم من الدين؛ وهذه الطريقة أحبُّ إلينا في تخريج المسند؛ فيبدأ بالعشرة رضوان الله عليهم، ثمَّ يتبعهم بالمقدمين من أهل بدر»(١).

وقال الحافظ ابن حجر: «وأمَّا من يصنف على المسانيد فإنَّ ظاهر قصده جمع حديث كل صحابي على حدة، سواءً أكان يصلح للاحتجاجِ به أم لا»(٢).

١- الجامع لأخلاق الراوي (٤٤٥/٢)، و«المدخل إلى الإكليل» (ص٦٢).

٢- انظر: النكت على ابن الصلاح (٤٤٧/١).

[تنبيه]:

١- **هناك كتب مرتبة على أسماء الصحابة على طريقة المسانيد، ولم يسمها أصحابها مسانيد**، من ذلك مثلاً:

أ) - المعجم الكبير للطبراني (ت ٣٦٠هـ).

ب) - العلل للدارقطني (ت ٣٨٥هـ) وغيرهما.

٢- **وهناك كتب ذكرت في عداد كتب المسانيد وهي ليست مرتبة على المسانيد ولا على الأبواب**، مثل: «مسند علي بن الجعد» المطبوع في مجلدين، و «مسند يحيى بن معين»، و «مسند السرَّاج» ونحوهما[١].

قلت: ومثله سنن الدارمي، كما قال العراقي (ت ٨٠٦هـ): «وقد عدَّ فيها ابن الصلاح مسند الدارمي، فوهم في ذلك؛ لأنَّه مرتب على الأبواب، لا على المسانيد»[٢].

وقال في «التقييد والإيضاح»: «واشتهر تسميته بالمسند كما سمَّى البخاري المسند الجامع الصحيح، وإن كان مرتباً على الأبواب لكون أحاديثه مسندة؛ إلا أنَّ مسند الدارمي كثير الأحاديث المرسلة، والمنقطعة، والمعضلة، والمقطوعة، والله أعلم»[٣].

وبهذا يتضح لنا فكرة المسند، وأنَّه يختلف في مضمونه (من حيث ترتيب الأحاديث وما يدور في هذا النطاق) عن الجوامع والصحاح والسنن؛ لكن بقي

١- انظر: تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، للشيخ محمد آل مطر الزهراني رحمه الله (ص٩٤-٩٥) ط: مكتبة دار المنهاج.

٢- شرح التبصرة (١/١٧٠)، وانظر: «فتح المغيث» (١/١٦٠).

٣- (ص٥٦) ط: المكتبة السلفية، ونقله عنه السيوطي في «تدريب الراوي» (١/٢٥٤- ٢٥٥).



هل يشترط فيها الصحة كونها مسندة أم لا؟

والجواب: ما لا شك فيه أنَّ المحدثين مِن أعلم النَّاسِ بالأسانيد، وأعرفهم برجال الحديث، وهذا ليس بالضرورة أن تكون كلَّ ما جمعوه في كتبهم (المسانيد، السنن...) صحيحة لأسباب وهي:

١- ليست كتب الحديث سواء في الرتبة وفي شروطِ الرِّواية، فبعضهم يشترط الصحيح، وبعضهم يتوسع فيدخل الصحيح والحسن والضعيف إذا لم يوجد في الباب غيرُه، وما يكون ضعيفًا عند جماعةٍ من أهل العلم قد لا يكون عند غيرهم كذلك، وذلك للاختلاف في توثيق الرجل وتضعيفه، وكذلك لأنَّ مذاهب العلماء في ذلك مختلفة، وكل منهم مأجور بإذن الله.

٢- يعمل أهل العلم بقاعدة: (من أسند فقد أحال)، والمعنى: من أسند فقد برئت ذمته من بيان الصحيح من الضعيف، وحمَّل القارئ مسؤولية البحث عن رجال السند ودراسته والتحقق من صحته، وبهذا يتبين لنا أنَّهم إنَّما كانوا يخاطبون أهل العلم وطلبته بذلك، لا عامة الناس.

٣- تختلف المسانيد عن غيرها من المصنفات الحديثية في هذا الشأن والسبب كما ذكره ابن الصلاح بقوله: «فهذه عادتهم فيها أن يخرجوا في مسند كل صحابي ما رووه من حديثه، غير متقيدين بأن يكون حديثًا محتجًا به، فلهذا تأخرت مرتبتها - وإن جلَّت لجلالة مؤلفيها - عن مرتبة الكتب الخمسة وما التحق بها من الكتب المصنَّفة على الأبواب، والله أعلم»[١].

٤- سار جماعةٌ من المحدثين على القول بأنَّ الحديث الضعيف في المسائل

١- معرفة أنواع علوم الحديث (ص٣٨) ط: دار الفكر.

الاجتهادية والترجيح إذا لم يكن شديدَ الضَّعف، ولم يوجد غيُره؛ قدم على آراء الرجال، وسوف يأتي الحديث عن ذلك إن شاء الله.

وتتمة في الفائدة، أنقل ما ذكره أميرُ المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن محمد المعروف بـ «ابن حجر العسقلاني» (ت ٨٥٢هـ) رحمه الله، قائلًا: «لكن جماعة من المصنفين في كل من الصنفين خالفَ أصل موضوعه فانحط وارتفع، فإن بعضَ من صنفَّ الأبواب قد أخرج فيها الأحاديث الضعيفة؛ بل والباطلة! إما لذهول عن ضعفها، وإمَّا لقلة معرفة بالنقد.

وبعض من صنَّف على المسانيدِ انتقى أحاديث كلِّ صحابي فأخرج أصحَّ ما وجد من حديثه. كما روينا[١] عن إسحاق بن راهويه، أنَّه انتقى في مسنده أصح ما وجده من حديث كلِّ صحابي؛ إلا أن لا يجد ذلك المتن إلا من تلك الطريق، فإنَّه يخرجه.

ونحى بقي بن مخلد في مسنده نحو ذلك.

وكذلك صنع أبو بكر البزار قريبًا من ذلك، وقد صرَّح ببعض ذلك في عدة مواضع من مسنده فيخرج الإسناد الذي فيه مقال ويذكر علته، ويعتذر عن تخريجه بأنَّه لم يعرفه إلا من ذلك الوجه»[٢].

١- هذه عبارة أكثر منها ابن الصلاح والنووي ومن جاء بعدهم. قال البقاعي في «النكت الوفية على الألفية» (١٧٢/٢) قوله: (وروينا) مضبوط في نسخ عديدة بضم الراء وتشديد الواو مكسورة، وهذا اصطلاح لابن الصلاح سلكه؛ لشدة التحري، وهو أنه إذا حدث بما حمله، قال: ((روينا)) بالفتح والتخفيف، أي: نقلنا لغيرنا، وإلا قال بالضم، أي: نقل لنا شيوخُنا.

٢- النكت على ابن الصلاح (٤٤٧/١)، وانظر ايضًا: «التقييد والإيضاح» للعراقي، (ص٥٨) ونقله السيوطي في «البحر الذي زخر» (١١٧٨/٣- ١١٧٩).



أوَّل من صنَّف في المسانيد

واختلفوا في أول من صنف المسند على أقوالٍ:

القول الأول: قال أبو يعلى القزويني: في «الإرشاد» (ت ٤٤٦هـ): «أول من صنَّف المسند على ترتيب الصحابة بالبصرة أبو داود الطيالسي، وبالكوفة عبيد الله بن موسى»[١].

وذكر ذلك العراقي في «شرح التبصرة»[٢]، ونقله عنه السيوطي في «تدريب الراوي» بقوله: قال العراقي: «يقال: إنَّ أول مسند صنف مسند الطيالسي»[٣].

ثمَّ رده السيوطي بقوله: «قيل: والذي حمل قائلَ هذا القول عليه تقدمُ عصر أبي داود على أعصار من صنف المسانيد، وظن أنَّه هو صنفه، وليس كذلك فإنَّما هو من جمع بعض الحفاظ الخراسانيين، جمع فيه ما رواه يونس بن حبيب خاصة عنه، وشذ عنه كثير منه، ويشبه هذا مسند الشافعي، فإنَّه ليس تصنيفَه، وإنَّما لقطه بعض الحفاظ النيسابوريين من مسموع الأصم من الأم وسمعه عليه، فإنَّه كان سمع الأم -أو غالبها- على الربيع عن الشافعي وعمر، فكان آخر من روى عنه، وحصل له صممٌ فكان في السماعِ عليه مشقة»[٤].

١- الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٥١٢/٢).

٢- (١٧٠/١).

٣- نسبة إلى الطيالسة التي تجعل على العمائم القرشي مولى آل الزبير الفارسي الأصل البصري الحافظ الثقة المتوفى: بالبصرة سنة ثلاث أو أربع ومائتين قيل: وهو أول مسند صنف ورد بأن هذا صحيح لو كان هو الجامع له لتقدمه؛ لكن الجامع له غيره وهو بعض حفاظ خراسان جمع فيه ما رواه يونس بن حبيب عنه خاصة، وله من الأحاديث التي لم تدخل هذا المسند قدره أو أكثر وقد قيل: أنَّه كان يحفظ أربعين ألف حديث. انظر: الرسالة المستطرفة (ص٦١).

٤- تدريب الراوي (٢٥٥/١).

وقال السخاوي (ت ٩٠٢هـ): «ولولا أنَّ الجامع[١] لـ (مسند الطيالسي) غيره[٢] بحسب ما وقع له بخصوصه من حديثه إلا بالنظر لجميع ما رواه الطيالسي فإنَّه مكثر[٣] جدًا، لكان أول مسند، فإنَّ الطيالسي متقدم على هؤلاء. وهذه هي الطريقة الثانية، والقصد منها -كما قال ابن الأثير- تدوين الحديث مطلقًا ليحفظ لفظه ويستنبط منه الحكم، يعني في الجملة»[٤].

وما ذهب إليه أبو يعلى، قال به الحاكم في «المدخل إلى الإكليل»[٥].

القول الثاني: ذكر أبو محمد الرامهرمزي في «المحدثِ الفاصل»: أنَّ «أول من صنَّف وبوَّب الربيع بن صبيح بالبصرة، ثمَّ سعيد بن [أبي] عروبة بها[٦]، وخالد بن جميل الذي يقال له: العبد، ومعمر بن راشد باليمن، وابن جريج بمكة، ثمَّ سفيان الثوري بالكوفة، وحماد بن سلمة بالبصرة، وصنَّف سفيان بن عيينة بمكة، والوليد بن مسلم بالشام، وجرير بن عبد الحميد بالري، وعبد الله بن المبارك بمرو وخراسان، وهشيم بن بشير بواسط، وصنَّف في هذا العصر بالكوفة ابن أبي زائدة، وابن فضيل، ووكيع، ثمَّ صنَّف عبد الرزاق باليمن، وأبو قرة موسى

١- يعني الذي جمع المسند.

٢- وهو بعض حفاظ خرسان، كما مرَّ في كلام السيوطي.

٣- قيل: إنَّه كان يحفظ أربعين ألفًا حديث. «تذكرة الحفاظ» (٣٥٢/١).

٤- فتح المغيث (٣٣٣/٣-٣٣٤).

٥- انظر: (ص٦٢) ط: ابن حزم.

٦- وذهب الإمام أحمد بن حنبل: أن عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج، وهو وابن أبي عروبة أول من صنف الكتب. كما في «طبقات علماء الحديث» (٢٦٢/١) و«بحر الدم» (٣٠٨/١)، وينظر: «صفة الصفوة» (٢١٦/٢).

وفي «العلل» رواية عبد الله (٢٣٨٣) قال عبد الله: قلت لأبي: أول من صنف الكتب؟ قال: «ابن جريج وابن أبي عروبة-يعني: ونحوه-». وقال ابن جريج: «ما صنف أحد العلم تصنيفي».



بن طارق، وتفرَّد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير الأبواب، وجودة الترتيب، وحسن التأليف.. »[١].

القول الثالث: قال أبو أحمد بن عدي الجُرجاني في ترجمة «يحيى الحمَّاني» ويقال: «إنَّه أول من صنَّف المسند بالكوفة، وأول من صنَّف المسند بالبصرة مسدد، وأول من صنَّف المسند بمصر أسد السنة[٢]؛ وأسد قبلهما، وأقدم موتاً»[٣].

وقال يحيى الحِمَّاني[٤]:«لا تسمعوا كلام أهل الكوفة فيَّ؛ فإنهم يحسدونني لأني أول من جمع المسند»[٥].

القول الرابع: روى الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» بسنده، قال أبو الحسن الدارقطني: «وأول من صنَّف مسنداً وتتبعه نعيم بن حماد»[٦]. ثمَّ قال معلقاً: «وقد صنَّف أسد بن موسى المصري مسنداً، وكان أسد أكبر من نعيم سناً، وأقدم سماعاً فيحتمل أن يكون نعيم سبقه إلى تخريج المسند، وتتبع ذلك في حداثته، وخرَّج أسد بعده على كبر سنه، والله أعلم»[٧].

١- المحدث الفاصل (ص٧٠٣) ط: الناشر المتميز.
٢- الإمام العلم الثقة الثبت أسد بن موسى المصري رحمه الله.
٣- الكامل في ضعفاء الرجال (٩٨/٩)، وقال به سبط ابن العجمي في «كنوز الذهب في تاريخ حلب» (٩٨/٢).
٤- عن محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، قال: سألت محمد بن عبد الله بن نمير، عن يحيى الحماني؟ فقال: هو ثقة، هو أكبر من هؤلاء كلهم، فاكتب عنه.
وسألت أحمد بن محمد بن حنبل عن يحيى الحماني، قلت له: تعرفه، لك به علم؟ فقال أحمد: كيف لا أعرفه، فقلت له: كان ثقة؟ فقال أحمد: أنتم أعرف بمشايخكم، وسألت يحيى بن معين، عن يحيى الحماني، فقال: ثقة. انظر: «تاريخ بغداد» (٢٥١/١٦).
٥- الضعفاء الكبير للعقيلي (٤١٢/٤)، و«تدريب الراوي» (١٣٦/٢).
٦- فتح المغيث (٣٣٣/٣)، و«تدريب الراوي» (١٣٥/٢).
٧- الجامع لأخلاق الراوي (٤٤٣/٢)، و«تاريخ بغداد» (٣٠٦/١٣)، و«سير أعلام النبلاء»

قلت: وهذا رأي الإمام أحمد[١]، والخطيب كما أسلفنا. وذكر الذهبي في «السير» عن أحمد قال: «أول من عرفناه يكتب المسند، نعيم بن حماد»[٢].

ترتيب أصحاب المسانيد على حسب التسلسل الزمني لوفياتهم

علم الوفيات له أهمية عند المحدثين؛ في تحقق السماع، وثبوت الرحلة، ونفي التدليس، وحصول اللقيا والأخذ عن الشيوخ، كما يعين على معرفة الجرح والتعديل، وهو معْلَم هام يدخل ضمن القوائم التي يقوم عليها علم التاريخ، وقد أشار إلى أهميته ومكانته أهل الاصطلاح وغيرهم في كتبهم، كما قال الخطيب البغدادي في «كفايته»: «وممَّا يستدل به على كذب المحدث في روايته عمَّن لم يدركه، معرفة تاريخ موت المرويِّ عنه، ومولد الراوي»[٣].

وقال الحافظ السيوطي:

مَعْرِفَةُ الْمَوْلِدِ لِلرُّوَاةِ ... مِنَ الْمُهِمَّاتِ مَعَ الْوَفَاةِ
بِهِ يَبِينُ كَذِبُ الَّذِي ادَّعَى ... بِأَنَّهُ مِنْ سَابِقٍ قَدْ سَمِعَا[٤]

وأنا أذكر وفيات من صنف في المسانيد، وفي ذكرهم معرفة من كتب بهذه الطريقة -المسانيد- وبيان ذلك وهم كثر، وإن كانت الشهرة لمسند الإمام أحمد رحمه الله، وبعض المسانيد كمسند البزار (ت ٢٩٢هـ)، وابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، وعبد بن حميد (ت ٢٤٩هـ)، وأبي يعلى (ت ٣٠٧هـ).

(٥٩٧/١٠).
١- قاله أبو الحسن الميموني عن أحمد ابن حنبل رحمه الله، كما في «تهذيب الكمال»، (٤٦٨/٢٩)، و«البحر الذي زخر» (٥١٧/٢)
٢- سير أعلام النبلاء (٥٩٧/١٠).
٣- الكفاية في علم الرواية (٣٠٠/١).
٤- الألفية للسيوطي (٩٦١- ٩٦٢).



وهم في الترتيب بحسب الأقدم في الوفياتِ:

١- أبو داود الطيالسي (ت ٢٠٣ أو ٢٠٤هـ).

٢- أسد بن موسى المعروف بأسد السنة (ت ٢١٢هـ).

٣- أبو إسحاق إبراهيم بن نصر الخرساني، استشهد في حرب بابك الخرمي سنة (ت ٢١٣ هـ).

٤- أبو محمد عبيد الله بن موسى العبسي (ت ٢١٣ هـ).

٥- أبو بكر الحميدي عبد الله بن محمد بن الزبير الحميدي، (ت ٢١٩ هـ).

٦- أبو زكريا يحيى الحماني الكوفي، (ت ٢٢٨ هـ).

٧- أبو الحسن البصري مسدد بن مسرهد (ت ٢٢٨ هـ).

٨- أبو عبد الله الخزاعي المروزي نعيم بن حمَّاد (ت ٢٢٨ هـ).

٩- أبو الحسن علي بن عبد الله بن المديني (ت ٢٣٤ هـ)[1].

١- له علل المسند، ثلاثون جزءاً حكاه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص٧١)، وابن النديم في «الفهرست» (ص٢٣١)، ويبدوا أنَّه كان موجوداً أو أجزاءًا منه في القرن الثامن الهجري، فقد أكثر النقل عنه الحافظ ابن كثير في (مسند عمر)، ولعلَّه فُقِد من الكتب الكائنة في تيمور سنة (٨٠٣) هجري.

في ذكر المسانيد عموماً

تتالت ظاهرة كتابة المسانيد بحمد الله تعالى، وفيها المسانيد الطوال والقصار، والأجزاء والكتب، ومنها الموجود وبعضها مفقود، ومنها مسند جامع لروايات الصحابة، ومنها مسند جامع لرواية شخص واحد، سواءً كان صحابياً أو عالماً من علماء المسلمين، وقد تكون هذه المسانيد متضمنة لبعض أقوال الصحابة والتابعين، وقد ذكر العلامة أبو العلا المباركفوري في «مقدمته على شرح سنن الترمذي»، بقوله: «فصل في ذكر المسانيد»[1]، ونحن نذكرها تعريفًا وتبياناً لها؛ لأنّ المعلوم منها والمشهور، مسند الإمام أحمد، والبزار، وأبي يعلى، فنذكرها لتعرف، ومهمة البحث والاطلاع عليها، تعود للقارئ فيها، وهي:

۞ مسند ابن أبي أسامة الحارث بن محمد التميمي (ت ٢٨٢هـ).

۞ ومنها: مسند ابن أبي شيبة، الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الواسطي الكوفي الحافظ (ت ٢٣٥هـ).

۞ ومنها: مسند ابن أبي عاصم أبي بكر أحمد بن عمرو الشيباني (ت ٢٨٧ هـ).

۞ ومنها: مسند ابن جميع، وهو أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جميع الغساني، وقيل العسالي الحافظ الصيداني، ولد سنة ست وثلاثمائة بصيدا (ت ٤٠٢هـ).

۞ ومنها: مسند ابن راهويه: للإمام الحافظ إسحاق (ت ٢٣٨هـ).

۞ ومنها: مسند ابن شيبة يعقوب الحافظ: وهو أبو يوسف الدوسي، جمع فيه

١- وانظر: هدي الساري (ص٩- ١٠)



مسند العشرة، وابن مسعود، وعمار، وابن عباس، وبعض الموالي.

وقيل: إنَّ مسند علي له في خمسة مجلدات؛ يذكر فيه الصحابي ثمَّ يسوق ترجمته بأسانيده ثمَّ يسوق أحاديثه، ويذكر علله؛ ويمكن جمعه على الأبواب معللاً وهو أحسن؛ فإنَّه لا يأتي فيه تكرار؛ لأنَّ النظر فيه إلى المتن لا يغير الاختلاف في صحابيه على الراوي بخلاف الأول.

❁ ومنها: مسند أبي داود: وهو سليمان بن داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ).

قيل: وهو أول من صنف في المسانيد، والذي حمل قائل هذا القول تقدم عصره على أعصار من صنف المسانيد، وظنَّ أنه هو الذي صنفها، وليس كذلك فإنه ليس من تصنيف أبي داود. ولأبي داود من الأحاديث التي لم تدخل هذا المسند قدره أو أكثر كما ذكره البقاعي في "حاشية الألفية".

ولأبي عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الإسفراييني النيسابوري المتوفى سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة.

ولأبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ). قال إسماعيل بن محمد التميمي: «**المسانيد كلها كالأنهار؛ ومسند أبي يعلى كالبحر فيكون مجمع الأنهار**»[١].

❁ ومنها: مسند أبي العباس السراج: محمد بن إسحاق بن إبراهيم، الحافظ النيسابوري، الحافظ النيسابوري (ت ٣١٣ هـ)، وهو على الأبواب، ذكره ابن حجر في المعجم.

❁ ومنها: مسند أبي هريرة: للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن حرب العسكري السمسار (ت ٢٨٢هـ).

١- تذكرة الحفاظ (٢/٢٠٠).

❁ ومنها: مسند الإمام أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي الحافظ، (ت ٢٧٧هـ).

قال ابن حزم: «روى فيه عن ألف وثلاثمائة صحابي ونيف، ورتبه على أبواب الفقه، فهو مسند، ومصنف ليس لأحد مثله»[1].

١- تحفة الأحوذي بشرحِ جامع الترمذي (المقدمة) (١/٧٤- ٧٧) باختصار. وفاته ذكر مسانيد مختصرة.



الفرق بين الأبواب والتراجم

ذكر الحاكم رحمه الله فائدة نفيسة في «المدخل إلى الإكليل» بقوله: «والفرق بين الأبواب والتراجم، أنَّ **التراجم** شرطها أن يقول المصنف: ذكر ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، ثمَّ يترجم على هذا المسند، فيقول: ذكر ما روى قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، [فحينئذٍ] فيلزمه أن يُخرِّج كل ما روي عن قيس، عن أبي بكر، صحيحاً كان أو سقيماً.

فأمَّا **مصنف الأبواب** فإنَّه يقول: ذكر ما صحَّ وثبت عن رسول الله ﷺ في أبواب الطهارة، أو الصلاة، أو غير ذلك من العبادات»[1].

١-المدخل إلى الإكليل (ص٦٤)، ونقله السخاوي في «فتح المغيث» (١٥٧/١).





الإمام أحمد محدثًا وفقيهًا

بلغ الإمام أحمد في العلم أطوريْهِ[١]، وحاز من الخير أجمعه وأكثره، وقد جرى على لسان بعض العلماء: كابن جرير الطبري، وابن حزم الظاهري[٢]، وابن عبد البر المالكي[٣]، والطحاوي، والغزالي، والدبوسي، والنسفي، أنَّ الإمام أحمد محدث فقط!

وهذا الكلام بتصوري قيل لأسبابٍ، منها:

(١) أنَّ الإمام بلغ مسنده الدنيا -الذي هو أكبر المسانيد المطبوعة والموجودة- من السمعة ما جعل البعض يظن أنَّه محدث صرفٌ فقط!.

بيد أنَّ هذا لا يمنع من كون أن يكون المحدث فقيهًا، وهل الفقه يقوم بدون أدلة الكتاب والسنة؟ كما قال أبو عروبة الحراني (ت ٣١٨هـ)[٤]: «الفقيه إذا لم يكن صاحب حديث، يكون أعرج»[٥].

وقال البخاري: سمعت علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) يقول: «التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم»[٦].

١- أي حَدَّيْه، يعني أوله وآخره، وكان أبو زيد يقول: «بلغ أطْوَرِيه -بكسر الراء- على معنى الجمع، أي أقْصَى حدوده ومنتهاه». ينظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٩٣/١)، وقيل: «عرف منه الأصول والفروع». «جمهرة الأمثال» (٢١٨/١).

٢- كما يظهر في صنيعه في كتابه المحلى، ومع ذلك أشاد بفقه الإمام أحمد وقدمه على غيره كما في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) -كما سيأتي-، وهل هذا الكتاب صنفه بعد المحلى أم قبل؟ الله أعلم.

٣- كصنيعه رحمه الله عليه في كتابه (الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رحمهم الله).

٤- الحسين بن أبي معشر محمد بن مودود الحراني.

٥- شرف أصحاب الحديث (ص٩٤).

٦- المحدث الفاصل (ص٣١٠) ومن طريقه: الخطيب في «الجامع» (١٦٣٤).

وقال عبد الملك بن حبيب، سمعت ابن الماجشون (ت ٢١٣هـ) يقول: كانوا يقولون: «لا يكون إمامًا في الفقه من لم يكن إمامًا في القرآن والآثار، ولا يكون إمامًا في الآثار من لم يكن إمامًا في الفقه»[١].

وقال الخطيب: «وليعلم أنَّ الإكثار من كتب الحديث وروايته لا يصير به الرجل فقيهًا، وإنَّما يتفقه باستنباط معانيه، وإنعام التفكير فيه»[٢].

وقد زجر السلف عن ترك تعلم العلمين، والاعتماد على واحدٍ دون الآخر، كما قال حمدان بن سهل (ت ٢٦٠هـ)[٣]: «لو كنت قاضيًا لحبست كلا الفريقين رجلاً يطلب الحديث ولا يطلب الفقه، ورجلاً يطلب الفقه ولا يطلب الحديث[٤]».

وقال أبو داود السجستاني: «أدركت من أهل الحديث من أدركت، لم يكن فيهم أحفظ للحديث، ولا أكثر جمعًا له من ابن معين، ولا أورع ولا أعرف بفقه الحديث من أحمد، وأعلمهم بعلله علي بن المديني، ورأيت إسحاق -على حفظه ومعرفته- يقدم أحمد بن حنبل، ويعترف له»[٥].

ولله در الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ): «ومن نظر بنظر الإنصاف، وغاص في بحار الفقه والأصول متجنِّبا الاعتساف، يعلم علمًا يقينيًا أن أكثر المسائل الفرعية والأصلية التي اختلف العلماء فيها، فمذهب المحَدِّثين

١- جامع بيان العلم (٨١٧/٢).

٢- الفقيه والمتفقه (١٥٩/٢).

٣- قال عنه ابن قُطْلُوبُغَا (ت ٨٧٩هـ) في «الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة» (٢٣/٤): «يروي عن: مكي بن إبراهيم، وأبي الوليد الطيالسي. روى عنه أهل بلده، كان ممن جَمَعَ وصَنَّفَ وحفظ وذاكر وقَمَع المخالفين وذَبَّ عمن انتحل السنن مع الورع الشديد والجهد الجهيد».

٤- ذم الكلام للهروي (٧٢/٢).

٥- سير أعلام النبلاء (٢١٨/١٣).



فيها أقوى من مذاهب غيرهم، وإنِّي كلَّما أسير في شِعب الاختلاف، أجد قول المحَدِّثين فيه قريبًا من الإنصاف فلِلَّه دَرُّهم، وعليه شكرهم، كيف لَا وَهُم وَرَثَةُ النبي ﷺ حقًا، ونُوَّابُ شرعه صدقًا، حَشَرَنا الله في زُمرتهم، وأماتنا على حُبِّهم وسيرتهم»[١].

(٢) أنَّ الإمام أحمد لم يصنِّف كتبًا في الفقه، وهذا لا يمنع كونه فقيهًا ولا ينفي عنه ذلك؛ لأنَّ مسائله وأقواله في الفقه مشهورة، والمسائل المروية عنه معلومة، وحاله كحال الإمام مالك رحمه الله ؛ بل زيادة على ذلك، قال ابن الجوزي: «وقد عرف فضل صاحبنا على مالك، فإنَّه حصل ما حصله مالك وزاد عليه كثيراً، وقد ذكرنا شاهد هذا باعتبار (المسند) و(الموطأ)»[٢].

ومن رأى المسائل المنقولة عن الإمام أحمد في الفقه، عَلِم أنه لا يُجارَى فيه، وبعض الجهلة الأغبياء يقولون: «إنَّه محدِّث، وإنَّه ليس بفقيه» وهذا جهلٌ وعِنادٌ منهم[٣].

ويكفي في ذلك قول نوح بن حبيب النرسي، قال: «رأيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل في مسجد الخيف في سنة ثمان وتسعين ومائة مستندًا إلى المنارة وجاءه أصحاب الحديث، وهو مستند فجعل يعلمهم الفقه والحديث، ويفتي لنا في المناسك»[٤].

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول: «ما أعلم في أصحابنا

١- إمام الكلام فيما يتعلقُ بالقراءة خلف الإمام (ص١٥٦).
٢- انظر: مناقب الإمام أحمد (ص٦٦٣) و«المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» (ص٤٤).
٣- ينظر: العطاء المعجَّل لابن المبرد (ص٢٣٥)، و«طبقات الحنابلة» (١/١٠).
٤- حلية الأولياء (٧/٣٠٣).

أسود الرَّأس أفقه مِن أحمدَ بنْ حنبْل»[١].

وقال: «ما رأيت مثل أحمد بن حنبل في فنون العلم»[٢].

قلت: وهذه الشهادة عندنا أجلُّ من شهادة من نفى، وهي شهادة في تفنن الإمام بالعلم، لا بفنٍّ واحد على حِدَة.

وقال أبو ثور: «أحمد أعلم -أو قال: أفقه- من الثوري»[٣].

وقال أحمد بن سعيد الدارمي (ت ٢٥٣هـ): «ما رأيتُ أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ، ولا أعلم بفقه ومعانيه من أبي عبد الله أحمد بن حنبل»[٤].

وقال أبو بكر الخلال: «كان أحمد قد كتب كُتُبَ الرَّأي وحفظها، ثمَّ لم يلتفت إليها»[٥].

وقال أحمد بن سلمة: قلت لأبي حاتم الرازي: أراك في الفتوى على قول أحمد وإسحاق، وعندك كتابُ الشافعي وكتابُ مالك والثوري وشرِيكٍ، فتركتَ هؤلاء كلَّهم وأقبلت إلى قول أحمد وإسحاق؟!

قال: «لا أعلمُ في دهرٍ ولا عصرٍ مثل هذين الرجلين؛ رحلا، وكتبا، وذكرا، وصنَّفا»[٦].

(٣) أنَّ الإمام الشافعي سمع منه، وكان عبد الله بن أحمد بن حنبل يحكي عن أبيه قال: قال لنا الشافعي: «أنتم أعلم بالحديث والرجال منِّي، فإذا كان

١- الجرح والتعديل (١/ ٢٩٤)، و«المقدمة» (ص٦٠٤).
٢- حلية الأولياء (٧/ ٣٠٤)، و(٧/ ٣١٠)، و«شرح علل الترمذي» (١/ ٢١٢).
٣- طبقات علماء الحديث (٢/ ٨٣).
٤- تاريخ بغداد (٦/ ٩٠) و«تاريخ دمشق» (٥/ ٢٩٠)، و«مغاني الأخيار» للعيني (١/ ٣٦).
٥- السير (١١/ ١٨٨).
٦- شرح علل الترمذي (١/ ٢١٢-٢١٣).



الحديث الصحيح فأعلموني إنْ شاء يكون كوفيًا أو بصريًا أو شاميًا، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحًا»[١].

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة، وقيل له: اختيار أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه أحبُّ إليك أم قول الشَّافعي؟

قال: «بل اختيارُ أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه أحبُّ إليَّ من قول الشافعيّ»[٢].

وقال أبو حاتم: وكان أحمد بارع الفهم بمعرفة الحديث: بصحيحه وسقيمه. وتعلَّم الشافعيُّ أشياءَ من معرفةِ الحديث منه، وكان الشافعي يقول لأحمد: حديث كذا وكذا قويُّ الإسنادِ محفوظ؟ فإذا قال: «نعم، جعله أصلاً وبنى عليه»[٣].

وقال ابن حزم: «فإن كان مالكيًا أو شافعيًا أو حنفيًا أو سفيانيًا أو أوزاعيًا قيل له: فقلد أحمد بن حنبل! فإنَّه أتى هؤلاء ورأى علمهم وعلم غيرهم وتعقب على جميعهم، ولا خلاف بين أحد من علماء أهل السنة أصحاب الحديث منهم وأصحاب الرأي في سعة علمه وتبحبحه في حديث النبي ﷺ وفتاوى الصحابة والتابعين، وفقهه، وفضله وورعه، وتحفظه في الفتيا»[٤].

(**٤**) أنَّ من ينفي ذلك عنه فعليه أن يحجب نور الشمس إن قدر، أو يخفي أقوال أهل العلم والفقه إن استطاع ذلك.

قال أحمد بن سلمة: سمعت ابن راهويه يقول: كنت أجالس أحمد وابن معين، ونتذاكر، فأقول: ما فقهه؟ ما تفسيره؟

١- المدخل إلى السنن الكبرى (ص١٧٠)، و«تذكرة السامع والمتكلم» (ص٥٩).
٢- الجرح والتعديل (١/٢٩٤)، وفيه نقص والمثبت من المقدمة المطبوعة (ص٦٠٤).
٣- شرح علل الترمذي (١/٢١٢).
٤- الإحكام في أصول الأحكام (٦/١٢١).

فيسكتون إلا أحمد[١].

وكيف يقدرون والإمام أحمد رحمه الله يقول: «يعجبني أن يكون الرجل فهمًا في الفقه»[٢].

وقال: «معرفة الحديث والفقه فيه أحب إلي من حفظه»[٣].

وقال حَرْمَلة بن يحيى: سمعت الشافعي يقول: «خرجت من بغداد وما خلفت بها أحدًا أورع ولا أتقى ولا أفقه -وأظنه قال: ولا أعلم- من أَحمد بن حنبل»[٤].

وقال عبد الله بن أبي زياد سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: انتهى العلم إلى أربعة: « إلى أحمد بن حنبل وهو أفقههم فيه، وإلى علي بن المديني وهو أعلمهم به، وإلى يحيى بن معين وهو أكتبهم له، وإلى أبي بكر بن أبي شيبة وهو أحفظهم له»[٥].

وذكر الحافظ ابن رجب في «الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة»: «وجماعةٌ عرضوا عليه مسائل مالك وفتاويه من الموطأ وغيره، فأجاب عنها. وقد نقل ذلك عنه حنبلُ وغيره.

وإسحاقُ بن منصور عرض عليه عامةَ مسائل الثوري، فأجاب عنها.

وكان أولاً قد كتب كُتب أصحاب أبي حنيفة وفهمها، وفهم مآخذهم في الفقه ومداركهم، وكان قد ناظر الشافعي وجالسه مُدّة وأخذ عنه.

١- السير (١١/١٨٨).
٢- الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/٦٧).
٣- منهاج السنة النبوية (٧/٤٢٨).
٤- تاريخ بغداد (٤/ ٤١٩)، و«تاريخ دمشق» (٥/٢٧٢)، و«السير» (١١/ ١٩٥)، و«طبقات الشافعية» (٢/ ٢٧)، و«تاريخ ابن الوردي» (٢/٢١٧).
٥- الجرح والتعديل (١/٢٩٣)، و«مقدمة الجرح والتعديل» (ص٦٠٢).



وشهد له الشافعيُّ رضي الله عنه تلك الشهادات العظيمة في الفقه والعلم، وأحمد مع هذا شاب لم يتكهل.

ومعلوم أنَّ من فهم علمَ هذه العلوم كلُّها وبرع فيها، فأسهلُ شيءٍ عنده معرفة الحوادث والجواب عنها، عَلَى قياس تلك الأصول المضبوطة والمآخذ المعروفة»[1].

وقال ابن عقيل: «من عجيب ما سمعته عن هؤلاء الأحداث الجهال أنَّهم يقولون: أحمد ليس بفقيه، لكنَّه محدث، وهذا غاية الجهل؛ لأنَّ له اختيارات بناها على الأحاديث بناء لا يعرفه أكثرهم، وربما زاد على كبارهم».

علق الحافظ الذهبي فقال: «أحسبهم يظنونه كان محدثًا وبس![2]؛ بل يتخيلونه من باب محدثي زماننا، ووالله لقد بلغ في الفقه خاصة رتبة الليث، ومالك، والشافعي، وأبي يوسف، وفي الزهد والورع رتبة الفضل، وإبراهيم بن أدهم، وفي الحفظ رتبة شعبة، ويحي القطان، وابن المديني، ولكن الجاهل لا يعلم رتبة نفسه، فكيف يعرف رتبة غيره»[3].

وقال الطبراني: كنَّا في مجلس بشر بن موسى يعني ابن صالح الأسدي ومعنا أبو العباس بن سريج الفقيه القاضي، فخاضوا في ذكر محمد بن جرير الطبري وأنَّه لم يدخل ذكر أحمد بن حنبل في كتابه الذي ألفه في اختلاف الفقهاء، فقال أبو

١- الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة (٤٧٤/١- ٤٧٥).

٢- قوله (بس) بمعنى: كفى وحسب. قال في "اللسان": (فارسية).

٣- سير أعلام النبلاء (٣٢١/١١)، و ينظر: «الواضح» لابن عقيل (٢١/٥- ٢٢)، قال الشيخ بكر رحمه الله في «المدخل المفصل» (٣٥٨/١-٣٥٩): «ومن الذين نعتوه بالفقه: أَبو عبيد القاسم بن سَلَّام، وأَبو ثور، وعبد الله بن المديني، وابن وارة، والنسائي، وصالح بن محمد جزرة، والبوشنجي، وأَبو زرعة الرازي، وإبراهيم بن خالد، وإسحاق ابن راهويه، ويحيى بن آدم، وإبراهيم الحربي، وأَبو حاتم الرازي، والعجلي، ويحيى بن معين، كل هؤلاء نعتوه بالفقه، ومنهم من فَضَّله على غيره، وأَلحقه بطبقة التابعين؛ بل منح لقب: (الإمام)، وقد سمى ابن الجوزي بعض من لقبوه بالإمام».

العباس بن سريج: وهل أصول الفقه إلا ما كان يحسنه أحمد بن حنبل؟ حفظ آثار رسول الله ﷺ والمعرفة بسنته واختلاف الصحابة والتابعين ﵃.

قلت: لم يبق بعدما ذكره ابن سريج رحمه الله تعالى سوى القياس والرأي، وإنما يرجع إليه حيث لا نص، وأحمد ﵁ قد أحاط علمه بالمنقول عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، فهو أجدر الأئمة بالصواب والله أعلم[١].

(٥) وقد يظنّ البعض أنَّ الإمام بلغ هذه المرتبة ليست لعلمه؛ بل لما حصل له من سمعة ومكانة في المحنة، وما المحنة إلا كمبرد نحت بها الذهب فزداد جمالًا ورونقًا، كما قال الخلال: سمعت أَبا القاسم بن الجُبُّلي- وكفاك به- يقول: «أكثرُ الناس يظنون أَن أَحمد بن حنبل إِنَّما كان أَكثر ذكره لموضع المِحنة، وليس هو كذاك، كان أَحمد بن حنبل إِذا سُئِلَ عن المسأَلة كأَنَّ علم الدنيا بين عَينيه»[٢].

(٦) قد يحمل البعض على القول بذلك التعصب المذهبي[٣]، فيجعل الإمام أحمد رحمه الله ضمن أصحاب المذهب فهو تبع لإمام سابق، لا صاحب مذهب وإمامة فيه، وهذا موجود في كتب التراجم بكثرة، وقد حصل أنَّ بعضهم

١- غذاء الألباب (١/٣٠٣).

٢- المناقب (ص٧٧).

٣- انظر: تبر المطالب في ذكر المختلف في نسبتهم إلى المذاهب لابن طولون الدمشقي (ت ٩٥٣هـ) نشر ضمن (مجلة مجموعة المخطوطات الإسلامية)، العدد (٣١و ٣٢) (ص٨٢- ١٠٣)، وذكر منهم: الشيخ أبو الحسن الأشعري، عدَّه من المالكية البدر بن فرحون في «طبقاته» لهم، وعدَّه من الشافعية التاجُ السبكي في «طبقاته» لهم، وتبعه التقي الأسدي في «طبقاته»، ومن الحنفية المحيوي عبد القادر بن أبي الوفاء في «طبقاته» لهم، وتبعه الجمالي ابن المبرد الحنبلي أحد شيوخنا في كتابه «تنوير الصحيفة بمناقب أبي حنيفة».
ثمَّ قال: (التحقيق أنَّه لم ينتسب إلى مذهب).

جعل من الإمام البخاري حنبليًا[١].

وبينت وجه الخطأ في ذلك في كتاب «إبهاج الطالبين» المصنَّف في ألقاب المحدثين، ولا نشك أنَّه قد يكون من هذا القبيل.

(٧) ويزيد الأمر يقنيًا نقول الإمام الترمذي النقول الكثيرة من فقه الإمام أحمد عقب ذكره لأحاديث رواها في "سننه" مع مقارنته بفقه أئمة معتبرين، وهذا يفيد التسوية في أقل الأحوالِ، وأنَّ الإمام رحمه الله من جملة هؤلاء الفقهاء العارفين، ومن تلك النقول: قول أحمد بن حنبل: «إنَّما الرخصة من النبي ﷺ في استدبار القبلة بغائط أو بول، فأمَّا استقبال القبلة فلا يستقبلها، كأنَّه لم ير في الصحراء ولا في الكُنف أن يستقبل القبلة»[٢].

وقال نقلًا عنه: «إذا استيقظ من الليل فأدخل يده في وضوءه قبل أن يغسلها فأعجب إليَّ أن يهريق الماء»[٣].

وقال: وقال بعض أهل العلم منهم عطاء بن أبي رباح: «أقل الحيض يوم وليلة، وأكثره خمسة عشر»، وهو قول مالك، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد،

١- وجدت في (تبر المطالب في ذكر المختلف في نسبتهم إلى المذاهب) (ص٩٧) صحة ما ذهبت إليه في نفي كون البخاري حنبليًا، وطبع الكتاب ولم أكن قد وقفت على هذا المبحث، فالله الحمد والمنّة، وفي هذا يقول ابن طولون: أبو عبد الله البخاري، عدَّه من الحنابلة القاضي أبو يعلى في «طبقاته» لهم، وتبعه برهان الدين ابن مفلح في «طبقاته» لهم، ومن الشافعيَّة التَّاج السبكي في «طبقاته» لهم، وتبعه التقي الأسدي في «طبقاته» أهـ.
أضاف المحقق: وابن المبرد الحنبلي -شيخ المؤلف- في «إرشاد السالك إلى مناقب مالك» (ص٦٦٨)، وفيه: «كل أهل مذهب ذكروه من أصحابهم) ثمَّ ذكر سبب إيرادهم له، وفي (الدرر الكبير في مناقب الشافعيَّة» له: (وقد ذكر القاضي أبو الحسين وغيره البخاري من أصحاب الإمام، وهذا منهم -أي الشافعية- ومنَّا -أي الحنابلة- ليس هو بوجه؛ فإنَّ البخاري كان من الأئمة، ولا ينسب إلى مذهب، بل هو صاحب مذهب رضي الله عنه).
٢- عقب حديث رقم (٨).
٣- عقب الحديث رقم (٢٤).

وإسحاق، وأبي عبيد[١].

وقال: قال أحمد بن حنبل: وقول النبي ﷺ: «لا يؤم الرجل في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته في بيته إلا بإذنه»، فإذا أذن فأرجو أن الإذن في الكل، ولم ير به بأسًا إذا أذن له أن يصلي به[٢].

وقال عن حديث معاذ ﷺ: «أنَّ النَّبي ﷺ جمع في غزوة تبوك بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء». وبهذا الحديث يقول الشافعي، وأحمد، وإسحاق، يقولان: «لا بأس أن يجمع بين الصلاتين في السفر في وقت إحداهما»[٣].

وقال الترمذي عن حديث: «ديَّة عقل الكافر نصف ديَّة عقل المؤمن».

قال عمر بن عبد العزيز: دية اليهودي والنصراني نصف دية المسلم، وبهذا يقول أحمد بن حنبل[٤].

- ولنختم بما قاله ابن القيم ﷺ: «وجمع الخَلَّالُ نصوصه في "الجامع الكبير" فبلغ نحو عشرين سِفْرًا أو أكثر، ورُويت فتاويه ومسائله وحُدِّثَ بها قرنًا بعد قرن، فصارت إمامًا وقدوة لأهل السنة على اختلاف طبقاتهم، حتى إن المخالفين لمذهبه بالاجتهاد والمقلِّدين لغيره لَيُعَظِّمونَ نصوصَه وفتاواه، ويعرفون لها حقها وقربها من النصوص وفتاوى الصحابة، ومن تأَمَّلَ فتواه وفتاوى الصحابة رأى مُطابقة كل منهما للأخرى، ورأى الجميع كأنها تخرج من مِشْكاة واحدة، حتى

١- عقب حديث رقم (١٢٨).

٢- عقب الحديث (٢٣٥).

٣- الحديث رقم (٥٥٤).

٤- الحديث رقم (١٤١٣)، وقال: روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنَّه قال: دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم، ودية المجوسي ثمانمائة درهم، وبهذا يقول مالك بن أنس، والشافعي، وإسحاق، وقال بعض أهل العلم: دية اليهودي والنصراني مثل دية المسلم، وهو قول سفيان الثوري، وأهل الكوفة.



إن الصحابة إذا اختلفوا على قولين جاء عنه في المسألة روايتان، وكان تَحَرِّيه لفتاوى الصحابة كتحري أصحابه لفتاويه ونصوصه، بل أعظم، حتى إنه لَيُقَدِّمُ فتاواهم على الحديث المرسل..»[١]. فهذا الذي ذكرنا على وجه الاختصار يدل المتأمل على فقه الإمام، وعلو كعبه وترأسه في الفقه، ويجعله ينظر للإمام بعين الإنصاف.

١- إعلام الموقعين (٤٩/٢)، ولعل من يبتغي الفائدة ينظر في: «المناقب» لابن الجوزي (الباب التاسع: في بَيان غزارة علمه وقوة فهمه وفقهه) (ص٧٧-٨٢)، و«المدخل المفصل» (/٣٥٦-٣٦٨).



الإمام أحمد ومنزلته عند أصحاب كتب السنة[١]

قال أبو جعفر محمود بن عمرو العقيلي (ت ٣٢٢هـ): «لما أَلَّف البخاري كتاب الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وغيرهم فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث؟».

قال العقيلي: «والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة»[٢].

وقال الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ): «ليس كل شيءٍ عندي صحيح وضعته هاهنا، إنَّما وضعت ما أجمعوا عليه»[٣].

قال البُلقيني (ت ٨٠٥هـ): قيل: أراد مسلم إجماع أربعة: «أحمد بن حنبل، وابن معين، وعثمان بن أبي شيبة، وسعيد بن منصور الخراساني»[٤].

وقال الحافظ ابن حجر: «وقد شارك الشافعي في أكثر شيوخه، وأكثر عنه مسلم وأبو داود، وأما البخاري فكأنَّه لم يلقه إلا بعد أن امتنع من التحديث، فما أخرج عنه إلا شيئًا يسيرًا، وأخرج عنه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وابن خزيمة بواسطة»[٥].

١- قال إِبراهِيم الحربي: «كلُّ شيءٍ أقول لكم هذا قول أصحاب الحديث فهو قول أَحْمَد بن حنبل، هو ألقى فِي قلوبنا منذ كنَّا غلمانا أتباع حديث النبي ﷺ، وأقاويلَ الصحابة، والاقتداء بالتابعين» ذيل طبقات الحنابلة (١/٩٢).

٢- فتح الباري لابن حجر (المقدمة) (١/١١) ط: الدار العالمية، وفي صحتها نظر، والله أعلم.

٣- تدريب الرواي (١/١٣٢).

٤- محاسن الاصطلاح (ص٩١).

٥- توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس (ص٧٧) ط: ابن حزم.

قلت: ومن تلك الروايات لأصحاب السنن: في سنن ابن ماجه حديث رقم (٣٨٨) «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته»، و(١٤٦٥) «وارأساه. فقال: بل أنا- يا عائشة- وارأساه»، و(١٥٣١) «صلى على قبر بعدما قبر».

وللنسائي في «الكبرى» رقم (١٠٣٢) من طريق أحمد بسندهِ عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة، عن أبيه، قال: «قرأ رسول الله ﷺ، بمكة سورة النجم، فسجد وسجد من عنده، فرفعت رأسي وأبيت

وقال الذهبي: «حدَّث عنه: البخاري حديثًا، وعن أحمد بن الحسن عنه حديثًا آخر في (المغازي).

وحدَّث عنه: مسلم، وأبو داود بجملةٍ وافرة.

وروى: أبو داود، والنَّسائي، والترمذي، وابن ماجه، عن رجلٍ، عنه»[١].

وقال أبو داود السجستاني: «ما في كتاب السننِ حديث إلا وقد عرضته على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين»[٢].

وقيل: «كان سفيان الثوري يشبه بمنصور، وكان وكيع يشبه بسفيان، وكان أحمد يشبه بوكيع، وكان أبو داود يشبه بأحمد»[٣].

أن أسجد، ولم يكن يومئذ أسلم المطلب».

وحديث رقم (١٧٦١) «إنَّ في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه».

و(٢٠٢٣) «ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها».

و(٢٥٧٣) «من صام يومًا في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفا».

و(٣٠٦٥) «لا يمتنع من شيء من وجهي وهو صائم».

و(٣٦٨٤) «خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نرى إلا أنَّه الحج».

و(٤٥٢٠) «من قتل عصفورا عبثًا عجَّ إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة».

و(٥٠٧٣) و(٦٧٨٣) «كل مسكر حرام وكل مسكر خمر» وقال عقبه: قال الحسين بن منصور- شيخه-: قال أحمد بن حنبل: «وهذا حديث صحيح».

و(٦٧٤٧) و(٦٧٤٩) «حرمت الخمر بعينها، قليلها وكثيرها، والمسكر من كل شراب».

و(٧٣٢٤) عن صفوان بن أمية، أنَّ رجلًا، سرق بردة فرفعه إلى النبي ﷺ: فأمر بقطعه قال: يا رسول الله، قد تجاوزت عنه قال: «فلولا كان هذا قبل أن تأتيني به يا أبا وهب فقطعه رسول الله ﷺ».

و(١٠٢٣٣) «إنَّ في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه إيَّاه».

و(١٠٦٥٥) قال: إنَّ أبا بكر خطبنا فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قام فينا عام الأول فقال: «ألا إنَّه لم يقسم بين الناس شيء أفضل من المعافاة بعد اليقين، ألا إنَّ الصدق والبر في الجنة، ألا إنَّ الكذب والفجور في النار».

١- السير (١١/١٨١).

٢- توضيح الأفكار للصنعاني (١/٦٣).

٣- تاريخ دمشق (٢٢/١٩٩).



اشتهر الإمام أبو داود بملازمة الإمام أحمد ملازمة شديدة حتى إنَّه يُعد من كبار أصحاب الإمام أحمد، وهو الذي وجَّه إليه عددًا من السؤالات سواءً الجرح والتعديل أو في الأحكام، وقد طبعت السؤالات التي وجهها للإمام أحمد في الجرح والتعديل، كما أنَّ سؤالاته التي وجهها للإمام أحمد في الأحكام المشهورة.

وقد روى عن الإمام أحمد في كتابه السنن نحو عشرين ومئتي حديث، وهذا عددٌ كثير إذا ما قورن بحوالي أربعة آلاف حديث يخرجها أبو داود عن نحو ثلاثمائة شيخ.

وكان يقول: «دخلت على أبي عبد الله منزله ما لا أحصيه».

وقد ألَّف كتابه السنن في حياة شيخه الإمام أحمد رحمه الله، وعرضه عليه، فاستجاده الإمام أحمد رحمه الله، وأستحسنه[١].

قال أبو داود: «رأيت مائتي شيخ من مشايخ العلم فما رأيت مثل أحمد بن حنبل، لم يخض في شيء ممَّا يخوض فيه الناس، فإذا ذكر العلم تكلم»[٢].

وحدث عنه: أبو عيسى في (جامعه)، والنسائي فيما قيل، وغيرهم[٣].

١- انظر: مناهج المحدثين للحميد (ص٦٥) ط: دار علوم السنة.

٢- غذاء الألباب (١/٣٠٢).

٣- السير (١٣/٢٠٥)، وقال أيضًا (١٣/٢٠٧): «وقد روى النسائي في (سننه) مواضع يقول: حدثنا أبو داود، حدثنا سليمان بن حرب، وحدثنا النفيلي، وحدثنا عبد العزيز بن يحيى المدني، وعلي بن المديني، وعمرو بن عون، ومسلم بن إبراهيم، وأبو الوليد، فالظاهر أن أبا داود في كل الأماكن هو السجستاني، فإنه معروف بالرواية عن السبعة، لكن شاركه أبو داود سليمان بن سيف الحراني في الرواية عن بعضهم، والنسائي فمكثر عن الحراني.

وقد روى النسائي في كتاب (الكنى)، عن سليمان بن الأشعث، ولم يكنه».

وقال (١٣/٢١١): سمع منه: أحمد بن حنبل حديثًا واحدًا، كان أبو داود يذكره.

قلت: هو حديث أبي داود، عن محمد بن عمرو الرازي، عن عبد الرحمن بن قيس، عن حماد بن سلمة، عن أبي العشراء: عن أبيه: أنَّ النبي ﷺ سئل عن العتيرة، فحسنها.

وهذا حديث منكر، تكلم في ابن قيس من أجله، وإنَّما المحفوظ عند حماد بهذا السند حديث: (أما

(فرع): قال السخاوي: «فإنْ قيل: فلم أكثر أحمد في مسندهِ من الرواية عن ابن مهدي، ويحيى بن سعيد حيث أورد حديث مالك؟ ولم لم يخرج البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الأصول ما أوردوه من حديث مالك من جهة الشافعي عنه؟

أمكن أن يقال عن أحمد بخصوصه: لعلَّ جمعه المسند كان قبل سماعه من الشافعي.

وأمَّا من عداه فلطلب العلو، وقد أوردت في هذا الموضع من النكت أشياء مهمة»[١].

تكون الذكاة إلا من اللبة).

١- فتح المغيث (٣٣/١).

نماذج عطرة في العلاقة الأخوية والعلميَّة بين الإمام الشافعي والإمام أحمد رحمهما الله

كان بين الإمام أحمد والإمام الشافعي علاقة وثيقة قائمة على المحبة والاحترام، والتواضع، ولين الجانب، ووثَّق هذه العلاقة وجود قواسم مشتركة وهي: (العلم، والحرص على السنَّة، والعقيدة الواحدة، والغيرة على الدين، والتربية التي نالها كل منهما رحمه الله عليهما)[١]، وغير ذلك من القواسم التي ترى في ثنايا هذه الكتاب المختصر -وغيرها من الكتب-، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وموافقته -أي أحمد- للشافعي، وإسحاق، أكثر من موافقته لغيرهما، وأصوله بأصولهما أَشبه منها بأصول غيرهما، وكان يُثني عليهما، ويُعظمهما، ويُرجح أصول مذهبهما على من ليست أصول مذهبه كأصول مذهبهما، ومذهبه: أَنَّ أصول فقهاء الحديث أَصح من أصول غيرهم، والشافعي وإسحاق، هما عنده من أَجل فقهاء الحديث في عصرهما، وجمع بينهما في مسجد الخيف، فتناظرا في مسألة إجارة بيوت مكَّة»[٢]. وسوف أبين بعضًا من ذلك بالدليل الصريح

١- فإنَّ طالب العلم الذي أُدب عند شيوخه وتأدب في بيته، تكون علاقته مع إخوانه ومشايخه مباركة وطيبة فيها من التواضع والرحمة الشيء العجيب، نسأل الله من فضله.

٢- الفتاوى (١١٣/٣٤) انظر الكلام على هذه المسألة في الكتاب، قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في «المدخل المفصل» (٣٧٠/١-٣٧١): «ثمَّ إنَّ هذين الإمامين يشتركان في خدمة الحديث الشريف وفقهه، ممَّا صار له الأَثر على فقههما، وتلاقي فُهُوْمِهِمَا في الاستنباط والتعليل، وصار له أَثر على أتباعهما في خدمة السنة النبوية؛ ولهذا برزَ في كلا المذهبين أَعلام على قدم الإمامة في علم الحديث.
فمن الشافعية: الخطيب، والنووي، وابن كثير والذهبي، وابن حجر.
ومن الحنابلة: عبد الغني بن سرور المقدسي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الهادي.
وكان من أَثر الفقه الشافعي بالفقه الحنبلي، سلوك بعض الأصحاب طريقة بعض الشافعية في صناعة التأليف في الفقه، وذلك من لدن أَول متن في المذهب: «مختصر الخِرَقي»؛ إذ أَلَّفهُ على طريقة المزني في «مختصره» كما في الفتاوى (٤٥٠/٤).
وهكذا من سار على طريقة الخرقي وترتيبه من الأصحاب. وهذا الفخر ابن تيمية ت سنة (٦٢٢ هـ)

بعون الله[١].

قال الإمام أحمد ﷺ : «كنت سمعت الموطأ من بضعة عشر نفساً من حفاظ أصحاب مالك[٢]، فأعدته على الشافعي؛ لأنيَّ وجدته أقومهم به»[٣].

ﷺ له: «تخليص المطلب»، و «ترغيب القاصد»، و«بلغة الساغب ... وهذه الثلاثة على طريقة الغزالي الشافعي في: «البسيط»، و «الوسيط»، و «الوجيز».

وهذا العلاَّمة المرداوي (ت ٨٨٥ هـ) جرى في كتابه: «الإنصاف» على طريقة ابن قاضي عجلون في تصحيحه لمنهاج النووي وغيره من كتب التصحيح.

ومنه: أَنَّ يحيى بن يحيى الأَزجي ت بعد سنة (٦٠٠ هـ) في كتابه: «نهاية المطلب في علم المذهب» حذا فيه حذو «نهاية المطلب» لإمام الحرمين الجويني الشافعي، كما في: «ذيل الطبقات» وقد فرح بعضهم بهذا التقارب بين المذهبين، فادَّعى أَنه لا حاجة لمذهب الإمام أَحمد؛ لعدم وجود خلاف بينهما إلا في مسائل قليلة نحو ست عشرة مسألة؟

وقد ذكر هذه الدعوى الشيخ يوسف بن عبد الهادي الحنبلي (ت ٩٠٩ هـ) رحمه الله تعالى- في كتابه. «مناقب الإمام أَحمد» ورد عليها فيه، ثم أَفرد كتابًا لنقضها باسم: «قرة العين فيما حصل من الاتفاق والاختلاف بين المذهبين».

ولم يقدر لنا الاطلاع على الكتابين، لكن الشيخ أحمد بن محمد المنقور التميمي (ت ١١٢٥ هـ) ﷺ ذكر في مجموعه: «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» الإشارة الى ذلك، ونقل كلام ابن عبد الهادي الآتي ذكره في كتب المفردات من الباب العاشر».

١- وصنيع الترمذي في سننه فإنَّه يذكر بعد الحديث النبوي أقوال الفقهاء، وغالبًا ما يبدأ بالشافعي ثمَّ يثني بالإمام أحمد.

٢- وقال ﷺ عن الموطأ: «ما أحسنه لمن تَدَيَّنَ به» كما في «تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك» للسيوطي (ص٥٦)، وقال ﷺ كما في «الجرح والتعديل» (١/١٦): «إذ لم يكن في الحديث إلا الرأي، فرأي مالك»، وفي «المصدر نفسه» عن عبد السلام بن عاصم قال: قلت لأحمد بن حنبل: «يا أبا عبد الله رجل يحب أن يحفظ حديث. فقال: يحفظ حديث مالك».

وقد وقع ذلك من الإمام أحمد ﷺ في مراتٍ ينصح بها بكتب أهل العلم، وهذا دليل على صفاء النية، وطهر الطوية، فإنَّ الحسد من أخطر أمراضِ القلوبِ التي تصيب العلماء، كما قال أبو الفرج ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (ص٣٠): « تأملت التحاسد بين العلماء، فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإنَّ علماء الآخرة يتوادون، ولا يتحاسدون: كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا**﴾ [الحشر: ٩]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحشر: ١٠]»، ومن ذلك ما جاء في «تاريخ الإسلام» (٤/١٢٣٠) قال: «عليكم بمصنفات وكيع».

٣- الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/٢٣١).

وذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) في «طبقات أصحاب الشافعي البغداديين»، عن الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني قال: «ما قرأت على الشافعي حرفًا، إلا وأحمد حاضر، ولا ذهبت إلى الشافعي مجلسًا إلا وجدت أحمد فيه»[١].

وقال أبو داود: «ما رأيت أحمد بن حنبل يميل إلى أحد ميله إلى الشافعي»[٢].

وقال ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) عن الزعفراني (ت ٢٦٠هـ) تلميذ الإمام الشافعي: «ينسب إلى الزعفرانية قرية بالسوادِ، وكان أحمد وأبو ثور يحضرانِ عند الشافعي، وكان الزعفراني هو الذي يتولى لهم القراءة»[٣].

وقال عن حديث: «إنَّ الله عز وجل يبعثُ لهذه الأمَّة على رأسِ كلِّ مائة سنةٍ من يجدِّد لها دينها» «كان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وفي الثانية الإمام الشافعي رضي الله عنهما»[٤].

وقال لمحمد بن فزارة الرازي: «إنْ كنتَ لا بدَّ كاتبًا للرأي فاكتب رأي الشافعي، وعليك بالبويطي فاسمعه منه، فإن فاتك فأبو الوليد بن أبي الجارود بمكة»[٥].

وقال: «صاحبُ الحديثِ لا يشبعُ من كتبِ الشافعي»[٦].

١- طبقات الشافعيين لابن كثير الدمشقي (ص١٠٨- ١٠٩).
٢- تاريخ بغداد (٢/٤٠٤).
٣- توالي التأنيس (ص٨١)، وينظر: «المقصد الأرشد» (٢/٥)، قلت: وهذه (فائدة أذكرها) يسرُّ لها قلب طالب العلم، ذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/٤٢١)، عن محمد بْنِ الصباح الزعفراني، قَالَ: «لما قرأت كتاب الرسالة عَلَى الشافعي، قَالَ لي: من أي العرب أنت؟
فقلت: ما أنا بعربي، وما أنا إلا من قرية يقال لها: الزعفرانيَّة.
فقَالَ لي: فأنت سيد هذه القرية!» فتأمل!.
٤- فتاوى ابن الصلاح (١/١٣٠) ط: دار المعرفة.
٥- الانتقاء لابن عبد البر (ص٧٦).
٦- بيان خطأ من أخطأ على الشافعي للبيهقي (ص١٠١)، وقد وقع الحث من جماعة من أهل الحديث على كتابة كتب الشافعي والوصية بها، ومن ذلك:

(١) كما جاء في «توالي التأنيس» (ص١٣٣)، قال علي بن المديني لابن المبارك، وقد ذكر مسألة: «عليكم بكتب الشافعي».

(٢) وفي «تهذيب الأسماء واللغات» (١/٦٠)، قال محمد بن علي المديني: قال لي أبي: «لا تترك حرفًا للشافعي إلا كتبته».

(٣) وفي «توالي التأنيس» (ص١٢٤)، وفي «مقدمة الرسالة» بقلم الشيخ أحمد شاكر (ص٤) ط: دار الحديث، قال عبد الرحمن بن مهدي: «لما نظرت "الرسالة" للشافعي أذهلتني، لأنني رأيت كلام رجل عاقل فصيح ناصح، فإنِّي لأكثر الدعاء له».

وفي «تاريخ بغداد» (٢/٤٠٤): «كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابًا فيه معاني القرآن، ويجمع عيون الأخبار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة. فوضع له كتاب الرسالة».

وفي «مرآة الجنان» (٢/١٥) قال عبد الرحمن: «ما ظننت أنَّ الله خلق مثل هذا الرجل، قلت: يعني من أئمة العلماء».

(٤) وفي «المناقب» للبيهقي (١/٢٦٩)، قال الربيع بن سليمان: «جاءني القاسم بن سلاَّم فأخذ منِّي كتب الشافعي فنسخها».

(٥) وفي «تاريخ بغداد» (٢/٤٠٤) كان الحميدي إذا جرى عنده ذكر الشافعي، يقول: «حدثنا سيد الفقهاء الشافعي».

(٦) وفي «مناقب الإمام الشافعي» للآبري (ص٩٢) عن سعيد بن عمرو البرذعي قال: وردت الري فدخلت على أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، وأخبرته بقول أحمد بن حنبل فقلت: يا أبا زرعة سمعت حميد بن الربيع يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «ما أعلم أحداً أعظم منةً على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي».

فقال أبو زرعة: «صدق أحمد بن حنبل، ما أعلم أحداً أعظم منةً على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي، ولا أحداً ذبَّ عن سنن رسول الله ﷺ مثل ما ذبَّ الشافعي، ولا أحداً كشف عن سوءات القوم كشفه».

(٧) وفي «المجموع شرح المهذب» (١/١٠) قال محمد بن الحسن رحمه الله: «إن تكلم أصحاب الحديث يومًا ما فبلسان الشافعي يعني لما وضع من كتبه».

(٨) وفي «معجم الأدباء» (٦/٢٤٠٤) عن أبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي قال: كنت من أصحاب محمد بن الحسن، فلما قدم الشافعي علينا جئته إلى مجلسه شبه المستهزىء فسألته عن مسألة من الدور فلم يجبني وقال لي: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ قلت: هكذا، قال لي: أخطأت، فقلت: كيف أصنع؟ فقال: حدثني ابن عيينة، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه أنَّ النبي ﷺ: «كان يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع وإذا رفع». قال أبو ثور: فوقع في قلبي من ذاك فجعلت أزيد في المجيء إلى الشافعي وأقصّر في الاختلاف إلى محمد بن الحسن، فقال لي ابن الحسن يومًا: يا أبا ثور أحسب هذا الحجازيّ قد غلب عليك، قال قلت: أجل، الحقّ معه، قال: وكيف ذاك؟ قال فقلت: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ فأجابني على نحوِ ما أجبت الشافعي، فقلت: أخطأت، قال: كيف أصنع؟ قلت: حدثني الشافعي: عن ابن عيينة، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، أنّ النبي ﷺ «كان يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع وإذا رفع». قال أبو ثور: فلمَّا كان بعد شهر قال: يا أبا ثور خذ مسألتك في الدور فإنَّما

وقال: «عليك بالشافعي؛ فإنَّه أكثرهم صواباً أو أتبعُهم للآثار»[١].

وقال: «إنَّ الله يُقيِّض للنَّاسِ على رأس كل مائة سنة من يعلِّمهم السنن»[٢].

وقال: «لولا الشافعيُّ ما عرفنا فقهَ الحديث»[٣].

وقال: «ما عرفتُ ناسخَ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي»[٤].

وقال: «ما أحدٌ من أصحابِ الحديثِ حمل محبرةً إلا وللشافعيّ عليه منَّة»[٥].

وقال: «كان الفقهُ قفلاً على أهلهِ حتَّى فتحهَ الله بالشافعي»[٦].

وقال: «ما كان أصحاب الحديث يعرفون معاني أحاديث رسول الله ﷺ فبينها لهم»[٧].

وذُكِر الشافعي عنده، فقال: «لقد كان يذبُّ عن الآثار رحمه الله»[٨].

وسُئِلَ عن الشافعي، فقال: «حديثٌ صحيح، ورأي صحيح»[٩].

وقال: «ما رأيتُ أتبع للأثر من الشافعي»[١٠].

منعني أن أجيبك يومئذ لأنَّك كنت متعنّتا. وغير ذلك ممَّا هو موجود في بطون الكتب، والمذكور هنا يفيدنا بأنَّ كتب الشافعي كانت له مكانة عند علماء الأمة في العمومِ، وعند أصحاب الحديث على وجه الخصوصِ.

١- المناقب للبيهقي (٢٦٣/١).
٢- بحر الدم (١١/٢).
٣- تاريخ دمشق (٣٤٥/٥١).
٤- تاريخ ابن الوردي (٢٠٦/١).
٥- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر (ص٧٦) ط: العلمية.
٦- توالي التأنيس (ص١٣١).
٧- انظر: مناقب الشافعي (٣٠١/١)، و«تاريخ دمشق» (٣٤٥/٥١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٦١/١)، ومقدمة الشيخ أحمد شاكر لكتاب الرسالة» (ص٧) ط: الدار العالمية، و«معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة» (ص٢٧) ط: ابن الجوزي.
٨- تاريخ دمشق (٣٤٥/٥١).
٩- تاريخ بغداد (٥٧٣/١٥).
١٠- ذم الكلام للهروي (١٥/٣).

وقال إسحاق بن إبراهيم: كنَّا بمكة، والشافعي، بها، وأحمد بن حنبل.

قال: وكان أحمد يجالس الشافعي، وكنت لا أجالسه، فقال لي أحمد: يا أبا يعقوب، مُرَّ، جالس هذا الرجل. فقلت له: ما أصنع به؟ سنه قريب من سننا، أترك ابن عيينة والمِقبُرِيّ وهؤلاء المشايخ؟! فقال أحمد: «ويحك، إن هذا يفوت، وذاك لا يفوت»(١).

وقال: «كان الفقهاء أطباء، والمحدثون صيادلة؛ فجاء محمد بن إدريس الشافعي طبيبًا صيدلانيًا، ما مقلت العيون مثله أبدًا»(٢).

وقال: «ما أحسبُ أحدًا من بعد أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين أشدَّ اتباعًا لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من الشافعي»(٣).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي أحمد بن حنبل: يا أبة، أي رجل كان الشافعي؟ فإنِّي أسمعك كثيرًا تذكره، وتدعو له.

قال: «يا بنيَّ، كان الشافعي كالعافية للنَّاسِ، وكالشمسِ للدنيا، فانظر هل لهذين من عوض؟ أو منهما خلف»(٤).

وقيل لأحمد بن حنبل: إنَّ يحيى بن معين يتكلم في الشافعي!

فقال أحمد: «ومن أين يعرف يحيى الشافعي؟! هو لا يعرف الشافعي ولا يعرف ما يقول الشافعي؟ أو نحو هذا، ومن جهل شيئًا عاداه».

قال ابن عبد البر: «صدق أحمد بن حنبل رحمه الله، إنَّ ابن معين كان لا يعرف

١- مناقب الشافعي (١/٢١٣).

٢- تاريخ دمشق (ترجمة: الشافعي) (٥١/٣٣٤).

٣- الطيوريات (١/٦٥).

٤- كتاب تاريخ دنيسر لأبي حفص عمر بن الخضر بن اللمش (ص١٢١) ط: دار البشائر.

ما يقول الشافعي ﵀»[١].

وعن عبد الله بن محمد بن زياد قال: سمعت الميموني بالرقة، يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «ستة أدعو لهم سحراً أحدهم الشافعي»[٢].

وقال: «إنَّ الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة، واختلاف النَّاس، والمعاني، والفقه»[٣].

وقال: «إذا سُئِلتُ عن مسألةٍ لا أعلمُ فيها خبرًا، قلت: فيها يقول الشافعي؛ لأنَّه عالم قريش»[٤].

وقال: «إنِّي لأدعو الله للشافعي في صلاتي منذ أربعين سنة»، أقول: «اللهم اغفر لي ولوالديّ ولمحمد بن إدريس الشافعي؛ فما كان منهم أتبع لحديث رسول الله ﷺ منه»[٥].

١- جامع بيان العلم «باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض» (٢١٧٩)، وهذا الكلام في ثبوته ضعف، بل هناك من أنكره، كما ذكره ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٣١/٩).
قال الحاكم: «تتبعنا التواريخ وسواد الحكايات عن يحيى بن معين فلم نجد في رواية واحد منهم طعنًا على الشافعي، ولعل من حكي عنه غيَّر ذلك قليل المبالاة بالوضع على يحيى».
وقيل: أنَّ يحيى طعن في رجل يقاله الشافعي هو غير الإمام محمد بن إدريس الشافعي، كما قاله السبكي في «قاعدة الجرح والتعديل» (ص٢٤) «وقد قيل: أنَّ ابن معين لم يرد الشافعي، وإنَّما أراد ابن عمه كما سنحكيه إن شاء الله تعالى في ترجمة الأستاذ أبي منصور وبتقدير إرادته»، وقد أغلظ السبكي عفا الله عنه في الحديث على ابن معين.
وردَّ الذهبي﵀، وتكلم مثنياً على أبي عبد الله الشافعي كما في «سير أعلام النبلاء» كما في ترجمته له (٧٦/١٩).
٢- انظر: تاريخ بغداد (٦٦/٢)، وهو في «صيد الخاطر» (ص٣٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٣٢/١٩).
٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعي (١٥/٢)، و«توالي التأنيس» (ص١٣١-١٣٢).
٤- طبقات الشافعية الكبرى (٢٠٠/١).
٥- المناقب (٢٥٤/٢)، ومثله: قول يحيى بن سعيد القطان إمام المحدثين في زمانه: «أنا أدعوا الله للشافعي في صلاتي من أربع سنين» كما في «أحكام القرآن» للبيهقي (٩/١)، وبنحوهِ في «مناقبه» للبيهقي (٣٢/١)، و«تنوير بصائر المقلدين» لمرعي الكرمي (٢٠٩/٩).

قال المَيْمُوني: سمعت أحمد بن حنبل، يقول لأبي عثمان بن الشافعي: «إنِّي لَأُحِبُّك لثلاثِ خِلال: أنَّك رجل من قريش، وأنَّك ابن أبي عبد الله، وأنَّك من أهلِ السنَّةِ»[١].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل يحكي عن أبيه قال: قال لنا الشافعي: «أنتم أعلم بالحديث والرجال منِّي، فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني إنَّ شاء يكون كوفيًا أو بصريًا أو شاميًا، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحًا»[٢].

قال البيهقي (ت ٤٥٨هـ) مُعلقًا: «وهذا لأنَّ أحمد بن حنبل كان من أهل العراق، فكان أعلم برجالها من الذي لم يكن من أهلها، وكان أحمد عند الشافعي من أهلها، وكان أحمد عند الشافعي من أهل العلم بمعرفة الرجال فكان يرجع إلى قوله فيهم»[٣].

وقال عبد الله: «كل شيء في كتاب الشافعي: حدثنا الثقة، فهو عن أبي»[٤].

١- مناقب الشافعي للبيهقي (٧٧/١)، و«توالي التأنيس» لابن حجر (ص٤٥).
٢- المدخل إلى السنن الكبرى (ص١٧٠)، وهو في «الحلية» (٣٠٩/٥).
٣- المناقب (٥٢٨/١).
٤- سير أعلام النبلاء (٢١٠/١١)، وأنقل قول السبكي في «طبقات الشافعية» (٣٠/٢) لما فيه إيضاح وبيان: (قيل: والشافعي في بعض الأماكن التي قال فيها: (أخبرنا الثقة).
وقد كنت أنا لما قرأت مسند الشافعي على شيخنا أبي عبد الله الحافظ سألته في كل مكان من تلك فكان بعضها يتعين أن يكون مراده به يحيى بن حسان كما قيل: إنَّه المقصود به دائمًا، وبعضها يتعين أنَّه يريد به إبراهيم بن أبي يحيى، وبعضها يتردد.
وذلك معلق عندي في مجموع مما علقته عن شيخنا رحمه الله وأكثرها لا يمكن أنّه يريد به أحمد بن حنبل، مثل قوله: أخبرنا الثقة، عن أبي إسحاق فلا يمكن أن يريد به أحمد؛ بل إمَّا إبراهيم بن سعد أو غيره.
ومثل قوله: (أخبرنا الثقة)، عن ابن شهاب يحتمل مالكًا وابن سعد وسفيان ابن عيينة ولا ثالث لهم في أشياخ الشافعي.
ومثل قوله: (الثقة) عن معمر فهو إمَّا هشام بن يوسف الصغاني أو عبد الرزاق.
ومثل قوله: (الثقة) من أصحابنا عن هشام بن حسان قال شيخنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحافظ لعله يحيى القطان.
ومثل قوله: (الثقة) عن زكريا بن إسحاق، عن يحيى بن عبد الله قال لي محمد ابن أحمد الحافظ: إنَّه

وقال حَرْمَلة بن يحيى: سمعت الشافعي يقول: «خرجت من بغداد وما خلفت بها أحدًا أورع ولا أتقى ولا أفقه -وأظنُّه قال: ولا أعلم- من أَحمد بن حنبل»[١].

وقال المزني: قال لي الشافعي: رأيت ببغداد شابًا، إذا قال: حدثنا، قال الناس كلهم: صدق.

قلت: ومن هو؟

قال: «أحمد بن حنبل»[٢].

وقال الحسن بن محمد بن الصباح: قال لي الشافعي: «ما رأيت رجلين أعقل من أحمد بن حنبل وسليمان بن داود الهاشمي»[٣].

وقال إسحاق بن حنبل: «كان الشافعي يأتي أبا عبد الله عندنا ها هنا عامة النهار يتذاكران الفقه»[٤].

وقال صالح بن الإمام أحمد: «جاء الشافعي إلى أبي زائرًا وهو عليلٌ يعودُه، فوثبَ أبي إليه، فقبَّل ما بينَ عينيه، وأجلسه في مكانهِ، وجلس بين يديه، فلمَّا قامَ ليركب راح أبي فأخذ بركابه ومشى معه»[٥].

وقال الشافعي يومًا فيما نسب إليه:

يحيى بن حسان التنيسي) أهـ.

١- تاريخ بغداد (٤/ ٤١٩)، و«تاريخ دمشق» (٥/٢٧٢)، و«السير» (١١/ ١٩٥)، و«طبقات الشافعية» (٢/ ٢٧).

٢- السير (١١/١٩٥).

٣- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/٢٩٦)، و«المقدمة» (ص٦٠٧).

٤- المقصد الأرشد (٢/٣٦٩).

٥- تنوير بصائر المقلدين (٩/٢٠٧).

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْت مِنْهُمْ لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَهْ

وَأَكْرَهُ مَنْ تِجَارَتُهُ الْمَعَاصِي وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَهْ

فقال له تلميذه ابن حنبل:

تُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنَالُوا بِك الشَّفَاعَهْ

وَتَكْرَهُ مَنْ تِجَارَتُهُ الْمَعَاصِي حَمَاك اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الْبِضَاعَهْ[1]

وكان الإمام الشافعيّ يأتيه إلى منزله، فعوتب في ذلك فأنشد:

قَالُوا يزُورُكَ أحمَدٌ وتزُورُهُ قُلْتُ الفضَائِلُ لَا تُفَارِقُ منْزِلَهْ

إِنْ زَارَنِي فَبِفَضْلِهِ أو زُرْتُهُ فَلِفَضْلِهِ فالفضْلُ في الحَالِينِ لَهْ[2]

وروى البيهقي، عن الربيع قال: بعثني الشافعي بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل، فأتيته وقد انفتل من صلاة الفجر، فدفعت إليه الكتاب فقال: أقرأته؟ فقلت: لا.

فأخذه فقرأه فدمعت عيناه، فقلت: يا أبا عبد الله، وما فيه؟

فقال: يذكر أنَّه رأى رسول الله ﷺ في المنَّام، فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، واقرأ عليه مني السلام، وقل له: «إنَّك ستمتحن، وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجبهم، يرفع الله لك علمًا إلى يوم القيامة».

قال الربيع: فقلت: حلاوة البشارة.

فخلع قميصة الذي يلي جلده فأعطانيه، فلمَّا رجعت إلى الشافعي أخبرته،

١- لغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (٧٣٥/٤).

٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٨٨/٣).

فقال: «إنِّي لست أفجعك فيه، ولكن بله بالماء وأعطنيه حتى أتبرك به»[١].

وقال أبو عثمان ابن الإمام الشافعي[٢]: «لا يزال الناسُ بخيرٍ ما منَّ الله عليهم ببقائك»[٣].

وذكر أبو حاتم: أنَّ أحمد بن حنبل تعلَّم من الشافعي أشياءَ في معرفة الحديث، وكان الشافعي فقيهًا ولم يكن محدثًا؛ فربما قال لأحمد: هذا الحديث قويٌّ محفوظ، فإذا قال: نعم، جعله أصلًا وبنى عليه[٤].

ودخل الإمام الشافعي يومًا على الإمام أحمد بن حنبل، فقال: يا أبا عبد الله كنت اليوم مع أهل العراق في مسألة كذا، ولم يكن معي في ذلك حديث عن النبي ﷺ.

فدفع إليه أحمد ثلاثة أحاديث، فقال: «جزاك الله خيرًا»[٥].

[**تنبيه**]: ذكر السبكي في «طبقات الشافعية» مناظرة بين الإمام الشافعي والإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنهما.

حكي أنَّ أحمد ناظر الشافعي في تارك الصلاة، فقال له: الشافعي يا أحمد أتقول: إنَّه يكفر؟

قال: نعم.

قال: إذا كان كافرًا فبمَ يسلم؟

١- البداية والنهاية (٣٩٥/٤).

٢- قال البيهقي في «مناقب الشافعي» (٣٠٦/٢- ٣٠٧) «وهو الأكبر من ولده، وكان قاضي مدينة حلب بالشام. قاله أبو الحسن العاصمي».

٣- المنهج الأحمد (ص٢٩٤).

٤- المقصد الأرشد (٣٦٩/٢).

٥- المصدر نفسه (٦٥/١).

قال: يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

قال الشافعي: فالرجل مستديم لهذا القول لم يتركه؟

قال: يسلم بأن يصلي.

قال: «صلاة الكافر لا تصح ولا يحكم بالإسلام بها، فانقطع أحمد وسكت!!»[١].

وهذه القصة عليها مآخذ، منها:

١-أنَّها غير مسندة.

٢-أنَّ السبكي أوردها بصيغة التمريض وهي من قرائن الضعف.

٣-الضعف الظاهر في المناظرة ممَّا لا يصدق أن يكون ذلك بين إمامين عظيمين أخذوا من كل علم أعلاه وأقصاه.

٤-قد يكون في إيراد هذه القصة نوع من التحامل والتعصب المذهبي.

٥-لا ينبني على هذه القصة -ولو ثبت- أي قدح في الإمامين، مع الاعتقاد بأنَّ العصمة ماتت بموتِ خير الخلق ﷺ، والله أعلم.

ونختم بقصة موت الشافعي رحمه الله، قال الربيع كنَّا جلوسًا في حلقة الشافعي بعد موته بيسير، فوقف علينا أعرابي، وقال: «أين قمر هذه الحلقة وشمسها؟ قلنا: توفي. فبكى بكاءً شديدًا، وقال: رحمه الله وغفر له؛ فلقد كان يفتح ببيانه مغلق الحجة، ويسد على خصمه واضح المحجَّة، ويغسل من العار وجوهًا مسودة، ويوسع بالرأي أبوابًا منسدة» ثمَّ انصرف[٢].

١- طبقات الشافعية (٢/٦١)، ونقله بعض المعاصرين دون التثبت من صحة هذا الكلام.

٢- الوافي بالوفيات (٢/١٢٤).

(فرع: فيما وقع من رواية الإمام أحمد في مسنده لأحاديث من طريق الإمام الشافعي).

قال الحافظ ابن حجر: «ليس في مسند أحمد على كبره من روايته عن الشافعي، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما سوى أربعة أحاديث، جمعها في موضع واحد وساقها سياق الحديث الواحد.

وقد ساقها شيخنا في شرح منظومته.

وجمعتها مع ما يشبهها من رواية أحمد عن الشافعي عن مالك ومع عدم التقييد بنافع في جزء مفرد فما بلغت العشرة. والله الموفق»[1].

قلت: وأنا سوف أذكر ما ذكره الحافظ رحمه الله بإسناد الإمام أحمد عن الشافعي، وبعضها إلى مالك، وهذه تعرف عند بعض أهل العلم بسلسلة الذهب، وهو ما رواه أحمد، عن الشافعي، عن مالك. كما قال العراقي في "ألفيته":

إِمْسَاكُنَا عَنْ حُكْمِنَا عَلَى سَنَدْ ... بِأَنَّهُ أَصَحُّ مُطْلَقًا وَقَدْ

خَاضَ بِهِ قَوْمٌ فَقِيلَ مَالِكُ ... عَنْ نَافِعٍ بِمَا رَوَاهُ النَّاسِكُ

مَوْلَاهُ وَاخْتَرْ حَيْثُ عَنْهُ يُسْنِدُ ... الشَّافِعِيُّ قُلْتُ وَعَنْهُ أَحْمَدُ[2]

قال السخاوي: ولاجتماع الأئمة الثلاثة في هذه الترجمة قيل لها: «سلسلة الذهب»[3].

والأحاديث هي، كما قال الإمام أحمد رحمه الله:

١- النكت على ابن الصلاح (١/٢٦٦)، و«توالي التأنيس بمعالي ابن دريس» (ص٢٧- ٢٩).
وانظر: «الفانيد في حلاوة الأسانيد» للسيوطي (حديث من رواية أحمد بن حنبل، عن الشافعي، عن مالك) برقم (٦) و(٧) و(٨) و(٩) و(١٠) و(١١) ط: دار البشائر الإسلامية.

٢- الألفية (١٥- ١٧).

٣- فتح المغيث (١/٣٣).

(١)-حدثنا محمد بن إدريس يعني الشافعي، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن يزيد يعني ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، عن عباس بن عبد المطلب، أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا»[١].

(٢)-حدثني محمد بن إدريس الشافعي، أخبرنا سعيد بن سالم يعني القداح، أخبرنا ابن جريج، أن إسماعيل بن أمية، أخبره عن عبد الملك بن عمير، أنَّه قال: حضرت أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وأتاه رجلان تبايعا سلعة، فقال هذا: أخذت بكذا وكذا، وقال هذا: بعت بكذا وكذا، فقال أبو عبيدة: أتي عبد الله بن مسعود في مثل هذا، فقال: حضرت رسول الله ﷺ أتي في مثل هذا، «فأمر بالبائع أن يستحلف، ثمَّ يخير المبتاع، إنْ شاء أخذ، وإن شاء ترك»[٢].

(٣)- حدثنا محمد بن إدريس الشافعي، أخبرنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يبع بعضكم على بيع بعض»، ونهى عن النجش، ونهى عن بيع حبل الحبلة، ونهى عن المزابنة، -والمزابنة: بيع الثمر بالتمر كيلًا-، وبيع الكرم بالزبيب كيلًا، يستحلف، ثمَّ يخير المبتاع، إن شاء أخذ، وإن شاء ترك[٣].

(٤)- حدثنا محمد بن إدريس الشافعي، قال: أخبرنا مالك، عن محمد بن

١- المسند (١٧٧٨)، ومسلم في «صحيحه» (٣٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٦٩٢)، وابن منده في «الإيمان» (١١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٤) من طرق عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، به.

٢- المسند (٤٤٤٢).

٣- المسند (٥٨٦٢)، وهو في «مسند الشافعي» (١٤٤/٢)، ومن طريقه: أخرجه البيهقي في «المعرفة» (١١٤٦٢). وأخرجه البخاري (٢١٤٦)، ومسلم (١٥١١).

يحيى بن حبان، وأبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﵁، «أنَّ رسولَ الله ﷺ، نهى عن الملامسة، والمنابذة»[١].

(٥)-حدثنا محمد بن إدريس، أخبرنا مالك، عن موسى بن أبي تميم، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الدينارُ بالدينارِ، والدرهمُ بالدرهم، لا فضل بينهما»[٢].

(٦)- حدثنا محمد بن إدريس، أخبرنا مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يبعْ بعضُكُم على بيعِ بعضٍ، ولا يبع حاضرٍ لباد، ولا تناجشوا، ولا تلقوا السلع»[٣].

(٧)-وقال: «مطلُ الغنيِّ ظلمٌ، وإذا أُتبِع أحدُكُم على مليءٍ فليتبعْ»[٤].

(٨)- حدثنا محمد بن إدريس يعني الشافعي، قال: أخبرنا مالك، عن داود بن الحصين، عن أبي سفيان، مولى أبي أحمد، عن أبي سعيد الخدري ﵁ :«أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن المزابنة والمحاقلة» والمزابنة: اشتراء الثمر بالتمر في رؤوس النخل، والمحاقلة: استكراء الأرض بالحنطة[٥].

١- المسند (٨٩٣٥).

٢- المسند (٨٩٣٦)، وهو في «مسند الشافعي» (٥٧/١٢)، والحديث في «الموطأ» (٦٣٢/٢)، ومن طريق مالك أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٥٨٨) (٨٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠١٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٠٥٨).

٣- المسند (٨٩٣٧)، وهو في «مسند الشافعي» (١٤٦/٢و١٤٧) مقطعًا غير قوله: «ولا يبيع حاضر لباد»، وهو في «السنن المأثورة» له (٢٦٢).

٤- المسند (٨٩٣٨)، إسناده كسابقه. وهو في «السنن المأثورة» للشافعي (٢٤٥)، والحديث في «الموطأ» (٦٧٤/٢)، ومن طريق مالك أخرجه: الدارمي في «سننه» (٢٥٨٦)، والبخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤)، وأبو داود (٣٣٤٥)، وغيرهم.

قال القاضي عياض في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٢٣٣/٥) (المطل): «منع قضاء ما استحق أداؤه». وفيه دليلٌ: على أنَّ مطل غير الغني ليس بظلم، وإن كان مضطرًا يجوز.

٥- المسند (١١٠٥٢)، وأخرجه البيهقي في «المعرفة» (١١٢٤٩) من طريق الإمام أحمد، بهذا

(٩)- حدثنا محمد بن إدريس يعني الشافعي، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، أنَّه أخبره أنَّ أباه كعب بن مالك كان يحدث: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّما نسمة المؤمن[١] طائر يعلق في شجر الجنَّة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه»[٢].

(١٠) - حدثنا محمد بن إدريس الشافعي، قال: حدثنا مالك، عن أبي ليلى عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل بن أبي حثمة، أنَّ سهل بن أبي حثمة أخبره، ورجال من كبراء قومه: أنَّ رسول الله ﷺ قال لحويصة، ومحيصة، وعبد الرحمن: «أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم؟» قالوا: لا، قال: فتحلف يهود؟ قالوا: ليسوا بمسلمين، فوداه النبي ﷺ من عنده[٣].

(١١) - حدثنا محمد بن إدريس يعني الشافعي، أخبرنا سفيان، عن علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن، عن عمران بن حصين، أن عمر بن الخطاب قال: أنشد الله رجلا سمع من النبي ﷺ في الجد شيئًا. فقام رجل فقال: شهدت

الإسناد، وهو عند الشافعي في «الأم» (٣/٥٤)، وأخرجه البخاري (٢١٨٦)، ومسلم (١٥٤٦).

١- أي روح المؤمن الشهيد. قال القرطبي: «هذا الحديث ونحوه محمول على الشهداء، وأمَّا غيرهم فتارة تكون في السماء لا في الجنة، وتارة تكون على أفنية القبور، قال: ولا يتعجل الأكل والنعيم لأحد الا للشهيد في سبيل الله بإجماع من الأمة -حكاه القاضي أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي- وغير الشهداء بخلاف هذا الوصف، إنما يملأ عليه قبره ويفسح له فيه» نقله في «شرح سنن النسائي» (١٠٩/٤).

٢- المسند (١٥٧٧٨)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٥٦/٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٢٤) من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد.

وهو عند مالك في «الموطأ» (٢٤٠/١)، ومن طريقه أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٠٥/٥)، والنسائي في «المجتبى» (١٠٨/٤)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢٧١).

٣- المسند (١٦٠٩٧)، وهو عند الشافعي في «مسنده» (١١٤/٢) (ترتيب السندي) مختصرًا (١١٢/٢- ١١٣) مطولًا، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «السنن» (١١٧/٨).

وهو عند مالك في «الموطأ» (٨٧٧/٢)، وأخرجه البخاري (٧١٩٢)، ومسلم (١٦٦٩) (٦)، وأبو داود (٤٥٢١) والنسائي في «الكبرى» (٦٩١٣) و (٦٩١٤)، وابن ماجه (٢٦٧٧).

النبي ﷺ أعطاه الثلث.

قال: مع من؟ قال: لا أدري. قال: «لا دريتَ»[١].

(١٢) – حدثنا محمد بن إدريس يعني الشافعي، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، أنه قال: سألت عائشة، زوج النبي ﷺ، في كم كفن رسول الله ﷺ ؟ فقالت: «في ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ سحوليّة»[٢].

(١٣)- حدثنا محمد بن إدريس يعني الشافعي، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن يزيد يعني ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، عن عباس بن عبد المطلب، أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاقَ طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا»[٣].

١- المسند (١٩٩٩٤)، وأخرجه الحميدي (٨٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (٦٣٣٦) من طريق سفيان بن عيينة، بهذا الإسناد.

٢- المسند (٢٤٦٢٥)، ورواه مسلم (٩٤١) (٤٧)، والبيهقي في «السنن» (٣٩٩/٣) من طريق ابن أبي عمر، عن عبد العزيز، بهذا الإسنادِ.

قال ابن الأعرابي وغيره: «هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن».

وقال ابن قتيبة: «ثياب بيض ولم يخصها بالقطن».

وقال آخرون: «هي منسوبة إلى سحول قريةٍ باليمن تعمل فيها».

وقال الأزهري: «السحولية بالفتح منسوبة إلى سحول مدينة باليمن يحمل منها هذه الثياب، وبالضم ثياب بيض».

وقيل: «إنَّ القرية أيضًا بالضمِ» حكاه ابن الأثير في النهاية. نقله النووي في «شرح صحيح مسلم» (٨/٧).

٣- المسند (١٧٧٨)، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (١٥٦/٩) من طريق أحمد بن حنبل، بهذا الإسناد. ورواه مسلم في «صحيحه» (٣٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٦٩٢)، وابن منده في «الإيمان» (١١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٩)، والبغوي (٢٤) من طرق عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، به.



بيان بعض أحواله في كتابة الحديث

[١] كان الإمام أحمد شديد التحري في الرواية، وكذلك في الأخذ عن الشيوخ، وهذا ما يجعل الناظر يعرف قيمة المسند وأهميته.

فكان يقول: «نحن كتبنا الحديث من ستة أوجه أو سبعة، ولم نضبطه؛ فكيف يضبط من كتبه من وجه واحد؟»(١).

وقال عبد الوهاب الورَّاق (ت ٢٥٠هـ): ما رأيت مثل أحمد. قالوا له: وأيش الذي بانَ لك من فضله وعلمه؟

قال: «رَجُل سُئِل ستين ألف مسألة فأجاب فيها بأن قال: حدَثَّنا وأخْبرَنا»(٢).

وقال أبو بكر الأثرم: رأى أحمد بن حنبل يحيى بن معين بصنعاء في زاوية وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس فإذا اطّلع عليه إنسان كتمه، فقال له أحمد: تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنَّها موضوعة فلو قال لك قائل: «أنت تتكلم في أبان ثمَّ تكتب حديثه على الوجه».

فقال: «رحمك الله يا أبا عبد الله أكتُبُ هذه الصحيفة عن عبد الرزاق عن معمر على الوجه فأحفظها كلّها وأعلم أنَّها موضوعة حتى لا يجيء بعده إنسان فيجعل بدل أبانٍ ثابتاً، ويرويها عن، معمر، عن ثابت، عن أنس. فأقول له: كذبت؛ إنَّما هي عن معمر، عن أبان عن ثابت»(٣).

١- مجمل الرغائب فيما للإمام أحمد من المناقب، لزكي الدين الحنبلي (ت٦٨١) (ص٦٩).

٢- منازل الأئمة (ص٢٤).

٣- المدخل إلى الإكليل (ص٧٠- ٧١)، و«الإرشاد» للخيلي (١/١٣)، و«الجامع» للخطيب (٤/٣١٩)، و«شرح علل الترمذي» (١/٨٩).

وكان يحيى بن معين يقول: «كتبنا عن الكذابين، وسجرنا به التنور، وأخرجنا به خبزًا ناضجًا» كما في «المدخل» (ص٧٢)، وهو في المجروحين لابن حبان (١/٥٣)، وانظر: «تهذيب التهذيب» (١١/١٨٦).

[٢] **وكان ينتقي الشيوخ،** فتراه امتنع عن التحديث عن بعضهم رغم أنَّهم أصحاب شأن، وأهل حفظ؛ فمثلًا: امتنع عن الرواية عن أحمد بن سعيد بن إبراهيم الخراساني الأشقر (ت ٢٤٣هـ)، نزيل نيسابور[١]. وذلك لأنَّ ابن طاهر ولَّاه أمر الرباط، فلهذا لما دخل إلى أحمد بن حنبل لم يبش به، وقال: «هل بدَّ من أن يقال غدًا: أين ابن طاهر وأتباعه؟ فانظر أين تكون»[٢].

ومنهم: سويد بن سعيد، قال الذهبي: «كان أحمد بن حنبل ينتقى عليه لولديه»[٣].

وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: قلت لأبي: أيُّهما أصلحُ عندك؛ وكيعٌ أو يزيدُ؟ -يعني ابن هارون- قال: «ما فيهما بحمد الله إلا كلٌّ إلا إنَّ وكيعًا لم يختلط بالسُّلطان»[٤].

وقال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: لِمَ رويت عن أبي معاوية الضرير وكان مرجئًا، ولم ترو عن شبابة بن سوار وكان قدريًا؟ قال: «لأنَّ أبا معاوية لم يكن يدعو إلى الإرجاء، وشبابة كان يدعو إلى القدر»[٥].

وقال: قيل لأبي: لم كتبت عن عبيد الله بن موسى ثمَّ تركت الرواية عنه، وكتبت عن عبد الرزاق ورويت عنه وهما على مذهب واحد، فقال: «أمَّا عبد الرزاق

١- سمع: وكيعًا، وعبد الرزاق، ووهب بن جرير، وسعيد بن عامر، وإسحاق السلولي، وطبقتهم. وعنه: الجماعة سوى ابن ماجة، وأبو العباس السراج، وابن خزيمة، وعدة.
٢- طبقات علماء الحديث (٢/ ٢٢٠).
٣- ميزان الاعتدال (٢/ ٢٤٨)، و«بحر الدم» (١/ ٢٢٠).
٤- الجرح والتعديل (١/ ٢٢٣).
٥- فتح المغيث (٢/ ٢٢٦)، وانظر: «الكامل لابن عدي» (٥/ ٧١)، و«ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٦٠)، وذكر محقق الفتح أنَّ الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٤/ ٣٠١) قال: إنّ الإمام أحمد ممَّن روى عن شبابة، فلعلَّ الإمام أحمد روى عنه بعد رجوعه عن القول بالإرجاء، فقد نقل الذهبي عن أبي زرعة أنَّ شبابة رجع عن القول بالإرجاء.

فما سمعنا منه ممَّا قيل عنه شيئًا ولم يبلغنا أنَّه كان يدعو إلى مذهبه[١]، وأمَّا عبيد الله فإنَّه كان يدعو إلى مذهبه ويجاهر به، فتركت الرواية عنه لذلك»[٢].

وقال عمرو الناقد: قدم الشاذكوني (ت ٢٣٤ وقيل ٢٣٦هـ)بغداد، فقال لي أحمد بن حنبل: «اذهب بنا إلى سليمان نتعلم منه نقد الرجال»[٣].

[٣] وحث على السماع من الثقات وأشاد بذلك، كما في قوله: «من الثقات، يستشفى بحديثه، وينزل القطر من السماء بذكره»[٤].

وقال: «السماع من يحيي بن معين شفاء لما في الصدور»[٥].

١- يعني التشيع، ومع ذلك فكما جاء في «تهذيب الكمال» (٦٠/١٨)، عن عبد الرزاق قال: «والله ما انشرح صدري قط، أن أفضل عليا على أبي بكر وعمر، رحم الله أبا بكر ورحم الله عمر ورحم الله عثمان ورحم الله عليا، من لم يحبهم فما هو مؤمن، وقال: أوثق عملي حبي إياهم».
وقال أبو الأزهر أحمد بن الازهر النيسابوري: سمعت عبد الرزاق يقول: «أفضل الشيخين بتفضيل علي إيَّاهما على نفسه، ولو لم يفضلهما لم أفضلهما، كفى بي آزرًا أنْ أحب عليًا ثم أخالف قوله» وانظر كلام ابن عدي عنه في «الكامل» (٥٤٥/٦) ط: العلمية.
وقد ذكر الشيخ ظفر التهانوي (ت١٣٩٤) في كتابه «قواعد في علوم الحديث» (تتمة في مسائل شتى) رقم (٥٢) (ص٤٠٧) قال- يعني ابن حجر في مقدمة الفتح- في ذكر ترجمة "خالد بن مخلد القطواني" وكان متهمًا في بالغلو في التشيع، ما نصه: «أمَّا التشيع فقد قدمنَّا أنَّه إذا كان ثبت الأخذ والأداء لا يضره، لا سيَّما ولم يكن داعية».
قلت: «فالغلو في التشيع ليس بجرح إذا كان الراوي ثقة» أهـ.
٢- طبقات الحنابلة (١٨٢/١).
٣- طبقات علماء الحديث (١٥٤/٢)، (أبو أيوب سليمان بن داود الشاذكوني) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في بيان سببِ هذه اللقب (٦٨٢/١٠): «كان أبوه يتجر، ويبيع المضربات الكبار التي تسمى باليمن شاذكونة، فنسب إليها».
٤- سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٥).
٥- تهذيب الأسماء واللغات (١٥٧/٢)، ولله درها من شفاء، ففي كتاب «كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين» (ص١٦٤) أنشد الشيخ الأديب أبو الحسن علي بن أحمد، بنيسابور، لنفسه:

أحاديث الرَسُول شفاء قلبي ... وقوة ناظري وجلاء همي
أعاذلتي عَلَيْهِ إليك عني ... فإن إليهم قصدي وأمي
لمن والاهم حبي ومدحي ... لمن عاداهم بغضي وذمي.

وعن أحمد بن شهاب الإسفراييني: سمعت أحمد بن احنبل، وسُئِلَ عمَّن نكتبُ في طريقنا؟

فقال: «عليكم بهنادٍ، وبسفيانِ بن وكيع، وبمكة ابن أبي عمر، وإيَّاكم أن تكتبوا -يعني: عن أحد من أصحاب الأهواء، قليلًا ولا كثيرًا- عليكم بأصحاب الآثار والسنن»[1].

وعن يحيى بن منصور القاضي، سمعت خالي عبد الله بن علويه، سمعت محمد بن سهل بن عسكر يقول: كنَّا عند أحمد بن حنبل، إذ دخل عليه محمد بن يحيى، فقام إليه، وقرب مجلسه، وأمر بنيه وأصحابه أن يكتبوا عنه[2].

وقال المروذي: قال لنا أحمد ابن حنبل: «اكتبوا عن زياد، فإنَّه شعبة الصغير»[3].

وقال عبيد الله الحلبي: سمعت أبا عبد الله وسأله رجل عن حديث من حديث بشر بن نُمير، فقال: «لا تذكر الكذابين»[4].

[٤] **وكان يأمر بكتابة الحديث**. قال الخلال: أخبرني الميموني، أنَّه قال لأبي عبد الله، يعني أحمد بن احنبل قد كره قوم كتاب الحديث بالتأويل.

قال: «إذا يخطئون إذا تركوا كتاب الحديث».

وقال: «حدثنا قوم من حفظهم، وقوم من كتبهم، فكان الذين حدثونا من كتبهم أتقن».

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد: من كره كتاب العلم؟ قال: كرهه قوم،

١- السير (٢٣١/١١).

٢- طبقات علماء الحديث (٢١٠/٢) ومحمد بن يحيى هو الذهلي، جمع علم الزهري، وصنفه، وجوده، من أجل ذلك يقال له: (الزهري)، ويقال له: (الذهلي).

٣- تاريخ بغداد (٤٨٠/٨).

٤- طبقات الحنابلة (١٩٦/١)، و«بحر الدم» (١٠١/١).

ورخص فيه قوم.

قلت: لو لم يكتب ذهب العلم.

قال أحمد: «ولولا كتابة أي شيء كنَّا نحن؟»[١].

وعن العباس الدوري يقول: سمعت يحيى بن معين، يقول: دخلت على أبي عبد الله أحمد ابن حنبل فقلت له: أوصني. فقال: «لا تحدث المسند إلا من كتاب».

وقال علي بن المديني: قال لي **سيدي أحمد بن حنبل**: «لا تحدث إلا من كتاب»[٢].

[٥] وكان يأمر بالرجوع لأهل التخصص في معرفة غريب الحديث، وكل ذلك إجلالًا للحديث، والتحذير من تفسيره بالرأي.

فإنَّه سُئِل عن حرفٍ، فقال: «سلوا عنه أصحاب الغريب، فإنِّي أكره أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن»[٣].وكان يجيء إلى أبي عبيد يسأله في الغريب[٤].

وعن محمد بن أبي بشر[٥]، قال: أتيت أحمد بن حنبل في مسألة، فقال: ائت أبا عبيد، فإنَّ له بيانًا لا تسمعه من غيره.

فأتيته، فشفاني جوابه، فأخبرته بقول أحمد، فقال: ذاك رجل من عمال الله، نشر الله رداء عمله، وذخر له عنده الزلفى، أما تراه محببًا مألوفًا، ما رأت عيني بالعراق رجلًا اجتمعت فيهِ خصالٌ هي فيه، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم، فإنَّه لكما قيل:

١- شرح علل الترمذي (٤٢/١).
٢- أدب الإملاء (ص٤٧).
٣- فتح المغيث (١٦٧/٣).
٤- الآداب الشرعية (٥٧/٢).
٥- العبدي الكوفي (ت ٢٠٣هـ).

يَزِينُكَ إِمَّا غَابَ عَنْكَ، فَإِنْ دَنَا رَأَيْتَ لَهُ وَجْهاً يَسُرُّكَ مُقْبِلَا
يُعَلِّمُ هَذَا الخَلْقَ مَا شَذَّ عَنْهُمُ مِنَ الأَدَبِ المَجْهُولِ كَهْفاً وَمَعْقِلَا
وَيَحْسُنُ فِي ذَاتِ الإِلَهِ إِذَا رَأَى مَضيماً لأَهْلِ الحَقِّ لاَ يَسْأَمُ البَلاَ
وَإِخْوَانُهُ الأَدْنَوْنَ كُلُّ مُوَفَّقٍ بَصِيرٍ بِأَمْرِ الله يَسْمُو عَلَى العُلاَ[١]

فتبين بالعموم حال رجال المسند، وأنَّ الإمام أحمد كان له منهجية في الكتابة عمَّن سمع منهم، فمن هنا يقول شيخ الإسلام: «وشرطه في المسند ألا يروي عن المعروفين بالكذب عنده، وإنْ كان في ذلك ما هو ضعيف، وشرطه في المسند مثل شرط أبي داود في "سننه"»[٢].

وقال الشيخ الحافظ أبو موسى رحمه الله: «ولم يخرج إلا عمَّن ثبت عنده صدقه وديانته، دون من طعن في أمانته، كما قرأته ببغداد على أبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ[٣]، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي، أخبرنا يوسف بن أحمد الصيدلاني بمكة حدثنا محمد بن عمرو العقيليّ، حدثنا عبد الله بن أحمد قال: سألت أبي عن عبد العزيز بن أبان فقال: لم أخرج عنه في المسند شيئاً قد أخرجت عنه على غير وجه الحديث لما حدث بحديثِ المواقيت تركته»[٤].

[**طرفة**] عن جعفر بن محمد الطيالسي قال: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة فقام بين أيديهم قاص، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل

١- السير (١١/٢٠٠- ٢٠١)، وقال محققه: «لم أجد هذه الأبيات فيما وقعت عليه من مصادر».
٢- منهاج السنة النبويَّة (٩٧/٧)، وانظر فيه: في حديثه عن بعض مؤلفات الإمام أحمد عليه رحمات الله تعالى.
٣- أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/٤٤٥)، عند ذكر ترجمة «عبد العزيز بن أبان».
٤- خصائص المسند (ص١٥)، ط: التوبة. و (ص٣٢) ط: البشائر، و «المصعد الأحمد» (ص١٥).



ويحيى بن معين، قالا حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة منها طيرًا منقاره من ذهب وريشه من مرجان»، وأخذ في قصة نحوًا من عشرين ورقة، فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ويحيى ينظر إلى أحمد، فقال له: أنت حدثته بهذا؟

فيقول: والله ما سمعت بهذا إلا الساعة.

فلما فرغ من قصصه، وأخذ القطيعات ثمَّ قعد ينتظر بقيتها، قال له يحيى بن معين: بيده تعال، فجاء متوهمًا لنوالٍ!

فقال له يحيى: منْ حدثكَ بهذا الحديث؟

قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين!!

فقال: أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله؟!

فقال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما تحققته إلا الساعة كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين!!!

فوضع أحمد كمه على وجهه، وقال: «دعه يقوم»، فقام كالمستهزئ بهما[1].

١- ذكره ابن عراق الكناني في «تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١٨/١) ط: التوفيقية، وقال: «أقرّ ابن حبان، ثمَّ ابن الجوزي هذه الحكاية ولم يطعنا في إسنادها وأنكرها الذهبي في "الميزان" في ترجمة (إبراهيم بن عبد الواحد البكري): فقال «لا أدري من ذا أتى بحكاية منكرة أخاف أن تكون من وضعه؟» فذكر الحكاية المذكورة، والله تعالى أعلم».

وذكرها الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢٣٣/٤)، والقرطبي في «تفسيره» (١٢٥/١)، وذكرها الشيخ أحمد محمد شاكر في «الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث» (ص٩٣)، والشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «مصطلح الحديث» (ص٣٩- ٤٠)، ط: دار ابن الجوزي: وقال بعد سردها، ذكرنا هذه القصة بصيغة التمريض؛ لأنَّ في سندها إبراهيم بن عبد الواحد»، وغيرهم!.


القسم الثالث
الحديث عن المسند وما يتعلق به

القسم الثالث، وفيه:

[١] تاريخ تأليفه

[٢] عدد أحاديث المسند

[٣] عدد شيوخه وذكر من سمع منه في الحديث والفقه

[٤] انتخابه ودقته في روايتهِ

[٥] مضمونه ومحتواه.

[٦] عدد من سمعه عن الإمام أحمد.

[٧] الثناء على المسند.

[٨] رجاله.

[٩] الاهتمام بالمسند، وفيه:

١- الحرص على سماع المسند.

٢- العناية الشاملة به.

٣- كتب الزوائد (التعريف بها، وتاريخها، وزوائد المسند).

٤-كتب الأطراف (التعريف بها، وحكمها، فوائدها، الكتب المصنفة فيه).

٥- الدفاع عنه، والتعريف به، وجمع ثلاثيته، وانتخاب أحاديثَ منه.

[١٠] قيمة المسند ومكانته العلميَّة.

[١١] درجة أحاديث المسند.

[١٢] رأي الإمام أحمد في الحديث الضعيف والاحتجاج به.

[١٣] المقارنة بين مسند الإمام أحمد ومسند بقي.

[١٤] الكلام على مسألة هل في المسند أحاديث موضوعة، وفيه:

١-عددها.

٢- الكلام على موضوعات ابن الجوزي.

[١٥] زيادت عبد الله في المسند.

[١٦] زيادات القطيعي على المسند.

[١٧] أقسام أحاديث المسند.

[١٨] الأحاديث التي تكلم فيها، وبيانها من القول المسدد للحافظ ابن حجر ورد معتصر منها.

[١٩] فوائد عامة عن المسند.

الختام.

مفكرة الفوائد.



تاريخ تأليفه

قال عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله: «صنَّف أبي المسند بعد ما جاء من عند عبد الرزاق»[١].

وكان ذلك وهو في السادسة والثلاثين من عمره، وكانت سنة خروجه إليه سنة (١٩٩هـ) برفقةِ رفيق الدرب والعلم والطلب يحيى بن معين، ورحل بعدها عام (٢٠٩هـ)، وبعدها حصلت المحنة سنة (٢١٨هـ)[٢].

قال ابن عساكر: «خلط فيه بين أحاديث الشاميين والمدنيين، بل قد امتزج في بعضه أحاديث الرجال بأحاديث النسوان، وكثر فيه تكرار الحديث المعاد المروي بعينه بالمتن والإسنادِ، ولستُ أظن ذلك إن شاء الله وقع من جهة أبي عبد الله رحمه الله، فإنَّ محله في هذا العلم أوفى، ومثل هذا على مثله لا يخفى، وقد نراه توفي قبل تهذيبه، ونزل به أجلُه قبل تلفيفه وترتيبه، وإنَّما قرأه لأهل بيته قبل بذل مجهوده فيه خوفًا من حلول عائق بموته دون بلوغ مقصوده فيما يرتضيه»[٣].

وقد حصل له في هذه الرحلة مشقة، وبعض الأشياء، منها ما قاله أبو إسحاق

١- خصائص المسند (ص١٨).

٢- ذكر الشيخ التركي حفظه الله في دراسته للمذهب الحنبلي وتاريخه: أنَّ الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله يرى أن الإمام أحمد بدأ في تصنيف "المسند" مع بداية الطلب، أي في حدود سنة (١٨٠ هـ) قبل خروجه من بغداد.

وقال: «هذا الرأي بعيد، فأما أن يكون الإمام أحمد بدأ بجمع مادة "المسند" مع بداية الطلب فذلك ما لا يجادل فيه أحد، وإما أن يكون فكَّر في "المسند" وأخذ في تصنيفه منذ ذلك الحين فهناك من الأدلة ما يخالفه، وذلك أن أحاديث الشيوخ الذين روى عنهم الإمام أحمد كانت في ذلك الوقت عبارة عن "جوامع" لمرويات الشيوخ على ما وصفناه آنفاً، وبالتالي فتصنيف "المسند" لا يمكن أن يحصل لأحد إلا بعد استشراف ما عند الشيوخ من الأحاديث ليرتبها بعد ذلك على مسانيد الصحابة، وهذا مالم يكن قد توفر للإمام أحمد وهو في بداية الطريق».

٣- ترتيب أسماء الصحابة (ص٣٣)، و«المصعد الأحمد» (ص٣٠).

الجوزجاني: «كان أحمد بن حنبل يصلي بعبد الرزاق، فسها، فسأل عنه عبد الرزاق، فأخبر أنَّه لم يأكل منذ ثلاثة أيام شيئًا»[١].

ومن هنا تعلم أنَّ العلم لا يؤتى براحة الجسم، إنَّما بالكد والتعب، وترك الراحة[٢]، وثمَّ بعد ذلك يعطى العبد الراحة، ويجد اللذة، كما قيل: «لذة العرفان تنسي لذة الأبدان»[٣].

بل إنَّ الإمام أحمد لما قيل له: متى يجد العبد طعم الراحة؟ فقال: «عند أول قدم يضعها في الجنَّة»[٤].

١- سير أعلام النبلاء (١١/١٩٣).

٢- وأذكر لك من أقوالهم الحديثية النافعة، ومواقفهم الثابتة في الصبر على طلب العلم، وكله مخرج في كتاب «لذة العلم». (١) قيل لشريك: ما بال حديثك منتقى؟ قال: «لأنِّي تركت العصائد بالغدوات».

(٢) وقال الموفق عبد اللطيف بن يوسف الموصلي: «من لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم، ومن لم يكدح لم يفلح».

(٣) وقال يحيى بن أبي كثير: «لا يدرك العلم بالراحة».

(٤) وقال أبو خالد الأحمر: سمعت أبا عقيل الثقفي يقول: «إنَّما نحفظ الحديث؛ لأنَّ أجوافنا قد أقرحها البر».

(٥) وعن إبراهيم بن عبد الرحمن، ثنا أبو معمر قال: قال لي أبي: كنت عند مسعر بن كِدام، فرأى رجلًا نبيلًا عليه ثياب خيار، فقال له مِسعر: أنت مِن أصحاب الحديث؟ قال: نعم قال: «لو كنت من أصحاب الحديث كنت مقنعًا، وكانت نعلك مخصوفة».

(٦) وذكر البزازي في «المناقب» عن الإمام البخاري رحمه الله في صفات المحدثِ فقال: «الرجل لا يصير محدثاً كاملاً إلا أن يكسب: أربعاً مع أربع، كأربع مع أربع، في أربع عند أربع، بأربع على أربع، عن أربع لأربع»، [ثم ذكر]: «من أربع من عطاء الله تعالى: الصحة، والقدرة والحرص، والحفظ».
فإذاً تمت له هذه الأشياء هانت عليه أربع: «الأهل والولد، والمال، والوطن»، وابتلي بأربع: «بشماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء، وطعن الجهال، وحسد العلماء»؛ فإذا صبر أكرمه الله تعالى في الدنيا بأربع: «بعز القناعة وهيبة النفس، ولذة العلم، وحياة الأبد». انظر: «الإلماع وأصول السماع» (ص٣١)، و«تهذيب الكمال» (٢٤/٤٦٢- ٤٦٣)، و«الأشباه والنظائر» لابن نجيم (١/٣٧٩- ٣٨٠).

٣- تاريخ بيهق (ص٩٤) ط: مؤسسة اقرأ.

٤- المقصد الأرشد (٢/٣٨٩)، وأصل المقال سؤالٌ وُجّه للإمام أحمد رحمه الله ، عن محمد بن حسنويه قال: حضرت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وجاءه رجل من أهل خراسان، فقال يا أبا عبد الله: قصدتك من خراسان أسألك عن مسألةٍ، قال له: سلْ، وذكر السؤال....).



وقال عبد الله: «خرج أبي إلى طرسوس ماشيًا، وخرج إلى اليمن ماشيًا»[١].

وقال أحمد بن سنان: «بلغني أن أحمد بن حنبل رهن نعله عند خباز باليمن، وأكرى نفسه من جمالين عند خروجه، وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة، فلم يقبلها»[٢].

وقال المروذي: قلت: فكم أقمت باليمن؟

قال: «ذهابي ومجيئي عشرة أشهر، خرجنا من مكة في صفر، ووافينا الموسم»[٣].

وقال أَحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقي: لما قدم أَحمد بن حنبل مكة من عند عبد الرزاق، رأيتُ به شُحوباً، وقد تبيَّن عليه أَثر النَّصَبِ والتعب، فقلت: يا أَبا عبد الله، لقد شققتَ على نفسك في خروجك إلى عبد الرزاق، فقال: «ما أَهون المشقةَ فيما استفدنا من عبد الرزاق، كتبنا عنه حديث الزُّهْري عن سالم بن عبد الله عن أَبيه، وحديثَ الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أَبي هريرة»[٤].

[**تنبيه**]: يقول الشيخ عامر: «وقد قام الإمام عبد الله–بعد وفاة أبيه– بترتيبه، وراعى في الترتيب عدة اعتبارات، أهمها: السابقة في الإسلام، وشرف القرابة لرسول الله ﷺ، والمكثرون من الحديث عن رسول الله ﷺ، ثمَّ النظر في بلدان الصحابة الذين نزلوا تلك البلاد، ثمَّ ختم المسند بمسند الصحابياتِ»[٥].

١- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار (٣٦/١).
٢- السير للذهبي (٢٠٦/١١).
٣- المصدر السابق (٣٠٦/١١).
٤- المناقب (ص٣٨).
٥- زوائد عبد الله بن أحمد في المسند (ص١١٢) ط: دار البشائر.





عدد أحاديث المسند

قال ابن الجوزي: «صنف (المسنَد) وهو ثلاثون ألف حديث[١]، وكان يقول لابنه عبد الله: احتفظ بهذا المسند، فإنَّه سَيكون للناس إماماً»[٢].

ومنه تدرك قول العلامة أحمد شاكر في (حاشيته على اختصار علوم الحديث): «فلو أنَّ قائلاً قال: إنَّ "المسند"، جمع السنة وأوفى بهذا المعنى، لم يبعد عن الصواب والواقع»[٣].

١- هذا بدون المكرر، أمَّا مع المكرر فهي قريباً من الأربعين ألف، وهذا العدد يختلف باختلاف الطبعات فانظر: كتاب «مسند الإمام أحمد وما لحقه من أعمال»، فقرة «عدد أحاديث طبعات المسند» (ص٥٨- ٥٩)، وهي بحسب طبعة الرسالة (٢٧٦٤٧) وزيادات ابنه تقريبًا (٦٤٢).
وفي طبعة المكنز (٢٨٢٩٥) فتزيد طبعة المكنز على طبعة الرسالة بـ (٦٤٨) حديثًا. ورجَّح البعض طبعة المكنز أنَّها جاءت من بعد طبعة الرسالة، ولأنَّ محققيها وقعت تحت أيديهم نسخ خطية لم تتوفر لمن هم قبلهم، والله أعلم.
٢- مناقب الإمام أحمد (ص٢٦١)، و «ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج عنهم أحمد بن حنبل في المسند» لابن عساكر (ص٣٠)، و«توجيه النظر إلى أصول الأثر» (٢/٣٧٤).
٣- الباعث الحثيث (ص٣١).







عدد شيوخه وذكر من سمع منه في الحديث والفقه

قال الحافظ الذهبي: «عدة شيوخه الذين روى عنهم في (المسند): مائتان وثمانون ونيف»[١].

وفي العموم كما قال ابن حمدان الحنبلي: «ومشايخه أعيان السلف وأئمة الخلف، وأصحابُه خلْقٌ كثير.

قال الشريف أبو جعفر الهاشمي: «لا يحصيهم عدد، ولا يحويهم بلد، ولعلهم مائة ألف أو يزيدون، وروى الفقه عنه أكثر من مائتي نفس، أكثرهم أئمة أصحاب تصانيف»[٢].

وروى عنه الحديث أكابر مشايخه؛ كعبد الرزاق، وابن علية، وابن مهدي، ووكيع، وقتيبة، ومعروف الكرخي، والشافعي على ما قيل.

ومن أقرانه: «علي بن المديني، ويحيى بن معين، ودحيم الشامي وغيرهم»[٣].

وقال زكي الدين الخزرجي: «روى عن نيفًا وأربعمائة وثلاثين»[٤].

وقال علي بن المديني: «لَأَنْ أسأل أحمد بن حنبل عن مسألة فيفتيني أحبُّ إليَّ منْ أن أسأل أبا عاصمٍ وابنَ داودٍ، إنَّ العلم ليس بالسن»[٥].

ومن أهم شيوخه: هُشيم، وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، وجرير بن عبد الحميد ويحيى القطان، والوليد بن مسلم، وإسماعيل بن عليه، وعلي بن هاشم بن اليزيد ومعتمر بن سفيان، وغندر وبشر بن الفضل، وزياد البكائي، ويحيى

١- سير أعلام النبلاء (١١/١٨١)، وهم تقريبًا (٢٨٣) شيخًا، كما عدَّهم بذلك ابن الجزري.
٢- ينظر: طبقات الحنابلة (١/١٥).
٣- صفة الفتوى (ص٢٩٣)، ت: أبي جنة.
٤- مجمل الرغائب (ص٦٥).
٥- الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/١١٠).

بن زكريا بن أبي زائدة، وأبو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضي، وكيع بن نمير، وعبد الرحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون وعبد الرزاق والشافعي وخلق كثيرون، وممن روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وابناه صالح وعبد الله[١].

وحدَّث عنه: البخاري حديثًا، وعن أحمد بن الحسن عنه حديثًا آخر في المغازي.

وحدث عنه: مسلم، وأبو داود بجملة وافرة.

وروى: أبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، عن رجل، عنه.

وحدث عنه أيضًا: ولداه؛ صالح وعبد الله، وابن عمه؛ حنبل بن إسحاق.

وتلاميذه الرواة الآخذون عنه، وحَمَلَةُ المسائل عنه قد أفردهم بالتأليف تلميذ تلامذته: الخلال (ت٣١١ هـ) ثمَّ ابن المنادي (ت٣٣٦ هـ)، ثم الجنابذي. (ت٦١١ هـ) وقد فرغ لهم ابن أبي يعلى (ت٥٢٦ هـ) الجزء الأول من "الطبقات" وبلغ بهم (٥٧٧) نفسًا، وعقد لهم ابن الجوزي "الباب الثاني عشر" من كتابه في مناقب أحمد ويأتي تفصيل ذلك في: المدخل السابع.

هذا فضلًا عما يذكر في ترجمته من كثرة الآخذين عنه، مِمَّن لم تقع تسميتهم، ومن كان يحضر درسه، ومجالسه، وقد ذكر مترجموه، أنه كان يحضر درسه ومجلسه ما يزيد على خمسة آلاف، ما بين كاتب، ومستمع، ومتأدب بأدب، وملتمس حُسْنَ دَلِّ وسمت[٢].

(فرع): قال أبو إسحاق الشيرازي: فيمن نقل من الفقهاء عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه، جماعة: منهم ابنه صالح: ويكنى أبا الفضل، ولي القضاء بأصبهان ومات بها

١- انظر: النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل (ص٣٤- ٣٥)، وهو لمحمد كمال الدين بن محمد الغزي العامري (ت: ١٢١٤ هـ)

٢- المدخل المفصل (٣٤٩/١).



في سنة ست وستين ومائتين، وله ثلاث وستون سنة.

ومنهم ابنه الآخر عبد الله: وكنيته أبو عبد الرحمن، وكان عالماً بعلل الحديث وأسماء الرجال. مات ببغداد سنة تسعين ومائتين وله سبع وتسعون سنة وقبره في مقابر باب التبن.

ومنهم أبو علي حنبل بن إسحاق: مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

ومنهم أبو بكر المروزي: وخرج إلى الغزو فشيعه الناس فحزروا بسامرا سوى من رجع نحواً من خمسين ألفاً فقيل له: يا أبا بكر هذا علم قد نشر لك فبكى، ثمَّ قال: «ليس هذا العلم لي، إنَّما هذا هو علم أحمد بن حنبل». وكان يقول: «قليل التقوى يهزم كثير الجيوش». مات سنة خمس وسبعين ومائتين، ودفن قريباً من قبرِ أحمد.

ومنهم أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الكلبي الأثرم: وكان حافظاً للحديث، وكان يحيى بن معين يقول: «الأثرم كان أحد أبويه جنياً»، لتيقظه.

ومنهم أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: وهو إمام في الحديث روى عنه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً وروى هو عن أحمد بن حنبل مسائل. مات سنة خمس وسبعين ومائتين، وله ثلاث وسبعون سنة.

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم الحربي: إمام في الحديث، وله مصنفات كثيرة. مات سنة خمس وثمانين ومائتين[1].

١- طبقات الفقهاء (ص١٦٩- ١٧١)، وذكر أيضًا جماعة تركنا ذكرهم خشية الإطالة.





انتخابه ودقته في روايتهِ

انتخب الإمام أحمد مسنده من آلاف الأحاديث النبوية كما قال الحافظ ابن حجر: «ولا يشك منصف أنَّ مسنده أنقى حديثًا، وأتقن رجالاً من غيرِهِ، وهذا يدل على أنَّه انتخبه»(١).

وقال حنبل بن إسحاق: جمعنا عمي لي، ولصالح، ولعبد الله وقرأ علينا المسند، وما سمعه منه يعني تماماً غيرنا، وقال لنا: إنَّ هذا الكتاب قد جمعته، وأتقنته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ: «فارجعوا إليه فإن كان فيه وإلا فليس بحجة»(٢).

وقال الشيخ شعيب رحمه الله: «وكان رحمه الله شديد الحرص على إيرادِ ألفاظ التحملِ كما سمعها مثل: (حدَّثنا)، و (سمعتُ)، و (عن)، لا سيَّما إذا روى الحديث عن أكثر من شيخ، فإنَّه يذكر لفظ كل واحد منهم كما هو بيِّن في الأصولِ

١- النكت على كتاب ابن الصلاح (٢٨٢/١) ط: مكتبة الفرقان. قلت: وهذه عادة المحدثين، أنهم في البداية يقمشون ثم بعد ذلك يفتشون وينتخبون، وهذه الطريقة العلمية أنفع الطرق، وإلا ندم صاحبها كما قال الإمام يحيى بن معين: «الذي ينتخب الحديث إنَّما يأخذ النخالة ويدع الدقيق» كما في «الجامع لأخلاق الراوي» (١٨٧/٢).

وقال أيضًا: «صاحب الانتخاب يندم، وصاحب النسخ لا يندم» «الكامل في ضعفاء الرجال» (٢١٨/١)، ومن الأدلة على انتخاب السلف أن تقارن بين عدد محفوظهم للأحاديث وبين ما دونوه في كتبهم، ففي «تهذيب الكمال» (٤٦١/٢٤) قال الإمام البخاري: «أحفظ مئة ألف حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح».

وفي «تاريخ بغداد» (١٢١/١٥) عن الإمام مسلم قال: «صنَّفتُ هذا المسند الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة».

وفي «تاريخ بغداد» (٧٥/١٠)، ونحوه في «تدريب الراوي» (٥٥/١) عن الإمام أبي داود السجستاني قال: «كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، يعني كتاب السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثمان مائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه».

٢- خصائص المسند (ص١٣)، و «النكت الوفية بما في شرح الألفية» لبرهان الدين البقاعي (٢٧٥/١)، و «تدريب الراوي» (١٣٦/١)، و«المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» (ص٤٤).

الصحيحة المسموعة المعتمدة»[١].

١- فقرة (الكلام على مسند أحمد) من مقدمة المسند (٥٧/١).

مضمونه ومحتواه

يعتبر مسند الإمام أحمد من أعظم دواوين السنَّة، ومن أمهات كتب الحديث؛ لما تضمنه من مسانيد، وحواه من أحاديث، فالناظر فيه يعلم أنَّه كتاب ذو رتب عالية، والمطالع فيه يحصَّل فوائد قيِّمة غالية، فهو كما قال أبو موسى المديني (ت ٥٨١هـ): «أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحابِ الحديث»[١].

وقال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): «مسند أحمد يشتمل على ثمانية عشر مسنداً، وربما أضيف بعضها إلى بعض»[٢].

وقال الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ): «من أجمع المسانيد للحديث»[٣].

وكان الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري يقول: «وقفت لبعض أصحابنا على عدد بعض المسانيد، فقال:

مسند بني هاشم خمسة وسبعون حديثاً.

مسند أهل البيت خمسة وأربعون حديثاً.

مسند عائشة ألف حديث وثلاثمائة وأربعون حديثاً.

مسند النساء تسعمائة وستة وثلاثون حديثاً.

مسند ابن مسعود ثمانمائة وخمسة وسبعون حديثاً.

مسند أنس ألفان وثمانمائة وثمانون حديثاً.

آخر ما رأيته وجملته سبعةُ آلاف ومائة وواحدٌ وسبعون حديثاً، وبقي مسند العشرة، ومسند أبي هريرة، ومسند أبي سعيد الخُدري، ومسند جابر بن عبد الله،

١- خصائص المسند (ص١٨).
٢- المعجم المؤسس (٢/٣٢).
٣- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار (١/٢٠٦).

ومسند عبد الله بن عمر، ومسند عبد الله بن عباس، ومسند عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي آخره مسند أبي رمثة.

ومسند الأنصار ﭫ.

ومسند المكيين، ومسند المدنيين، ومسند الكوفيين، ومسند البصريين، ومسند الشاميين.

فهذه جميع مسانيد الإمام أحمد ﷬ تعالى ورضي عنه»[١].

ويظهر للمتأمل أنَّ الإمام أحمد جعل فكرة ترتيب المسند من حيث الأفضلية، فجعل في البداية مسند أبي بكر ثمَّ بقية الخلفاء الراشدين، ثمَّ تممه ببقية العشرة المبشرين بالجنة، ثمَّ أهل البيت، ثمَّ المكثرين، وجعل على رأسهم العبادلة، وهكذا.

١- المصعد الأحمد (ص١٣- ١٤)، وروى فيه عن نحو (٢٩٨) شيخ.
وقيل: (٧٠٠) قاله أبو موسى المديني.
وقيل: نحو (٨٠٠) صحابي، منهم نحو (١٠٠) من نسائهم ﭫ كما ذكره ابن الجزري.
وعدهم البعض (١٠٥٦) كما ذكره ابن عساكر في «ترتيب أسماء الصحابة»، والخلاف في العدد قد يكون لأسباب أهمهما، النسخ الخطية.



عدد من سمعه عن الإمام أحمد

قال أبو موسى: قال ابن السماك: حدثنا حنبل بن إسحاق، قال: «جمعنا أحمد بن حنبل أنا، وصالح، وعبد الله، وقرأ علينا المسند وما سمعه منه غيرنا.

وقال لنا: هذا كتاب جمعته من سبع مئة ألف وخمسين ألف حديث، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله فارجعوا إليه فإن وجدتموه فيه، وإلا فليس بحجة»[١].

قال الإمام ابن القيم معلقاً: «قلت هذه الحكاية قد ذكرها حنبل في «تاريخه»، وهي صحيحةٌ بلا شكٍ؛ لكنْ لا تدل على أنَّ كل ما رواه في المسند فهو صحيح عنده، فالفرق بين أن يكون كل حديث لا يوجد له أصل في المسند فليس بحجة، وبين أن يقول كل حديث فيه فهو حجة.

وكلامه يدل على الأول لا على الثاني، وقد استشكل بعض الحفاظ هذا من أحمد، وقال: في الصحيحين أحاديث ليست في المسند.

وأجيب عن هذا: بأنَّ تلك الألفاظ بعينها وإن خلا المسند عنها فلها فيه أصول ونظائر وشواهد، وأمَّا أن يكون متن صحيح لا مطعن فيه ليس له في المسند أصل ولا نظير فلا يكاد يوجد ألبتة»[٢].

١- راجع: «خصائص مسند الإمام أحمد»، لأبي موسى المديني (ص١٣)، و «ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج عنهم أحمد في المسند» لابن عساكر (ص٣٠)، و «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص٢٦٢)، و «السير» للذهبي (٣٢٩/١١).

٢- انظر: الفروسية النبويَّة (ص٢٧١).



الثناء على المسند

ويعتبر مسند الإمام من أكبر دواوين السنة كما علمت، ولذا فقد نال حظوة عجيبة، ومرتبة نبيلة عند أهل العلم عامة، وأهل الحديثِ خاصة، فتسابقوا لسماعه وإسماعه، وخدمته، والثناء عليهِ، وقد كثر المثنون عليه، وننقل جملة من أقوالهم تبين ذلك للقارئ بكل جلاء ووضوحٍ.

قال أبو الحسن ابن عساكر (ت ٥٧١هـ): «وهو كتاب نفيس، يرغب في سماعه وتحصيله، ويرحل إليه، إذ كان مصنفه الإمام المقدم في معرفة هذا الشأن، المعترف بفضله عند الفرق في سائر الأزمان، والكتاب كبير القدر والحجم، مشهور عند أرباب العلم، يبلغ أحاديثه ثلاثين ألفاً سوى المعاد وغير ما ألحق به ابنه عبد الله من عالي الإسناد، وكان مقصوده رحمه الله في جمعه إيَّاه أن يزج إليه في الاعتبار من بلغه أو رآه»[١].

وقال ابن خلكان (ت ٦٨١هـ): «صنَّف كتابه المسند، وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره»[٢].

وقال ابن جماعة الحموي (ت ٧٣٣هـ): «ونعم المعين للفقيه كتاب السنن الكبير لأبي بكر البيهقي، ومن ذلك المسانيد: كمسند أحمد بن حنبل، وابن حميد، والبزار»[٣].

وقال الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ): «وإنَّما شأن المحدث اليوم الاعتناء بالدواوين

١- انظر: «ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج عنهم أحمد بن حنبل في المسند» (ص٢٩- ٣٠).
٢- وفيات الأعيان (٦٤/١)، في كتاب «علوم الحديث ومصطلحه» للدكتور صبحي الصالح (ص١٢٣) «وأوفى تلك المسانيد وأوسعها "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، وفي هذا المسند أحاديث صحيحة كثيرة لم تخرج في "الكتب الستة"».
٣- تذكرة السامع والمتكلم (ص١١٥) ط: البشائر.

الستة، و(مسند) أحمد بن حنبل، و(سنن) البيهقي، وضبط متونها وأسانيدها، ثم لا ينتفع بذلك حتى يتقي ربه، ويدين بالحديث، فعلى علم الحديث وعلمائه ليبكِ من كان باكيا، فقد عاد الإسلام المحض غريبا كما بدأ، فليسعَ امرؤ في فكاك رقبته من النار، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ثمَّ العلم ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه الاتباع، والفرار من الهوى والابتداع، وفقنا الله وإياكم لطاعته»(١).

وقال التَّاج السبكي (ت ٧٧١ هـ): «ألَّف مسنده، وهو أصل من أصول هذه الأمة».

وقال: «إنَّما المحدِّث: من عرف الأسانيد، والعلل، وأسماء الرجال، والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة، وسمع الكتب الستة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني.. »(٢).

وقال الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): «يوجد في مسند الإمام أحمد من الأسانيد والمتون شيءٌ كثير ممَّا يوازي كثيراً من أحاديث مسلم؛ بل والبخاري أيضاً، وليست عندهما، ولا عند أحدهما؛ بل ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الأربعة، وهم: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة»(٣).

قال الحافظ زين الدين العراقي في «ألفيته» (ت ٨٠٦هـ):

١- السير (٣٢٣/١٣).

٢- طبقات الشافعية (٣١/٢).

٣- معيد النعم (ص٦٧).



وَاقْرَأْ كِتَاباً فِي عُلُوْمِ الأَثَرِ كَابْنِ الصَّلاَحِ أَوْ كَذَا الْمُخْتَصَرِ
وَبِالصَّحِيْحَيْنِ ابْدَأَنْ ثُمَّ السُّنَنْ وَالْبَيْهَقِيْ ضَبْطاً وَفَهْماً ثُمَّ ثَنْ
بِمَا اقْتَضَتْهُ حَاجَةٌ مِنْ مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَالْمُوَطَّأِ الْمُمَهَّدِ
وَعِلَلٍ، وَخَيْرُهَا لأَحْمَدَا وَالدَّارَقُطْنِي وَالتَّوَارِيْخُ غَدَا[١].

وقال الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) في «زوائد المسند»: «مسند أحمد أصح صحيحاً من غيره»[٢].

وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ):

وَكتب السِّتَّة بَادر واسمعا قبل الصَّحِيحَيْنِ وَبعد الأربعا
الترمذي وَأَبا داودا النسائي وفتى يزيدا
ثمَّ المسانيد، وَخير مُسْند عِنْد أولى الْحِفْظ كتاب أَحْمد
وَالسّنَن الْأُخْرَى واوعِ مَا بقي من كتب السّنة جمع البيهقي[٣]

وقال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): «أذكر في هذه الأوراق ما حضرني من الكلام على الأحاديث التي زعم بعض أهل الحديث أنَّها موضوعة وهي في المسند الشهير للإمام الكبير أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل إمام أهل الحديث في القديم والحديث، والمطلع على خفاياه، المثير لخباياه عصبية مني لا تخل بدين ولا مروءة وحمية للسنة لا تعد بحمد الله من حمية الجاهلية؛ بل هي ذب عن هذا المصنف العظيم، الذي تلقته الأمة بالقبول والتكريم وجعله إمامهم

١- أبيات برقم (٧٢٥- ٧٢٨) (ص١٥٨).
٢- نقله السيوطي في «تدريب الراوي» (٢/٢٥٣) ط: دار العاصمة.
٣- الهداية في علم الرواية مع شرحها الغاية (١/١١٠) ط: العلوم والحكم.

حجة يرجع إليه، ويعول عند الاختلاف عليه»[١].

وقال: «لا يشك منصف أن مسنده أنقى أحاديث وأتقن رجالاً من غيرِهِ، وهذا يدل على أنَّه انتخبه»[٢].

وقال حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ): «وهو كتاب جليل، من جملة أصول الإسلام»[٣].

وقال الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ): «أحسن انتقاء وتحريرًا من الكتب التي لم يلتزم مصنفوها الصحة في جميعها كالموطأ والسنن الأربع»[٤].

وفي هذه الأقوال من الثناء العطر، والمديح الجميل على كتاب المسند ما ينشرح به الصدر، ويطيب له الخاطر العاطر، وما زال المثنون عليه إلى زماننا هذا. فرحم الله الإمام أحمد وابنيه وأهله الصابرين معه، المثابرين على خدمة السنة.

ولله درُّ الإمام الصرصري إذ قال:

مِنْ أَحَادِيثَ أُسْنِدَتْ	وَأَثْبَتَهَا حِفْظًا بِقَلْبٍ مُحَصِّلِ
أَجَابَ عَلَى سِتِّينَ أَلْفَ قَضِيَّةٍ	بِأَخْبَرَنَا لَا مِنْ صَحَائِفَ نُقَّلِ
وَكَانَ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ وَحُجَّةً	لِنَقْدِ صَحِيحٍ ثَابِتٍ وَمُعَلَّلِ
وَكَانَ إِمَامًا فِي كِتَابٍ وَسُنَّةٍ	وَعِلْمٍ وَزُهْدٍ كَامِلٍ وَتَوَكُّلِ
فَمَنْهَجُهُ فِي الْحَقِّ أَقْوَمُ مَنْهَجٍ	وَمَوْرِدُهُ فِي الشَّرْعِ أَعْذَبُ مَنْهَلِ
وَهُدِّدَ فِي الْقُرْآنِ بِالسَّوْطِ وَالظُّبَا	فَلَمْ يَخْشَ مِنْ تَهْدِيدِ سَوْطٍ وَمِنْصَلِ

١- القول المسدد (ص٥- ٦) ط: عالم الكتب.
٢- النكت على كتاب ابن الصلاح (١/٤٤٧) ط: عمادة البحث العلمي.
٣- كشف الظنون (٢/١٦٨٠).
٤- نيل الأوطار (١/١٢٥) ط: ابن الجوزي.

فَمَا قَالَ شَيْئًا لَمْ يَقُلْ مُتَصَدِّيًا ... لِنَصْرِ الْهُدَى فَرْدًا عَلَى أَلْفِ جَحْفَلِ

وَمَنْ قَالَ فِي دِينِ الْهُدَى مُتَخَرِّصًا ... بِآرَائِهِ مَا لَمْ يَقُلْ لَمْ يَعْدِلْ

فَقَدْ كَانَ كَالصِّدِّيقِ فِي يَوْمِ رِدَّةٍ ... وَعُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ فِي الصَّبْرِ إِذْ بُلِي

وَفِي الضَّرْبِ إِذْ حُلَّتْ سَرَاوِيلُهُ دَعَا ... فَمَا فَارَقَتْ حَقْوَيْ مُحِقٍّ مُسَرْوَلِ

وَسَافَرَ مِنْ بَغْدَادَ مِنْ وَرَعٍ إِلَى ... خُرَاسَانَ فِي رَدِّ الْيَرَاعِ الْمُسَجَّلِ

وَمِنْ وَرَعٍ قَدْ كَانَ يَطْوِي ثَمَانِيًا ... مُوَاصَلَةً فِي عَسْكَرِ الْمُتَوَكِّلِ

هُوَ الْعَلَمُ الْمَشْهُورُ لَمْ يَطْوِ ذِكْرَهُ ... مَمَاتٌ بَلْ اسْتَعْلَى عَلَى كُلِّ مُعْتَلِ

إِمَامٌ عَظِيمٌ كَانَ لِلَّهِ حُجَّةً ... عَلَى نَفْيِ تَشْبِيهٍ وَدَحْضٍ مُعَطِّلِ[1]

١- غذاء الألباب (١/٣٠١).





رجاله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١]: «وفصل الخطاب أنَّ أحمد لم يروِ فيه عن الدعاة إلى البدع[٢]، بدع الكلام والرأي ونحو ذلك، وهذه طريقة أصحاب السنن، فإنَّه ترك أحاديث جماعة مثل كثير بن عوف [المزني]، وروى لهم أبو داود وغيره؛ لكن يوجد فيه ما يوجد في هذه الكتب من أحاديث رواها من غلط فيها لسوء حفظه لا لتعمده الكذب، فإن أريد بالموضوع ما قد يستدل على بطلانه بدليل منفصل فمثل هذا يقع في عامة الكتب، فإنَّ الثقات الكبار قد يغلطون في أشياء»[٣].

وقال السخاوي: حكى الطوفي عن التقي ابن تيمية أنَّه قال: «اعتبرت مسند أحمد، فوجدته موافقا لشرط أبي داود»[٤].

قال أبو عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ): «واعلم أنَّ الغالب فيه الرواية عن

١- كان شيخ الإسلام ابن تيمية يكره تلقيبه بتقي الدين، ويقول: «لكن أهلي لقبوني بذلك فاشتهر» انظر: «إبهاج الطالبين بقطوفِ من ألقاب من المحدثين» (ص٧٣)، و«حاشية ابن عابدين» (١/١٥)، و«معجم المناهي اللفظية» (ص٥٤٥).

٢- ذكر الذهبي في الموقظة (ص٨٥)، وقَارِن ما ذكره «بشرح علل الترمذي» لابن رجب (١/٥٦)، و «فتح المغيث» للسخاوي (٢/٢٢٥):«

- من بدعته غليظة.
- من بدعته دون ذلك.
- الداعي إلى بدعته.
- الكافر، وما بين ذلك.

فمتى جمع الغلظ والدعوة، تُجنِب الأخذ عنه. ومتى جمع الخفة والكف، أخذوا عنه وقبلوه. **فالغلظ** ك: غلاة الخوارج، والجهمية، والرافضة. **والخفة** ك: التشيع، والإرجاء. وأمَّا من استحل الكذب نصرا لرأيه كالخطابية، فبالأولى رد حديثه».

٣- البحر الذي زخر (٣/١١٨٧)، وانظر: «معرفة أنواع علوم الحديث» (النوع الثالث والعشرون: معرفة صفة من تقبل روايته، ومن ترد روايته) (ص١٠٤وما بعد).

٤- فتح المغيث (١/١٤٩)، ونقله الصنعاني في «توضح الأفكار» (١/١٩٨).

الثقات كـ: مالك، وشعبة، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم.

وفيه الرواية قليلًا عن جماعةٍ نسبوا إلى الضعف، وقلة الضبط، وذلك على وجه الاعتبار والاستشهاد، لا على طريق الاعتماد والاعتداد مثل: روايته عن عامر بن صالح الزبيري، وإبراهيم بن محمد الأسدي، وعمر بن هارون البلخي، وعلي بن عاصم الواسطي، وإبراهيم بن أبي الليث صاحب الأشجعي، ويحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلي، وتليد بن سليمان الكوفي، وحسين بن حسن الأشقر، وموسى بن هلال، وغيرهم ممن اشتهر الكلام فيهم؛ بل في المسند أحاديث سئل عنها فضعفها وأنكرها، وهذا يرد قول المديني: إنَّه لا يخرج إلا ما صح عنده»[1].

وقال الحافظ ابن رجب: «والذي يتبيَّنُ من عمل الإمام أحمد وكلامِهِ أنَّه يتركُ الرواية عن المتَّهمين والذين غلب عليهم الخطأ للغفلة وسوء الحفظ، ويحدث عمَّن دونهم في الضعف، مثل من في حفظه شيء أو يتختلِفُ النَّاسُ في تضعيفه وتوثيقه»[2].

١- النكت على ابن الصلاح (١/٣٦٠- ٣٦٢).
٢- شرح علل الترمذي (١/٩٢).



الاهتمام بالمسند

لقي المسند بحمدِ الله تعالى عناية فائقة، وحظوة كبيرة، واهتماماً عظيماً من قبل أهل العلم، من جهود مبذولة، وحرص على سماعهم[1]، ثمَّ شرحهم له، وبيان غريبه، وترتيبهم أحاديثه، واختصارهم وتقريبهِم، وتهذيبهم له، مع دفاعهم عنه، وغير ذلك من العناية التي لقيها المسند بحمد الله تعالى، ومن هذه العناية:

[١] الحرص على سماع المسند.

وأول شيء يذكر في هذا الجانب حرصهم على سماع المسند، كما ذكر أبو بكر بن مردويه قال: كتب إليَّ أبو حازم العبدوي يذكر أنَّه سمع الحاكم أبا عبد الله عند منصرفه من بخارى، يقول: كنت عند أبي محمد المزني فقدم عليه إنسان علوي من بغداد، وكان أقام ببغداد على كتابة الحديث، فسأله أبو محمد المزني وذلك في سنة ست وخمسين وثلاثمائة عن فائدته ببغداد، وعن باقي إسناد العراق فذكر في جملة ما ذكر، سمعت مسند أحمد بن حنبل رحمه الله، من أبي بكر بن مالك في مائة جزء وخمسين جزءاً، فعجب أبو محمد المزني من ذلك.

وقال: مائة وخمسون جزءاً من حديث أحمد بن حنبل! كنَّا ونحن بالعراق إذا رأينا عند شيخ من شيوخنا جزءاً من حديث أحمد بن حنبل قضينا العجب من ذلك، فكيف في هذا الوقت هذا المسند الجليل، فعزم الحاكم على إخراج الصحيحين، ولم يكن عنده مسند إسحاق الحنظلي، ولا مسند عبد الله بن شيرويه، ولا مسند أبي العباس السراج، وكان في قلبه ما سمعه من أبي محمد المزني

١- ذكر الحافظ ابن حجر جماعة منهم، كما في (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، وتركت ذكر ذلك خشية الإطالة.

فعزم على أن يخرج إلى الحج في موسم سنة سبع وستين، فلمَّا ورد في سنة ثمان وستين أقام بعد الحج ببغداد أشهراً، وسمع جملة المسند من أبي بكر بن مالك وعاد إلى وطنه، ومد يده إلى إخراج الصحيحين على تراجم المسند[١].

وقال أبو موسى المديني: «إنَّ ممَّا أنعم الله علينا أنْ رزقنا سماع كتاب المسند للإمام الكبير إمام الدين أبي عبد الله أحمد»[٢].

وفي ترجمة (عبد الله ابن الإمام أحمد)، يقول الذهبي: وسمع أبو نعيم الحافظ كثيراً منه من أبي علي بن الصواف، وعامته من أبي بكر القطيعي، وحدث القطيعي مرات، وقرأه عليه أبو عبد الله الحاكم، وغيره، ولم يكن القطيعي من فرسان الحديث، ولا مجوداً، بل أدى ما تحمله، إنْ سلم من أوهام في بعض الأسانيد والمتون.

وآخر من روى (المسند) كاملاً عنه -سوى نزر يسير منه، أسقط من النسخ- الشيخ الواعظ أبو علي بن المذهب، ولم يكن صاحب حديث؛ بل احتيج إليه في سماع هذا الكتاب، فرواه في الجملة، وعاش بعده عشرة أعوام الشيخ أبو محمد الجوهري، فكان خاتمة أصحاب القطيعي، وتفرد عنه بعدة أجزاء عالية، وبسماع مسند العشرة من (المسند).

ثمَّ حدث بالكتاب كله آخر أصحاب ابن المذهب وفاة الشيخ الرئيس الكاتب أبو القاسم هبة الله بن محمد الشيباني بن الحصين، شيخ جليل مسند، انتهى إليه علو الإسناد، بمثل قبة الإسلام بغداد، وكان عرياً من معرفة هذا الشأن أيضاً.

١- خصائص المسند (ص١٠).

٢- النكت على ابن الصلاح (١/٣٦٠- ٣٦٢).



روى الكتاب عنه خلق كثير، من جملتهم: أبو محمد بن الخشاب إمام العربية، والحافظ أبو الفضل بن ناصر، والإمام ذو الفنون أبو الفرج بن الجوزي، والحافظ الكبير أبو موسى المديني، والحافظ العلامة شيخ همذان أبو العلاء العطار، والحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر، والقاضي أبو الفتح بن المندائي الواسطي، والشيخ عبد الله بن أبي المجد الحربي، والمبارك بن المعطوش، والشيخ المبارك حنبل بن عبد الله الرصافي في آخرين...[١].

وقال الشيخ جمال الدين ابن الجوزي عن ابن ناصر السلامي: كان شيخنا ثقةً، حافظًا، ضابطًا من أهل السنة، لا مغمز فيه، تولى تسميعي، سمعت بقراءته (مسند أحمد) والكتب الكبار، وعنه أخذت علم الحديث، وكان كثير الذكر، سريع الدمعة[٢].

وحدث أبو طاهر المبارك بن المبارك بن هبة الله ابن المعطوش البغدادي بـ(مسند أحمد) مرات وكانت الرحلة إليه، ومتعه الله بسمعه وبصره وعقله إلى حين وفاته، وكان مكرمًا لمن يقصده من الطلبة، بسامًا، مزاحًا[٣].

وقال ابن نقطة: حدثنا أبو الطاهر ابن الأنماطي بدمشق، قال: حدثني حنبل بن عبد الله بن فرج بن سعادة، قال: لما ولدت، مضى أبي إلى الشيخ عبد القادر الجيلي، وقال له: قد ولد لي ابن، ما أسميه؟

قال: سمّه حنبل، وإذا كبر سمِّعْهُ (مسند أحمد بن حنبل).

قال: فسماني كما أمره، فلما كبرت، سمعني (المسند)، وكان هذا من بركة مشورة

١- سير أعلام النبلاء (١٣/٥٢٥).
٢- السير (٢٠/٢٦٥).
٣- المصدر نفسه (٢١/٤٢١).

الشيخ.

قال أبو شامة: كان فقيرًا جدًا، روى (المسند) بإربل، وبالموصل، ودمشق.

قال ابن الأنماطي: سمعت منه جميع (المسند) ببغداد، أكثره بقراءتي عليه في نيف وعشرين مجلسًا، ولما فرغت، أخذت أرغبه في السفر إلى الشام، فقلت: يحصل لك مال، ويقبل عليك وجوه الناس ورؤساؤهم.

فقال: دعني؛ فوالله ما أسافر لأجلهم، ولا لما يحصل منهم، وإنما أسافر خدمة لرسول الله ﷺ أروي أحاديثه في بلد لا تروى فيه.

قال ابن الأنماطي: اجتمع له جماعة لا نعلمها اجتمعت في مجلس سماع قبل هذا بدمشق، بل لم يجتمع مثلها لأحد ممَّن روى (المسند) قلت: أسمعه مرة بالبلد، ومرة بالجامع المظفري[1].

ومنهم: محمد بن علي بن محمود ابن الدقوقي البغدادي المعمر. سمع من ابن أبي الدينة (مسند) الإمام أحمد، وحدث عن أبي محمد بن ورخز[2].

ومنهم: شيخ الإسلام ابن تيمية. قال ابن عبد الهادي: وسمع (مسند الإمام أحمد) مرات، و(معجم الطبراني الكبير)، والكتب الكبار، والأجزاء، وعني بالحديث، وقرأ بنفسه الكثير، ولازم السماع مدة سنين[3].

ومنهم: ابن الحصين هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الشيخ الجليل، المسند، الصدوق، مسند الآفاق، أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد

١- المصدر نفسه (٤٣٢/٢١- ٤٣٣)، قلت: وحصل لي في جامع المظفري سماعًا لبعض الكتب إجازة بالسند إلى أصحابها، فلله الحمد.

٢- أعيان العصر (٦٥٩/٤).

٣- طبقات علماء الحديث (٢٨١/٤- ٢٨٢).



بن العباس بن الحصين الشيباني، الهمذاني الأصل، البغدادي، الكاتب.

وتفرد برواية مسند أحمد، وفوائد أبي بكر الشافعي المشهورة بـ (الغيلانيات)[١]، وبـ (اليشكريات)[٢]، وسماعه لكثير من (المسند) كان في سنة ست وثلاثين، كذلك بينه ابن المذهب في (الثبت) لابن الحصين، فقال: سمع مني الكتاب في سنتي ست وسبع وثلاثين[٣].

ومنهم: أبو بكر الزنجوي هذا إمام في الفقه تفقه على القاضي أبي الطيب الطبري ببغداد وشريكه في الدروس الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وكفى بذلك فخرًا.

سمع بزنجان: على القاضي أبي عبد الله الفلاكي كتاب (المسند) لأحمد بن حنبل يرويه، عن ابن مالك القطيعي، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد[٤].

ومنهم: الشيخ الفقيه محمد بن أبي الحسين اليونيني: حدَّث بالمسند، وكرر أكثره، وكان أحفظ أهل زمانه وأذكاهم، يحفظ في الجلسة نحوًا من سبعين حديثًا[٥].

ومنهم من رحل لإسماع الناس المسند، كأبي علي حنبل الرصافي، فإنَّه سافر من بغداد إلى الشام بقصد خدمة رسول الله ﷺ، ورواية أحاديثه في بلد لا تروى فيه، وحدث بـ (مسند أحمد)، فاجتمع بمجلسه لهذه النية الصالحة من الخلائق

١- وهي فوائد حديثية رواها أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان (ت٤٤٠ هـ). عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي (ت ٣٥٤ هـ). إملاء عن شيوخه، وهي أحد عشر جزءًا.

٢- وهي أربع أجزاء من إملاء أبي العباس أحمد بن منصور اليشكري (ت ٣٧٠ هـ). انظر «الرسالة المستطرفة» (٧٠)، و«شذرات الذهب» (٧١/٣).

٣- السير (٥٣٦/١٩- ٥٣٧).

٤- معجم السفر (١٣٢).

٥- السير (الجزء المفقود من سير أعلام النبلاء) (٦/٢٠) ط: الدار العالمية.

ما لم يجتمع في مجلس قبله بدمشق[١].

ومنهم إسماعيل بن أبي عبد الله بن حماد، العسقلاني، ثم الصالحي، أبو الفداء.

قال الذهبي: «سألت عنه أبا الحجاج المزي فقال: سمع "المسند" من حنبل، وسمع من ابن طبرزد عامة ما قرئ عليه بالجبل، وأجاز له أبو جعفر الصيدلاني وسمعنا منه أشياء كثيرة»[٢].

ومنهم: أبو علي حنبل بن عبد الله بن فرج بن سعادة المكبر الرصافي البغدادي: سمع جميع مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني من الرئيس أبي القاسم ابن الحصين، وحمل إلى إربل فأسمعه بها، وسمعت بها كثيرا منه، ثمَّ رحل إلى دمشق فأسمعه بها وألحق هناك الصغار بالكبار، سمع عليه أهل دنيسر شيئًا منه حين قدمها عليهم في طريقه إلى الشام[٣].

ومن سمع المسند أو أسمعه كُثر ولا يمكن لي حصرهم في هذا الكتاب بل شأن ذلك أن يفرد، والله المعين.

[٢] ومن العناية: العناية الشاملة به.

(١) **جمع غريبه:** كما فعل أبو عمر محمد بن عبد الواحد، المعروف: بغلام ثعلب (ت ٣٤٥ هـ) في كتاب[٤].

وممَّن شرح غريبه، وحكَم على أحاديثه، وصنع له فهارسًا، الشيخ أحمد شاكر

١- فتح المغيث (آداب المحدث) (٢١٨/٣).

٢- تاريخ الإسلام (٤٦٥/١٥).

٣- تاريخ دنيسر (ص٣٩).

٤- واسمه: (غريب الحديث)، ففي «طبقات الحنابلة» (٦٨٢/٢) عن أبي القاسم عبد الواحد بن برهان الأسدي قال: «لم يتكلَّمْ في علم اللغة أحدٌ من الأولين والأخرين أحسن من كلام أبي عمر الزاهد، قال: وله كتاب "غريب الحديث"، صنَّفه على مسند الإمام أحمد، وجعل يستحسنه جداً».



المصري (ت ١٣٧٧هـ).

وكذلك فريق مؤسسة الرسالة الذي أشرف عليه الشيخ شعيب الأناؤوط، فكثيرًا ما يذكر في حواشي الكتاب الغريب نقلًا عن الخطابي والسندي وغيرهم، فجزاهم الله خيرًا جميعًا على الجهد المبذول في خدمة هذا الديوان العظيم.

(٢) **واختصره**: الشيخ الإمام سراج الدين عمر بن علي، المعروف بابن الملقن الشافعي (ت ٨٠٥هـ).

واختصره الشيخ زين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي (ت ٩٣٦هـ). وسمَّاه: «الدر المنتقد من مسند أحمد»[1].

وكتاب «المنتقى من المسند» للضياء المقدسي (ت ٦٤٣هـ).

وكذلك لأبي الفرج ابن الجوزي كتابًا سمَّاه: «جامع المسانيد»، قال عنه: «جمعت في مسند أحمد، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكتاب الترمذي، وهذه الكتب الأربعة تكون قريبًا من ثلاثين مجلدًا- فاختصرتها في خمس مجلدات مع ذكر الأسانيد»[2].

وقربه الشيخ صالح الشامي في «تقريب مسند الإمام أحمد بن حنبل» وصدر عن دار القلم في أربعة مجلدات وذلك بحذفه المكرر.

وطبع أيضاً باسم «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، بعناية الشيخ أيضاً، وصدر عن نفس الدار في ستة مجلدات، وهو في الحقيقة ليس المسند! وإنَّما هو تهذيب المسند؛ إذ أنَّ عمله قام على الاختصار وحذف المكرر.

١- كشف الظنون (٢/١٦٨٠)، أو «الدر المنضَّد من مسند أحمد» انظر: الكواكب السائرة (٢/٢٢٥).

٢- ذكره في كتابه «القصاص والمذكرين» (ص٣٧٢).

(٣) **والعناية بإعرابه:** فعليه تعليقة للسيوطي في إعرابه سمَّاها: «عقود الزبرجد»[١].

(٤) **وشرح (المسند):** أبو الحسن بن عبد الهادي السندي، نزيل المدينة المنورة. (ت ١١٣٩هـ)، وهو شرح كبير، نحواً من خمسين كراسة كبار[٢].

وصدر حديثاً شرح مسند الإمام أحمد للشيخ المحدث محمد المنتصر الكتاني، المسمى: «المجالس المدنية في شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل حافظ السنة النبوية»، وهو ليس بشرح كامل، صادر عن دار المنهاج.

(٥) **العناية بترتيبه:** رتبه ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) في كتابه: «ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج عنهم أحمد بن حنبل في المسند».

ورتبه ابن المحب الصامت (ت ٧٨٩هـ) على معجم الصحابة والرواة عنهم[٣].

وضمَّ الحافظ ابن كثير كتاب ابن المحب الصامت إلى «الكتب الستة»، و «مسند البزار»، و«مسند أبي يعلى الموصلي»، و «معجم الطبراني الكبير»، ورتبها جميعاً على نفس ترتيب ابن المحب للمسند، وسماه: «جامع المسانيد والسنن»[٤]. وفي هذا يقول ابن الجزري: ثمَّ إن شيخنا الإمام، مؤرخ الإسلام،

١- ولأبي البقاء العكبري كتاب «إعراب الحديث النبوي» أورد فيه أحاديث كثيرة من مسند الإمام أحمد، طُبع ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. كما في مقدمة المسند (٩١/١).

٢- وأفضل الطبعات لها طبعة دار المأثور.

٣- وكذا رتبه على حروف المعجم، أبو بكر محمد بن عبد الله بن عمر المقدسي الحنبلي المتوفى (سنة٨٢٠) هجري، انظر: «تاريخ التراث العربي» لسزكين (٢٢١/٣).

ومنها: ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب صحيح البخاري، وقد ألفَّ هذا الكتاب الإمام علي بن الحسين بن عروة بن زكنون (ت ٨٣٧ هـ)، وسمَّاه "الكواكب الدراري"، قال السخاوي في «الضوء اللامع» (٢١٤/٥)، وسمَّاه: «الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري»، وشرحه في مئة وعشرين مجلداً» نقلاً عن «مقدمة مسند الإمام أحمد» (٨٦/١- ٨٧).

٤- وفي «إنباء الغمر» للحافظ ابن حجر (٤٧/١) «ولما رتب الحافظ شمس الدين بن المحب المعروف بالصامت مسند أحمد على ترتيب حروف المعجم حتى في التابعين المكثرين عن الصحابة أعجب ابن كثير فاستحسنه، ورأيت النسخة بدمشق بخط ولده عمر فألحق ابن كثير ما استحسنه في الهوامش من



وحافظ الشام، عماد الدين أبا الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير رحمه الله تعالى أخذ هذا الكتاب المرتب من مؤلفه، وأضاف إليه الكتب الستة، ومعجم الطبراني الكبير، ومسند البزار، ومسند أبي يعلى الموصلي، وجهد نفسه كثيرًا، وتعب فيه تعبًا عظيمًا، فجاء لا نظير له في العالم، وأكمله إلا بعض مسند أبي هريرة رضي الله عنه فإنَّه مات قبل أن يكمله، فإنَّه عوجل بكفِّ بصره، وقال لي رحمه الله تعالى: «لا زلت أكتب فيه في الليل والسراج يُنوَنِص حتى ذهب بصري معه، ولعلَّ الله أن يقيض له من يكمله فإن معجم الطبراني الكبير لم يكن فيه شيء من مسند أبي هريرة رضي الله عنه»[١].

ومنها: «المحصل لمسند أحمد بن حنبل» وهو لفضيلة الشيخ: عبد الله القرعاوي ونشرته دار العاصمة، ويقع في (٢٥) مجلداً، والخمسة الأخيرة للفهارس.

وهو عمل موضوعي على المسند، صنعه الشيخ القرعاوي، فقام بترتيب أحاديثه، ترتيباً موضوعياً، على أقسام علمية، معتمداً تقسيمَ «الفتح الرباني» للبنَّا السابق، مع اختلافٍ يسيرٍ، وقد يغير فيه أو يزيد أحاديث ويختلف عن كتاب البنا لكونه ساق الحديث بسنده ومتنه..[٢].

ورتب الشيخ أحمد ابن الساعاتي، فعلى الأبواب، وقد بلغ منه الجهد في ذلك، وسمَّى كتابه «الفتح الرباني لترتيبِ مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني»، ثمَّ

الكتب الستة ومسندي أبي يعلى والبزار ومعجمي الطبراني ما ليس في المسند، وسمى الكتاب جامع المسانيد والسنن وكتبت منه عدة نسخ نسبت إليه وهو الآن في أوقاف المدرسة المحمودية، المتن ترتيب ابن المحب والإلحاقات بخط ابن كثير في الهوامش، وقد كنت رأيت منه نسخة بيضها عمر بن العماد بن كثير مما في المتن والإلحاق، وكتب عليه الاسم المذكور».

١- ذكره في كتابه «القصاص والمذكرين» (ص٣٧٢).

٢- الفتح الرباني للساعاتي (١/٢٠).

شرح كتابه هذا، وخرَّج أحاديثه في كتابٍ آخر سمَّاه «بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني» جعله معه[1].

(٦) **وترجم شمس الدين الحسيني رجاله** في كتابه: «الإكمال بمن في مسند أحمد من الرجال ممن ليس في تهذيب الكمال للمزي»، واختصره ابن حجر في «تعجيل المنفعة»[2].

ولشمس الدين الحسيني «التذكرة برجال العشرة»، وهي الكتب الستة، والموطأ، ومسند أحمد، ومسند الشافعي، ومسند أبي حنيفة.

وكتاب «المقصد الأحمد في رجال أحمد» لابن الجزري.

(٧) **ثمَّ جعل له الحافظ ابن حجر أطرافاً**: فسمَّاه «المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي» وطبع في عشر مجلدات[3].

١- يقول الشيخ عبد الكريم الخضير حفظه الله: «وكذلك رتبه الساعاتي في "الفتح الرباني"، وقد شرح الساعاتي ترتيبه بحاشية في أولها تستطيع أن تسميها شرحًا: بخلاف منتصفها الثاني، واسمها: "بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني"، وكم حصل من الخلل في المسند لما رتبه الساعاتي وحذف التكرار وحذف الأسانيد! حيث صار فائدته ضعيفة جدًا، لكن لو أبقاه كما هو، ورتبه كما رتبه ابن عروة في الكواكب الدراري لنفع الله به نفعًا عظيمًا».

٢- انظر: المصعد الأحمد (ص٢٤).

٣- قال ابن حجر رحمه الله في «مقدمته» (١/١٦٩- ١٧٠): «فهذا كتاب أطراف الأحاديث التي اشتمل عليها "المسند" الشهير الكبير للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل مع زيادات ابنه عبد الله.

رتبت أسماء الصحابة الذين فيه على حروف المعجم، ثم من عرف بالكنية، ثم المبهم، ثم النساء كذلك.

فإن كان الصحابي مكثرا رتبت الرواة عنه على حروف المعجم، فإن كان بعض الرواة مكثرًا على ذلك المكثر فربما رتبت الرواة عنه أيضًا، أو رتبت أحاديثه على الألفاظ، وقد أشرت في أوائل تراجم الصحابة المقلين إلى أماكنها من الأصل.

وأمَّا من كان مُكثرًا فإنِّي أرمز على اسم شيخ أحمد عددا بالهندي يعلم منه محل ذلك في أي جزء هو من مسند ذلك الصحابي.

وإذا كان الحديث عنده من طريق واحدة سقت إسناده بحروفه، فإن كان المتن قصيرًا سُقتُه أيضًا بحروفه إن لم يكن مشهور اللفظ، وإلا اكتفيت بطرفه.

وإذا كان الحديث عنده من طرق جمعتها في مكان واحد بالعنعنة، واللفظ حينئذٍ لأول شيخ يذكر.



٣- [كتب الزوائد]

ومن العناية: الكتب التي عنيت بجمع الزوائد والأطراف، وقد كانت زوائد مسند الإمام أحمد في مقدمتها، وذلك لأنَّه من أعظم دواوين السنَّة وأكبرها، وهذه الظاهرة -جمع الزوائد على الكتب-، من أوائل من صنَّف فيها، مغلطاي، ثمَّ ابن الملقن، ثم كثرت في طلاب الحافظ العراقي ومن جاء بعدهم، كـ: (الهيثمي، والبوصيري، وابن حجر العسقلاني)، وبعضها موجود، وبعضها مفقود.

والزوائد هي: «الأحاديث التي يزيد بها بعض كتب الحديث على بعض آخر معين منه»[١].

فمن كتب **الهيثمي**:[٢]

١-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد[٣].

٢-غاية المقصد في زوائد المسند (مسند الإمام أحمد).

وللحافظ **البوصيري** كتاباً سمَّاه: (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة)[٤].

وإذا كان من زيادات عبد الله قلت في أول الإسناد: قال عبد الله».

١- الرسالة المستطرفة (ص١٧٢).

٢- ومن الكتب في هذا الباب -الزوائد- للمؤلف أيضاً.
١-كشف الأستار عن زوائد البزار.
٢-المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي.
٣-بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث
٤- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان.
٥- البدر المنير على زوائد المعجم الكبير.
٦- مجمع البحرين في زوائد المعجمين- الصغير والأوسط-.

٣- جمع فيه زوائد ستة كتب- مسند أحمد، والبزار، وأبي يعلى، ومعاجم الطبراني الثلاثة- على الكتب الستة المعروفة. انظر: «البحر الذي زخر» (٧٦١/٢- ٧٦٢)

٤- وله أيضاً: «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه على الخمسة».
وكتابه اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: تضمن زوائد: «
١-موطأ الإمام مالك بن أنس ٢-مسند الإمام الشافعي ٣-مسند الإمام أحمد بن حنبل

وللحافظ **ابن حجر**: (المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية)، وقد طُبع طبعةً غاية في الروعة والإتقان في دار العاصمة[1].

-زوائد البزار على الكتب الستة ومسند أحمد.

ووقفت على كتاب وصلني هدية واسمه (اللؤلؤ والزبرجد في زوائد أحمد على الكتب الستة) جمع وترتيب الشيخ محمد بن أحمد الحكمي، وطبع في مجلد، وهو

٤-سنن الدارمي ٥- المنتقى لابن الجارود ٦-صحيح ابن خزيمة
٧-مستخرج أبي عوانة ٨-شرح معاني الآثار للطحاوي ٩-صحيح ابن حبان
١٠- سنن الدارقطني ١١-مستدرك الحاكم».

ثمَّ إنَّ الحافظ أيضًا لم يقتصر على المصادر العشرة التي ذكرها في مقدمة "الإتحاف" والتزم بها، فكثيرا ما ينقل عن غيرها مثل:

١-الأدب المفرد للبخاري.
٢-روضة العقلاء و«كتاب الصلاة»، وكلاهما لابن حبان.
٣-المعاجم الثلاثة للطبراني و «الدعاء» له.
٤-تهذيب الآثار للطبري.
٥-جامع بيان العلم لابن عبد البر.
٦-فضائل القرآن.
٧-مسند البزار.
٨-مسند الحارث بن أسامة.
٩- كتاب «السياسة» وكتاب «التوكل» كلاهما لابن خزيمة.
١٠-و «شعب الإيمان» و«السنن الكبرى» كلاهما للبيهقي.
١١-مسند إسحاق بن راهويه.
١٢-مصنف ابن أبي شيبة.
١٣-ومسند أبي يعلى الموصلي وغيرها.

١- وهذه المسانيد: (مسند أبي داود البصري الطيالسي، ومسند أبي بكر الحميدي، ومسند ابن أبي عمر العدني، ومسند عبد بن حميد الكشي، ومسند مسدد بن مسرهد، ومسند أحمد بن منيع البغوي، ومسند أبي بكر بن أبي شيبة، ومسند الحارث بن أبي أسامة)

وهذه المسانيد الثمانية قد ذكرها البوصيري في كتابه «إتحاف الخيرة»، وأضاف إليها:

١- مسند إسحاق بن راهويه.
٢- مسند أبي يعلى الموصلي.

قال السيوطي في «البحر الذي زخر بشرح ألفية أهل الأثر» (٧٦٥/٤) «غير أنه يقع فيه التداخل مع زوائد الهيثمي فَجَرَّدْتُ زوائد المسانيد المذكورة على كتاب الهيثمي لتكون ذيلًا عليه في تأليف لطيف سميته: بغية الرائد في الذيل على مجمع الزوائد».



أشبه بطبعة خاصة، طبع عام (١٤٣١ هجري)، والله أعلم.

[٤] ومن العناية به: كتابة أطرافه.

تعريفها: «هي التي يقتصر فيها على ذكر طرف الحديث الدال على بقيته مع الجمع لأسانيده، إمَّا على سبيل الاستيعاب أو على جهة التقيد بكتب مخصوصة»(١).

طريقتها: قال المناوي: «وصفة تصنيفه -يعني الحديث- بأن يتصدى له إذا تأهل وذلك يعنى ترتيبه إمَّا على المسانيد: بأنْ يجمع مسند كل صحابي على حدة، فإن شاء رتبه على سوابقهم، وإن شاء على حروف المعجم وهو أسهل تناولًا.

أو تصنيفه على الأبواب الفقهية أو غيرها بأنْ يجمع في كل باب ما ورد فيه ممَّا يدلُّ على حكمه إثباتًا أو نفيًا، والأولى أن يقتصر على ما صح أو حسن، فإنَّ جمع الجميع فليبيِّن علَّة الضعف.

أو تصنيفه على العلل فيذكر المتن وطرقه وبيان اختلاف نقلته، والأحسن أن يرتبها على الأبواب ليسهل تناولها.

أو تجميعه على الأطراف، فيذكر طرف الحديث الدَّال على بقيته، ويجمع أسانيده إمَّا مستوعبًا وإمَّا متقيدًا بكتب مخصوصة»(٢).

حكمها: عن زهير بن حرب، ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، قال: «لا بأس بكتابة الأطراف»(٣).

١- الرسالة المستطرفة (١٦٨).

٢- اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر (٢/٤٣٦- ٤٣٧).

٣- الجامع لأخلاق الراوي (١/٢٢٧) وإطراف المسْنِد المعتَلِي بأطراف المسنَد الحنبلي (١١٧١)، وقال الخطيب معلقًا: «إنَّما قال هذا؛ لأنَّ جماعة من السلف كانوا يكرهون كتابة العلم في الصحف،

تاريخ التأليف فيها: يقول الحافظ ابن حجر: «ثمَّ صنف الأئمة في ذلك تصانيف قصدوا بها ترتيب الأحاديث وتسهيلها على من يروم كيفية مخارجها.

فمن أول من صنف في ذلك: خلف الواسطي، جمع أطراف الصحيحين، وأبو مسعود الدمشقي جمعها أيضاً، وعصرهما متقارب، وصنَّف الداني أطراف الموطأ.

ثمَّ جمع أبو الفضل بن طاهر أطراف السنن، وهي لأبي داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، وأضافهما إلى أطراف الصحيحين.

ثمَّ تتبع الحافظ أبو القاسم بن عساكر أوهامه في ذلك، وأفرد أطراف الأربعة.

ثمَّ جمع الستة أيضاً المحدث قطب الدين القسطلاني.

ثمَّ الحافظ أبو الحجاج المزي، وقد كثر النفع به»[1].

ثمَّ إنِّي نظرت فيما عندي من المرويات فوجدت فيها عدة تصانيف قد التزم مصنفوها الصحة، فمنهم من تقيد بالشيخين كالحاكم، ومنهم من لم يتقيد كابن حبان، والحاجة ماسة إلى الاستفادة منها، فجمعت أطرافها على طريق الحافظ أبي الحجاج المزي وترتيبه، إلا أنِّي أسوق ألفاظ الصيغ في الإسناد غالباً لتظهر فائدة ما يصرح به المدلس، ثمَّ إن كان حديث التابعي كبيراً رتبته على أسماء الرواة عنه غالباً، وكذا الصحابي المتوسط[2].

ويأمرون بحفظه عن العلماء، فرخص إبراهيم في كتابة الأطراف، للسؤال عن الأحاديث، ولم يرخص في كتابة غير ذلك».

١- رتب [المزي] أسانيد الكتب الستة على ترتيب الصحابة، فإذا كان الصحابي من المكثرين رتب على ترتيب التابعين، وإذا كان التابعي من المكثرين رتب على ترتيب أتباعهم وهكذا إلى مؤلفي الأصول الستة، فيجب على الباحث أن يكون متنبهًا؛ فإنَّ الصحابي قد يروي عنه أكثر من تابعي، فهو يرتب حديث التابعين ثمَّ يروي عنهم، ثم من أخرج هذا الطريق من أصحاب الأصول الستة. وقد فات المؤلف ذكر بعض الطرق فنبَّه عليه الحافظ ابن حجر، وسمَّى هذه التنبيهات: (النكت الظراف) كما في «معجم اصطلاحات المحدثين» (ص٩٢).

٢- انظر: مقدمة إتحاف المهرة (١/١٠٢- ١٠٣).



فوائد الأطراف:

١-معرفة من أخرج الحديث من أصحاب المصادر الأصلية.

٢-الوقوف على الأسانيد في موضع واحد.

٣-الوقوف على موضع الالتقاء والتفرق في الإسناد[١].

(فائدة): كتب الأطراف مداخل وفهارس للمصادر المسندة، يقتصر فيها غالبًا على جزء من المتن، وأمَّا كتب المعاجم والمسانيد، فهي مصادر أصيلة يروي أصحابها الأحاديث بأسانيدهم، ويسوقون تمام متونها[٢].

وكتابة الأطراف تعدل اليوم مكتبة حديثية متنقلة[٣].

١- انظر: معجم مصطلحات المحدثين (ص٤٢)

٢- طرق التخريج بحسب الراوي الأعلى (ص١٤٠- ١٤١).

٣- المدخل إلى الإكليل (ص٨٥)، وذكرت في كتابي «لذة العلم والسماع» (ص٣٣٦- ٣٣٨)، قلت: وهذا الكم كان له شأن عند أهل الحديث، ففي «تذكرة الحفاظ» للذهبي (١٢٨/٢) قال ابن داسه: «كان لأبي داود كم واسع، وكم ضيق، فقيل له في ذلك فقال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه».

وفي «تعليم المتعلم» للزرنوجي (ص٦٩) قال أبو حنيفة رحمة الله عليه لأصحابه: «عظموا عمائمكم، ووسعوا أكمامكم».

وفي «الإرشاد في معرفة علماء الحديث» للخليلي (٦٤٨/٢) في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن الحسين بن علي المعروف بابن ديزيل، كبير في هذا الشأن، عارف، ارتحل إلى العراق، والحجاز، دخل مصر، والشام، يحكى عنه قال: «كنت أطوف بالشام، وفي كمي ثلاثون جزءًا في كل جزء ألف حديث»، قلت: لعلَّ خطه كان دقيقًا، فذلك يفعله بعض أهل الحديث، كما أسند السمعاني في «أدب الإملاء» (ص١٦٩) بسندهِ عن إسماعيل بن طاهر النسفي قال: «قيل لطالب الحديث- أو غيره-: لم تقرمط؟ فقال: لقلَّةِ الورَقِ والورِقِ، والحملِ على العنُقِ» و(الورِق) هو الفضة.

وفي «السير» للذهبي (١٧٣/١٢) قال أبو زرعة الرازي: «ارتحلت إلى أحمد بن صالح، فدخلت فتذاكرانا إلى أن ضاق الوقت، ثمَّ أخرجت من كمي أطرافًا فيها أحاديث، فسألته عنها: فقال لي: تعود.

فعدت من الغد مع أصحاب الحديث، فأخرجت الاطراف، وسألته فقال: تعود.

فقلت: أليس قلت لي بالأمس: ما عندك ما يكتب، أورد عليَّ مسندًا أو مرسلًا أو حرفًا مما أستفيد، فإن لم أورد ذلك عمَّن هو أوثق منك، فلست بأبي زرعة، ثمَّ قمت، وقلت لأصحابنا: من ها هنا ممَّن نكتب عنه؟ قالوا: يحيى بن بكير. فذهبت إليه».

وفي «المدخل إلى كتاب الإكليل» للحاكم (ص٨٥)، وعن إبراهيم بن محمد بن يحيى يقول: سمعت

الكتب المصنفة فيها.

إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، للحافظ ابن حجر جمع فيه أحاديث السنة على طريقة الأطراف، وهذه الكتب هي: (موطأ الإمام مالك بن أنس، ومسند الإمام الشافعي، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وسنن الدارمي، المنتقى لابن الجارود، وصحيح ابن خزيمة، ومستخرج أبي عوانة، وشرح معاني الآثار للطحاوي، وصحيح ابن حبان، سنن الدارقطني، مستدرك الحاكم)[1].

ومنها:

١-أطراف الصحيحين، لأبي مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي (ت ٤٠١هـ).

٢-أطراف الصحيحين، لأبي محمد خلف بن محمد بن علي بن حمدون

محمد بن المسيب الأرغياني يقول: «كنت أمشي بمصر وفي كمي مائة جزء، في كل جزء ألف حديث» وهذا الكلام له تفسير ذكره الذهبي والسخاوي.

وفي «تاريخ بغداد» للخطيبِ (٥٩٨/١٣) عن محمد بن أحمد بن المهدي، قال: سمعت علي بن الموفق، يقول: «خرجت يومًا لأؤذن، فأصبت قرطاسًا، فأخذته، ووضعته في كمي، فأذنت، وأقمت، وصليت، فلمَّا صليت، قرأته، فإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن الموفق تخاف الفقر وأنا ربك» وعلى هذا قال عنه الخطيب: «عزيز الحديث، وكان ثقة».

وقد يكون الكم لحفظ الطعام، كما في «سير أعلام النبلاء» (٣٥٨/١١)، قال إسحاق الحنظلي- بن راهويه-: «دخلت على عبد الله بن طاهر الامير، وفي كمي تمر آكله، فنظر إلي، وقال: يا أبا يعقوب، إن لم يكن تركك للرياء من الرياء، فما في الدنيا أقل رياء منك».

وقد يكون لحفظ المال، كما في «تاريخ بغداد» (٥١٦/١٣) أحمد بن زهير بن حرب، قال: «كان أبي، ويحيى بن معين، ومصعب الزبيري يجلسون بالعشيات على باب مصعب، قال: فمر عشية من العشيات رجل على حمار فاره، وبزة حسنة، فسلم، وخص بمسائله يحيى بن معين، فقال له يحيى: إلى أين يا أبا الحسن؟ فقال: إلى هذا الكريم الذي يملأ كمي من أعلاه إلى أسفله دنانير ودراهم، فقال: ومن هو يا أبا الحسن؟ فقال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي». والكلام بخصوص الكم وفوائده، يحتاج لجزء لطيف يفرد، والله الموفق.

١- وانظر: مقدمة المحقق (١٠٤/١- ١٠٥) وذكر فيه أنَّ ابن حجر رحمه الله نقل عن غير هذه الكتب أيضاً.



الواسطي (ت٤٠١هـ)، قال الذهبي عنه: «هو أقلُّ أوهامًا من أطرافِ أبي مسعود الدمشقي».

٣-أطراف الكتب الستة، للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، المعروف بابن القيسراني (ت ٥٠٧هـ)، قال الذهبي عنه: «قال ابن عساكر: أخطأ في مواضع خطأً فاحشًا».

٤-أطراف الغرائب والأفراد، لابن القيسراني المقدسي أيضًا.

٥-الإشراف على معرفة الأطراف، للحافظ ابن عساكر، وهو في أطراف السنن الأربعة.

٦-أطراف الستة، لأبي بكر: محمد بن أحمد بن علي المصري القسطلاني - (ت ٦٨٦هـ).

٧-تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للإمام المزي.

٨-إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي، للحافظ ابن حجر.

٩-ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث، للعلامة عبد الغني ابن إسماعيل بن عبد الغني الحنفي الدمشقي الطرابلسي (ت١١٤٣هـ)، وهو في أطراف الكتب الستة، وموطأ الإمام مالك من رواية يحي بن يحيى الليثي، وهو مختصر جدًا[1].

١- بالاستفادة طرق التخريج بحسب الراوي الأعلى (ص١٥٦- ١٥٨).

[٥] ومن العناية به: الدفاع عنه، والتعريف به، وجمع ثلاثياته، وانتخاب أحاديثَ منه.

فمن التعريف به:

-كتاب خصائص المسند لأبي موسى المديني (ت ٥٨١هـ).

-والمصعد الأحمد.

-والمسند الأحمد، وكلاهما من تأليفِ شمس الدين بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ).

ومن كتب الدفاع عنه: القول المسدد في الذب عن مسند أحمد للحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)(١).

١- وقد بيَّن الحافظ رحمه الله، السبب الباعث له على تأليف هذا الكتاب فقال في «مقدمة كتابه» (ص٤-٥): «سألني بعض أصحابنا من مقلدي مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه في سنة خمسين وسبعمائة أو بعدها بيسير له أن أفرد ما وقع في مسند الإمام أحمد بن حنبل من الأحاديث التي قيل فيها إنها موضوعة فذكرت له أن الذي في المسند من هذا النوع أحاديث ذوات عدد ليست بالكثيرة، ولم يتفق لي جمعها، فلمَّا قرأت المسند في سنة ستين وسبعمائة على الشيخ المسند علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن صالح العرضي الأصل الدمشقي قدم علينا من الإسكندرية لسماع المسند عليه وقع في أثناء السماع كلام هل في المسند أحاديث ضعيفة أو كله صحيح.
فقلت: إنَّ فيه أحاديث ضعيفة كثيرة، وإن فيه أحاديث يسيرة موضوعة؛ فبلغني بعد ذلك أنَّ بعض من ينتمي إلى مذهب الإمام أحمد أنكر هذا إنكارًا شديدًا من أنَّ فيه شيئًا موضوعًا، وعاب قائل هذا. ونقل عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية "أنَّ الذي وقع فيه من هذا هو من زيادات القطيعي، لا من رواية الإمام أحمد، ولا من رواية ابنه عبد الله عنه" فحرضني قول هذا القائل على أنْ جمعت في هذه الأوراق ما وقع في المسند من رواية الإمام أحمد، ومن رواية ابنه عبد الله، ممَّا قال فيه بعض أئمة هذا الشأن: "إنَّه موضوع"، وبعض هذه الأحاديث ممَّا لم يوافق من ادعى وضعها على ذلك، فأبينه مع سلوك الإنصاف، فليس لنا بحمد الله غرض إلا في إظهار الحق، وقد أوجب الله تعالى على من علم علمًا، وإن قل أن يبينه ولا يكتمه. كما حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الربيع الدلاصي بقراءتي عليه بمصر، أنا محمد بن عبد الحق القرشي، أنا عبد الرحمن ابن عبد المجيد الصفراوي وعبد الصمد بن داود الغضائري، قالا: أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ، أنا القاسم بن الفضل، أنا محمد بن الفضل بن نظيف، أخبرنا أحمد بن الحسن الرازي، ثنا بكر بن سهل الدمياطي، ثنا موسى بن محمد، ثنا زيد بن مسور، عن الزهري عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه»»، موسى بن محمد: هو البلقاوي متهم؛ لكن له شاهد بإسنادٍ صالح من حديث ابن مسعود، رويناه في كتاب "فضل العالم العفيف على الجاهل الشريف" لأبي نعيم الحافظ.



- والذيل الممهد على القول المسدد للسيوطي (ت ٩١١هـ).

- وذيل القول المسدد للمدرسي الهندي (ت ١٢٨٠هـ).

- والذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد، للشيخ المحدث ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)[١].

[٦] -ومن العناية: الكتب التي جمعت ثلاثيات المسند.

جمع الحافظ محب الدين المقدسي (ت ٦١٣ هـ) الثلاثيات التي في مسند الإمام أحمد، وقد طبع الكتاب طبعة علمية رصينة[٢].

وطبع معها الزيادات على الثلاثيات، وهي للحافظ ضياء الدين المقدسي (ت ٦٤٣هـ)، وذلك لأنَّ الإمام محب الدين وافته المنية ولم يتم كتابه، فأتمه رفيقه في الطلب الحافظ ضياء الدِّين المقدسي.

وقد شرح هذه الثلاثيات، العلامة الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨ هـ).

وليعلم المنكر لقولي، إنَّ في المسند أحاديث يسيرة موضوعة، أنَّه أنكر عليَّ قولًا واجبًا عليَّ من وجهين:
أحدهما: أني سُئِلت عنه.
والثاني: أنَّ العلماء قالوا لا يجوز رواية الحديث الموضوع إلا مع بيان أنه موضوع، فلنذكر الآن الأحاديث التي نحن بصدد إيرادها، بأسانيد الإمام أحمد، ليظهر موضع العلة مقدمًا....».

١- طبع مؤسسة الريان/ دار الصديق.

٢- بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط عن المكتب الإسلامي، وطبع بتحقيق الشيخ محمد بن ناصر العجمي، وغيرهم.

[٧]- ومن العناية انتخاب أحاديث من المسند[١].

وهذا حاصل بكثرة، وذلك لأعظم مكانة الكتاب، وكبر حجمه، ومنزلة إمامه، وغير ذلك، ومن تلك الكتب:

-أربعون حديثاً من أفراد مسند أحمد[٢].

-المائة المنتقاة من مشيخة الفخر العلائي، وهي في "مسند أحمد" قاله ابن حجر[٣].

-الأربعون المنتقاة من مسند الشاميين من المسند الأحمدي[٤]، وهناك مخطوطة بعنوان: «الأربعون المخرجة على حروف المعجم من مسند الشاميين من مسند الإمام أحمد» تأليف: عبد الله بن عمرو بن أبي بكر المقدسي، فلعلها هي.

-مائة حديث ثلاثية من مسند الإمام أحمد، تخريج: علي بن القاسم بن علي بن عساكر[٥].

-جزء موافقات مسند أحمد، ويشتمل هذا الجزء على (٤٣) حديثاً، وهو من تخريج: أبي العباس الظاهري، قاله ابن حجر[٦].

١- انظر: مقدمة الأربعين الثلاثية، للشيخ المحدث عبد الله السعد حفظه الله (ص٩٣- ٩٥) وعنه نقلت.

٢- المجمع المؤسس (١٤٩/٣)

٣- نفس المصدر.

٤- المجمع المؤسس (٥٧٠/١).

٥- المجمع المؤسس (٥٩/٢)، وينظر: (ص٤٦٥) رقم (٥٥٨).

٦- نفس المصدر (٥٩/٢).



-حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، ممَّا وافق رواية الإمام أحمد بن حنبل، للضياء المقدسي.

-حديث همام بن منبه من مسند أبي هريرة، من مسند أحمد، وفيه غير ذلك من حديث أحمد، والجزء من انتقاء الحافظ المزي، قاله ابن حجر[1].

- «سلسلة الذهب»، وهي ما رواه أحمد، عن الشافعي، عن مالك. لأبي بكر الحازمي، وهي أربعة أحاديث[2].

- «منتخب مسند الإمام أحمد» للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي.

- «الدُّرُ المنفد من مسند أحمد» للإمام أبي حفص عمر بن أحمد الشماع الحلبي الشافعي.

- «منتقى مسند أحمد» لأبي الحسن علي بن أحمد السعدي المشهور بابن البخاري.

وصدر منذ فترة كتاب (الأربعون البدرانية) تأليف الشيخ العلامة عبد القادر بن بدران الدومي[3].

١- نفس المصدر (٢/٢١٨).

٢- نفس المصدر (٢/٣٢٤).

٣- صدر الكتاب عن دار ركائز، بتحقيق محمد معكام، وقد قام وفقه الله بوضع مبحث جمع فيه الأربعينات التي كتبها علماء الحنابلة وقد بلغت (١٣٥) مؤلف، ذكره بعض أهل الفضل ولم أطالع في الكتاب.







قيمة المسند ومكانته العلميَّة

يحتل كتاب المسند مرتبة عظيمة وسامية؛ وذلك يعود لأسباب كثيرة من أهمهما:

(١) -أنَّ مصنفه الإمام أحمد هو كبارِ حفاظ الدنيا وأعلامها.

(٢) -كونه إمام من أئمة العلل والجرح والتعديل.

(٣) -أنَّه من العلماء الذي رحلوا في سماع الحديث، وهذه الرحلة من فوائدها: تحصيل الإسناد العالي، والسند العالي مرغوب محبب لدى أهل الحديث.

(٤) -كون المسند احتوى أسانيد قصيرة، وهي ما تعرف بالعوالي، وقد جمعت وشرحت والحمد لله، وهو بهذا فاق أصحاب الكتب الستة، فمن أصحاب الكتب الستة الذين حَوَوا الثلاثيات، الترمذي وله حديث واحد، وابن ماجة وله أربعة أحاديث، مدار إسنادها على رجل ضعيف.

(٥) -موقف الإمام أحمد رحمه الله في نصرة عقيدة أهل السنة والجماعة، أبان الهجمة البربرية الكلامية التي امتحن فيها العلماء الكبار من شيوخ الإمام أحمد، فثبت فيه من ثبت من شيوخه كأبي نعيم، وعثمان بن مسلم، ووقع فيها من وقع من أقرانه وشيوخه كابن المديني مثلًا.

(٦) -قصد الناس لسماع المسند، ومن ذلك رحلة بقي إليه وقطع المسافات الطويلة لسماع الحديث منه.

(٧) -وكذلك لعظمة الشيوخ الذين أخذ منهم، وكذا الطلاب الذين سمعوا منه، فقد روى البخاري ومسلم عنه، وأكثر من ذلك أبو داود السجستاني في (سننه) رواية عن الإمام أحمد رضي الله عنه، فضلًا لقرب شرط أبي داود من شرط أحمد كما ذكره ابن تيمية عنه، وأشار إليه الحافظ العراقي، ونقله عن السيوطي؛ وهذا

ليس على إطلاقه!.

(٨) –يعتبر المسند من أكبر دواوين السنة المطبوعة، وهذا فإنَّ من طالع المسند أو حفظه يكون كمن طالع في كتب السنة المشهورة على التقريبِ.

ولذلك سُئِل الشيخ الحافظ الفقيه محمد اليونيني رحمه الله: أنت تحفظ الكتب الستة؟ فقال: أحفظها وما أحفظها.

فقيل له: كيف هذا؟

فقال: أنا أحفظ (مسند) أحمد، وما يفوت (مسند) من الكتب الستة إلا قليل، أو قال: وما في الكتب هو في (مسند) يعني إلا قليل، وأصله في (مسند)، فأنا أحفظها بهذا الوجه[١].

وقال تاج الدين السبكي: «إنَّما المحدِّث: من عرف الأسانيد، والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة، وسمع الكتب الستة ومسند أحمد بن حنبل وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني»[٢].

وقال السخاوي: «وكذا انتقد بعضهم على ابن الصلاح تفضيل كتب السنن على (مسند أحمد) الذي هو أكبر هذه المسانيد بل مطلقًا، وأحسنها سياقًا، متمسكًا بكونه لم يدخل فيه إلا ما يحتج به، كما دلَّ عليه عدم استيعاب ما عنده من أحاديث الصحابة فيه»[٣].

(٩)– هو الكتاب الذي إذا أطلق، وقيل هو في (المسند)، فإنَّه يصرف إلى مسند أبي عبد الله رحمه الله؛ لأنَّه من أعظم كتب الحديث وأشملها، وقد اعتبره

١- المصعد الأحمد (ص٣٢).
٢- معيد النعم ومبيد النقم (ص٦٧).
٣- فتح المغيث (١/ ١٦٠).



ابن حزم الرائد على كتب المسانيد المصنفة، والمقدم عليها[١].

وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني: «والمسانيد كثيرة جداً: منها (مسند أحمد) وهو أعلاها، وهو المراد عند الإطلاق، وإذا أريد غيره قيد»[٢].

وقال شاه ولي الله الدهلوي في «الحجة البالغة» عن طبقات كتب الحديث، وذكر المسند بعد الصحيحين وموطأ مالك، وعده في "الطبقة الثانية"، وذكر الطبقات فعدها خمس طبقات، ثمَّ قال: «كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين، ولكنها تتلوها، كان مصنفوها معروفين بالوثوق والعدالة والحفظ، والتبحر في فنون الحديث ولم يرضوا في كتبهم هذه بالتساهل فيما اشترطوا على أنفسهم، وتلقاها من بعدهم بالقبول، واعتنى بها المحدثون والفقهاء طبقة بعد طبقة واشتهرت فيما بين الناس، وتعلق بها القوم شرحا لغريبها، وفحصًا عن رجالها، واستنباطًا لفقهها وعلى تلك الأحاديث بناء عامة العلوم كسنن: أبي داود، وجامع الترمذي، ومجتبى النسائي، وهذه الطبقة الأولى اعتنى بأحاديثها (رزين) في (تجريد الصحاح)، وابن الأثير في (جامع الأصول). وكاد مسند أحمد يكون من جملة هذه الطبقة، فإنَّ الإمام أحمد جعله أصلاً يعرف به الصحيح والسقيم. قال: «ما ليس فيه فلا تقبلوه»[٣].

١- البحر الذي زخر للسيوطي (٧٨٧/٢) بتصرف.

٢- الرسالة المستطرفة (ص٦١).

٣- حجة الله البالغة (٢٣٢/١)، وعنه نقل الشيخ جمال الدين القاسمي في «قواعد التحديث» (ص٢٤٢)، وانظر: «أبجد العلوم» (٣٧٠/١).







درجة أحاديثه

قال أبو الفرج ابن الجوزي: ونقلت من خط القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء[١] في مسألة النبيذ، قال: إنَّما روى أحمد في (مسنده) ما اشتهر، ولم يقصد الصحيح ولا السقيم، ويدل على ذلك أنَّ عبد الله قال: قلت لأبي: ما تقول في حديث ربعي بن حراش عن حذيفة؟

قال: الذي يرويه عبد العزيز بن أبي رواد؟[٢].

قلت: نعم.

قال: الأحاديث بخلافه.

قلت: فقد ذكرته في (المسند)؟

قال: قصدت في (المسند)المشهور، فلو أردت أن أقصد ما صح عندي، لم أروِ بهذا (المسند)إلا الشيء بعد الشيء اليسير؛ ولكنَّك يا بنيَّ: تعرف طريقتي في الحديث، لستُ أخالف ما ضعف من الحديث إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه.

قال القاضي: وقد أخبر عن نفسه كيف طريقه في المسند؛ فمن جعله أصلًا للصحة، فقد خالفه، وترك مقصده[٣].

وهذا الكلام السابق يبَّين درجة أحاديثِ المسند على لسانِ من جمعها وألف بينها، وأنا أذكر بعضًا من الأقوال للبيان والإفادة، والله الموفق.

١- البغدادي، ولي القضاء، وإليه انتهت رئاسة المذهب الحنبلي في عصره، له تصانيف هي عمدة في المذهب (٣٨٠- ٤٥٨هـ).

٢- صدوق عابد، ربما وهم، رمي بالإرجاء، مات سنة (١٥٩هـ).

٣- انظر: آفة أصحاب الحديث (ص٥١٧).

١-قال الحافظ شمس الدين الذهبي: «فيه جملةٌ من الأحاديثِ الضعيفة ممَّا يسوغ نقلها، ولا يجب الاحتجاج بها، وفيه أحاديث معدودة شبه موضوعة، ولكنَّها قطرةٌ في بحرٍ»[١].

قلت: وهذه القطرة -كما وصفها هو- أمر لا بدَّ منه فإنَّها من جنس ضعف البشر، وقلَّة كمالهم، وعدم عصمتهم، كما قال أبو بكر بن القنطري الوراق: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «عارضت بكتاب لأبي ثلاث عشرة مرة، فلمَّا كان في الرابعة عشر خرج فيه خطأ»، فوضعه من يده، ثمَّ قال: «قد أنكرت أنْ يصح غير كتاب الله عز وجل»[٢].

يعني المسند بحسب كلام الذهبي هو كالسنن، فإنَّ السنن في جملتها تحتوي الأصناف التي ذكرها الذهبي، والسنن من أفضل الكتب المصنفة في جملتها صحة ومضمونًا، وغير ذلك، وهذا الكلام من الذهبي كلام عالم عارف، وشيخ فاحص فاهم.

٢-وقال أمير المؤمنين ابن حجر العسقلاني: «وكذا مسند أحمد فإنَّه كالموطأِ فيه الصحيح وغيره»[٣].

وهذا تشبيه جميل مع البَوْن في ذلك؛ فإنَّ ما تضمنه المسند لم يتضمنه الموطأ، والمسند أجمع وأشمل، وأين المسند من الموطأ الذي فيه البلاغات والمراسيل، وأين هو من النقول عن أهل المدينة، وأين هو من رأي مالك الذي جمل الكتاب

١- سير أعلام النبلاء «في ذكر ترجمة الإمام أحمد» (٣٢٩/١١).

٢- موضح أوهام الجمع والتفريق (١٤/١).

٣- النكت على ابن الصلاح (١٦١/١)، وانظر: «شرح الألفية الحديثية» للشيخ طارق عوض الله (ص٢٠٥).

وحسنه؛ اللهم إلا أن يريد بذلك قوة الأسانيد فهذا ربما يقبل، والله أعلم.

٣-وقال السيوطي في مقدمة «جمع الجوامع»: «وكل ما كان في مسند أحمد فهو مقبول، فإنَّ الضعيف الذى فيه يقرب من الحسن»[١].

وعبارة السيوطي هذه يوافقهُ عليها شيخ الشامِ جمال الدين القاسمي رحمه الله في «قواعده» فقال: «أقوال المحدثين في معنى الحديث الضعيف الذي وقع الاختلاف في العمل به، فاستحبه بعضهم في فضائل الأعمال، والأخذ به في المناقب[٢] ومن فروع هذا الاختلاف أنَّ الضعيف في جامع الترمذي دون الضعيف في مسند أحمد، فيقبل من ضعاف المسند ما لا يقبل من ضعاف الترمذي؛ لأنَّها تساوي الحسان فيه»[٣].

قلت: ليس على إطلاقه، وكلام السيوطي كلام في العموميات، ولا بدَّ للناظر بعين العلم والإنصاف أن ينزله منزلة المتجرد، لا المتعصب أو المتنقص، فبذلك يبان الحق ويظهر الصواب، والله أعلم.

٤-قال العلامة شاه عبد العزيز الدهلوي: «الكتب التي لا ينزل أحاديثها من الصالح للأخذِ، منها: سنن أبي دواد، وجامع الترمذي، ومسند أحمد، فإنَّ الضعيفَ الذي يوجد فيها يقرب من الحسن»، كما قال شيخنا الأجل ولي الله المحدث، وكلام الأكثرين يدلُّ على أنَّ النسائي أيضًا من هذا القبيل[٤].

١- النكت على ابن الصلاح (١/١٦١)، وانظر: «شرح الألفية الحديثية» للشيخ طارق عوض الله (ص٢٠٥).

٢- انظر: مقال لي نشر في مجلة "رواء" بعنوان: (معالم في رواية الحديث الضعيف والاستشهاد به) وهو موجود على الشبكة بحمد الله.

٣- قواعد التحديث (ص١٤).

٤- ما يجب حفظه للناظر (ص١٥٠)، ضمن مجموع رسائل تراثية. ط: دار العاصمة.

وها هنا [فوائد مهمة] أذكرها، وأسأل الله أنْ يوفقنا للنفع والعمل بما فيها.

قال الشيخ شعيب رحمه الله: «تنقسم أحاديثه بطريق الاستقراء إلى ستة أقسام،

منها: ما هو صحيح لذاته.

ومنها: ما هو صحيح لغيره.

ومنها: ما هو حسن لذاته.

ومنها: ما هو حسن لغيره.

ومنها: ما هو ضعيف ضعفًا خفيفًا.

ومنها: ما هو شديد الضعف، يكاد يقترب من الموضوع.

وهذه الأقسام بأنواعها ما عدا الأخير منها يقرُّ بوجودها في "المسند" الإمام أحمد، وكثير من أتباعه، ومن غير أتباعه الذين لهم معرفة بهذا الفن.

ونحن نرى أحقية هذا التقسيم وصحته؛ لأنَّ الدراسة الجادة التي قمنا بها لكل حديث من أحاديثه جعلتنا نطمئن إليه كل الاطمئنان.

أمَّا القضية التي أثيرت قديمًا حول ما إذا كان في المسند أحاديث ضعيفة أو معلولة، فهذا ممَّا يسلم به من له معرفة بهذا الشأن، والإمام أحمد نفسه يقول لابنه عن منهجه في (المسند): قصدت في (المسند) الحديث المشهور، وتركت النَّاسَ تحت ستر الله تعالى، ولو أردت أن أقصد ما صح عندي، لم أرو من هذا (المسند) إلا الشيء بعد الشيء؛ ولكنك يا بنيَّ تعرف طريقتي في الحديث، لست أخالف ما ضعف إذا لم يكن في الباب ما يدفعه.

وفي كتاب (العلل) للإمام أحمد عدد غير قليل من الأحاديث التي طعن هو

بصحتها، وهي موجودة في المسند»[١]. وبهذا الكلام يتبين حقيقة ما في المسند بأوجز الاختصار، والله الموفق للصواب.

رأي الإمام أحمد رحمه الله في الحديث الضعيف والاحتجاج به

قال الإمام ابن القيم في حديثهِ عن رأي الإمام أحمد رحمه الله في الحديث الضعيف والاحتجاج به، كما في كتابه القيم «إعلام الموقعين» ونصه: «ليس المراد بالضعيف عنده الباطل، ولا المنكر[٢]، ولا ما في رواته متهم؛ بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به؛ بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن، ولم يكن يقسم الحديث إلى: صحيح، وحسن، وضعيف؛ بل إلى صحيح وضعيف»[٣].

وهذا الرأي هو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله، كما جاء عنه في «مجموع الفتاوى»[٤] وهو رأي محتملٌ، وهناك من قال به؛ وقد ردَّه بعضهم[٥]،

١- مقدمة تحقيق المسند (١/٦٤- ٦٥)، وقال الشيخ طارق عوض الله في «شرح ألفية الحديث» (لغة المحدث) (ص٢٠٤): «ومن عادة الإمام أحمد –عليه رحمة الله تعالى- أنَّه يشير إلى الأحاديث المعلولة في "مسنده" تارة بالعبارة، وتارةً بالإشارة.

ومن إشارته اللطيفة: أنَّه بعد أن يخرّج الحديثَ في مسند صحابيِّه يذكرُ بعقبهِ روايةً أخرى للحديث، مرسلة أو موقوفَةً؛ إشارةً منه إلى أن الصواب فيه الإرسال أو الوقف؛ لأنَّ المرسل والموقوف ليسا من شرط "المسند" حتى يدخل في كتاب "المسند"».

٢- وللفائدة: المنكر عند الإمام أحمد، كما قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (١/٤٣٧): المنكر أطلقه أحمد بن حنبل وجماعة على الحديث الفرد الذي لا متابع له. يعني ليس هو المشهور في كتب المصطلح من المخالفة التي تقع من الضعيف لمن هو أوثق منه.

٣- إعلام الموقعين (٢/٥٥- ٥٦)، وقارنه بـ«الفروسية» (ص٢٧٢)، كلاهما من تحقيق الشيخ مشهور حفظه الله.

٤- مجموع الفتاوى (١/٢٥٢)، وانظر: «قواعد التحديث» (ص١١٨)، و«توجيه النظر إلى أصول الأثر» (٢/٧٣٢).

٥- كالشيخ محمد أنور الكشميري في «فيض الباري شرح صحيح البخاري» (١/٥٧).

وليس السرد والنِّقاش مكانهُ هنا[١].

ثمَّ بهذا يتضح لك رأي الإمام أحمد في الحديث الضعيف عامة، وكذا منهجه لو خرج لرجال مختلف فيهم، فإنَّه في الغالب هم رجال الحسن، وهذا في العموم، والله تعالى أعلم.

(مسألة مهمة): وهي «أنَّ الضعيف عنده يقدم على الرأي»، قال عبد الله ابن الإمام أحمد سألت أبي رحمه الله عن الرجل يريد أن يسأل عن الشيء من أمر دينه، ما يبتلى به من الأيمان في الطلاق وغيره، في حضرة قوم من أصحاب الرأي، ومن أصحاب الحديث لا يحفظون ولا يعرفون الحديث الضعيف الإسناد، والقوي الإسناد فلمن يسأل أصحاب الرأي أو أصحاب الحديث على ما كان من قلة معرفتهم.

قال: «يسأل أصحاب الحديث، ولا يسأل أصحاب الرأي، ضعيف الحديث خير من رأي أبي حنيفة»[٢].

وقال: «ولكنَّك يا بني تعرف طريقي في الحديث لست أخالف ما يضعف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه»[٣].

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي رجل وقعت له مسألة، وفي البلد رجل من أهل الحديث فيه ضعف وفقيه من أهل الرأي أيهما يسأل؟

قال: «لا يسأل أهل الرأي، ضعيف الحديث خير من قوي الرأي»[٤].

١- انظر: الحديث الضعيف والاحتجاج به للشيخ عبد الكريم الخضير حفظه الله (ص٢٨٥- ٢٨٨)، فهو قيم، ومنه استفدت.

٢- مسائل الإمام أحمد برواية عبد الله (٢٢٩- ٢٣٠)

٣- النكت للزركشي (٣٥٤/١)

٤- ذم الكلام للهروي (١٧٩/٢- ١٨٠).



ونحوه في «تاريخ بغداد» بسندهِ عن إسماعيل بن علي الخطبي، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي عن الرجل يريد أن يسأل عن الشيء من أمر دينه، يعني: مما يبتلى به من الأيمان في الطلاق وغيره، وفي مصره من أصحاب الرأي، ومن أصحاب الحديث لا يحفظون ولا يعرفون الحديث الضعيف ولا الإسناد القوي، فمن يسأل؟ أصحاب الرأي، أو هؤلاء، أعني: أصحاب الحديث، على ما كان من قلة معرفتهم؟

قال: «يسأل أصحاب الحديث، ولا يسأل أصحاب الرأي، ضعيف الحديث خير من رأي أبي حنيفة»(١).

وأشار ابن القيم لهذا فقال: «الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وهو الذي رجحه على القياس، وليس المراد بالضعيفِ عنده الباطل، ولا المنكر، ولا ما في رواته متهم؛ بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به»(٢).

وقال: «والضعيف عنده مراتب، فإذا لم يجد في البابِ أثرًا يدفعه، ولا قول صاحب، ولا إجماع على خلافه؛ كان العمل به عنده أولى من القياس.

وليس أحد من الأئمة [الأربعة] إلا وهو موافقه على هذا الأصل من حيث الجملة فإنه ما منهم أحد إلا وقد قدم الحديث الضعيف على القياس. فقدم أبو حنيفة حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس، وأجمع أهل الحديث على ضعفه، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر على القياس، وأكثر أهل الحديث

١- تاريخ بغداد (٥٧٣/١٥).

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين (٥٥/٢) و «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل» لابن بدران الحنبلي (ص١١٦).

يضعفه، وقدم حديث: "أكثر الحيض عشرة أيام" -وهو ضعيف باتفاقهم- على محض القياس»[١].

وهذا الفعل سار عليه جماعة من أهل الحديث، قال السخاوي عن صنيع أبي داود في «سننه»: «يخرج الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره، وهو أقوى عنده من رأي الرجال»[٢].

وقال الزركشي: «سبق عن الإمام أحمد أنَّه لا يعمل بالضعيف في الحلال والحرام فدل على أنَّ مراده بالضعيف هنا غير الضعيف هناك، ولا شك أن الضعيف تتفاوت مراتبه، وعلى هذه الطريقة بنى أبو داود كتابه السنن»[٣].

وذكر أنَّه حكي عن الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتاب (الجهر بالبسملة) عن القاضي ابن العربي أنَّه سمع ابن عقيل الحنبلي في رحلته إلى العراق يقول: «مذهب أحمد أنَّ ضعيف الأثرِ خيرٌ من قوي النَّظرِ».

فقال ابن العربي: «هذه وهلة من أحمد لا تليق بمنصبه فإنَّ ضعيف الأثر لا يحتج به مطلقًا»[٤].

قال شيخنا شرف الدين بن قاضي الجبل من أصحابنا: من قال: هذا من تصرف ابن عقيل في المذهب على القواعد وليس كذلك.

قال شيخنا القاضي شرف الدين: «وإنما أُتي من أنكر هذه اللفظة على أحمد لعدم معرفته بمراده، فإنَّ الضعيف عند أحمد غير الضعيف في عرف المتأخرين،

١- انظر: المصدر نفسه (٥٦/٢- ٥٨) ط: ابن الجوزي.
٢- فتح المغيث (١٤١/١)، وانظر: «الاعتصام» (١٦/٢)، و«قواعد التهانوي» (ص٩٧).
٣- النكت على مقدمة ابن الصلاح (٨٨٣/٣).
٤- هذه على مذهبه رد مطلق الضعيف.

فعنده الحديث ينقسم إلى صحيح وضعيف؛ لأنه ضعف عن درجة الصحيح، وأما الضعيف بالاصطلاح المشهور فإن أحمد لا يعرج عليه أصلًا»[١].

وإليه ذهب الإمام النسائي، كما نقله عنه ابن منده في «شروط الأئمة»، فانظره، وحسبنا بهذا كفاية وبلغة، والله الموفق[٢].

١- المصدر نفسه (٣/٨٨٤- ٨٨٥).
٢- فضل الأخبار وشرح مذاهب أهل الآثار لابن منده (ص٧٣).





المقارنة بين مسند الإمام أحمد ومسند بقي

هو الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن القُرْطبيُّ الحافظ، صاحب "المسند" الكبير و "التفسير" الجليل.

قال أبو الوليد الفَرَضي: «ملأ بقيٌّ الأندلسَ حديثًا»[١].

وقال رحمه الله: «لقد غرستُ للمسلمين غرسًا بالأندلسِ لا يقلع إلَّا بخروج الدجال»[٢].

وقال ابنُ حزم: «كان بقي ذا خاصَّة من أحمد بن حنبل، وجاريًا في مضمارِ البخاري ومسلم والنَّسائي»[٣].

وذكر الحافظ ابن كثير الدمشقي رحمه الله: في وفيات سنة ست وسبعين ومائتين (٢٧٦هـ): وفيها الإمام بقي رحمه الله -صاحب الرحلة المشهورة-، فقال: «أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ الكبير، صاحب "المسند" المبوب على الفقه، روى فيه عن ألف وستمائة صحابي، وقد فضَّله ابن حزم[٤] على "مسند" الإمام أحمد.

وعندي في ذلك نظر! والظاهر أنَّ "مسند أحمد" أجود منه؛ فإنَّه ليس هو ببلادهم، ولا وقع لهم روايته، ولو اطلع عليه ووقف على ما فيه لما فضل عليه

١- تاريخ علماء الأندلس (٩٢/١)، و«طبقات علماء الحديث» (٣٣٥/٢-٣٣٦).

٢- سير أعلام النبلاء (٢٩١/١٣).

٣- الصلة لابن بشكوال (١١٧/١).

٤- قال ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٨٨/١)، عن أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه «والّذي يدل لذلك ما نسب لبقيّ بن مخلد مما أودعه في مسندة خاصّة كما أفاده شيخنا لا مطلقا، فإنه روى لأبي هريرة خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وستّين».

وقال (٣٥٢/٧): «وذكر أبو محمّد بن حزم أنّ مسند بقيّ بن مخلد احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وكسر».

مسنداً من المسندات، اللهم إلا أن يكون بقي قد سمع من أحمد جميع "المسند" وزاد عليه[١]، كما قد يسر الله من الزيادات التي ألحقناها بـ "مسند" الإمام أحمد. ولله الحمد والمنة، وقد رحل بقي إلى العراق، فسمع من الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث بالعراق»[٢].

وفي كل الأحوال، لم يطبع مسند بقي فهل ما زال مخطوطاً، أم أنَّه مفقود مع كنوز العلم التي نهبت وكذا التي حرقت وأتلفت، الله عليم بذلك[٣].

١- قال الذهبي في ترجمة (بقي رحمه الله) من «سير أعلام النبلاء» (٢٩٤/١٣) «فعندي مجلدان من (مسنده)، وما فيهما عن أحمد كلمة».

٢- البداية والنهاية (٦٢١١/١٤) ط: هجر.

٣- مقدمة الأربعين الثلاثية (ص٨٢- ٨٣)، وانظر: كتاب «بقي بن مخلد ومقدمة مسنده» للأستاذ أكرام ضياء العمري.

الكلام على هل في المسند أحاديث موضوعة؟

والحديث الموضوع: وهو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي ﷺ، ويحرم روايته إلا على سبيل التحذير والبيان، ومن رواه متعمدًا ردت روايته عند الإمام أحمد وجماعة، وأفتى بعضُهُم بكفرِه كأبي محمد الجويني من الشافعية وابن المنير من المالكية[1]، فإذا عرفت هذا فإنَّه لا بدَّ أن تعلم **هل في المسند أحاديث موضوعة؟ وما المراد به؟**

والجواب على ذلك: بما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فقد سألني بعض أصحابنا من مقلِّدي مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه في سنة خمسين وسبعمائة أو بعدها بيسيرٍ له أنَّ أفرد ما وقع في مسند الإمام أحمد بن حنبل من الأحاديث التي قيل فيها: إنَّها موضوعةٌ، فذكرت له أنَّ الذي في المسند من هذا النوع أحاديثُ ذواتُ عددٍ ليست بالكثيرة، ولم يتفق لي جمعها. فلمَّا قرأت المسند في سنة ستين وسبعمائةٍ على الشيخ المسند علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن صالح العُرضيَّ الأصل الدِّمشقيِّ قدِم علينا من الإسكندرية لسماع المسند عليه، وقع في أثناء السماع كلامٌ: هل في المسند أحاديثُ ضعيفةٌ أو كُلُّهُ صحيحٌ؟

فقلت: إنَّ فيه أحاديثَ ضعيفةً كثيرةً، وإنَّ فيه أحاديث يسيرةً موضوعةً، فبلغني بعد ذلك أنَّ بعضَ من ينتمي إلى مذهب الإمام أحمد أنكر هذا إنكارا شديداً مِن أنَّ فيه شيئاً موضوعاً، وعاب قائلَ هذا، ونُقِل عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية: أنَّ الذي وقع فيه من هذا هو من زيادات القطيعيِّ، لا من رواية الإمام

١- انظر: معرفة أنواع علوم الحديث (ص١١٧)، و«شرح صحيح مسلم» للنووي (١/٦٩).

أحمد، ولا من رواية ابنه عبد الله عنه.

فحَرَّضني قولُ هذا القائلِ على أنْ جمعتُ في هذهِ الأوراقِ ما وقع في (المسندِ) من رواية الإمام أحمد، ومن رواية ابنه عبد الله ممَّا قال فيه بعض أئمة هذا الشأن: إنَّه موضوع.

وبعض هذه الأحاديث ممَّا لم يوافق من ادعى وضعها على ذلك فأبينهُ مع سلوك الإنصاف، فليس لنا بحمدِ الله غرض إلاَّ في إظهارِ الحقِّ، وقد أوجب الله تعالى على من علم علماً -وإنْ قلَّ- أن يبيِّنهُ ولا يكتُمهُ»[١].

وقال الشيخ العلامة أحمد شاكر المصري: قال العراقي في «شرح كتاب ابن الصلاح»[٢] «وأمَّا وجود الضعيف فيه -يعني مسند أحمد- فهو محقق؛ بل فيه أحاديث موضوعة، وقد جمعتها في جزء، وقد ضعَّف الإمامُ أحمد نفسُه أحاديث فيه إلى أن قال: وحديث أنس: «عسقلان أحد العروسين، يبعث منها يوم القيامة سبعون ألفاً لا حساب عليهم»، وقال: وممَّا فيه أيضاً من المناكير حديث بريدة: «كونوا في بعثِ خرسان ثمَّ انزلوا مدينة مرو، فإنَّه بناها ذو القرين».. إلخ.

وللحافظ ابن حجر رسالة سمَّاها: (القول المسدد في الذبِّ عن مسند الإمام أحمد)، ردَّ فيه قول من قال: في "المسند" موضوعات[٣].

وللشيخ ابن تيمية كلام حسن في ذلك، ذكره في «التوسل والوسيلة»[٤]، محصله:

١- مقدمة القول المسدد (ص٧- ٨).
٢- (ص٤٢- ٤٣).
٣- انظر: كلامه في «النكت على ابن الصلاح» (١/٤٤٨- ٤٧٣).
٤- انظره: (ص١٧٣) ط: مكتبة الفرقان.

«إنَّ كان المراد بالموضوع ما في سنده كذاب، فليس في المسند من ذلك شيء، وإن كان المراد: ما لم يقله النبي ﷺ لغلط راويه أو سوء حفظه، ففي (المسند) و (السنن) من ذلك كثير»[١].

وقال: «وليس كل ما رواه أحمد في المسند و غيره يكون حجة عنده، بل يروي ما رواه أهل العلم، وشرطه في المسند: أن لا يروي عن المعروفين بالكذب عنده، وإن كان في ذلك ما هو ضعيف، وشرطه في المسند مثل شرط أبي داود في سننه»[٢].

ومن العلماء من أنكر أن يكون فيه حديث موضوع: كالحافظ أبي القاسم التميمي (ت ٥٣٥هـ)، وأبو العلاء الهمداني (ت ٥٩٦هـ)، والسخاوي (ت ٩٠٢هـ)[٣].

ومن أهل العلم ذهب إلى أنَّه لا يوجد في المسند سوى ثلاثة أحاديث أو أربعة، وهي التي ضرب عليها الإمام أحمد فتُركت سهوًا، ونسب هذا القول لابن حجر، نسبه إليه السيوطي[٤].

١- حاشية الباعث الحثيث (ص٣٠- ٣١).

٢- منهاج السنة (٥٣/٧).

٣- قال في كتاب «الغاية في شرح النهاية» (١١٠/١): «مسند أحمد لكبره وكثرة ما اجتمع فيه من الأحاديث، وكونه على المعتمد ليس فيه موضوع».

٤- وتابعه الشيخ أبو زهو في كتابه «الحديث والمحدثون» (ص٣٧٤)، والشيخ محمد ابن العلامة علي بن آدم الأثيوبي في «شرح ألفية السيوطي» (ص٧٣)، وانظر: «المدخل إلى مسند الإمام أحمد» (ص١٠٨- ١١٤) ط: وزارق الأوقاف الكويتية.



عددها

قال الشيخ المحدث صبغة الله بن محمد بن ناصر الدين رحمه الله في «ذيل القول المسدد»: «ولله الحمد أنَّ الحافظ العراقي ذكر تسعة أحاديث.

واستدرك عليه الحافظ العسقلاني، وزاد خمسة عشر حديثاً، فصار المجموع أربعة وعشرين حديثاً»(١).

وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه «النكت البديعات على الموضوعات»: «أنَّ في موضوعات ابن الجوزي ثمانية وثلاثين حديثًا من مسند الإمام أحمد رضي الله عنه، وها أنا أذكر الأحاديث التي فاتت الحافظ العسقلاني رحمه الله تعالى... »(٢).

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «وألَّف ابن حجر كتاب (القول المسدد في الذب عن المسند)، أي: مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ذكر فيه أربعة وعشرين حديثاً من (مسند) جاء بها ابن الجوزي في (الموضوعات)، وحكم عليها بذلك، وردَّ عليه ابن حجر، ودفع قوله.

ثمَّ ألف السيوطي ذيلاً عليه فيه، ذكر أربعة عشر حديثاً أخرى كتلك من (مسند).

ثمَّ ألف ذيلاً لهذين الكتابينِ سمَّاه: (القول الحسن في الذبِّ عن السنن) أورد فيه مائة وبضعة وعشرين حديثاً من السنن الأربعةِ حكم ابن الجوزي بأنَّها موضوعة، ورد عليه حكمه»(٣).

١- قال العراقي في «التقييد والإيضاح» (ص٥٧) وسيأتي الحديث عنها بإذن الله.
٢- ذيل القول المسدد (ص٤٨).
٣- حاشية الباعث الحثيث (ص٨٨).





الكلام على موضوعات ابن الجوزي

(١)-نقل ابن الجوزي رحمه الله في كتابه المصنف في الأحاديث الموضوعة، أحاديث رواها الإمام أحمد في مسنده هو واهمٌ فيها، وكذا أحاديث رواها بعض الحفاظ الثقات، ولكن يعذر من جهة أنّه من ذا الذي يسلم من الخطأ والوهم والنسيان، وقد وقع بها كبار العلماء وفحولهم، كما قال الشيخ أحمد شاكر: «ألف الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي كتابًا كبيرًا في مجلدين، جمع فيه كثيرًا من الأحاديث الموضوعة، أخذ غالبه من كتاب الأباطيل للجوزقاني، ولكن أخطأ في بعض أحاديث انتقدها عليه الحفاظ..»[١].

وبخصوص أنَّ الحفاظ الكبار قد يقع منهم الخطأ والوهم، يقول الإمام أحمد: «ومن يُعرَّى عن الخطأ والتصحيف»[٢].

وقال الإمام مالك: «من ذا الذي لا يخطئ»[٣].

وقال الإمام ابن المبارك: «ومن يَسلمُ من الوهم؟»[٤].

وقال الدوري: سمعت يحيى ابن معين يقول: «لست أعجب ممن يحدث فيخطىء، إنَّما العجب ممن يحدث فيصيب»[٥].

قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله: «لم يسلم من الخطأ والغلطِ كبيرُ أحدٍ من الأئمة مع حفظهم»[٦].

١- الباعث الحثيث (ص٨٧- ٨٨).
٢- تدريب الراوي (٢/٢٠٠).
٣- الآداب الشرعيَّة (٢/١٤٢).
٤- شرح علل الترمذي (١/٣٢).
٥- تاريخ ابن معين (٥٢) (٣/١٣).
٦- شرح علل الترمذي (١/٥٣-٥٥).

(٢) – ابن الجوزي هو الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق.

وله تصانيف، وحظ وافر في فنون العلم، ومع ذلك كان عليه مآخذ لا تنقص من مقامه، ولا تحط من مكانه، مع حبي لما يصنف خصوصًا في باب المواعظ وغيره، ومع ذلك أقول عبارةً: «ابن الجوزي ينقل في كتبه أحاديث لا يقبلها مسلم[١]، ويضع في الموضوعات حديث خرجه الإمام مسلم[٢]، فيا للعجب!!»[٣].

وبسبب ما وقع منه من الخطأ، نبَّه أهل العلم على ما بدر منه، وذلك عملًا بقانون أهل الحديث الذي هو علم (الجرح والتعديل)، وفي ذلك يقول موفق الدين: «ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب فنون، كان يصنِّف في الفقه، ويدرس، وكان حافظا للحديث، إلا أنَّنا لم نرض تصانيفه في السنة، ولا طريقته فيها، وكانت العامة يعظمونه، وكانت تنْفَلت منه في بعض الأوقات كلمات تنكر عليه في السنة، فيستفتى عليه فيها، ويضيق صدره من أجلها».

وقال الحافظ سيف الدين ابن المجد: «هو كثير الوهم جدًا، فإن في (مشيخته) مع صغرها أوهامًا».

وقال ابن نقطة: قيل لابن الأخضر: ألا تجيب عن بعض أوهام ابن الجوزي؟ قال: «إنَّما يتتبع على من قلَّ غلطه، فأمَّا هذا، فأوهامه كثيرة»[٤].

١- شرح علل الترمذي (١/٥٣-٥٥).

٢- وهذا موجود بكثيرة في كتبه المتعلقة بالمواعظ وغيرها.

٣- في صحيح مسلم (٢٨٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك إن طالت بك مدة، أن ترى قومًا في أيديهم مثل أذناب البقر، يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله».

٤- انظر: السير للذهبي (٢١/٣٨١- ٣٨٢).



(٣) -ومن المأخذ على أبي الفرج أنَّه قلد من سبقه ممن صنف في الباب، وهذا حاصل بكثرة ممن صنف في الموضوعات كالعلامة الشوكاني رحمه الله فإنَّه قلد في كتابه (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة)، ولم يكن نفسُهُ فيه كنفسِهِ التحريريّ القويّ في كتابه (نيل الأوطار)، وهذا حال البشر، وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث، والله أعلم.

(٤)-وبسبب الذي فعله ابن الجوزي رحمه الله، فقد انتقد على ذلك، مع اعتقادنا بأنَّ ذلك لا ينقص من قيمة مصنفه، لما أسلفنا وبينا، ولما نعتقده بأنَّ الإنصاف شيء لازم، كما قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله: «ما أحسن الإنصاف في كلِّ شيء»[١].

وقال أبو إِسحاق الجوزجاني: «فإن الإنصاف خلة يجب استعمالها وإن كانت قليلة في الناس»[٢].

وقال ابن عبد الهادي الحنبلي: «وما تحلى طالب العلم بشيء أحسن من الإنصاف وترك التعصب»[٣].

وفي هذا يقول الحافظ ابن الصلاح في «معرفة أنواع علوم الحديث»، فقال: «ولقد أكثر الذي جمع في هذا العصر (الموضوعات) في نحو مجلدين، فأودع فيها كثيراً ممَّا لا دليلَ على وضعه، إنَّما حقه أن يذكر في مطلقِ الأحاديث الضعيفة»[٤].

١- تاريخ بغداد (١٩٦/٧)، و«ميزان الاعتدال» (١٤٧/١).
٢- أحوال الرجال (ص٢٢).
٣- انظر: نصب الراية للزيلعي (٣٥٥/١).
٤- المقدمة (ص٩٩).

وقال الحافظ شمس الدين الذهبي عنه: «له إطلاع تام على متونه، وأمَّا الكلام على صحيحه وسقيمه، فما له فيه ذوق المحدثين، ولا نقد الحفاظ المبرزين، فإنَّه كثير الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة، مع كونه كثير السياق لتلك الأحاديث في الموضوعات، والتحقيق أنَّه لا ينبغي الاحتجاج بها، ولا ذكرها في الموضوعات، وربما ذكر في الموضوعات أحاديث حسانًا قوية»[١].

وقال الحافظ السخاوي: «ربَّما أدرج فيها الحسن، والصحيح ممَّا هو في أحد الصحيحين، فضلًا عن غيرهما، وهو مع إصابته في أكثر ما عنده توسع منكر، ينشأ عنه غاية الضرر من ظنِّ ما ليس بموضوعٍ بل هو صحيح موضوعًا، ممَّا قد يقلده فيه العارف تحسينًا للظنِّ به؛ حيث لم يبحث فضلًا عن غيره.

ولذا انتقد العلماء صنيعه إجمالًا، والموقع له فيه إسناده في غالبه بضعف راويه الذي رمي بالكذب مثلًا، غافلًا عن مجيئه من وجهٍ آخر»[٢].

١- تاريخ الإسلام (١١٠٠/١٢).
٢- فتح المغيث (١٠١/٢- ١٠٢).



زيادات عبد الله في المسند

هو الإمام عبد الله بن الإمام الرباني أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت ٢٩٠هـ).

قال الذهبي: «الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد».

روى عن أبيه شيئًا كثيرًا، من جملته (المسند) كله، و (الزهد)، وعن يحيى بن عبدويه صاحب شعبة، وامتنع من الأخذ عن علي بن الجعد لوقفه في مسألة القرآن، وعن جماعة كثر.

وحدث عنه: النسائي حديثين في (سننه)، والبغوي، وابن صاعد، وأبو عوانة الإسفراييني، ومحمد بن مخلد، والمحاملي، ودعلج، وإسحاق بن أحمد الكاذي، وأبو بكر النجاد، وسليمان الطبراني، وأبو علي بن الصواف، وأبو أحمد العسال، وقاسم بن أصبغ، وأحمد بن كامل، وأبو بكر الشافعي، وأبو بكر القطيعي، وخلق كثير.

قال عباس الدوري: كنت يومًا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فدخل علينا عبد الله ابنه، فقال لي أحمد: «يا عباس إن أبا عبد الرحمن قد وعى علمًا كثيرًا»[1].

قال أبو علي بن الصواف: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «كل شيء أقول: قال أبي، فقد سمعته مرتين وثلاثة، وأقله مرة»[2].

وعن أبي زرعة أنَّه قال: قال لي أحمد بن حنبل: «ابني عبد الله محظوظ من علم

١- تاريخ بغداد (١٢/١١)، و«بحر الدم» (٣٥٧/١).
٢- السير (٥٢٠/١٣).

الحديث أو من حفظه، لا يكاد يذاكرني إلا بما لا أحفظ»[١].

وقال ابن المنادي: «وما زلنا نرى أكابر شيوخنا يشهدون له بمعرفة الرجال، وعلل الحديث، والأسماء والكنى، والمواظبة على طلب الحديث في العراق وغيرها، ويذكرون عن أسلافهم الإقرار له بذلك حتى أنَّ بعضهم أسرف في تقريظه إيَّاه بالمعرفة وزيادة السماع للحديث على أبيه»[٢].

وقال: لم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه منه، لأنَّه سمع «المسند» وهو ثلاثون ألفًا، و«التفسير» وهو مئة ألف وعشرون ألفًا، سمع منه ثمانين ألفًا، والباقي وجادة، وسمع «الناسخ والمنسوخ»، و«التاريخ»، و«حديث شعبة»، و«المقدم والمؤخر في كتاب الله»، و«جوابات القرآن»، و«المناسك الكبير» و «الصغير»، وغير ذلك من التصانيف وحديث الشيوخ[٣].

وقال السلمي وسألته: عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وحنبل ابن عم أحمد بن حنبل؟

فقال: «ثقتان، ثبتان»[٤].

وزيادات عبد الله على المسند هي:

١-ما انفرد به عبد الله عن أبيه[٥].

١- طبقات علماء الحديث (٢/٣٧٨).
٢- تاريخ بغداد (١١/١٢).
٣- تهذيب الكمال (١٤/٢٩٠).
٤- سؤالات السلمي للدارقطني (ص٢١٤).
٥- وهي بحسب تقسيم الدكتور عامر صبري، وحصرها (٢٢٨) حديثًا، على النحو التالي:
(١) الأحاديث الصحيحة (٥٥) حديثًا.
(٢) الأحاديث الحسنة (٣٥) حديثًا.
(٣) الأحاديث الضعيفة (١٠٦) أحاديث.
(٤) الأحاديث الضعيفة جدًا (٢٠) حديثًا.



٢-وجادات عبد الله.

٣-ما رواه عن أبيه وعن شيخ أبيه أو غيره.

وقال الشيخ أحمد بن الصديق الغماري: «الواقع أن زوائد عبد الله بن أحمد لمسند أبيه ليس كتابًا مفردًا مستقلًا، وإنَّما هي أحاديث يرويها عن شيوخه، ويذكرها داخل مسند أبيه مفرقة، وغالبها طرق للحديث يذكره والده، وكثير منها مما لم يذكر والده أيضًا، وكون تلك الزائدة نحو "ربع المسند" باطل؛ بل لعلها لا تبلغ عشره»[(١)].

وبعد هذا النقول في مكانة الإمام عبد الله، وبيان منزلته عند أهل السنة وأصحاب الحديث، وما ذكروا عن عنايته بعلم والده، نبين حكم الزياداتِ التي في المسند.

فوائد الزيادات: تضمنت الزيادات فوائد عدَّة في جوانبَ مختلفة:

ففي بيان الرجال، إذا كان أحد رواة الحديثِ لم يعرف تعريفًا كافيًا، عرفه عبد الله ليزيل غموضه، وهذا التعريف غالبًا ما يأتي به بعد الانتهاء من سرد الحديث، وقد يأتي به أحيانًا في أثناء الإسناد؛ ولكنه يذكره مفصولًا مميَّزًا لئلا يظن أنَّه من زيادة الراوي نفسه، فيستعمل كلمة (يعني)، وقد يستعمل أيضًا كلمة (وهو).

قال في (١/٢٣٣): حدثني أبي، حدثني وكيع، حدثنا يعقوب، حدثنا سفيان، عن آدم بن سليمان مولى خالد بن خالد، قال....إلخ.

(٥) الأحاديث المتروكة (١٢) حديثًا.
وبحسب ما أشار إليه الشيخ شعيب في تحقيقه للمسند بلغت الأحاديث (٧٠٤) حديثًا، من «المدخل إلى دراسة المسند» (ص١٢٨).
١- الأمالي المستطرفة على الرسالة المستطرفة (ص٥٤).

ثمَّ قال بعد أن أورد الحديث: «آدم هذا هو أبو يحيى بن آدم».

وقال في (١٩٦/١): حدثني أبي، حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق، حدثني أبان بن صالح عن شهر....إلخ.

ثمَّ قال: «أبان بن صالح جد أبي عبد الرحمن مشكدانه».

وقال في (٣٤١/٢): حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثني يزيد بن زريع، حدثنا حبيب المعلم.... إلخ.

ثمَّ قال بعد الانتهاء من الحديث: «بلغني أن حبيبًا المعلم، يقال له: حبيب بن أبي بقية».

وقال في (١٧٩/٤): حدثني أبي، حدثنا عبد الوهاب بن همام....إلخ.

ثمَّ قال: «عبد الوهاب بن همام أخو عبد الرزاق».

وفي بيان تعدد الطرق، وهو إذا كان للحديثِ إسنادانِ أو أكثر، وجمع عبد الله بينهما في متن واحد، فإنَّه يضع عند الانتقال إلى آخر حرف (ح) ويسمَّى عند المحدثين: (حاء التحويل)، ثمَّ يسوق الحديث لأحد الأسانيد أو جميعها.

كقوله: (١٠٥/١-١٠٦) حدثنا أبو محمد سعيد بن محمد الجرمي -قدم علينا الكوفة- حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن الأعمش، عن عاصم، عن زر بن حبيش (ح) قال عبد الله: وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد حدثنا أبي حدثنا الأعمش، عن عاصم، عن زر بن حبيش، قال: قال عبد الله بن مسعود: «تمارينا في سورة من القرآن، فقلنا خمس وثلاثون آية...» الحديث.

وقال في (١٠٦/١): حدثنا صالح بن عبد الله الترمذي، حدثنا حماد، عن عاصم (ح)، قال: وحدثنا عبيد الله القواريري، حدثنا حماد -قال القواريري



في حديثه- حدثنا عاصم بن أبي النجود عن زر-يعني ابن حبيش- عن أبي جحيفة، قال: سمعت عليًا يقولُ: «ألا أخبركم بخير هذه الأمة.... » الحديث.

وقال في (١٢١/٥): حدثنا أبو الربيع العتكي سليمان بن داود الزهراني، حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يذكر رقبة (ح) وحدثني محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا معتمر عن أبيه عن رقبة (ح)، وحدثني سويد بن سعيد(ح)، وحدثني محمد بن أحمد بن خالد الواسطي قالا: حدثنا معتمر عن أبيه عن رقبة، وقالوا جميعًا عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «الغلام الذي قتل الخضر طبع كافرًا».

اهتمام عبد الله بالمتن. يحرص عبد الله على المحافظة على متن الحديث كما وصل إليه تمامًا، ويبين الفروق بين متن وآخر، وقد تكون هذه الفروق يسيرة لا تؤثر في المعنى، ومع ذلك فهو حريص على ذكرها، وهذه الدقة في نقل حديث رسول الله ﷺ دليل واضح على أمانته وورعه وحفظه، فجزاه الله خير الجزاء، والأمثلة على ذلك كثيرة.

قال في (١٣٢/١): حدثني يوسف الصفار مول ى بني أمية وسفيان بن وكيع، قالا: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم، عن علي، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شدَّ المئزر، وأيقظ نساءه».

قال وكيع: «رفع المئزر».

وقال في (٩٩/٥): حدثني أبو الربيع الزهراني سليمان بن داود، وعبيد الله بن عمر القواريري، ومحمد بن أبي بكر المقدمي، قالوا: حدثنا حماد بن زيد، حدثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: «خطبنا رسول الله ﷺ

بعرفات».

وقال المقدمي في حديثه، سمعت رسول الله ﷺ يخطب بمنى.

وهذا لفظ حديث أبي الربيع: فسمعته يقول: «لن يزال هذا الأمر عزيزًا ظاهرًا حتى يمتلك اثنا عشر كلهم»، ثمَّ لغط القوم وتكلموا فلم أفهم بعد كلهم، فقلت لأبي: يا أبتاه، ما بعد كلهم؟ قال: «كلهم من قريش».

وقال القواريري في حديثه: «لا يضره من خالفه أو فارقه حتى يملك اثنا عشر».

وفي اختصار المرويات. فمن الملاحظ في منهجه اختصار المرويات، فإنَّه إذا وجد روايتين جاء بالأولى، ثمَّ أورد سند الثانية بعضه أو كله، ثم يقول بعده: (فذكره بمثله) أو (فذكر بنحوِهِ) فهاتان الكلمتان أغنته عن إعادة الحديثِ، ولكي يكون كلامه دقيقًا قال (بمثله) أو (بنحوه) ليبين أنَّ هناك فرقًا لفظيًا بينهما لا يؤثر في المعنى.

وهذا المنهج الذي ذهب إليه رأي كثير من المحدثين كسفيان الثوري، وابن معين، ومسلم، وغيرهم، وهو مذهب أبيه الإمام أحمد.

وقال الإمام الحاكم: إنَّ مما يميز المحدثين من الضبط والإتقانِ أن يفرق بين أن يقول: (مثله) أو يقولَ (نحوهُ) فلا يحل له أنْ يقول (مثله) إلا بعد أن يعلم أنَّهما على لفظ واحدٍ، ويحل له أن يقولَ (نحوه) إذا كان على مثل معانيه.

قال (١/١٣٠): حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة عن أبي البختري، عن علي رضي الله عنه، قال: «إذا حدثتم عن رسول الله حديثًا فظنوا به الذي هو أهيا، والذي هو أهدى، والذي هو أتقى».



ثمَّ قال: حدثنا عثمان، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي رضي الله عنه.

قال (١٣٠/٥): حدثني أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن الأجلح، عن الشعبي، عن زر بن حبيش، قال: سمعت أبي كعب، يقول: ليلة سبع وعشرين هي التي أخبرنا بها رسول الله: «إنَّ الشمسَ تطلعُ بيضاء ترقرق».

قال عبد الله: وحدثناه عثمان بن أبي شيبة، حدثنا ابن إدريس، بإسناده عن النبي مثله، وزاد فيه: «ليس لها شعاع».

وله فوائد حديثية وفقهية مختلفة[١].

(فائدة): قال الشيخ البنا: «كل حديث يقال في أوله حدثنا عبد الله حدثني أبي فهو من المسند.

وكل حديث يقال في أول سنده حدثنا عبد الله حدثنا فلان (من غير لفظ أبي) فهو من زوائد عبد الله.

وكل حديث يقال في أوله حدثنا فلان غير عبد الله وأبيه فهو من زوائد القطيعي فهذه قاعدة عظيمة ينبغي أن تعرفها»[٢].

١- انظر: زوائد عبد الله بن أحمد في المسند وبالاستفادة منه ما ذكرت.

٢- المصدر نفسه (٢٢/١- ٢٣).







زيادات القطيعي على المسند[١]

أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادي القطيعي الحنبلي (ت ٣٦٨هـ).

قال الذهبي: «الشيخ، العالم، المحدث، مسند الوقت».

حدث عنه: الدارقطني، وابن شاهين، والحاكم، وابن رزقويه، وأبو الفتح بن أبي الفوارس، وخلف بن محمد الواسطي، وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، وأبو عمر محمد بن الحسين البسطامي، وأبو بكر البرقاني، وأبو نعيم الأصبهاني، ومحمد بن الحسين بن بكير، وأبو القاسم بن بشران، وجماعة.

قال أبو الحسن بن الفرات: «كان ابن مالك القطيعي مستورًا صاحب سنة كثير السماع من عبد الله بن أحمد وغيره، إلا أنَّه خلط في آخر عمره وكف بصره وخرف، حتى كان لا يعرف شيئًا ممَّا يقرأ عليه»[٢].

وقال السلمي: سألت الدارقطني عنه، فقال: «ثقة زاهد قديم، سمعت أنَّه مجاب الدعوة».

وقال البرقاني: «كان صالحًا، ولأبيه اتصال بالدولة، فقرئ لابن ذلك السلطان على عبد الله بن أحمد (المسند)، فحضر القطيعي، ثمَّ غرقت قطعة من كتبه بعد ذلك، فنسخها من كتاب ذكروا أنَّه لم يكن فيه سماعه، فغمزوه وثبت عندي أنَّه صدوق، وإنَّما كان فيه بله. وقد لينته عند الحاكم فأنكر عليَّ وحسن حاله،

١- قال ابن الصلاح (ص٣٩٧) «أبو بكر بن مالك القطيعي: راوي مسند أحمد وغيره اختل في آخر عمره وخرف حتى كان لا يعرف شيئًا مما يقرأ عليه..» وراجع المسند بتحقيق الشيخ أحمد شاكر (١/١٤٤- ١٤٥)، فقرة بعنوان: (مصادر ترجمة القطيعي)..

٢- تاريخ بغداد (٥/١١٦).

وقال: كان شيخي»[١].

من مصنفاته: الفوائد المنتقاة، والأفراد والغرائب الحسان (القطعيات الخمسة)، والأمالي.

مسألة: بذكر الخلاف حول هل في المسند زيادات للقطيعي؟

القول الأول: أنَّ هناك زيادات وقعت، وهو قول ابن تيمية، قال رحمه الله في «منهاج السنة النبوية»: «وأحمد قد صنَّف كتاباً في فضائل الصحابة ذكر فيه فضل أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي، وجماعة من الصحابة؛ وذكر فيه ما روي في ذلك من صحيح وضعيف للتعريف بذلك، وليس كل ما رواه يكون صحيحاً. ثمَّ إنَّ في هذا الكتاب زيادات من روايات ابنه عبد الله، وزيادات من رواية القطيعي عن شيوخه. وهذه الزيادات التي زادها القطيعي غالبها كذب[٢]، كما سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله، وشيوخ القطيعي يروون عمن في طبقة أحمد.

وهؤلاء الرافضة جهال، إذا رأوا فيه حديثاً ظنوا أنَّ القائل لذلك أحمد بن حنبل. ويكون القائل لذلك هو القطيعي، وذاك الرجل من شيوخ القطيعي الذين يروون عمن في طبقة أحمد.

وكذلك في المسند زيادات زادها ابنه عبد الله، لا سيَّما في مسند علي بن أبي

١- السير (١٣/٢١٢- ٢١٣).

٢- انظر الكلام على زياداته في كتاب الشيخ عامر صبري المتقدّم (ص١١٨- ١١٩) وتعقُّبه على مَن أنكر وجودها، غير أنَّه قال: لا يوجد للقطيعي أحاديث عن غير عبد الله سوى حديث واحد، وخالفه الدكتور زهير الناصر في مقدمة تحقيقه أطراف المسند (١/٦١- ٦٢)، فذكر أنَّها أربعة أحاديث، ثمَّ ساقها. بالاستفادة من كتاب (إبراهيم بن محمد بن سفيان روايته، وزياداته، وتعليقاته على صحيح مسلم) (ص٢٢).

طالب ﷺ، فإنَّـه زاد زيادات كثيرة»[١].

وقال: «ثمَّ إنَّ هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات، ثمَّ إنَّ القطيعي- الذي رواه عن ابنه عبد الله – زاد عن شيوخه زيادات، وفيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة.

وهذا الرافضي وأمثاله من شيوخ الرافضة جهال، فهم ينقلون من هذا المصنف فيظنون أن كل ما رواه القطيعي، أو عبد الله قد رواه أحمد نفسه، ولا يميزون بين شيوخ أحمد، وشيوخ القطيعي، ثم يظنون أن أحمد إذا رواه فقد رواه في المسند فقد رأيتهم في كتبهم يعزون إلى مسند أحمد أحاديث ما سمعها أحمد قط، كما فعل ابن البطريق، وصاحب "الطرائف" منهم، وغيرهما بسبب هذا الجهل منهم، وهذا غير ما يفترونه من الكذب، فإن الكذب كثير منهم.

وبتقدير أن يكون أحمد روى الحديث فمجرد (رواية) أحمد لا توجب أنْ يكون صحيحاً يجب العمل به، بل الإمام أحمد روى أحاديث كثيرة ليعرف ويبين للناس ضعفها، وهذا في كلامه وأجوبته أظهر وأكبر من أن يحتاج إلى بسط، لا سيما في مثل هذا الأصل العظيم»[٢].

وقال الذهبي: «ولم يكن القطيعي من فرسان الحديث، ولا مجودًا، بل أدى ما تحمله، إن سلم من أوهام في بعض الأسانيد والمتون»[٣]أهـ.

وقال به ابن حجر، وعبد الحي اللكنوي، وهو ما صرح به الشيخ البنا الساعاتي والذي سيأتي ذكره بعد هذا المبحث.

١- منهاج السنة النَّبويَّة (٢٣/٥).
٢- ذكرت النص بتمامه لأهميته (٦٩٩/٧- ٧٠٠)، و(١٥٠/٨).
٣- السير (٥٢٤/١٣).

والقول الثاني: أنَّه لا وجود لزيادات القطيعي في المسند، وهو قول الشيخ الألباني، في كتابه «الذبُّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد»، وردَّ ردًا مفحمًا على من حاول التشكيك في نسبة المسند إلى الإمام أحمد[1].

١- انظر: المدخل إلى مسند الإمام أحمد (ص١٣٠-١٣٧)، وزيادات القطيعي على مسند الإمام أحمد (ص١٢٢).



أقسام أحاديث المسند

قال الشيخ المحدث أحمد البنا الشهير بالساعاتي رحمه الله في حديثه عن أقسام حديث المسند: «بتتبعي لأحاديث المسند وجدتها تنقسم إلى ستة أقسام:

١-قسم: رواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه سماعًا منه وهو المسمى بمسند الإمام أحمد، وهو كبير جدًّا يزيد عن ثلاثة أرباع الكتاب.

٢-وقسم: سمعه عبد الله من أبيه، ومن غيره، وهو قليل جدًّا[١].

٣-وقسم: رواه عن غير أبيه، وهو المسمى عند المحدثين بزوائد عبد الله، وهو كثير بالنسبة للأقسام كلها عدا القسم الأول.

٤-وقسم: قرأه عبد الله على أبيه، ولم يسمعه منه، وهو قليل.

٥-وقسم: لم يقرأه ولم يسمعه؛ ولكنه وجده في كتاب أبيه بخط يده.

٦-وقسم: رواه الحافظ أبو بكر القطيعي عن غير عبد الله وأبيه -رحمهما الله تعالى- وهو أقل الجميع فهذه ستة أقسام، وكل هذه الأقسام من المسند، إلا الثالث فإنه من زوائد عبد الله، والسادس من زوائد القطيعي»[٢].

١- بلغ عدد الشيوخ الذين روى عنهم عبد الله مائة وخمسين رجلًا، منهم خمس وتسعون روايتهم في الزوائد، وخمس وخمسون روى عنهم في «المسند»، وروايتهم ليست في الزوائد. انظر: «زوائد عبد الله» (ص١٣) ط: البشائر، و «ترجمة الإمام أحمد» (ص٤٩) ط: دار القمة، وعنه نقلت.

٢- انظر: مقدمة الفتح الرباني (١/١٩- ٢١)، وعنه في كتاب «الحديث والمحدثون» (ص٣٧٠-٣٧١) ط: دار الكتاب العربي.







الأحاديث التي تكلم فيها، وبيانها من القول المسدد للحافظ ابن حجر ورد معتصر منها

(١) حدثنا أبو المغيرة، ثنا ابن عياش، حدثني الأوزاعي وغيره، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب، قال: ولد لأخي أم سلمة زوج النبي ﷺ غلام فسموه الوليد، فقال النبي ﷺ: «سميتموه بأسماء فراعنتكم، ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد، هو أشر على هذه الأمة من فرعون لقومه» انتهى.

هذا الحديث أورده أبو حاتم بن حبان البستي في "تاريخ الضعفاء" في ترجمة إسماعيل بن عياش، وقال: هذا خبر باطل ما قال رسول الله ﷺ هذا، ولا رواه عمر، ولا حدث به سعيد، ولا الزهري، ولا هو من حديث الأوزاعي بهذا الإسناد، وإسماعيل ابن عياش لما كبر تغير حفظه فكثر الخطأ في حديثه، وهو لا يعلم.

وقد أورده ابن الجوزي في موضعين من كتابه "الموضوعات"، وقال: «لعل هذا قد أُدِخل على ابن عياش لما كبر، أو رواه وهو مختلط» انتهى.

(٢) وبهِ إلى عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، ثنا حجاج، ثنا فطر، عن عبد الله بن شريك، عن عبد الله بن الرقيم الكندي قال: خرجنا إلى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك بها فقال: «أمر رسول الله ﷺ بسدِّ الأبوابِ الشارعةِ في المسجدِ وتركِ بابه».

وهذا الحديث علته عبد الله بن شريك كان من أصحاب المختار، ولكن قيل: إنَّه تاب.

وقال الجوزجاني: «إنَّه كذاب».

وعبد الله بن الرقيم جهله النسائي أيضًا.

وقد أورد ابن لجوزي هذا الحديث أيضا في "الموضوعات" وقال: إنَّه باطل لا يصح، ثمَّ قال: «إنَّه من وضع الرافضة، قابلوا به الحديث المتفق على صحته في سد الأبواب غير باب أبي بكر وهو في "الصحيحين"».

قلت: فإن استدل على وضعه بمخالفة هذا الحديث الصحيح وإلا فإن الإمام أحمد وثق عبد الله بن شريك، وكذا وثقه ابن معين، والله أعلم.

(٣) وبهِ إلى عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، ثنا وكيع، عن هشام بن سعد، عن عمر بن أسيد، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «سدُّوا الأبواب التي في المسجد إلا باب علي».

أورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، وأعلَّهُ بمخالفة الحديث الصحيح وبهشام ابن سعد، ونقل عن يحي بن معين أنه قال: «ليس بشيء».

وعن أحمد أنَّه قال: «ليس هو بمحكم الحديث».

قال ابن الجوزي: «هذا باطلٌ لا يصُح، وهو من وضعِ الرافضة».

(٤) وبهِ إلى أحمد: ثنا يزيد، ثنا أصبغ بن زيد، ثنا أبو بشر، عن أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «من احتكرَ طعامًا أربعين ليلةً، فقد بريء من الله ﷻ، وبريء الله منه، وأيُّما عرضة [1] أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى».

وهذا الحديث رواه ابن عدي في «الكامل»، في ترجمة أصبغ بن زيد، وقال:

١- الموضع الواسع الذي لا بناء فيه.



«إنَّه ليس بمحفوظ».

ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» من طريق أحمد، وقال: لا يصح ذلك، قال: وقال ابن حبان: «أصبغ لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد».

وكذلك أورد هذا الحديث في «موضوعاته» أبو حفص عمر بن بدر الموصلي.

قلت: وفي كونه موضوعًا نظر، فإنَّ أحمد، وابن معين، والنسائي، وثقوا أصبغ.

وقد أورد الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» هذا الحديث من طريق أصبغ.

(٥) وبهِ إلى أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثني يوسف بن أبي ذرة، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من معمَّر يعمر في الإسلام أربعين سنة، إلا صرف الله عنه أنواعا من البلاء: الجنون، والجذام، والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة، لين الله عليه الحساب، فإذا بلغ الستين رزقه الله الإنابة إليه بما يحب، فإذا بلغ سبعين، أحبه الله وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته، وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسمي أسير الله في أرضه، وشفع لأهل بيته».

ورواه أحمد أيضًا موقوفًا على أنس.

وبهِ إلى أحمد قال: حدثنا أبو النَّضر، ثنا الفرج، ثنا محمد بن عامر، عن محمد بن عبيد الله، عن جعفر بن عمرو، عن أنس بن مالك قال: «إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنةً، أمنَّه الله من أنواع من البلايا: من الجنون، والجذام، والبرص، وإذا بلغ الخمسين ليَّن الله عز وجل عليه حسابه، وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته ومحا عنه سيئاته،

فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسمي أسير الله في الأرض، وشفع في أهله».

وعلَّةُ الحديث المرفوع: يوسف ابن أبي ذرة، وفي ترجمته أورده ابن حبان في «تاريخ الضعفاء» وقال: «يروي المناكيرَ التي لا أصلَ لها من كلامِ رسولِ الله ﷺ لا يحلُّ الاحتجاجُ به بحالٍ» روى عن جعفر بن عمرو عن أنس ذاك الحديث.

وأورد ابن الجوزي في «الموضوعات» هذا الحديث من الطريقين المرفوع، والموقوف، وقال: «هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ».

وأعلَّ الحديثَ الموقوف بالفرجِ بن فضالةَ، وحكى أقوالَ الأئمةِ في تضعيفه.

قال: وأمَّا محمد بن عامر، فقال ابن حبان: يقلبُ الأخبارَ، ويروي عن الثِّقات ما ليس من أحاديثهم.

وأمَّا محمد بن عبيد الله فهو العرزمي، قال: «أحمد ترك الناس حديثه».

قلت: وقد خلَّط فيه الفرج بن فضالة فحدَّث به هكذا، وقلب إسنادَهُ مرةً أخرى، فجعله من حديث ابن عمر مرفوعًا أيضًا، رواه أحمد أيضًا.

(٦) وبهِ إلى أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا الفرجُ، حدثني محمد بن عبد الله العرزميَّ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب، عن النبي ﷺ فذكر مثل الحديث الموقوف على أنس هكذا، أورده الإمام أحمد ولم يسقْ لفظهُ، وإنَّما أورده بعد حديث أنس الموقوف، وقال: مثله.

ولم يذكر ابن الجوزي في «الموضوعات» حديث ابن عمرَ هذا، وكان ينبغي أن يذكرهُ فإنَّ هذا موضوعٌ قطعًا، وممَّا يستدل به على وضع الحديث مخالفةُ الواقعِ.

وقد أخبرني من أثقُ به أنَّه رأى رجلًا حصل لهُ جذامٌ بعد السِّتين فضلًا عن



الأربعين.

ومحمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمانَ، إن كان هو الملقَّبَ بالديباجِ، فهو لم يدرك ابن عمر، وقال البخاري: «لا يكاد يتابع على حديثه».

وإن كان غيره فهو مجهول.

(٧) وبهِ إلى الإمام أحمد: ثنا عبد الصمد بن حسان، أنا عُمارةُ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: بينما عائشةُ في بيتها سمعت صوتًا في المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عيرٌ لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشَّامِ تحمل من كل شيءٍ.

قال: وكانت سبعمائة بعير، فارتجت المدينةُ من الصوتِ. فقالت عائشة: سمعتُ رسول اللهِ ﷺ يقول: «قد رأيتُ عبد الرحمن بن عوفٍ يدخلُ الجنَّة حبوًا» فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال: «إنْ استطعتُ لأدخلنَّها قائمًا، فجعلها في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ بأقتابها وأحمالها».

وهذا الحديث أورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، وقال: قال أحمدُ: «هذا الحديث كذبٌ منكرٌ». قال: «وعمارة يروي أحاديثَ مناكيرَ».

وقال: «أبو حاتم الرازي عمارة بن زاذان لا يحتج به».

(٨) وبه إلى أحمد: ثنا أبو اليمان، ثنا إسماعيلُ بن عيَّاش، عن عمر بن محمد، عن أبي عقَالٍ، عن أنسِ بن مالكٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «عسقلانُ أحد العروسين[1]، يبعث منها يوم القيامة سبعون ألفًا لا حساب عليهم، يبعث منها خمسون ألفًا شهداءَ وفُودًا إلى الله عز وجلَّ، وبها صفوف الشهداء، رؤوسُهُم مقطعةٌ في أيديهم تثجُّ أوداجهم دمًا يقولون ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى

١- الموضع الواسع الذي لا بناء فيه.

رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ فيقول: صدقَ عبادِي، اغسلوهم بنهرِ الفيضة، فيخرجون منه نقاءً بيضًا، فيسرحون في الجنَّة حيث شاؤوا».

وهذا الحديثُ أورده ابن الجوزي في «الموضوعاتِ» وقال: هذا حديثٌ لا يصح عن رسول الله ﷺ، وجميع طرقه تدور على أبي عقَال، واسمه هلال بن زيد بن يسار، قال ابن حبَّان: «يروي عن أنسٍ أشياءَ موضوعةً ما حدَّث بها أنسٌ قطُّ، لا يجوز الاحتجاج به بحال».

وفي ترجمة أبي عقال أوردهُ ابن عدي في «الكامل» من رواية جماعة عنهُ، وقال: «غير محفوظٍ».

وقال الذهبي في الميزان: «باطل».

(٩) وبهِ إلى أحمد: حدثنا الحسنُ بن يحيى من أهل مرو، ثنا أوس بن عبد الله بن بريدة، أخبرني أخي سهل بن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، عن جده -هو بريدة بن الحصيب- سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ستكون بعدي بعوث كثيرةٌ، فكونوا في بعث خراسان، ثمَّ انزلوا بمدينةِ مرو، بناها ذُو القرنين، ودعا لها بالبركةِ، ولا يضرُّ أهلَها سوءٌ».

وهذا الحديثُ أورده أبو حاتم ابن حبَّانَ في "الضعفاء" وقال سهل بن عبد الله: «منكر الحديث، يروي عن أبيه ما لا أصل له، لا نحب أن يشتغل بحديثه». انتهى.

وأخوه أوس ضعيفٌ جدًا، قال البخاري: «فيه نظرٌ»، وهذه العبارة يقولها البخاري في مَنْ هو متروكٌ.



وقال النَّسائي: «ليس بثقة».

وقال الدارقطني: «متروك» والله أعلم. انتهى كلام شيخنا.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

(وهذا حينُ الشُّروعِ في الأجوبةِ)

أول شيء يتعقبُ فيها على شيخنا احتجاجُهُ بحديثِ أبي هريرة الذي تقدَّمَ ذكرهُ من روايةِ موسى البلقاويّ، واعترافه بأنَّه متهمٌ أي أنَّ الحفاظ اتهموهُ بالكذبِ، وإذا كان كذلك فلا يصلُحُ أن يحتجَّ بحديثهِ.

وقد خرج أبو نعيم في «الحلية» هذا الحديثَ من وجهٍ آخرَ عن أبي هريرة، وفيه من لا يعرفُ، وهو من رواية محمد بن عبده القاضي، وكان يدَّعي سماع ما لم يسمع، وهو مشهورٌ ولو احتجَّ بما أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة أيضًا، عن النبي ﷺ، قال: «مَنْ سُئِل علمًا فكتمه ألجمهُ الله بلجامٍ من نارٍ» لكان أولى.

والحديث وإن لم يكنْ في نهايةِ الصحةِ؛ لكنَّه صالحٌ للحجَّةِ وهو على كلِّ حالٍ أولى من حديث البلقاويِّ.

ثمَّ نشرعُ الآنَ في الجوابِ عن الأحاديثِ التسعةِ التي أوردها، واقتصر عليها.

ونجيبُ عنها أولًا: من طريق الإجمال، بأنَّ الأحاديثَ التي ذكرها ليس فيها شيءٌ من أحاديثِ الأحكامِ في الحلالِ والحرامِ، والتساهلُ في إيرادها مع ترك البيانِ بحالها شائعٌ، وقد ثبت عن الإمامِ أحمدَ وغيرهِ من الأئمةِ أنَّهم قالوا: «إذا رَوينا في الحلال والحرام شدَّدنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا».

وهكذا حال هذه الأحاديث.

فالأول منها: يدخل في أدب التسمية، وفيه أخبار عن بعض الأمور الآتية ولهذا أورده في دلائل النّبوة.

والثاني كالثالث: في الفضائلِ.

والرابع: في الحث على الكرم، والبرِ، والصِلة، ورعاية الجار.

والخامس كالسادس: في فضل طولِ العمرِ في الإسلام.

والسابع: يحتملُ التأويل وهو أمرٌ نسبي.

والثامن كالتاسع: في فضائلِ بعض البلدانِ، وفيها: الحث على الرِّباط والجهاد.

فوائد عامة عن المسند

(١) أول حديث: ما رواه قيس قال: قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: يا أيُّها النَّاس، إنَّكم تقرؤون هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾ [المائدة: ١٠٥] ، وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه»[١].

(٢) وآخر حديث: عن عبد الله بن شداد، عن أبيه، قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي - الظهر أو العصر - وهو حامل الحسن أو الحسين... »[٢] .

(٣) من أفضل الطبعات للمسند، طبعة دار الرسالة.

(٤) أكبر حجم للكتاب طبع، طبعة دار الرسالة في (٥٢) مجلدًا، وأقلها طبعة دار السلام طبع في مجلد واحد ضخم من القطع الكبير، وطبعة بيت الأفكار الدوليَّة بمجلد ضخم قطع عادي.

(٥) عدد أحاديث مسند أبي بكر رضي الله عنه (٨١) مع المكرر.

(٦) وعدد أحاديث مسند عمر رضي الله عنه (٣٠٨).

(٧) وعدد أحاديث مسند عثمان رضي الله عنه (١٦٢).

يتضمن مسند عثمان بعضًا من أخباره، وضمنت في المسند بعنوان (ومن أخبار عثمان بن عفان رضي الله عنه).

١- (١٧٨/١).

٢- المسند (٦١٣/٤٥).

(٨) أكبر مسند للخلفاء، هو مسند علي ﷺ، وتضمن (٨١٩) حديثًا، وفيه أحاديث ضعيفة، ويذكر أنَّ الربيع قال: كان ابن هرم يلزم الشافعي فقال له: يا أبا عبد الله، تملي علينا السنن التي صحت عن رسول الله ﷺ.

فقال الشافعي: «السنن التي تصحُّ قليلةٌ، هذا أبو بكر لا يصحُّ له تسعة أحاديث، وعمر لا يصح له خمسون حديثًا، وعثمان فأقلُّ، وعلي مع ما كان يحضُّ النَّاسَ على الأخذ عنه لا يصحُّ له حديث كثيرًا، والصحيح عند أهل المعرفة قليل»[١].

(٩) خامس مسند من مسانيد العشرة طلحة (٢٣)، ثمَّ الزبير (٣٨)، ثمَّ سعد بن أبي وقاص (١٨٦)، ثمَّ سعيد بن زيد (٣٠)، ثمَّ عبد الرحمن بن عوف (٣٥)، ثمَّ أبو عبيدة بن الجراح (١١) ﷺ جميعًا.

(١٠) يذكر أحيانًا حديثًا في مسند الصحابي، ثم يذكر في مسند آخر لمناسبة يراها، كحديثِ: «لا يحل دم المسلم إلا واحدة من ثلاث: أن يكفر بعد إيمانه، أو يزني بعد إحصانه، أو يقتل نفسا فيقتل»، ذكره في مسند عثمان ﷺ (٤٣٧)، وفي مسند طلحة ﷺ (١٤٠٣)، عن محمد بن عبد الرحمن بن مجبر، عن أبيه، عن جده، أن عثمان ﷺ أشرف على الذين حصروه، فسلم عليهم فلم يردوا عليه، فقال عثمان: أفي القوم طلحة؟ قال طلحة: نعم. قال: فإنا لله وإنا إليه راجعون، أسلم على قوم أنت فيهم فلا يردون، قال: قد رددت، قال: ما هكذا الرد أسمعك ولا تسمعني يا طلحة؟ أنشدك الله، أسمعت النبي ﷺ يقول: «لا يحل دم المسلم إلا واحدة من ثلاث: أن يكفر بعد إيمانه، أو يزني

١- طبقات الشافعية الكبرى (٨٢/٢).



بعد إحصانه، أو يقتل نفسًا فيقتل بها» قال: اللهم نعم. فكبر عثمان، فقال: والله ما أنكرت الله منذ عرفته، ولا زنيت في جاهلية ولا في إسلام، وقد تركته في الجاهلية تكرها وفي الإسلام تعففًا، وما قتلت نفسًا يحل بها قتلي.

(**١١**) يتضمن المسند الأحاديث المرفوعة، ويذكر فيه أحيانًا بعض الآثار عن الصحابة، وربما عن غيرهم، مثل: (١١١٨) حدثنا عبد الله، حدثني أبو السري هناد بن السري، حدثنا شريك، وحدثنا علي بن حكيم الأودي، أخبرنا شريك، عن أبي إسحاق، عن هبيرة، عن علي، «أما تغارون أن تخرج نساؤكم؟» وقال هناد في حديثه: «ألا تستحيون أو تغارون؟ فإنَّه بلغني أن نساءكم يخرجنَ في الأسواق يزاحمنَ العلوج».

وما جاء برقم (١٦٥١)، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، قال: بلغني أنَّ لقمان كان يقول: «يا بنيَّ: لا تعلم العلم لتباهي به العلماء، أو تماري به السفهاء، وترائي به في المجالس».

وما جاء برقم (٥٦٠٥) حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن نهشل بن مجمع، عن قزعة، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ لقمان الحكيم كان يقول: إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ إذا استودع شيئًا حفظه». وقال مرة: نهشل، عن قزعة أو عن أبي غالب. وكرره الإمام برقم (٥٧٠٧).

وما جاء برقم (٢٢١٠٤) عن يزيد بن عميرة قال: لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له يا أبا عبد الرحمن أوصنا. قال: أجلسوني. فقال: إنَّ العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما، يقول ثلاث مرات، فالتمسوا العلم عند أربعة رهط: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود،

وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهوديًا، ثمَّ أسلم؛ فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّه عاشر عشرة في الجنة».

وما جاء برقم (٢٧٥٤٥)، إنَّ الله ﷻ يقول: «يا عيسى إنِّي باعث من بعدك أمة إنْ أصابهم ما يحبون، حمدوا الله وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون، احتسبوا، وصبروا، ولا حلم، ولا علم قال: يا رب كيف هذا لهم ولا حلم، ولا علم؟ قال: أعطيهم من حلمي، وعلمي».

وما جاء برقم (٢٣٦٦٥)، عن عبد الله بن ثعلبة: «أنَّه رأى سعد بن أبي وقاص يوتر بركعة واحدة لا يزيد عليها حتى يقوم من جوف الليل».

وبرقم (٢٥١١) حدثنا أبو قطن، عن المسعودي، قال: «ما أدركنا أحدًا أقوم بقول الشيعة من عدي بن ثابت»[١].

وبرقم (٧٩٩٧) حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن يعقوب بن عبد الله القمي، عن حفص بن حميد، قال: قال زياد بن حدير: «وددت أنِّي في حيز من حديد، معي ما يصلحني، لا أكلم النَّاس ولا يكلموني»[٢].

١- هذا أثر عن المسعودي: وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة، وعدي بن ثابت: هو الأنصاري الكوفي، وثقه أحمد والعجلي والنسائي، وقال أبو حاتم: صدوق، وكان إمام مسجد الشيعة وقاصهم، وقال ابن معين: شيعي مفرط، وقال الدارقطني: ثقة إلا أنَّه كان غاليًا في التشيع، وقال أحمد: ثقة إلا أنه كان يتشيع، وذكره ابن حبان في "الثقات" وقال: مات في ولاية خالد (يعني القسري) على العراق، وقال ابن قانع: مات سنة ست عشرة ومئة أبو قطن: هو نسير بن ذعلوق (من حاشية المسند).

٢- و(الحيز): المكان. (ما يصلحني)، قال السندي: «من الطعام والشراب، وهو من الإصلاح».

روى الإمام أحمد عن الشيعة، وهم من يقدمون علي على عثمان رضي الله عنه، منهم إسحاق بن منصور السلولي، وإسماعيل بن أبان، والحسين بن الحسين الأشقر.

وأمَّا الرافضة: وهم الذين يسبون أبا بكر وعمر، فقد روى عن تليد بن سليمان المحاربي حديثًا واحدًا، وتليد هذا اتفقوا على ضعفه، واتهم بالكذب، والحديث هو (٩٦٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: نظر النبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة، فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم».



(١٢) الأسانيد القصيرة هي الثلاثية وقد جمعت وشرحت كما بينت في ثنايا الكتات، وهذه الأسانيد تكثر في مسند أنس بن مالك ﵁.

مثال: (١١٩٤١) حدثنا هشيم، أخبرنا حميد، عن أنس بن مالك قال: «إنْ كانت الأَمَة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به في حاجتها».

و(١١٩٤٦) حدثنا هشيم، عن حميد، عن أنس «أنَّ النبي ﷺ كان يطوفُ على جميع نسائِه بغسلٍ واحد».

و(١١٩٤٧) حدثنا هشيم، عن عبد العزيز، عن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إنِّي أعوذُ بك من الخبثِ والخبائث».

و(١١٩٥٦) حدثنا هشيم، أخبرنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ : «كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته، حتى سال الدم على وجهه فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]»، وهلم جرًّا والأحاديث كثيرة أترك ذكرها لكيلا يطول الذكر بإيرادها.

(١٣) من الأسانيد الطويلة: رقم (٢٥٧)، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، وعبد الرحمن، عن سفيان، عن زبيد الإيامي، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر، قال: «صلاة السفر ركعتان، وصلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، تمام غير قصر، على لسان محمد ﷺ».

(١٤) ويذكر أقوال أهل العلم حول السند أو المتن، وأحيانًا يعلق على الحديث، كما في حديث رقم (٢١٧٨٧)، حدثنا عارم بن الفضل، حدثنا معتمر، عن

أبيه، قال: سمعت أبا تميمة، يحدث عن أبي عثمان النهدي، يحدثه أبو عثمان عن أسامة بن زيد، قال: كان نبي الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن بن علي على فخذه الأخرى، ثمَّ يضمنا ثم يقول: «اللهم ارحمهما، فإنِّي أرحمهما».

ثمَّ قال: قال علي بن المديني: «هو السلي من عنزة إلى ربيعة يعني أبا تميمة السلي».

ومثال على المتن، ما رواه (٢٣٦٨٧) حدثنا روح، حدثنا الأوزاعي، عن عبد الله بن سعد، عن الصنابحي، عن رجل، من أصحاب النبي ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الغلوطات».

قال الأوزاعي: «الغلوطات: شداد المسائل وصعابها».

ومن تعليقه على الأحاديث (٦٩٣٨) حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا الحجاج بن أرطاة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أنَّ رسول الله ﷺ «رد ابنته إلى أبي العاص بمهرٍ جديد، ونكاحٍ جديد».

قال عبد الله بن أحمد: قال أبي: في حديث حجاج: «رد زينب ابنته»، قال: هذا حديث ضعيف، أو قال: واهٍ، ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب إنَّما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمي، والعرزمي: لا يساوي حديثه شيئًا، والحديث الصحيح الذي روي: «أنَّ النبي ﷺ أقرهما على النكاح الأول».

(١٥) فيه أحاديث انفرد بها أو شاركه به من أصحاب الكتب التسعة واحد أو اثنان، مثل قوله: حدثنا يحيى بن يزيد، عن أبيه، عن بشير بن أبي صالح، وكان يقال له ابن نفيلة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «ثمن الحريسة



حرام، وأكلها حرام»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لا ينظر إلى المسبلِ يوم القيامة»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا»[٣].

وقال النبي ﷺ: «شرُّ ما في رجل شحٌّ هالعٌ، وجبنٌ خالعٌ»[٤].

(١٦) مسند النساء فيه (٧٢ مسندًا) بداية بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وانتهاءً بـ (حديث أم بجيد)، قال السندي: «أم بجيد، بموحدة وجيم على لفظ التصغير، وهي أنصارية حارثية، اسمها حواء، وهي مشهورة بكنيتها».

(١٧) أول حديث في مسند عائشة رضي الله عنها (٢٤٠١٠)، وهو «نهى عن قتل جنان البيوت، إلا الأبتر، وذو الطفيتين، فإنهما يختطفان»، أو قال:

١- مسند أبي هريرة رضي الله عنه(٨٤٠) قال الهيثمي «مجمع الزائد» (٦٤٢٥) «رواه أحمد، وفيه يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو متروك».

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٣٦٧/١): «ويقال للشاة التي يدركها الليل قبل أن تصل إلى مراحها: حريسة.

وفلان يأكل الحرسات: إذا سرق أغنام الناس وأكلها. والاحتراس: أن يسرق الشيء من المرعى».

٢- مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٨٢٢٩)، قال الشيخ شعيب رحمه الله معلقًا عليه: «هذا الحديث انفرد الإمام أحمد بإخراجه بسند الصحيفة».

٣- حديث عبد الله بن الزبير بن العوام (١٦١١٧) (٤٢/٢٦)، انفرد عن أصحاب الكتاب التسعة.

٤- مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٨٠٠٩)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥٠/٩) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبية، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة (٩٨/٩)، وعبد بن حميد (١٤٢٨)، وإسحاق بن راهويه (٣٤٢) من طرق عن موسى بن علي، به، وهو في عند أبي دادود السجستاني (٢٥١١).

قال السندي: قوله (شح)، أي: بخل. (هالع): الهلع: أشد الجزع. (خالع): أي شديد كأنَّه يخلع فؤاده من شدة خوفه.

«يطمسان الأبصار، ويطرحان الحبل من بطون النساء، ومن تركهما فليس منا» وآخر حديث «كان يقبل وهو صائم».

(١٨) ثاني مسند من مسانيد النساء (فاطمة، ثم حفصة، ثم أم سلمة، ثم زينب بنت جحش، ثم جويرية، ثم أم حبيبة)، ثمَّ ذكر ثلاث نساء، ثم (ميمونة، ثم صفية)، ثمَّ أم الفضل زوج العباس، ثمَّ أم هانئ، ثم أسماء... رضي الله عليهن جميعًا).

(١٩) وضع مسندًا سمَّاه بـ (أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ)، ذكر فيه جماعة ممن أبهم أسمائهم كقوله: (امرأة، وأعرابي، وشيخ، ورجل....إلخ)، وذكر فيه بعض أحاديث الصحابة، مثل (أبي أيوب، ومحمود بن لبيد، وطخفة الغفاري، وأبي حميد).

(٢٠) ومسند القبائل يبدأ بـ (حديث ابن المنتفق) وينتهي بمسند (حديث شداد بن الهاد).

(٢١) أول المسانيد (مسند الخلفاء الراشدين) وآخر المسانيد (مسند القبائل).

(٢٢) في مسند أبي هريرة رضي الله عنه نجد أنَّ الإمام ساق نفس السند في موطن واحد، وكرره، فقال: حدثنا عبد الرزاق بن همام، حدثنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع، فاليهود غدًا والنصارى بعد غد».

الحديث برقم (٨١١٥)، ثمَّ روى عدد من الأحاديث بنفس السند وهي من رقم



(٨١١٥) إلى رقم (٨٢٥٣) أي أنَّه روى (١٣٥) حديثًا بنفس السند.

(٢٣) يكرر الحديث الواحد مراتٍ كثيرة كحديث (٢٤١١٠) حدثنا سفيان قال: قلت لعبد الرحمن بن القاسم: أسمعت أباك يحدث، عن عائشة «أنَّ رسول الله ﷺ كان يقبلها وهو صائم»، فسكت عني هنية ثمَّ قال: نعم»[1]. والله تعالى أعلم، وغير ذلك من الفوائد التي تحتاج لجزء أن تفرد وتبين ويعلق عليها.

١- قال محققو طبعة الرسالة: وسيرد برقم (٢٤١٧٤). وسيرد من طريق علقمة بالأرقام (٢٤١٣٠) و (٢٥٤١٤) و (٢٥٦٥٣) و (٢٦٢٩٩).
ومن طريق علقمة وشريح برقم (٢٤٩٥٠).
ومن طريق علقمة والأسود برقم (٢٤١٥٤).
ومن طريق الأسود برقمي (٢٤٩٦٥) و (٢٥٩٣٢).
ومن طريق الأسود ومسروق برقم (٢٥٨١٥).
ومن طريق مسروق بالأرقام (٢٤٦٩٩) و (٢٥٢٣٠) و (٢٦١٧١) و (٢٦٢٧٠).
ومن طريق أبي سلمة بالأرقام (٢٥٨٦٧) و (٢٥٨٦٨) و (٢٥٩٥٣) و (٢٦١٩٦).
ومن طريق عروة بالأرقام (٢٥٦٠٠) و (٢٥٦١٣) و (٢٥٧٣٢) و (٢٦٠٤٥) و (٢٦١٤٥) و (٢٦٣٩٢).
ومن طريق عبد الله البهي برقم (٢٥٨٤٨).
ومن طريق عمرو بن ميمون بالأرقام (٢٤٩٨٩) و (٢٥٢٠٦) و (٢٥٨٤٧) و (٢٥٨٤٨) و (٢٦١٩٠) و (٢٦٢١٦) و (٢٦٢٨١).
ومن طريق عائشة بنت طلحة برقم (٢٤٣١٤).
ومن طريق عكرمة برقم (٢٥٩٥٠).
ومن طريق بكر برقم (٢٤٦٦٨).
ومن طريق طلحة بن عبد الله بن عثمان بالأرقام (٢٥٠٢٢) و (٢٥٢٩٠) و (٢٥٤٣٠) و (٢٥٤٥٦) و (٢٦٣٢٠) و (٢٦٣٢١) و (٢٦٣٢٢).
ومن طريق عبد الله بن شقيق برقم (٢٦٢٩١).
ومن طريق علي بن حسين برقمي (٢٥٨٠٠) (٢٦٤١٤).
ومن طريق محمد بن الأشعث بالأرقام (٢٥٢٩١) و (٢٥٢٩٢) و (٢٥٧٨٢) و (٢٥٧٨٣).
ومن طريق مصدع برقمي (٢٤٩١٦) و (٢٥٩٦٦).
ومن طريق معادة برقمي (٢٤٦٦٦) و (٢٦٠٥٦).





الختام

طالعنا في هذا الكتاب ثلاثة موضوعاتٍ جمعت باختصار وهي (الإمام أحمد شخصيته، ومحنته، وكتابه المسند) وأَضيف لها بحمدِ الله قبسًا من أقواله وفتاويه، مع ذكر بعض الموضوعات في ثنايا الكتاب تضمنت فوائد عامة كان الغاية منها تتمةً لفكرة، أو إيضاح لمشكل، أو رغبة في إحاطة القارئ بالفوائد والفرائد، وغير ذلك.

تبين لنا أنَّ هذه المكانة العظيمة التي نالها الإمام لم تكن بالمجَّان وبالصدفة؛ بل هي الرعاية الربانيَّة، والألطاف الإلهية منذ صغره بإقباله على للعلم، ثمَّ إلى شبابه، ثمَّ الرعاية له في محنته، ثمَّ في شيخوخته، إلى وفاته.

وتعرفنا على بعض المباحث حول مسند الإمام أحمد رحمه الله.

للإمام أحمد مقالات مباركة، مثل قوله عن الزهد: «قصر الأمل، والإياسُ ممَّا في أيدي النَّاس».

وقوله عن الحبِ في الله: «هو أنْ لا تُحبَه لطمعِ دنيا».

وقوله عن التوكلِ: «هو قطعُ الاستشرافِ بالإياسِ من الخلق»، وغير ذلك.

وأمَّا حاله فكانت كحال الرعيل الأول من السلف، ووالله لو نظرنا في سيرة كل صحابي ووجدنا أميز صفة فيه لوجدنا مثلها في الإمام أحمد، وقد جمع الله من الصفات الكثيرة ولسنا نبالغ بهذا لمن طالع في أحواله بعين الإنصاف، ونعوذ بالله من الغلو في الدين، ولله در الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني (ت ١٣٨٦هـ) إذ قال: «من أوسعِ أودية الباطل الغلوُّ في الأفاضل»[1].

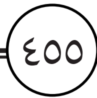
١- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (١/٨) ط: عطاءات العلم.

قد دونت أقوال الإمام وفتاويه وغير ذلك، وهذا من العناية الربانية لهذه الأمة حفظ علوم أسلافها، ومن هذه العناية جمع دقائق الأمور والتفاصيل في حياة الإمام وصفاته، وكل ما يتعلق به، ومن ذلك قول ابن حمدان رحمه الله: «باب معرفة ألفاظ إمامنا أحمد رضي الله عنه وسائر أقواله، وأفعاله، واجتهاداته، وأحواله في حركاته وسكناته، وعلى أي وجه يحملها الأصحاب، لما علم من دينه وتحريه في ذلك»[1]. وقد تركت ذكر هذا المبحث رغم فائدته؛ خشية للإطالة وخوفًا من الملل، ولعلَّ القارئ يرجع له بإذن الله.

دفعنا شبهة سببها أقوال بعض أهل العلم، وهي أنَّ الإمام أحمد رحمه الله محدثًا فحسب! وبيَّنا نقيض ذلك بأقوال أهل العلم وشهادتهم الزكية، وأقوالهم المرضية بحق الإمام رحمه الله.

وفي الكتاب كثير من الفوائد والدرر المسطورة والمذكورة، يجدها القارئ بإذن الله، وتم بحمد الله ما أردت بيانه، وأسأل الله أن يتقبله مني، ويجعله ذخراً وأجراً لي ولوالدي وأهلي وأولادي، وأن ينفع به كل من قرأ فيه، وساهم بنشره، ودلَّ عليه، فما كان فيه من خيرٍ وصواب فمن الله وحده، وما كان غير ذلك فمن نفسي أو من الشيطان، وأسأل الله أن يلهمني رشدي، وأعوذ به من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، والحمد لله رب العالمين.

١- صفة الفتوى (ص٣٠٧- ٣٥٥).



(مفكَّرَةُ الفَوائِدِ)

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....



صدر للمؤلِّف من الكُتب والأبحاثِ.

- قاعدة بذكر ثلاثة أصول عورضت بها الشَّريعة.
- إبهاج الطالبين بقطوف من ألقاب من المحدثين.
- احترام العلماء وتوقيرهم (أهل الحديث أنموذجًا).
- تكريم الأمراء وذوي السلطان لأهل العلم والفضل على مر الزمان.
- لذة العلم والسماع عند المحدثين والعلماء.
- العبير الشذي بسيرة الملك العادل نور الدين زنكي.
- العذب المعين بسيرة الملك المظفر صلاح الدين.
- مواقف وكلمات صنعت علماء.
- صور من جهاد العلماء.
- معالم في رواية الحديث الضعيف والاستشهاد به.
- القصَّاص وموقف السلف منهم.
- أدب إعارة الكتاب واستعارته.
- شرح الأربعين التدبريَّة في مراتب أخذ القرآن.
- التعليق على رسالة الإلحاد للعلامة محمد الخضر الحسين.
- التبرج صوره أسبابه ومظاهره.
- شرح كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بذكر الصفات الثلاثة التي يحتاجها الداعية والمحتسب.
- تمام الفرحتين بتهذيب كتاب العيدين.

فهرس الفوائد والمحتوى